

جامعة النجاح الوطنية
كلية الدراسات العليا
قسم التاريخ

٢٠٠٥
١٠٠٠
١٠٠٠

حزب البعث العربي الاشتراكي في فلسطين
ودوره في الحركة الوطنية الفلسطينية
1948م – 1982م

إعداد

عبدالعزیز أمين موسى عرار

إشراف

الدكتور : نظام عزت عباسي

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير
في التاريخ بكلية الدراسات العليا جامعة النجاح الوطنية
نابلس – فلسطين
1422هـ – 2001م

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

نوقشت هذه الرسالة بتاريخ ١١/٦/٢٠٠١، وأجيزت بنجاح .

التوقيع
رئيسا
عضوا
عضوا
عضوا

رئيسا
عضوا
عضوا
عضوا

أعضاء لجنة المناقشة
د. نظام عزت العباسي
د. محمود عطاالله
د. حماد حسين
د. بهجت صبري

الإهداء

إلى كواكب الشهداء الذين سقطوا دفاعاً عن وحدة الأمة العربية وثرى فلسطين
وتحرير السليب من أرض العرب ، وإلى والدي وزوجتي وأبنائي عدي، وليث،
وسندس، وميسم، الذين منحوني التشجيع، وسهروا معي الليالي في سبيل تحقيق
هذا البحث .

١

الفصل الثاني

نشوء حزب البعث في فلسطين:

- ص 49-117 نموّه وتوسعه بين عامي 1948 – 1958
- 50 (1) تبلور الإطار التنظيمي السياسي للبعث في المملكة الأردنية الهاشمية
- 59 (2) تأسيس حزب البعث في قطاع غزة
- 60 (3) أبرز الأوساط الاجتماعية التي انتشر فيها حزب البعث
- 60 أ) المعلمون والطلاب
- 63 ب) القضاة ، ورجال القانون وكبار الموظفين

64	ت) الأندية الرياضية والثقافية والكشافة
65	ث) العمال والفلاحون
67	ج) الحركة النسوية
67	ح) مجلس النواب
73	خ) قطاع الجيش
77	د) حكومة سليمان النابلسي
86	4) عدد أعضاء حزب البعث و توزيعهم الجغرافي
92	5) وسائل ومصادر الدعاية والتعبئة
92	أ) التمويل
93	ب) المطبوعات
94	1) المطبوعات الصحفية
95	2) البيانات الحزبية
96	3) أدبيات فكرية ومواد إعلامية أخرى
97	ج) تجنيد القوى والتحالفات السياسية لمصلحة البعث
100	د) إدارة الانتخابات البرلمانية
	6) علاقة القيادة القطرية في المملكة الأردنية بالقيادة القومية لحزب البعث
104	في دمشق
106	7) تسلسل المراتب التنظيمية في حزب البعث
109	8) علاقة حزب البعث بحكومتي الأردن ومصر حتى عام 1958

الفصل الثالث

ص118-164	أوضاع حزب البعث بين عامي 1958-1967
	1) موقف حزب البعث في فلسطين تجاه الوحدة المصرية- السورية
119	1958-1961
125	2) تأثير خلاف الريماوي مع عفاق على حزب البعث في فلسطين
131	أ- تأسيس القيادة القومية والقطرية الثورية
133	ب- دعوة الريماوي لتكوين الحركة العربية الواحد

- (3) علاقة حزب البعث بنظام الحكم الأردني بين عامي 1960-1967
- أ - علاقة البعث بالنظام الأردني بعد قيام الجمهورية العربية المتحدة 136
- ب - نشوء الكيان الفلسطيني ومنظماته وتأثيرها في علاقة حزب البعث
بالنظام الأردني 143
- ج - موقف البعث في فلسطين من الحكومة الأردنية بعيد
أحداث السموع 151
- د - الأوضاع التي قادت إلى انقلاب 23 شباط 1966 في سوريا،
وتأثيرها على حزب البعث في فلسطين 155

الفصل الرابع

- تنظيمات البعث في فلسطين بين عامي 1967 - 1982 ص 165 - 236
- 1(انطلاقة وتأسيس منظمات البعث
- أ - تأسيس منظمة طلائع حرب التحرير الشعبية " قوات الصاعقة" 166
- ب - تأسيس جبهة التحرير العربية 169
- 2(مستويات النضال، وأشكال والكفاح لمنظمات البعث في ساحة فلسطين
- أ- النشاط العسكري لمنظمة الصاعقة 172
- ب - أداء وممارسة جبهة التحرير العربية 176
- ج - وضع حزب البعث في الضفة الغربية وقطاع غزة 185
- 3(علاقة تنظيمات البعث بـ (م. ت. ف) والفصائل المنضوية تحت لوائها
- 1(علاقة منظمة الصاعقة مع الفصائل الأخرى 190
- 2(علاقة جبهة التحرير العربية بالفصائل الفلسطينية 192
- 4(موقف منظمات البعث تجاه النظام الأردني ، ومعارك أيلول 1970 197
- 5(موقف منظمات البعث من النظام اللبناني والحرب الأهلية عام 1976 212
- 6(أثر أبرز الأحداث على الساحة العربية في تنظيمات البعث
- أ (الحرب العراقية - الإيرانية عام 1980 223
- ب) أثر الاجتياح الإسرائيلي للبنان عام 1982 232

الفصل الخامس

277-237	ص	موقف حزب البعث تجاه الحلول السلمية العربية – الإسرائيلية
238		أ) موقف حزب البعث تجاه الحلول السلمية مع إسرائيل 1948 – 1967
253		ب) موقف منظمات البعث الفلسطيني من مشاريع التسوية 1967 – 1982
278		الخاتمة
282		الملاحق
294		قائمة المصادر والمراجع
312		ملخص باللغة الإنجليزية (Abstract)

فهرس الجداول

الصفحة	الجدول
89	أعضاء حزب البعث، وتوزيعهم الجغرافي في الضفة الغربية
90	أعضاء حزب البعث في محافظة القدس
178	عمليات جبهة التحرير العربية عام 1969

فهرس الأشكال

الصفحة	الشكل
107	تسلسل الهيكل التنظيمي في حزب البعث العربي الاشتراكي في فلسطين والأردن

فهرس الملاحق

الصفحة

- 283 1: حزب البعث العربي الاشتراكي ، آذار 1956 ، تحرير الجيش
- 284 2: حزب البعث العربي الاشتراكي " أيها المواطنون الكرام " حزيران 1956
- 286 3: حزب البعث العربي الاشتراكي ، " بمناسبة تأميم القنال : 8/4 / 1956
- 287 4: مرشحا البعث العربي الاشتراكي عبدالله حنا نعواس ، وبهجت أبوغربية
- 288 5: الكتلة القومية الاشتراكية في الأردن ، شباط 1959
- 289 6: قيادة منطقة نابلس ، حزب البعث المنحل، رقم: م ن 20 / 1 / ب، 1962
- 290 7: كشف بأسماء البعثيين 21 / 3 / 1963
- 291 8: حزب البعث العربي الاشتراكي الثوري — القيادة القطرية الثورية في الأردن ،
بمناسبة ثورة 23/تموز / 1963
- 292 9: حزب البعث — المكتب الطلابي ، "نداء إلى الرفاق الطلبة " 1964.
- 293 10: بيان عمليات جبهة التحرير العربية — تصريح ناطق عسكري باسم قيادة الكفاح
المسلح الفلسطيني رقم 1465، 23 / كانون أول / 1969

قائمة المختصرات

دون رقم طبعة	(ب.ط)
جزء	ج
جبهة التحرير العربية	(ج.ت.ع)
جبهة تحرير فلسطين	ج.ت.ف
الجمهورية-العربية المتحدة، (دولة الوحدة المصرية السورية 1958 - 1961).	(ج.ع.م)
دون تاريخ نشر	(د.ت)
دون مكان نشر	(د.م)
دون ناشر	(د.ن)
صفحة	ص
عدد	ع
الجناح العسكري لحركة التحرير الوطني الفلسطيني " فتح "	العاصفة
منظمة التحرير الفلسطينية	(م.ت.ف)
مجلد	مج

ملخص

تعتبر الفترة التاريخية الممتدة بين عامي 1800-1982 فترة تاريخية مهمة في المشرق العربي، التي تعرضت لمجموعة أحداث خطيرة، أهمها الهجوم الاستعماري الغربي، وتفتت المنطقة العربية وقيام الكيان الصهيوني على أرض فلسطين، وظهور أفكار مختلفة الاتجاهات.

كانت فكرة القومية أهم الأفكار التي هبت من أوروبا على الوطن العربي بعد قيام الثورة الفرنسية عام 1789، وهي تقوم على تحقيق وحدة الكيانات المجزأة، وقيام الدول القومية، وتحقيق الحرية والمساواة.

كان رواج الفكرة القومية كبيراً في البلاد العربية، بسبب الحاجة لتحقيق الوحدة وطرد الاستعمار. تعتبر سوريا الطبيعية أكثر البلاد العربية نشاطاً في مضمار الفكر القومي العربي، وأسهم موقعها الاستراتيجي في التقاء تيارات فكرية مختلفة، وقد مثل حزب البعث الذي أسسه ميشيل عفلق، وصلاح الدين البيطار عام 1940 نقطة التقاء بين تيارات فكرية وسياسية عديدة.

يمثل حزب البعث العربي الاشتراكي نقلة نوعية في الفكر القومي العربي بعد أن نقله من القومية المجردة إلى فكرة القومية العربية الشاملة ذات الأسس النظرية، والتي صاغها في ثالوثه: الوحدة، والحرية، والاشتراكية.

استقطب البعث اهتمام الجماهير الشعبية في فلسطين بعد هزيمة 1948، حيث وجدت فيه ما يمثل طموحها لتحقيق الوحدة لتحرير فلسطين من الصهيونية الغازية، وكان التيار القومي العربي هو التيار المسيطر والأقرب للجماهير العربية من بين التيارات السياسية المختلفة، وقد جاءت الوحدة المصرية - السورية عام 1958-1961 تتويجا لنشاطها وتوسعها.

كان عام 1961 نقطة تحول في تاريخ البعث، وانخفاض شعبية التيار القومي العربي في فلسطين بسبب فشله في تحقيق الوحدة المصرية - السورية، ثم جاء انشقاق حزب البعث في عام 1966 ليضعف الحزب في الأقطار العربية، وسببت هزيمة حزيران 1967 تراجعاً في

شعبية التيار القومي العربي، الذي يضم حزب البعث والناصرية وبينما كان تيار القومية العربية يتراجع، كان تيار الكيان السياسي الفلسطيني ومنظمة التحرير الفلسطينية يستقطب الجماهير الفلسطينية.

عمل حزب البعث على تطوير نظريته للقضية الفلسطينية منذ عام 1959، وطرح أهمية إبراز الدور الطبيعي للشعب الفلسطيني في تحرير فلسطين، وبعد عام 1965 عزز اهتمامه بتبني شعار حرب التحرير الشعبية لتحرير فلسطين، وبعد هزيمة حزيران 1967 قام بتأسيس فصيلين هما: منظمة طلائع حرب التحرير الشعبية "قوات الصاعقة"، وجبهة التحرير العربية.

ظل حزب البعث ومنظمتيه أوفياء للنهج القائل برفض الصلح مع الصهيونية الغازية حتى اليوم، كما أن منظماته وقفت ضد محاولات الأردن ولبنان لتطويق العمل الفدائي، وخاضت معارك الدفاع عن الثورة الفلسطينية في عامي 1970 و1976م.

رغم ذلك لم تكن هاتين المنظمتين بمستوى جماهيرية منظمة فتح، والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، كما أنها تأثرت بالهزات السياسية، وبأوضاع العراق وسوريا، ودورهما في القضية الفلسطينية.

لقد تراجعت منظمة الصاعقة، ولا يسمع لها صوت في فلسطين، بينما ظلت جبهة التحرير العربية تمارس نشاطها إلى اليوم، وتشارك في انتفاضات الشعب الفلسطيني بفضل دعم حزب البعث العراقي للقضية الفلسطينية، وكان لموقف العراق تجاه الهجمة الأميركية الغربية الشرسة أثر كبير في رفع رصيد (ج.ت.ع) كوسيلة للوقوف في وجه هذا التكتل الغربي.

ل

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

أهمية البحث:

تعتبر الفترة الممتدة بين عامي 1948 - 1982 فترة مليئة بالتطورات التي شهدتها القضية الفلسطينية، وبروز المد القومي العربي، و ظهور حزب البعث الذي نشط في مد فروعها في أقطار عربية عديدة، ومنها فلسطين، الذي بلغ أوج مده الجماهيري في الخمسينيات، التي تعتبر فترة مد وازدهار قومي، ولكنه أخذ يتراجع بعد انفصال الوحدة المصرية السورية عام 1961. وما تلاه من انقلاب شباط / فبراير 1966 في القطر السوري. كما شهدت هذه الفترة قيام منظمة التحرير الفلسطينية وعملت على بعث للكيان الفلسطيني، وتجدد نشاط البعث على الساحة الفلسطينية بصورة تنظيمات عسكرية بعد حرب حزيران 1967، ولا زال بعضها ينشط إلى الآن.

أسباب اختيار البحث:

بدأ اهتمام الباحث في قراءة دفاتر نسخها معتقلاً ومنظمتي جبهة التحرير العربية والصاعقة منذ اعتقاله عام 1976، ونظراً لقلّة المراجع والمصادر التي تناولت حزب البعث بسبب منع الاحتلال لعشرات منها بالتداول والنشر، وأهمها مؤلفات ميشيل عفلق لهذا ظل يواصل اهتمامه و يقرأ ما يستطيع الحصول عليه عن حزب البعث، وبعد التحاقه بكلية الدراسات العليا في قسم التاريخ، وجد أن من الأفضل الكتابة عن حزب البعث في فلسطين وذلك لأن هذا الموضوع لم يلق عناية الباحثين العرب، وهو ما أذكى فيه روح البحث لإخراج هذه الرسالة العلمية، رغم أن بحوثاً ورسائل عديدة تناولت حزب البعث بالدراسة لكنها لم تتعرض للفرع الفلسطيني بالدراسة والتحليل الشامل، وعلى امتداد الفترة التاريخية التي كتب فيها الباحث.

وقد اختار الباحث هذه الفترة لأنها تقع بين مفصلين تاريخيين مهمين الأول: حرب 1948 والثاني: اجتياح لبنان 1982، حيث تمثل الحرب الأولى بداية ظهور الحزب في فلسطين، بينما تأثرت أوضاع منظمات البعث في فلسطين بعد الظروف الخائفة التي مرت بها (م. ت. ف) إثر اجتياح لبنان في عام 1982.

المنهجية وأسلوب عرض المادة:

نهج الباحث المنهج التاريخي الوصفي في جمع المعلومات وكتابتها، وقام بمراجعة مصادر ومراجع عربية وأجنبية في مكتبات عربية في فلسطين مثل: مكتبات الجامعات الفلسطينية مثل: مكتبة جامعة بيرزيت، ومكتبة جامعة النجاح الوطنية، ومكتبات البلديات، وأهمها مكتبة بلدية نابلس، ومراكز البحث، وعلى رأسها مكتبة جمعية الدراسات العربية، ومن المكتبات الإسرائيلية مكتبة جامعة حيفا، ومكتبة الجامعة العبرية، وكذلك مراكز التخطيط والبحث، ومنها مركز ترومان في القدس الشرقية، والمكتبة الوطنية في القدس الغربية، ومركز أبحاث جامعة بيرزيت إلى جانب استعانة الباحث بالأمين العام لجبهة التحرير العربية للحصول على وثائق خاصة بالبعث أفادت الدراسة.

واهتم بإجراء مسح معلوماتي، وتصوير مئات الأوراق ناهيك عن نسخ الجزازات وإحضار مؤلفات من خارج فلسطين، ثم جمعت في فصول حسب مخطط البحث، وقام بتقسيمها حسب مستوياتها واعتماد المصادر الأولية ما أمكن، وتجنب الأخذ عن المراجع المشكوك في صحتها.

اهتم الباحث بربط الحدث الذي يتناول حزب البعث وتنظيماته، والسياق التاريخي المحيط به وهو ما يفسر وجود العناوين والمضامين التي تناولت علاقاته ومواقفه من الفصائل الفلسطينية الوطنية والأنظمة العربية.

فصول البحث:

إحتوى البحث خمسة فصول وهي كالآتي:

الفصل الأول: يتحدث هذا الفصل عن ظهور الوعي القومي العربي في القرن التاسع عشر في المشرق العربي، حتى ميلاد حزب البعث في سوريا أوائل الأربعينيات، ويتضمن مباحث أخرى عن دور ميشيل عفلق وصلاح الدين البيطار في تأسيس حزب البعث، وموقف حزب البعث من القضية الفلسطينية، وتطوع قياداته للمشاركة في الحرب العربية - الإسرائيلية.

الفصل الثاني: يستعرض نشوء البعث في فلسطين، وامتداده وتوسعه في قطاعات جماهيرية مختلفة، وأشكال الفعاليات التي مارسها، وطرق التعبئة ووسائلها ومصادرهما وتنافسها مع الأحزاب الأخرى في استقطاب الجماهير.

الفصل الثالث: يتناول هذا الفصل خلافات قيادات البعث القطرية والقومية وعلاقاته مع حكومتي مصر والأردن، ومدى تأثير الناصرية في حزب البعث، التي أدت إلى طرد عبدالله الريمائوي أحد قادة الحزب في المملكة الأردنية الهاشمية، ويبين موقف حزب البعث من الكيان الفلسطيني، ومن منظمة التحرير الفلسطينية.

الفصل الرابع: يبحث هذا الفصل في تأسيس منظمات البعث وفعاليتها ومستويات مشاركتها في الكفاح الفلسطيني، ومسوغات ظهورها، وموقفها من فصائل المقاومة الفلسطينية ومن النظامين الأردني واللبناني، ودورها في أحداث أيلول/سبتمبر 1970، و حرب لبنان 1976.

الفصل الخامس: يستعرض الباحث في هذا الفصل سلسلة من المبادرات والمشاريع السلمية التي طرحت للتفاوض مع الكيان الصهيوني منذ عام 1948، ومشاريع الأحلاف الاستعمارية التي طرحت للهدف نفسه، مروراً بالمشاريع والمبادرات العربية والفلسطينية والدولية لتحقيق حل للقضية الفلسطينية.

دراسة تحليلية لمصادر البحث ومراجعته:

تم تغطية البحث باستخدام مجموعة من المصادر والمراجع المنشورة وغير المنشورة. وهي تختلف في مستوياتها العلمية والمعلوماتية ودرجة الاستفادة منها، وتشمل:

ملفات المخابرات الأردنية في أرشيف إسرائيل:

وهي ملفات محفوظة في المكتبة الوطنية في القدس وتشمل: بيانات البعث ومنشوراته وتقارير عن نشاطاته التي كانت محفوظة في ملفات المخابرات الأردنية بمحافظة القدس، وقد رصدتها وجمعتها أجهزة المخابرات في متابعتها لنشاط حزب البعث بين عامي 1950 و 1967، وقد آل مصيرها للوقوع في قبضة قوات الاحتلال الإسرائيلي بعد حرب حزيران / يونيو 1967، الذي نقلها بدوره من مقرها إلى الجامعة العبرية، ثم نقلت إلى المكتبة الوطنية في القدس الغربية وتم تحليلها بدراستين: الأولى: قام بها أمنون كوهين في كتابه الأحزاب في الضفة الغربية تحت الحكم الأردني 1948 – 1967، الذي كتب فيه عن مختلف الأحزاب دون الاهتمام بحزب البعث كسائر الأحزاب بينما جاءت الدراسة الأخرى التي قام بها أبرهام سيلع في حزب البعث دون سائر الأحزاب، وكلاهما استقى معلوماته من ملفات المخابرات الأردنية إلى جانب

مقابلات أجريت مع أشخاص، إلا أن هذه المقابلات ظلت تنقصها الصراحة ؛ بسبب عملهما في الإدارة المدنية للكيان الصهيوني، ويؤخذ على سيلع أنه وصف الحركة الوطنية بالإرهاب أحيانا.

أفادت هذه المنشورات في تغطية نشاط البعث في الضفة الغربية تحت الحكم الأردني ولكن مما يؤخذ عليها الخلط أحيانا بين منتسبي الأحزاب كأن يكون عضواً في حركة القوميين العرب ويسجل في حزب البعث أو تظل كشوفات المنتسبين للحزب تتكرر في الأسماء حتى وإن هاجر خارج فلسطين أو غاب عنها عدة سنوات، كما أن أشخاصا عديدين كذبوا تقارير المباحث بعد سؤالي لهم وفسروا أن سبب تسجيلهم يرجع لصدقاتهم أو حسب مزاجية رجال الأمن، إلا أنها تحتوي على معلومات مفيدة للبحث. كما أن بعضها يضم منشورات الحزب التي جمعها رجال المباحث.

وثائق البعث المنشورة:

اعتمد الباحث على وثائق نشرها حزب البعث سواء أكانت بيانات ونشرات سرية أو تقارير أو تعميمات أو سواها من الوثائق التي يحفل بها كتاب نضال البعث، ويقع في 11 جزءاً تناولت نشاط الحزب في العراق وسوريا ولبنان، على وجه الخصوص وسائر نشاطات البعث في الوطن العربي على وجه العموم، وتغطي الفترة الزمنية الممتدة من عام 1940 – 1968، ويؤخذ عليها أنها لم تتناول نشاط البعث في قطري الأردن وفلسطين إلا قليلاً ؛ بسبب اشتداد حملة القمع فيهما، واحتلال الضفة الغربية ولجوء البعثيين لحرق الأوراق وإتلافها أمام مطاردة ومداومة رجال المباحث لبيوتهم. رغم ذلك أمكن الاستفادة منها في تحديد وجهة نظر الحزب وقيادته تجاه خلاف عفلق والريماوي عام 1959 أو تجاه المبادرات والحلول السلمية خاصة أن المبادئ والمواقف تجمعهم في مختلف الأقطار العربية حتى عام 1966.

واعتمد الباحث بيانات صادرة عن حزب البعث في الأردن وسوريا منها: البيان الانتخابي المنشور عام 1956 في المملكة الأردنية الهاشمية، وبيان القيادة القومية لحزب البعث حول المؤتمر القومي السادس عام 1963، وبيان حزب البعث حول حلف بغداد وغيرها من النشرات التي تحتفظ بها مكتبة مركز ترومان في الجامعة العبرية، وكانت هذه المنشورات تصدر من قبل قوات الأمن عند مداومة بيوت الفلسطينيين ويجري إرسالها إلى هذه المكتبة بعد دراستها.

سلسلة الوثائق العربية وسلسلة الوثائق الفلسطينية العربية:

تعتبر سلسلة الوثائق العربية من السجلات الوثائقية المهمة التي تضم البيانات والتصريحات السياسية في مناسبات مختلفة تم توثيقها في الجامعة اللبنانية في بيروت، التي تغطي فترة الأحداث الممتدة بين عامي 1963 – 1971 م، وأمكن الاطلاع على المؤتمرات، والمواقف المتناقضة بين القيادات القومية والقطرية في سوريا والعراق، وذات الصلة بفلسطين، بينما تغطي سلسلة كتاب الوثائق الفلسطينية العربية فترة الأحداث المتعلقة بفلسطين بين عامي 1964 – 1981، ومنها حصل الباحث على سجل للعمليات العسكرية والنشاطات، والمواقف لقادة منظمي الصاعقة، وجبهة التحرير العربية.

رغم توفر هذه الوثائق المنشورة إلا أن منظمات البعث ظلت تنقصها التغطية الكافية بسبب غياب التوثيق الكافي لديها؛ حيث كانت الفائدة محدودة بالحصول على وثائق من قاداتها ومسؤوليها.

مصادر و مراجع منشورة:

تم استخدام مؤلفات مهمة و مرجعية مثل: كتاب عبد الرحمن الكواكبي أم القرى. وكتاب نجيب عازوري، وكتاب الطهطاوي وكذلك كتابات ساطع الحصري ورجع إلى كتابات بعض الرواد الأوائل الذين انتسبوا للجمعيات السرية العربية مثل: محمد عزة دروزة، وكتاب ذوقان قرقوط (ميشيل عفلق البدايات الأولى)، الذي يشمل نتاج عفلق الأدبي والسياسي ومواقفه الأولى تجاه قضايا مهمة ومختلفة، وقد أفاد الباحث الإطلاع على كتاب إلياس جوزيف (عفلق في نصف قرن) الذي يعد تحليلاً لمختلف المراجع والمصادر التي كتبت حول عفلق ودوره في تأسيس حزب البعث، وهو جزء من نقاش دار في لبنان من على صفحات جريدة النهار اللبنانية، وأفاد الباحث في تحديد نشأة البعث في سوريا.

وحتى يتم تحديد البدايات الأولى لنشأة حزب البعث رجع الباحث إلى كتابات مؤسسي البعث أو رعيه الأوائل في سوريا، ومنهم: ميشيل عفلق، وصلاح الدين البيطار وجلال السيد، وهم مؤسسو حزب البعث، ومنهم سامي الجندي، وشبلي العيسى، والياس فرح، وياسين الحافظ في سوريا وهاني الفكيكي في العراق وعبدالله الريماوي، وناجي علوش، ومنيف الرزاز، وبهجت أبو غربية في الأردن و فلسطين.

تم الرجوع لمؤلفات وكتابات البعثيين الذين يعبرون عن موافقه، أو من كانت لهم تجربة غنية وسجلوا مذكراتهم، أو شرحوا أفكار البعث فيها.

وتتنوع كتاباتهم من شخص لآخر، يمتاز علق بكتابة المقالة السياسية القصيرة، التي تبين أفكار البعث والتي تضمنها كتاب (في سبيل البعث)، وأمكن التعرف على مواقف قيادة البعث عبر مراجعة مقالاته المنشورة في كتاب (معركة المصير) الذي يحفل بمقالات تشجع على الوحدة بين مصر وسوريا أما كتابه (نقطة البداية)، فهو يوضح أسباب انقلاب 23 شباط/فبراير 1966، وخلفياته في سوريا ويتعرض له بالهجوم مبينا أن شخصيته كمؤسس للبعث تعرضت للتشويه من قبل قادة الانقلاب، ويسجل رؤية القيادة القومية للكفاح الفلسطيني المسلح، وقضايا الثورة الفلسطينية والموقف من القضية الكردية حتى عام 1972. ودعوة البعثيين للعودة إلى بدايات البعث قبل أن يعتريه التشويه والانطلاق بعد هزيمة حزيران/يونيو 1967. لقد استخدم الباحث بعض المعلومات المتصلة بالفصل الثالث والرابع، مستعرضا موقف كل فريق من تكتلات البعث، وتياراتها المتصارعة التي قادت إلى الانقلاب الدموي في 23 شباط 1966 في سوريا.

ويقدم كتاب (حزب البعث) لجلال السيد سجلا تاريخيا لتأسيس الحزب معتمدا على تجربته حتى عام 1966، وأفاد الباحث في الفصل الأول في الكتابة عن تأسيس البعث في سوريا. أما سامي الجندي فقد كتب هو الآخر كتب كتابا بعنوان البعث، وهو عبارة عن مذكرات تعاني من التناقض في بعض النصوص، وخاصة فيما يتعلق بمن هو مؤسس البعث هل هو ميشيل علق، أم زكي الأرسوزي؟

وتم مقارنة بين ما كتبه جلال السيد وصلاح الدين البيطار، وسامي الجندي حول البدايات الأولى للبعث، ووجد أن في كتاباتهم تناقضا حول من هو المؤسس لحزب البعث.

كان المنشقون عن حزب البعث عام 1966 هم أصحاب الرأي القائل أن زكي الأرسوزي هو مؤسس البعث، وهم قليلون، ومنهم: سامي الجندي، وهاني الفكيكي، ومطاع صفدي، كما أن الأرسوزي لا يشير في كتاباته إلى أنه أسس حزبا بهذا الاسم؛ لذا كان الباحث يميل لما كتبه جلال السيد، وصلاح الدين البيطار، وشبلي العيسى، ومصطفى دندشلي، والقائل أن علق والبيطار هما مؤسسا حزب البعث العربي الاشتراكي.

ويعتبر كتاب شبلي العيسمي عن حزب البعث أقربها للبحث التاريخي الذي بين يدي القارئ والذي يقع في ثلاثة أجزاء، وقد استقى معلوماته من وثائق سلسلة نضال حزب البعث ومن تجربته كعضو في القيادة القومية، وبعض المقابلات التي أجراها مع بعثيين خارج سوريا، ويقدم بعض المعلومات عن نشاط البعث في القطر الأردني.

وتعتبر كتابات علوش، ومنها (المسيرة إلى فلسطين) من المراجع المهمة حول نهج البعث تجاه القضية الفلسطينية، والتي تتسم بروح نقدية وفهم لسياسات البعث وتطورها. كانت فائدة بعض كتابات البعثيين لهذه الأطروحة يعثرها النقص؛ بسبب أن بعضهم انفصلوا عن الحزب أو طردوا منه أو تواصلوا فيه، وأن كتاباتهم لا تخلو من حس عاطفي والحديث عن أفكار وتنظير أيديولوجي كما هو الحال في كتابات الياس فرح، وعبدالله الرймаوي، وياسين الحافظ.

بحوث ودراسات أخرى:

أفاد الباحث استخدام البحوث والدراسات، والرسائل العلمية المنشورة التي استخدمت في البحث والتي نشرت باللغات المختلفة، ومن أهمها رسالة دكتوراه بعنوان: يقظة العرب، لمؤلفه جورج أنطونيوس، وهي من المراجع الغنية والمبكرة، التي تناولت الحركة القومية العربية. ورسالة دكتوراه لوجيه كوثراني عن الاتجاهات السياسية والاجتماعية في جبل لبنان، الذي يقدم معلومات مستفيضة حول الحركات السياسية وعلاقتها بالقومية العربية، وأهم ما فيه التحليل الطبقي السياسي للحركة القومية العربية.

ومن المراجع المهمة التي أسهمت في الحديث عن حزب البعث والمترجم عن الفرنسية لمصطفى دندشلي، وهو رسالة دكتوراه قدمت في جامعة باريس، ويتميز بشموليته وعدم انحيازها إلى أي من أجنحة البعث.

ودرس الباحث بعض مؤلفات عبد الوهاب الكيالي المعروف بجدية بحوثه ورسائلها الذي حرر (مجلة قضايا عربية)، وأخذ عن كتاباته بعض المعلومات حول جبهة التحرير العربية الذي كان يشغل أمين سر اللجنة المركزية للجبهة العربية في عامي 1971 - 1972، وقد اغتيل في بيروت عام 1982 م، واعتمد أيضا على كتاب (تاريخ الأردن في القرن العشرين) ج1 تأليف سليمان الموسى، ومنيب الماضي، والجزء الثاني لمؤلفه سليمان الموسى فقط. ويغطي فترة طويلة من تاريخ الأردن، ويقع في جزأين تقدم معلومات واسعة عن فلسطين والأردن في الفترة

التي يتناولها البحث، رغم أنه يحرص على وجهة النظر الرسمية، ويبيدي انحيازاً للنظام الأردني في مواقف عديدة.

المذكرات:

وهي التي كتبها أشخاص كانوا قياديين في حزب البعث أمثال: جمال الشاعر، ومحمود المعايطة، وبهجت أبو غربية، وأكرم الحوراني، و هاني الفكيكي، ومنيف الرزاز، ومذكرات رئيس الأركان الأردني علي أبو نوار ومن قادة الحزب الشيوعي أمثال: إبراهيم فتاش، ويعقوب زيادين، وآخرين شغلوا مناصب في الجيش.

ويعتبر ما كتبه جمال الشاعر من أفضل ما تناول حزب البعث من مذكرات، وقد نشرها أولاً في الصحف الأردنية، ثم نشرت لاحقاً في كتابه (تجربة سياسي)، وأهم ما فيه تتبعه لنشاط البعثيين ومواقفهم في قطر الأردن حتى عام 1980، وهو من الكتب المهمة التي نقل عنها الباحث.

ويعتبر كتاب (التجربة المرة) لمنيف الرزاز من أفضل ما كتب حول الخلاف بين تيارات البعث التي قادت إلى انقلاب 23 شباط / فبراير 1966 في سوريا؛ بسبب انتخابه أميناً عاماً لحزب البعث في هذه الفترة و يغطي هاني الفكيكي تيارات البعث والخلاف بينها منذ عام 1959، والذي كان طرفاً فيها في كتابه (تجربتي في أوكار الهزيمة). رغم ذلك يؤخذ عليهما أنهما كانا ضمن الأطراف المتصارعة والتيارات القائمة.

وتضم مذكرات أكرم الحوراني سيرة أحد أبرز قادة البعث، ومن الشخصيات السورية اللامعة والأهم في مذكراته تناوله الأحداث المهمة التي مرت بها سوريا منذ بداية القرن العشرين وحتى التسعينيات منه، وأفاد الباحث في مقارنة ما كتبه من أحداث مع غيره ثم تناوله سيرة البعث بالتفصيل، مما أعان في فهم الأحداث وجلي صورتها.

الدوريات: المجلات والصحف:

من أبرزها مجلة شؤون فلسطينية، وجريدة الحياة اللبنانية، وجريدة الجهاد، وجريدة فلسطين، ومجلة الثائر العربي المجلة المركزية لجبهة التحرير العربية، التي صدرت متقطعة منذ عام 1969 حتى عام 1985، ومجلة الطلائع المجلة المركزية لمنظمة الصاعقة، التي توفر للباحث قراءة أعداد قليلة منها، مما أضعف المعلومات عن الصاعقة مقارنة بالجبهة العربية،

واستخدم الباحث مجلة الأحرار اللبنانية التي أصدرها حزب البعث المؤيد للعراق في لبنان، وهو ما أفاد في تقييش معلومات الفصل الرابع على وجه الخصوص، لكن انقطاع بعض الأعداد وعدم توفر منشورات عن الفترة الممتدة من عام 1978 - 1982 غيَّب رصد المعلومات الكافية، وجعل المبحث المتعلق بدور منظمات البعث في الاجتياح الإسرائيلي للبنان ضعيفاً ومعدوماً. وهناك مؤلفات ومراجع ومذكرات استفاد الباحث منها، ولكنها أقل أهمية، واكتفى الباحث في تدوينها في فهرس المراجع.

٥٤٩٠٥٢

المقابلات الشخصية:

قام الباحث أيضاً بإجراء مقابلات مع مجموعة من الأشخاص الذين كان لهم دور قيادي في حزب البعث، وراعى في اختياره أن تغطي المقابلات مختلف المناطق في فلسطين وأفادت المقابلات في توضيح بعض القضايا التي شابها الغموض واحتاجت تحديد موقف منها، كتحديد موقف من التطورات التي حدثت عام 1957، واتهام البعث بتدبير انقلاب ضد الملك حسين أو تقديم صورة عن نشاطات البعث التي لم تدون.

مشاكل البحث:

ظل البحث يعاني النقص في تغطية نشاط فصائل البعث في فلسطين ولبنان في أوائل الثمانينيات بسبب عدم تمكن الباحث من الوصول إلى العراق وسوريا، وهو ما جعل البحث في نقص خاصة بما يتعلق ببعض المجلات والنشرات والمؤلفات التي لم يتمكن من مطالعتها، و تغطي الفصلين الرابع والخامس ومع أنه سعى إلى سير غور البحث، ولجأ إلى مكتبات الجامعات الإسرائيلية، متخطياً الحواجز والممنوعات الكثيرة إلا أن البحث ظل بحاجة لزيارات خارج فلسطين. كما أنه يؤخذ على بعض الكتابات البحثية أنها لم تهتم بتدوين الحدث التاريخي إلى جانب تناقض وجهات النظر بين أعضاء في الحزب ومنشقين خرجوا عنه، ولا يخفى على أحد أن ظروف الحكم الأردني والاحتلال الصهيوني حالت دون احتفاظ البعض بوثائق تبرز النشاطات المختلفة. هذا ناهيك عن غياب تدوين أحداث الفترة المعاصرة ودور الحزب فيها خاصة الفترة الواقعة بين عامي 1978 - 1982. وهي فترة لم تتضح تاريخياً بعد.

الفصل الأول

الحركة القومية العربية في المشرق العربي قبل نشوء حزب البعث في فلسطين

- 1 (نشأة وتطور الحركة القومية العربية قبل ميلاد البعث
- 2) دور ميشيل عفلق وصلاح الدين البيطار في تأسيس حزب البعث
- 3) موقف حزب البعث العربي الاشتراكي من القضية الفلسطينية 1945-1948

1) نشأة وتطور حركة القومية العربية قبل ميلاد البعث

مع إطلالة القرن التاسع عشر الميلادي بدأت تعصف بالدولة العثمانية مجموعة مؤثرات خارجية وأخرى داخلية أصابت أقطار الوطن العربي، ومنها أقطار المشرق العربي.

شملت هذه المؤثرات مختلف مناحي الحياة، كما أن مجموعة تطورات أسهمت في ظهور الوعي القومي العربي، و تأسيس الأحزاب والجمعيات والمنتديات، وقيام ثورات قومية عربية واستلام الحكم باسم القومية العربية.

تختلف الآراء حول أسباب وبداية تشكل الوعي القومي العربي بين المؤثرات الخارجية والتعبيرات الذاتية.

يرى عبدالعزيز الدوري أن ظهور الوعي العربي تميز بظهور تيارين: قومي وإسلامي كان بينهما تداخل في كثير من الأحيان، وما تعرض له من خبرات أدى إلى تبلور الوعي القومي العربي الحديث ولم تكن مجرد ردة فعل لتيارات الفكر الغربي. لقد بدأت الخطى تسير إلى النهضة العربية منذ القرن الثامن عشر، بدأ في الدعوة لإصلاح المجتمع الإسلامي وفي القرن التاسع عشر اتجه التيار الإسلامي نحو التجديد. ولهذا لا يصح القول أن حملة نابليون هي بداية النهضة، إذ أن اليقظة العربية سبقت تلك الحملة، وإن بدت ذات تأثيرات مهمة، وقد أظهرت الخطر الجديد، خطر التسلط الغربي وقدمت صورة للحضارة الحديثة فكانت حافزاً للتحدي الذي أكد أهمية الإصلاح(1).

في حين يذهب ساطع الحصري إلى أنها فكرة غربية أوروبية، وهي فكرة نشأت في أوائل القرن التاسع عشر في أوروبا وانتشرت بعدئذ في العالم.

و قد أخذت بالتغلغل في دول العالم، وفي توجيه سياساتها، حيث اعتبرت أن لكل أمة الحق في الحفاظ على كيائها المعنوي، والحق في الاستقلال بشؤونها، دون الخضوع لمشينة الأمم الأخرى ومن حقها تأسيس دولة خاصة بها(2).

ويتفق ساطع الحصري مع أمين سعيد في الاهتمام بالأثر الخارجي ويربطها بالتطورات الأوروبية وكتب سعيد: " هبت على أوروبا بعد الثورة الفرنسية في القرن الثامن عشر ریح القومية واكتشف البخار في أوائل القرن التاسع عشر، فاقترب الشرق من الغرب، واختصرت المسافات واتصلت الأمم بالأمم و الشعوب بالشعوب، وكانت بضاعة القومية في جملة صادرات

1) انظر: الدوري، عبد العزيز: الجذور التاريخية للقومية العربية، الناصرة: مطبعة دانيال، ط2، 1986، ص 56 - 57 و 61.

2) انظر: الحصري، ساطع: أبحاث مختارة في القومية العربية التي كتبها، ونشرها المؤلف في تواريخ مختلفة 1923-1963، القاهرة: دار المعارف، ص 60.

1) سعيد، أمين: الثورة العربية الكبرى. النضال بين العرب والترك، القاهرة: مكتبة مد بولي، 1999 ص 10.
2) انظر: علق، ميشيل: في سبيل البعث، بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، 1970. ص 111 و 179 - 180.
3) أنطونيوس، جورج: بقطة العرب تاريخ حركة العرب القومية، ترجمة ناصر الدين الأسد وإحسان عباس ط2، بيروت: دار العلم للملايين، 1966، ص 85 - 86.

لقد أثارت انتصارات إبراهيم باشا إعجاب أهالي بلاد الشام، ونجح الأمير اللبناني بشير الشهابي صاحب العلاقات القوية بمحمد علي في إثارة مشاعر المسلمين والتلويح لهم وإغرائهم في إقامة إمبراطورية عربية بعد طرد الأتراك من بلاد الشام وأشاع في نفوسهم أن الحكم المصري سيتيح لهم الاستقلال والحرية(1).

لقد اعتبر إبراهيم نفسه عربياً حيث قال: " لقد جنّت مصر صبيبا فلونت شمس مصر دمي وصيرتني عربيا "(2).

في الوقت الذي قام فيه محمد علي بحملته على بلاد الشام والجزيرة العربية والسودان سارعت الدول الأوروبية إلى احتلال أجزاء من الوطن العربي. وبينما كان يسعى لاستكمال إمبراطوريته نجحت فرنسا في احتلال الجزائر عام 1830 وسارعت بريطانيا إلى السيطرة على جزيرة سوكطرة و عدن عام 1834، ورافق هذا الاحتلال انتزاع أقطار عربية أخرى من الدولة العثمانية ثم تبعه غزو ثقافي وفكري، وثار سؤال لدى المفكرين والسياسيين عن سر هذا التخلف وأسباب ضعف المواجهة؛ وبذلك تأثروا بالإصلاح والتجديد؛ وبالفكر والثقافة الغربية، في حين ظلت تجربة محمد علي ماثلة في الأذهان إلى يومنا هذا(3).

تضافرت عوامل أخرى في تشكيل الوعي العربي القومي، ومنها الدور الذي بذلته البعثات التبشيرية الأوروبية والتي أرسلتها أكثر من دولة أوروبية لغرض التمهيد للاستعمار إلا أنها قدمت خدمات عديدة أفادت في نشر التعليم وإحياء الثقافة، وقد استفادت البعثات من التسهيلات التي منحت لها. لقد أدى تسامح إبراهيم باشا الديني، وفتح الباب أمام البعثات التبشيرية الغربية المختلفة إلى عمل قوتين أساسيتين في لبنان: "إحداهما: فرنسية والأخرى أمريكية واللذان قدر لهما أن تحضنا البعث العربي وترعياه"(4).

وكان من ثمار النشاط الذي قامت به البعثات التبشيرية الغربية، أن ظهر الاهتمام باللغة العربية وآدابها، ووعي للتاريخ العربي، والبحث في تراث العرب وقامت فئة المتعلمين بنشاطات عديدة في المضمار الثقافي والفكري، وأخذت تؤسس المنتديات والجمعيات والمدارس ومن بين هؤلاء الشباب برز دور ناصيف اليازجي، وبطرس البستاني، وعادل أرسلان، وانعكست نتائج علومهم على بلادهم في تأليف الموسوعات، وإصدار الصحف، وتأليف الكتب.

(1) أنطونيوس، جورج: بقطة العرب ، ص87.

(2) أنطونيوس، جورج: المرجع السابق، ص90.

(3) انظر: محافظة، علي: موقف فرنسا وألمانيا وإيطاليا من الوحدة العربية 1919-1945، بيروت: مركز

دراسات الوحدة العربية، ط 1985، ص30.

(4) أنطونيوس، جورج: مرجع سابق، ص97.

كان لبطرس البستاني أثر عظيم في تأليف المعاجم، منها "محيط المحيط"، وفي تأليف دائرة معارف عربية، وأفاد من المصادر الأوروبية، وانصرف حبه إلى بلاده، فأصدر صحيفة أسبوعية صغيرة في بيروت عام 1860 دعاها "نفير سوريا" والتي سعت لمحاربة التعصب، وقد وقف معظم جهدها على الدعوى للتوفيق بين العقائد المختلفة والاتحاد والتعاون في طلب المعرفة، ولأن المعرفة تدفع إلى إنارة العقول، التي تقضي على التعصب وتحل محله المثل العليا المشتركة بين الدينين، وهو كلام يشمل بدايات نواة القومية، وأتبع صدور الصحيفة بتأسيس "المدرسة الوطنية" التي تلقى فيها التلاميذ - من مختلف العقائد - تعليمهم، وتعلموا التسامح الديني(1).

وفي هذه الفترة أخذت فكرة الوطن والوطنية الأوروبية تلقى تجاوبا عند المفكرين العرب، وخاصة العرب المسلمين كما هو الحال عند الأتراك الذين أخذوا دورا رياديا، وكان رفاة الطهطاوي من أبرزهم*، الذي زار باريس، ورجع منها، وقد ترجم كلمة الوطن (Patric) الفرنسية إلى كلمة "وطن" العربية، وأبرز في حديثه عن الوطن والوطنية، وأن مصر وطنه صاحبة كيان منذ عهد الفراعنة، واعتبر الرابطة الوطنية من أعظم الروابط التي تربط الفرد بقوانين بلاده ورأى فيها بمثابة عضوية عضو جسم الإنسان إلى بدنه، وهي من أعظم المزايا عند الأمم المتقدمة وأن الانقياد لها يدفع إلى أن يفديها الإنسان الوطني بأغلى ما يملك من روحه وماله (2).

(1) انظر: أنطونيوس، جورج: بقظة العرب، ص 114 - 115.

* ولد الطهطاوي في مصر عام 1801، والتحق بالأزهر، ثم بالجيش المصري ليصبح واعظاً وإماماً، وبين عامي 1826-1831 كان مسؤول البعثة المصرية إلى فرنسا، وعمل فيها مرشداً وإماماً، وعاد منها يترجم علوم الحضارة الغربية وفنونها داعياً إلى تخطي عصور التخلف والظلام، ووصف مشاهداته في كتابه (تخليص الإبريز في تلخيص باريز أو الديوان النفيس بايوان باريس)، واستعرض فيه جوانب مختلفة من حياة الفرنسيين، ممتدحا تجربتهم السياسية، (انظر: الطهطاوي، رفاة: تخليص الإبريز في تلخيص باريز، أو الديوان النفيس بايوان باريس، الأعمال الكاملة لرفاعة الطهطاوي، دراسة وتحقيق: محمد عمارة، كتاب التمدن والحضارة، ج 1، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1973، ص 29-30).

(2) انظر: الطهطاوي، رفاة: كتاب تخليص الإبريز في تلخيص باريز أو الديوان النفيس بايوان باريس، كتاب السياسة الوطنية والتربية ج 2، ص 433 - 434.

وانظر أيضاً: علوش، ناجي وآخرون: الحركة العربية القومية في مائة عام 1875 - 1982، عمان: دار الشروق، 1997، ص 12.

وأبرز الطهطاوي أهمية اللغة والجغرافيا وسيادة الدولة، كأسس مهمة في بناء القومية حيث قال: " أبناء الوطن متحدون دائما في اللسان والدخول تحت استرعاء ملك واحد والانقياد إلى شريعة واحدة وسياسة واحدة" (1).

وأسهم صحفيون وكتاب مثل: عبد الرحمن الكواكبي في تنمية الوعي العربي والذي يعتبر أحد رواد القومية العربية، وهو واحد من المسلمين المجددين والذي عمل في الصحافة، ومنها إصدار " صحيفة الشهباء ". تعرض لمضايقة الولاة، وألف كتابي أم القرى وطبائع الاستبداد، وتناول كتابه الأول وقائع مؤتمر إسلامي عالمي تخيل حدوثه، ويجمع مسلمي العالم، الذي يقوم فيه الكواكبي بضبط مفاوضاته ومقرراته، واختار مكة المكرمة مكاناً لانعقاده في سنة 1316 هـ، الذي أشغل بالتحضير له "أبو الفرات"، وهو اللقب الذي أطلقه على نفسه، وتولى توزيع البطاقات والدعوات الكواكبي للمسلمين في جهات مختلفة من العالم، وتخيل أن المؤتمرين عقدوا سبع جلسات ناقشت أسباب فتور وضعف المسلمين التي عزيت إلى ثلاثة أنواع: أسباب دينية وأسباب سياسية وأسباب أخلاقية(2).

وتخيل الكواكبي أن المؤتمر خرج بقرار تأسيس جمعية دعاها جمعية "تعليم الموحدين واعتبر أن الجزيرة العربية انسب المواقع لان تكون مركزاً للسياسة الدينية لتوسطها بين أقصى شرق آسيا وأقصى أفريقيا غرباً، ولان العرب انسب الأقسام لأن يكونوا مرجعاً في الدين، وقدوة المسلمين حيث كان بقية الأقسام قد اتبعوا هديهم ابتداءً فلا ينفون عن اتباعهم أخيراً"(3).

لقد ربط الكواكبي بين الوحدة الإسلامية والخلافة العربية، وفي دعوته تفضيل للعرب في نشر الإسلام، يقول المستشرق الفرنسي نور بير تابيرو: " لقد كان الكواكبي ذا طابع فكري معتدل ولأنه كان قوي الإيمان بالإسلام ونهضته فلم يكن قط متعصباً، وكان يعتبر الصلة القومية فوق كل صلة أخرى، وكان همه الأساس سلوك طريق التقدم، وهكذا اندمج في الحركة الإصلاحية مع عبده والأفغاني"(4).

-
- (1) الطهطاوي، رفاة: مصدر سابق ج 2، ص 433.
 - (2) انظر: الكواكبي، عبد الرحمن: كتاب أم القرى وهو كتاب ضبط مفاوضات مؤتمر النهضة الإسلامية المنعقد في مكة المكرمة سنة 1316، مصر: المكتبة التجارية، 1931، ص 3، و 137.
 - (3) الكواكبي، عبدالرحمن: المصدر السابق، ص 196 – 197.
 - (4) تابيرو، نوربير: الكواكبي المفكر الثائر إسهام في دراسة الإسلام الحديث، بيروت: دار الآداب، 1968، ص 58. وأيضاً انظر: علوش، ناجي: حوار حول الأمة والقومية والوحدة، ط 1، عكا: دار الأسوار، 1998، ص 39.

تمثلت ردة فعل النهضة العربية في أواخر القرن التاسع عشر في تيارين إصلاحيين كبيرين، ركز التيار الأول على بعث التراث في حين ركز الثاني على مفهوم النهضة العربية، وهما: تيار جمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده، وخير الدين التونسي، وعبد الرحمن الكواكبي، ويعمل ضمن مفهوم الإصلاح الديني والعقائدي كأساس للإصلاح السياسي والاجتماعي. أما التيار الآخر: فيتمثل بمدرسة بطرس البستاني، وإبراهيم اليازجي، وشبلي الشميل، وأديب اسحق، وسلامة موسى، وهو ينشط حسب المقاييس والمصطلحات الغربية في التحديث والعقلانية، والتطوير والعلمانية والعلمية والتنمية.(1)

لم يقتصر الوعي العربي عند دعوة المتقنين الإصلاحية والتجديدية كما نشروها في مؤلفاتهم وصحفهم بل انتقل الوعي العربي نحو تأسيس جمعيات وأحزاب سرية توجهت نحو مطالب أكثر وضوحاً، فقد تأسست في بيروت جمعية سرية في عام 1876 في عهد السلطان عبد الحميد، وهي جمعية تألفت من مجموعة من المتقنين المسيحيين، الذين درسوا في الكلية السورية الإنجليزية (الجامعة الأمريكية في بيروت) ، و كانوا أقرب إلى تشكيل تيار قومي علماني أخذ يطالب باستقلال ولاية بيروت، وينادي بالوحدة السورية والاستقلال عن الأتراك وإقامة صلة بالمحافل الماسونية، وأبرز أعضائها من المفكرين المسيحيين الذين كانوا في موقع طبقي اجتماعي تجاري و متصل مع أوروبا أمثال: الدكتور فارس نمر ، وإبراهيم اليازجي، وإبراهيم الحوراني، ويعقوب صروف وشاهين مكاريوس(2).

اختلف بعض من كتبوا في نشوء القومية العربية في تحديد جوهر جمعية بيروت السرية وأهدافها وهل هي ذات أهداف قومية أم ذات نزعة إقليمية ؟

يرجع مصدر الاختلاف إلى روايتين متناقضتين نقلتا عن فارس نمر أحد أعضاء الجمعية في فترتين تاريخيتين متباعدتين، فقد قابله كلا من جورج أنطونيوس وزين نور الدين زين، وروى لهما عن جوهر وأهداف الجمعية وقد اعتبرها أنطونيوس البداية الأولى والمنظمة

(1) انظر: فرح، إلياس: مقدمة في دراسة المجتمع العربي والحضارة العربية، بغداد: دار الحكمة 1990، ص 136 - 137.

(2) انظر: كوثراني، وجيه: الاتجاهات الاجتماعية السياسية في جبل لبنان والمشرق العربي 1860 - 1920، التاريخ الاجتماعي للوطن العربي مساهمة في دراسة أصولها و تكونها التاريخي، ط 2، بيروت: معهد الإنماء العربي 1978، 126: و 128.

لبعث الحركة القومية العربية وربط بينها وبين التطورات اللاحقة للحرب العالمية الأولى، بينما اعتبرها زين نور الدين زين ظاهرة مسيحية لبنانية(1).

كما يقوم رأي كوثراني على اعتبارها معبرة عن تطلعات النشاط الماسوني في لبنان والذي كان شاهين مكاريوس عضو الجمعية، قد شغل منصب كاتب سرّ محفل لبنان عام 1881، هذا إلى جانب تناقض الموقع الاجتماعي الطبقي الذي احتلته العائلات المسيحية المدنية التي عملت بالتجارة ورفض السيطرة التركية الإدارية المباشرة، ولم يكن خطابهما القومي يعبر عن موقف جماهيري وقوى اجتماعية واسعة، وقد التفتتها العيون الفرنسية كقوى ساخطة من أجل تجزئة الدولة العثمانية(2).

وقد كانت بداية العمل في تكوين الجمعيات في عهد عبد الحميد الثاني إذ أسست جمعيات علنية خارج البلاد وأخرى سرية داخل البلاد، بغية إظهار مساوئ الحكم وحمل الناس على استنكار الحكم المطلق عن طريق إعادة العمل بالقانون الأساس، وبدأ تأليف أول جمعية عام 1889، في ذكرى الثورة الفرنسية واحتفالات الفرنسيين بها(3).

قام أحمد رضا - مدير المعارف في بروسة - بعد زيارته لمعرض باريس الدولي ولجونه إليها بتأسيس فرع علني في فرنسا، بينما تم تأسيس فرع سري في استنبول، و أصدر جريدة رسمية سماها "مشورت"، بالتركية أي "المشورة"، وانبثق عن اتحادها جمعية الاتحاد والترقي العثمانية(4).

وتعددت الجهات التي تعمل في سبيل المشروطة (الحياة الدستورية)، وصدرت أكثر من 100 صحيفة وصدر ثلثها في القاهرة لوحدها، وقد دعت إلى محاربة الاستبداد، وتحقيق الحرية والإخاء والمساواة، ونجحت جمعية الاتحاد والترقي في توسيع عملها في مقدونيا، ومنستر، وقوصوة وسلانيك(5).

(1) انظر: كوثراني، وجيه: المرجع السابق، ص 128.

وانظر أيضا: أنطونيوس، جورج: يقظة العرب تاريخ الحركة القومية العربية، ص 152.

وأيضاً: زين، نور الدين زين: نشوء القومية العربية مع دراسة تاريخية في العلاقات العربية التركية، عكا: مكتبة السروجي 1978، ص 60.

(2) انظر: كوثراني، وجيه: المرجع السابق، ص 128، و 130 - 131.

(3) انظر: الحصري، ساطع: البلاد العربية والدولة العثمانية محاضرات ألقاها على طلاب المعهد، القاهرة: جامعة الدول العربية - معهد الدراسات العليا 1957، ص 90 - ص 91.

(4) انظر: الحصري، ساطع: البلاد العربية والدولة العثمانية، ص 93.

(5) انظر: الحصري، ساطع: المرجع السابق، ص 93 - 94.

وفي باريس برز نجيب عازوري، وهو مفكر مسيحي ماروني من لبنان سبق له أن عمل في متصرفيه القدس قبل ذهابه إلى هناك ، والذي اطلع على أحوال الدولة العثمانية بوجه عام وكان ملما بشؤون الطوائف المسيحية، وفي كتابه (يقظة الأمة العربية في آسيا) دعا لوحدة " الكنائس الكاثوليكية تحت اسم" الكنيسة الكاثوليكية العربية" داعياً إلى انفصال الولايات العربية عن الدولة العثمانية على أن تكون الحجاز مقراً لخلافة إسلامية عربية، وان تتكون من العراق، وسوريا ،ولبنان، وفلسطين دولة عربية وحدة عصرية (1).

كان أهم ما في دعوة عازوري انه أول مفكر قومي عربي يتحدث عن خطر الصهيونية على فلسطين، وتصدى لادعاءاتها التاريخية ومقولة أن فلسطين (أرض الميعاد). ويذهب عازوري إلى أن اليهود لم يمتلكوا في تاريخهم القديم أيام يهوشع بن نون سوى الضفة الغربية لنهر الأردن، وانهم اختلطوا بنسب مختلفة بالكنعانيين في هذا الجزء من البلاد. و أن العرب أمة ويرغبون بالانفصال عن الدولة العثمانية التي نخرتها عوامل الضعف(2).

قبل إعلان المشروطية، وبدء الحياة النيابية الدستورية سنة 1908، كانت قد تبلورت عدة اتجاهات ونزعات عربية بينها ساطع الحصري فيما يلي:

- 1) العمل لإقامة خلافة عربية تحل بدلا من الخلافة العثمانية كما هو الحال في مسعى عبد الرحمن الكواكبي.
- 2) المطالبة بإجراء إصلاحات خاصة بالبلاد العربية.
- 3) الاشتراك مع أحرار الأتراك للمطالبة بإصلاحات عامة تمثل الولايات العثمانية وتفيد الولايات العربية.
- 4) الدعوة لانفصال البلاد العربية عن السلطنة العثمانية وتأسيس دولة عربية مستقلة .
- 5) طلب الحماية من دول أجنبية، وهو طلب خاص بالمسيحيين، أما باقي الطلاب فيشترك فيها الجميع(3).

(1) الحصري، ساطع: محاضرات في القومية العربية، ص112 - 113.

(2) انظر: عازوري،نجيب: يقظة الأمة العربية، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (ب.ط)، ص 48 .

(3) انظر : الحصري، ساطع: محاضرات في القومية العربية، ص111 - 113.

كان على فكرة القومية العربية أن تتغلب على اتجاهين في وقت واحد، الاتجاه الأول: إبعاد أنظار المسلمين عن الدولة العثمانية، و الاتجاه الثاني: - إبعاد أخطار المسيحيين العرب عن الدول الأجنبية لكي تجتمع كلمتهم حول العروبة التي تستمد قوتها من التاريخ واللغة(1).

نجح الضباط في فرض إعلان المشروطية على السلطان عبد الحميد عام 1908 وقوبل وصولهم للحكم بالفرح في جميع أنحاء الإمبراطورية، ومن مختلف أصحاب الملل والمذاهب ودعي بعهد " الحرية والعدالة والمساواة"، و جرت انتخابات " مجلس المبعوثان "(2).

بعد مرور عام قام عبد الحميد بعمل انقلاب عام 1909، و لكن ضباط الاتحاد والترقي نجحوا في الإطاحة به، و سيطروا على السلطة مرة ثانية، لكنهم واجهوا ضربات عديدة كان منها انفصال مقاطعات يلاغاريا، والاحتلال الإيطالي لليبيا، وأتهمت الدولة بالتقصير، كما دخلت فكرة اللامركزية للمجلس النيابي، وتبنتها المعارضة التي سميت باسم حزب " الحرية والائتلاف"، و نجح بعض أعضائه في الوصول إلى الحكم، وقاموا بقتل وزير الحربية ومراقفه ورئيس الوزراء(3).

أصبح ضباط الاتحاد والترقي أمام اختيار جديد عند أبناء الولايات المختلفة داخل الدولة العثمانية، و الذين يأملون في المساواة بين أبناء القوميات.

تبدلت الأوضاع بعد إعلان الدستور العثماني 23 تموز/ يوليو 1908 ، وانتهى حكم عبد الحميد الذي اهتم بالتقرب من العرب، وإطفاء جذوة العنصرية من نفوسهم، وقبض ضباط الاتحاديون على السلطنة، وهم المغرمون بالمدينة الغربية، وانصرفوا يعملون على إنشاء إمبراطورية تركية طورانية تضطهد القوميات الأخرى، وهو ما قوبل بالحذر من جانب أحرار العرب الذين سبق لهم المشاركة في الانقلاب، ومع ذلك كانت أغلبية من العرب مسرورة من الانقلاب الجديد، و جرت انتخابات مجلس النواب، ونجح فيها 70 نائباً من العرب 30 نائباً من

1)الحصري، ساطع: المرجع السابق، ص 83.

2)الحصري، ساطع: المرجع السابق، ص 95 - 96.

3)الحصري، ساطع: المرجع السابق، ص 99 - 101.

الألبان ومثلهم اليونان والبلغار أما العنصر التركي فله 143 نائباً مقابل 130 لأبناء العناصر الأخرى(1).

وبعد مرور عام ظهر الخلاف بين العرب والأتراك، فقد تخلى الأتراك عن الحكم الدستوري الجديد، وشعار الإخاء والمساواة، وظهر الخلاف في التنسيق والوظائف وفي مقالات الصحف التركية الداعية لتعزيز الطورانية، وتبادل الترك والعرب الألفاظ والجمل ونشأت صحف قومية مختلفة، وأسهم طرد آلاف من العرب والأكراد والألبان، في انكبابهم على طريق القومية، وهكذا تحولت الدولة من دولة عثمانية يتساوى فيها الجميع إلى حكومة طورانية للأتراك فيها الحظوة والمقام العظيم، وللغتهم التركية سيادة على لغات القوميات الأخرى، ولشباب الأتراك مكانة عظيمة في الوظائف والمناصب، وقد غدت دوافع الكراهية والحقْد لدى أبناء القوميات الأخرى(2).

أخذ العرب يبتعدون عن نوادي جمعية الاتحاد والترقي، بعد أن ظهر لهم أن الاتحاديين ينتهجون سياسة قومية تعزز الدعوة للجامعة الطورانية، وكذلك فعل بعض نواب العرب وتكثروا مع نواب الألبان، والأكراد، والأرمن، وانبثق عنها حزب الائتلاف العثماني، وتألقت في هذا العهد العديد من الجمعيات العربية* في العاصمة الأستانة، ومدن دمشق، والقاهرة، وبغداد وبيروت، والتي أسهمت في تكوين الرأي العام العربي وبالتعاون مع الصحافة أدت إلى يقظة وتنمية الشعور القومي العربي، وأسهم الشعراء في خلق روح وطنية جديدة(3).

أسهمت مقاومة الاتحاديين للحركة القومية العربية، وتسلبهم ومتابعتهم لها إلى نقل مركزها خارج البلاد العربية، كما أن الوقت قد حان لإسماع الأتراك المطالب العربية. فجاءت الفكرة لعقد مؤتمر عربي بدعوة من أعضاء* في حزب اللامركزية في مصر وجمعية

(1) انظر: سعيد، أمين: الثورة العربية الكبرى، تاريخ مفصل جامع للقضية العربية في ربع قرن النضال بين العرب والترك، مج 1، القاهرة: مكتبة مدبولي، 1999، ص 10 – 11.

(2) انظر: سعيد، أمين: الثورة العربية الكبرى، مج 1، ص 12 – 13.

* من أبرز الجمعيات: جمعية الإخاء العربي العثماني، والمنتدى الأدبي، والجمعية العربية "الفتاة"، والجمعية القحطانية، والعلم الأخضر، وحزب اللامركزية العثماني، وجمعية بيروت الإصلاحية، وجمعية البصرة الإصلاحية، والنادي الوطني العلمي في بغداد (انظر: المرجع السابق، ص 14 – 32).

(3) انظر: سعيد، أمين: الثورة العربية الكبرى، مج 1، ص 14.

* كانت الفكرة لعقد المؤتمر من قبل عبدالغني أفندي العريسي، ومحمد أفندي المحمصاني، وتوفيق أفندي فائد من بيروت، وجميل مردم من دمشق، وعوني بك عبدالهادي من نابلس.

العربية"الفتاة" ، وتشاوروا مع أعضاء اللجنة العربية المنتخبة في باريس ، وعهد لحزب اللامركزية أن يشرف على جلسات المؤتمر(1).

تضافرت جهود أعضاء الجمعيات العربية، والجاليات العربية في العيـد من البلدان الأجنبية والعاصمة العثمانية إلى عقد مؤتمر عربي في باريس، في 18 حزيران / يونيو 1913 وتمثلت أهم الموضوعات التي بحثت فيه: " الحياة الوطنية ومناهضة الاحتلال. حقوق العرب في المملكة العثمانية. ضرورة الإصلاح على قاعدة اللامركزية. المهاجرة من سورية وإلى سورية. (2).

تقرر من خلال المؤتمر العربي تكليف عبد الكريم الخليل الذي يدير المنتدى الأدبي العربي في استنبول بمراجعة الاتحاديين بشأن المطالب العربية، وبعد لقاءات مع طلعت باشا وجمال باشا، تم إقرار بعض المطالب منها: - إدخال تعليم اللغة العربية في المدارس الابتدائية والثانوية، وتعيين زعماء عرب في مجلس الأعيان وفي القضاء الأعلى، ووصل وفد عربي إلى استنبول في 15 آب، وأعدت عليه الوعود من قبل المسؤولين، وعاد الوفد وطال الانتظار وكانت الأوضاع المفككة للإمبراطورية تسير في دوامة من الأزمات الداخلية والخارجية فضلاً عن تأثير الاتجاه الطوراني المؤثر في توجيه السلطة المركزية، وتراوحت ردة فعل الاتحاديين بين العمل على " إحتواء القيادة، و التهديد وبذل الوعود الكلامية" ، واستخدام صيغة الوحدة الإسلامية بهدف إخراج المطالبين باللامركزية، وتعيين زعماء عرب، واعتقال زعماء آخرين مثل عزيز علي المصري(3) .

جاءت الحرب العالمية الأولى، لتثير مسألة جدوى الاستمرار في التبعية للسلطنة العثمانية وما هي مصلحة العرب في خوض هذه الحرب ؟. كان العرب يرون في الحرب أنها ليست ذات جدوى بالنسبة لهم، وظلت غالبية منهم على ولاء للخلافة العثمانية، ولكن بعضاً منهم وجدوا فرصتهم في السعي لجلب الاستقلال لأوطانهم

-
- (1) انظر: المؤتمر العربي الأول المنعقد في القاعة الكبرى للجمعية الجغرافية بشارع سن جرمن في باريس ، مصر - القاهرة : صدر عن اللجنة العليا لحزب اللامركزية 1913، ص 4 - 5 .
وانظر: الدوري، عبدالعزيز: الجذور التاريخية للقومية العربية، ص 78
(2) انظر: المؤتمر العربي الأول ، ص 7 .
وانظر : سعيد، أمين: الثورة العربية الكبرى مج1، ص 35.
(3) انظر: وجيه كوثراني: الاتجاهات الاجتماعية السياسية في جبل لبنان والمشرق العربي 1860 - 1920، ص 222 - 224.

ولو بالتعاون مع الأجنبي، وكانت فرنسا وبريطانيا ترقبان الأوضاع، وكلاهما على إطلاع بأن العرب ناقدون على الأتراك خاصة الشريف حسين أمير مكة(1).

تسارعت الأحداث، وتفاقت الظروف العصيبة التي مر بها العرب، وأسهمت سياسة جمال باشا السفاح في إنكفاء روح الثورة وقيام الاضطرابات ثم تقرير وجهة الحركة العربية في تحالفها مع البريطانيين والفرنسيين.

بعد فشل جمال السفاح في حملته على قناة السويس في شهر شباط / فبراير 1915 راح يعلق أحرار العرب على أعواد المشانق، متهماً قادتهم بأنهم خونة، وأنهم يبغون من خلال نظام اللامركزية تجزئة الإمبراطورية، وقد أعدمهم على دفعات في بيروت ودمشق، وشملت الإعدامات مسلمين ومسيحيين وحكمت الدولة على بعضهم بالنفي والإعدام غيايباً وحجز الأموال، وقد ازدادت الأحوال سوءاً بسبب الحصار الذي فرضه الحلفاء على الطريق البحرية وراح يجمع الحبوب للجيش التركي، وزادت أسراب الجراد الأحوال سوءاً في سوريا وفلسطين ولبنان، ودافع جمال باشا عن سياسة إعدامه لهم بنشره مذكرات عام 1916، التي برهن فيها أن هؤلاء الزعماء كانوا خونة يعملون لحساب فرنسا(2).

أدت مظالم جمال باشا إلى تطوير مطالب الحركات والأحزاب العربية من أسلوب التفاوض والحوار مع الاتحاديين والمطالبة بالإخاء العربي العثماني ونظام اللامركزية إلى التمرد والمطالبة بالاستقلال والانفصال عن الأتراك، ثم نفور العرب من حكمه، وعجلت في إضرام نار الثورة العربية التي قادها الشريف حسين بن علي، وبحكم مركزه الديني وموقع الحجاز الاستراتيجي والبعيد عن مركز حشد الجيوش وطرق المواصلات، ومركزه المهم كشريف لمكة الذي يشرف على الأماكن المقدسة واتصاله بوساطة أبنائه بالمراكز المدنية جعله أفضل مرشح لقيادة الحركة الناشئة.

كان الحسين بن علي يسعى نحو تأكيد مركز الحجاز منذ تعيينه شريفاً عام 1908 والذي سبق له أن اصطدم بالوالي العثماني، وكان الإنجليز يرقبون أحوال الدولة العثمانية ونظراً لمعرفةهم بالتدزم الذي أظهره رعاياها العرب، لذا أدركت أهمية دفعها لثورة تحقق تحطيم الوحدة العثمانية وانهيارها داخلياً وبخلق حرب أهلية تجبر العثمانيين على تحويل قوتهم نحوها،

(1) انظر: زين، نور الدين زين: نشوء القومية العربية مع دراسة تاريخية في العلاقات العربية التركية، ص 116.

(2) انظر: زين، نور الدين زين: المرجع السابق، ص 119 - 120.

وقد بدأت علاقة الإنجليز بالحسين منذ ربيع 1912 بعد لقاء تم بين الأمير عبدالله بن الحسين وكتشنر المعتمد البريطاني في مصر لبحث مدى استعداد بريطانيا لإمداده بالأسلحة في حالة تورطه بمصاعب مع الدولة العثمانية(1).

أسهمت اتصالات الحسين بوساطة ولديه فيصل وعبدالله مع أعضاء الجمعيات السرية والبريطانيين في تسيير دفة الأحداث ، وقيادته للثورة العربية.

التقى فيصل بن الحسين مع أعضاء الجمعيات العربية في دمشق في بيت نسيب البكري سراً ولاسيما أعضاء جمعيتي العربية الفتاة والعهد، والذين تدارسوا معه الموقف من الأتراك بعد أن ظهرت نواياهم في الكيد بالعرب، وتسنى له في أثناء سفره إلى الأستانة ثم رجوعه منها الاتصال مع ياسين الهاشمي أحد كبار الضباط في الجيش العثماني ومع أحمد قـدري وغيرهم والذين عبروا له عن استعدادهم لإضرام نار الثورة في سوريا لتحرير البلاد العربية، وسألهم فيصل عن نوع المساعدة التي يطلبون فكان رد ياسين الهاشمي أنهم فقط يحتاجون لأن يكون فيصل في طليعتهم، وبعد عودة فيصل اجتمع واخوته مع والده في الطائف، وبعيدا عن عيون السلطة اتفقوا على الثورة والتعاون مع الإنجليز، وتحرير بلاد العرب من الأتراك(2).

دارت مراسلات بين الحسين والسير مكماهون، وانتهت بإعلان الثورة العربية في العاشر من حزيران / يونيو 1916، وجاءت الثورة كثمرة تحالف بين البريطانيين والشريف حسين بن علي، وتضمنت وعوداً بريطانية حول استقلال العرب وإقامة مملكة عربية في المشرق العربي تحت زعامة الحسين بن علي.

تم تبادل رسائل عديدة بين الشريف و السير هنري مكماهون سفير بريطانيا في مصر وأهمها الرسالة المؤرخة بتاريخ 24 تشرين الأول / أكتوبر سنة 1915 والتي تقتطع أجزاء خارج المملكة التي وعد بها الحسين، ومما جاء في رسائل مكماهون: "...إن ولايتي مرسين

(1) انظر: قاسمية، خيرية: الحكومة العربية في دمشق بين 1918 – 1920، القاهرة: دار المعارف بمصر، 1971، ص 24 – 26.

(2) انظر: سعيد، أمين: النضال بين العرب والترك، تاريخ مفصل جامع للقضية العربية في ربع قرن النضال بين العرب والترك مج 1، ص 111 – 113.

وأجزاء من بلاد الشام الواقعة في الجهة الغربية لولايات دمشق الشام وحمص وحماة وحلب لا يمكن أن يقال أنها عربية محضة وعليه يجب أن تستثنى من الحدود المطلوبة (1).

في الوقت الذي كان فيه الحسين بن علي يفاوض مكماهون ويستعد لإعلان الثورة كانت بريطانيا تجري اتفاقاً مع فرنسا لاقتسام البلاد العربية، وكان هذا الاتفاق جزءاً من اتفاقية واسعة سميت باتفاقية سايكس بيكو ضمت روسيا وبريطانيا وفرنسا لاقتسام تركيا الدولة العثمانية والتي صودق عليها في شهر نيسان / أبريل 1916(2).

أبانت هذه الاتفاقية التي عقدها الفرنسيون والبريطانيون قبل نهاية الحرب العالمية الأولى في كشف عدم صدق بريطانيا في وعودها التي قطعتها للحسين، وبينت طبيعة التحالفات التي رسمها الاستعمار الغربي مع الحركة الصهيونية التي رسمت معالم جديدة للمشرق العربي، وقدمت بريطانيا لليهود وعد بلفور عام 1917 لإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين.

وانعكست نتائجها في تقسيم الهلال الخصيب وتشكلت سياسية جديدة أضيفت للكيانات التي ولدت بفعل الهجوم الاستعماري البريطاني والفرنسي في القرن التاسع عشر، وأصبحت عوائق في طريق القومية العربية وقد توزعت أهداف الحركات العربية بين هدف الاستقلال الوطني والوحدة العربية.

توجه الأمير فيصل عام 1919 إلى مؤتمر الصلح بباريس ليمثل والده، وقد رافقه بعض أعضاء جمعية الفتاة، وانتدب معه بتكليف من الحسين كل من عوني عبدالهادي ومحمد رستم وقد قوبل بمعارضة وعرقلة فرنسية ذلته بريطانيا فيما بعد وقد أوعزت فرنسا لوفود عربية من لبنان لحضور المؤتمر للمطالبة بدولة لبنان الكبير ووحدة سوريا وإشراف فرنسا عليها وتمخض عن المؤتمر إرسال لجنة كنج كراين لإجراء استفتاء في سوريا لكن فرنسا قابلتها بعدم الارتياح، وقد ضغطت على بريطانيا لإقامة العثرات والتكؤ في المسعى بما ينسجم مع التآمر الذي وضعت أسسه في الحرب (3).

(1) الموسى، سليمان: المراسلات التاريخية 1914 – 1918. الثورة العربية الكبرى، عمان 1973م ص39.

(2) انظر: قاسمية، خيرية: الحكومة العربية في دمشق بين 1918 – 1920، ص 36 – 37.

(3) انظر: دروزة، محمد عزة: الحركة العربية الحديثة ج1، صيدا، لبنان: المكتبة العصرية، ط 1950، ص 92 – ص94.

عاد فيصل إلى سوريا عام 1920، ووجد نفسه أمام الرأي العام مرة أخرى وحاول إجراء تعديلات إدارية لتوسيع مهمة الحكومة المركزية، وعهد لأخيه زيد بتشكيل الحكومة وأصبح رئيساً للحكومة، وعين علي رضا الركابي مديراً للحربية وحاول فرض النظام بعد أن امتدت الأعمال الحربية في مناطق متقطعة ضد القوات الفرنسية من قبل القوات العربية غير النظامية من كليكا إلى حدود فلسطين وتعهد فيصل للقائد الفرنسي غورو بتهدئة البلاد والحيلولة دون مهاجمة الفرنسيين وحاول التعامل مع فرنسا بعلاقات ودية وتبادل معها وجهات النظر لتسحب قواتها جزئياً من البقاع(1).

تبع هذا العمل عقد المؤتمر السوري في 6 آذار / مارس 1920، والذي حضره فيصل وأركان حكومته، وخرج المؤتمر بقرارات منها النص على استقلال سوريا ضمن حدودها الطبيعية ورفض الإدعاء الصهيوني بالوطن القومي في فلسطين، وإعلان استقلال العراق أسوة بسوريا وإيجاد وحدة بين البلدين اللذين تجمعهما الروابط وتقرر بالإجماع تقديم العرش للأمير فيصل وجرت حفلة لتقديم البيعة في دار البلدية وسط حماس كبير، وكان هذا القرار معبراً عن الإرادة الشعبية بعد انتظار دام عام ونصف(2).

لم تتل هذه التغييرات تأييد فرنسا أو بريطانيا، وهو ما أكدته قرارات مؤتمر سان ريمو في 25 نيسان / أبريل بتقسيم البلاد التي تقرر تقسيمها أثناء الحرب، وبهذا خضعت الأردن والعراق وفلسطين إلى الانتداب البريطاني، في حين تقرر انتداب فرنسا على سوريا ولبنان و تطبيق وعد بلفور في فلسطين(3).

صممت فرنسا على بسط نفوذها على سورية مستغلة الاتفاقات مع بريطانيا وأرسل غورو مذكرة إلى الأمير فيصل في 14 يوليو / تموز، وهددت سلسلة شكاوى على أعمال الحكومة العربية، وطالبت بإشراف فرنسي على أعمالها واشترطت مجموعة من الشروط لا تقبل التجزئة، وعقد مجلس الوزراء اجتماعاً وكان في خلاف حول الموقف من الإنذار بين مطالب بالمقاومة أو القبول بشروطه وانتدب فيصل ساطع الحصري للتوسط مع غورو الذي رفض وقف الجيش عن الزحف، وقدم إنذاراً جديداً وطالب بقبول تام للانتداب الفرنسي وواصل زحفه وانتهت الاشتباكات بدخول الفرنسيين، وسقط يوسف العظمة دفاعاً عن شرفه العسكري

(1) انظر: قاسمية، خيرية: الحكومة العربية في دمشق بين 1918 – 1920، ص 157 – 158.

(2) انظر: قاسمية، خيرية: المرجع السابق، ص 164 – 165.

(3) انظر: قاسمية، خيرية: المرجع السابق، ص 175 – 176.

وشرف سوريا، وكانت نهاية المناورات الفرنسية في ميسلون ، وعندها تلقت الحركة القومية العربية ضربة قوية، وتبعثر دعائها ورجالاتها في مختلف الأقطار ليجابها حياة كفاح جديدة(1).

بعد خروج فيصل من سوريا عمل المندوب السامي الفرنسي على إقامة أشكال من الحكم دون أن يكون للشعب رأي فيها، وقد قبلت وزارة علاء الدين الدروبي التعاون مع الفرنسيين على أساس الانتداب، وكان قائد الحملة الفرنسية قد جمع أعضاء الوزارة وحمل فيصل مسؤولية الأحداث، وحدد مسؤولية الحكومة وصلاحياتها وأنذرها باستخدام القوة عند عجزها عن إدارة الأحداث، وصرع الدروبي بعد فترة وأعقبتها حكومة حقي العظم، وجزئت سوريا إلى دول لبنان الكبير و حلب والعلويين ودمشق وجبل الدروز، وسلخ الأردن وفلسطين وكليهما وبرغم ذلك لم تعدم البلاد وسيلة الاحتجاج، ودبرت مؤامرة للقضاء على غورو وحقي العظم ولم تتجح(2).

ظلت سورية تحت الحكم العسكري محبوسة الأنفاس ومخنوقة الحريات ويخيم عليها الإرهاب الفرنسي إلى أن عين الجنرال ويغان عام 1924 مفوضاً سامياً وحل القيود وجاء من بعده ساراي والذي خطا خطوة أوسع، وقد ذهبت إليه الوفود مطالبة بتحقيق أمانى البلاد ولكنه طالبهم أن يتوحدوا أولاً قبل أن يأتوه بمطالب بعدئذ تأسس حزب الشعب برئاسة الدكتور عبدالرحمن شهبندر، الذي صادقت عليه المفوضية الفرنسية في أواخر نيسان 1925 ومن برنامجها المطالبة باستقلال سوريا والحصول على حقوقها والحصول على حكومة ديموقراطية، وتوحيد سوريا لتضم كل الأقطار التي تشملها بحدودها و أقام الحزب موثيق مع ثورة جبل الدروز، وعلى رأسهم سلطان باشا الأطرش، وبمجرد أن أحست فرنسا بهذه الصلة حرمتها من العمل ، وضيقت عليه الخناق بالنفي والإبعاد والاعتقال لبعض رجالاته(3).

وهناك أحزاب سورية نشطت في الخارج منها حزب الاستقلال والذي كان الهيئة السياسية الأولى في العهد الفيصلي، وقد داعبت رجاله فكرة عودة فيصل إلى سوريا ومقاومة الفرنسيين.

(1) انظر: قاسمية، خيرية: المرجع السابق، ص 194 – 210. (بتصرف)

(2) انظر: فرزات، محمد حرب: الحياة الحزبية في سوريا، دراسة تاريخية، الأحزاب السياسية وتطورها بين 1908 – 1955، دمشق: دار الرواد، 1955، ص 80 – 81.

(3) انظر: قرقوط، ذوقان: ميشيل علق الكتابات الأولى مع دراسة جديدة لسيرة حياته، بيروت: مؤسسة الدراسات العربية، ط 1993، ص 27 – 28.

وقد نجحوا في تحريك حادث خربة الغزالة* في سوريا وإطلاق النار على غورو ، ولكن ما لبثوا أن اختلفوا مع الأمير عبدالله وانصرفوا عنه ولجأوا إلى مصر. ومن الأحزاب الأخرى حزب الاتحاد السوري واللجنة التنفيذية للمؤتمر السوري الذي نشط في القاهرة ، وسعى لإبراز القضية السورية على الصعيد الدولي بإذاعة البيانات والنشرات ، وكتابة المقالات وإرسال الوفود إلى مقر جمعية الأمم ، والاحتجاج على تجزئة البلاد والتكثير بسكانها(1).

لم تمنع ظروف التجزئة، رجالات الحركة القومية العربية من اللقاء لبحث أمورهم في المؤتمرات اللاحقة، ومعاودة نشاطهم بتشكيل حركات ذات طابع قومي عربي.

ففي المؤتمر الإسلامي المنعقد في مدينة القدس عام 1931 لبحث القضية الفلسطينية – وعلى هامشه – تداعى عدد من القوميين العرب الذين حضروا المؤتمر وممن سبق لهم العمل في الحرب العالمية الأولى، وكانوا أعضاء في جمعية العهد ، أو جمعية "الفتاة" للتشاور والبحث بعد افتراق بعضهم عن بعض نحو عقد من الزمن، وقد وجدوا الفرصة سانحة لإعادة نشاط الحركة العربية بعد انشغالها بالقضايا المحلية، وعقد الاجتماع في أواسط كانون الأول/يناير 1931 في بيت عوني عبدالهادي ، وشهده قرابة خمسين شخصاً ، وبعد مداوات تم الاتفاق على وضع ميثاق قومي عربي يحدد نشاط الحركة العربية ، ويحدد أهدافها ودعا لعقد مؤتمر عربي عام، وقد بحث الأمر مع الملك فيصل الذي شجع فكرة عقد المؤتمر في بغداد، وقد وافق فيصل على دعمه، وكذلك عدد من الشخصيات العربية. حالت جملة معوقات دون انعقاده، ومنها النزاع بين الهاشميين والسعوديين، ومعارضه المندوب السامي، ثم عاجل موت فيصل في نهايته(2).

كانت آمال القوميين العرب معلقة على الملك فيصل، وقد جرت معه لقاءات من قبل قلادة حزب الاستقلال في فلسطين، وأعضاء من عصابة العمل القومي، والكتلة الوطنية السورية،

* هو الحادث الذي جرى في خربة الغزالة التي تقع على طريق دمشق – درعا، وأقرب إلى درعا، وتبعد عنها 25 كم، وفيه أخرج من القطار رئيس وزراء سوريا علاء الدروبي وذبح، وقتل زميله عبدالرحمن يوسف بالرصاص، وقتل ضابط إيطالي، وجنود فرنسيون، وكاهن فرنسي، وهو ما أثار فرنسا. (انظر: سعيد، أمين: ثورات العرب في القرن العشرين، القاهرة: دار الهلال، (د.ت)، ص 71.)

(1) انظر: فرزات، حرب: الحياة الحزبية في سوريا، دراسة تاريخية، الأحزاب السياسية وتطورها بين 1908 – 1955، ص 84 – 85

(2) انظر: دروزة، محمد عزة: حول الحركة العربية الحديثة ج3، لبنان – صيدا: المكتبة العصرية 1951، ص 83 – 84

وطرح فيصل فكرة توحيد الأردن والعراق، وعندما توفي رأوا فيه خسارةً لفلسطين، والبلاد العربية، والحركة القومية العربية(1).

تمخض عن المؤتمر الذي عقد في القدس تأسيس حزب الاستقلال في فلسطين الذي قام عليه عوني عبدالهادي، محمد عزة دروزة، صبحي الخضراء، أكرم زعيتر، رشيد الحاج ابراهيم عجاج نويهض فهمي العبوشي، الدكتور سليم سلامة، وتضمن بيانه الربط بين استقلال البلاد العربية والوحدة العربية التامة غير القابلة للتجزئة، والتوكيد على عروبة فلسطين، واعتبارها جزءاً طبيعياً من سوريا، والعمل على تحقيق الأهداف بالاتفاق مع الهيئات المطالبة بالاستقلال في البلاد العربية(2).

وفي سوريا تشكلت عصابة العمل القومي، وجاء ميلادها بعد فشل الكتلة الوطنية، وتحولها الفكري عن فكرة الوحدة العربية، والنص على المساعي الإقليمية، وعقدت عصابة العمل القومي مؤتمرها في لبنان في قرنايل سنة 1933، وقد أدى عجز الكتلة الوطنية عن خلق المد العربي إلى ظهور عصابة العمل القومي(3).

وكان مؤسسو العصابة في غالبيتهم العظمى من المثقفين اللبنانيين والسوريين المنتميين إلى الطبقة البرجوازية الصاعدة في المدن، وقد أنشأت العصابة فروعا لها في دمشق، وحمص والاسكندرونة، وانبثق عنها مجلس تنفيذي ومنصب أمين عام شغله عبدالرازق دندش، وهو شخصية عربية اغتيلت بعد تأسيس العصابة بوقت قصير، وكان من بين قادتها صبري العسلي وفهمي محاييري، وفريد زين الدين، وزكي الأرسوزي(4).

اتسم برنامج العصابة بتحليله الشامل لأوضاع الوطن العربي، وطبيعة الاستعمار الغربي والحركة الصهيونية وأوضاع التجزئة، وحددت لها برنامجاً اقتصادياً، وتطرق إلى أحوال المرأة، وخصائص الأمة العربية ودعت لمحاربة التعصب والطائفية الإقليمية، واعتبرت أن

1) انظر: زعيتر، أكرم: بواكير النضال: من مذكرات أكرم زعيتر 1909 – 1935، بيروت: مؤسسة الدراسات والنشر، ط 1994، ص 515، و 539.

2) انظر: دروزة، محمد عزة: حول الحركة العربية الحديثة ج3، ص 99.

وانظر أيضاً: زعيتر، أكرم: بواكير النضال: من مذكرات أكرم زعيتر 1909 – 1935، ص 412 وص 413.

3) انظر: قرقوط، ذوقان: مرجع سابق، ص 33.

4) انظر: دندشلي، مصطفى: مساهمة في نقد الحركات السياسية في الوطن العربي، حزب البعث العربي الاشتراكي 1940 – 1963، ج1، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ص 12.

مجال عملها السياسي هو الوطن العربي من المحيط الأطلسي إلى الخليج العربي، ونظرت إلى المصلحة الوطنية من زوايا علاقتها بالمصلحة القومية العربية، وربطت النضال من أجل تحقيق الاستقلال في كل قطر عربي بالنضال القومي الوحدوي، وأصررت على انتهاج خط أخلاقي متصلب سواءً على صعيد سياستها العامة، أو على صعيد نهج أفرادها، وهو ما ترك آثاره على حركة البعث في مستهل نشأتها الأولى(1).

نالت العصبية تأييد الكتلة الوطنية السورية التي كانت دون إطار سياسي واضح ورأت أن بإمكانها الاعتماد عليها، ولكن العصبية أخذت عليها سياسة " خذ وطالب"، وكانت العصبية تمتنع عن أي تعاون مع الانتداب الفرنسي حتى أنهم رفضوا قبول الوظائف. لقد انتهت العصبية وأصبحت بهزات سياسية كبيرة مرة بعد موت أمينها العام عبدالرزاق دندش، وأخرى حين قبل أمينها الثاني صبري العسلي بدخول المجلس النيابي ففصل من العضوية، واستمرت وزادت قوة حتى جاءت أفسى ضربة بانسحاب زكي الأرسوزي منها الذي منحها القوة خلال المرحلة الممتدة بين 1933 - 1939. وفي بداية الحرب العالمية الثانية أوقفت نشاطها(2).

تبع قيام العصبية ظهور (الحزب القومي العربي)، والذي قام في العراق وسوريا والذي أكد أهمية الخروج على النضال القطري، وبناء حزب قومي، وكان من بين أعضائه العراقيين يونس السبعوي، ومن أعضاء الحزب أعضاء نادي المثلي بالعراق، والنادي العربي في سوريا(3).

ويذكر جلال السيد أحد مؤسسي البعث أنه كان عضواً في هذا الحزب الذي وصفه بأنه "حزب سياسي ضخم، ولكنه سري، ضم عدداً كبيراً من رجالات العرب، وبرنامج الحزب شبيهاً ببرنامج البعث... وكان أعضاؤه يدخلون في كل المنظمات... من ناحية المحتوى الاشتراكي كان أقل شمولاً من حزب البعث ويمكن القول أن له دوراً في الحركات الخطيرة كحركة رشيد عالي الكيلاني.. كان يونس السبعوي وزير الاقتصاد في حكومة رشيد عالي، وهو في الوقت نفسه حاكم بغداد العسكري... وكذلك درويش المقدادي وسعيد الحاج ثابت وكان الحزب على صلة بالأستاذ ساطع"(4).

(1) انظر: دندشلي، مصطفى: مساهمة في نقد الحركات السياسية في الوطن العربي، ص 14 - 15.

(2) انظر: الجندي، سامي: البعث، الناصرة: مكتب فؤاد دانيال للطباعة، ط2، (د.ت)، ص20.

(3) انظر: علوش، ناجي، وآخرون: الحركة القومية العربية في مائة عام، ص 172.

(4) السيد، جلال: حزب البعث العربي، بيروت: دار النهار، ط 1973، ص 25-26.

تعتبر قضية فلسطين من القضايا العربية ذات الشأن في نشوء القومية العربية وإثارة الشعور العربي الوحدوي منذ عام 1891، حيث أرسل عدد من زعماء القدس إلى الصدر الأعظم احتجاجا يطالبون فيه منع اليهود من الهجرة إلى فلسطين، وشراء الأراضي، وكان حافظ بك السعيد نائب يافا في " مجلس المبعوثان"، قد أثار تساؤلا فيما إذا كانت حركة الاستيطان اليهودي تتسجم مع مصالح السلطنة العثمانية، وطالب باتخاذ تدابير لازمة تحول دون دخول المهاجرين اليهود للبلاد، وعادت المشكلة لتثار من جديد عام 1911 من قبل شكري العسلي مندوب دمشق، وروحي الخالدي مندوب القدس(1).

ورغم أن الفلسطينيين كانت لهم مساهمات وأعضاء منضوون في الجمعيات العربية العلنية والسرية منها، إلا أن الطابع العام للحركة القومية ظل هو المسيطر كما هو الحال في مؤتمر باريس 1913، واستغرق المؤتمر في بحث الوسائل الكفيلة باستقلال العرب عن الأتراك، وأحوالهم في السلطنة العثمانية، وأهم البحث في أخطر القضايا، وهي القضية الفلسطينية التي لم يسهب في دراستها(2).

وفي عام 1918 ثار جدل حول موقف فيصل من الحركة الصهيونية بعد أن التقى بالزعيم الصهيوني حاييم وايزمن وعددا من قادة الحركة الصهيونية في العقبة، ونسب إليه توقيعه باللغة العربية على وثيقة كتبت باللغة الإنجليزية تنطوي على إظهار عطفه مع الحركة الصهيونية، واشترط فيها أن تقوم مملكة عربية من رفح حتى الخليج وجبال طوروس، و تعترف للحركة الصهيونية ببناء وطنها القومي في فلسطين والتعاون مع الحركة القومية العربية، وقد رد فيصل بأن فلسطين جزء من المملكة العربية التي يطمح لها العرب، وناشد اليهود التعاون معه في إنشاء مملكة عربية، حتى إذا زاد عدد اليهود أصبحوا ولاية من الولايات العربية(3).

إلا أن أكثر فترات القضية الفلسطينية شهدت تحريكا للمشاعر الوجدوية كانت في ثورة 1936 – 1939، إذ شهدت القضية الفلسطينية تحريكا للموقف الشعبي والرسمي العربي،

(1) انظر: أبراش، ابراهيم: البعد القومي للقضية الفلسطينية، ص 21 – 22.

(2) انظر: الكيالي، عبدالوهاب: موجز تاريخ فلسطين الحديث، ص 57 – 58.

(3) انظر: سعيد، أمين: الثورة العربية الكبرى، مج 3، ص 50 – 54.

وانظر أيضا: المميز، أمين: " عود إلى اتفاقية فيصل – وايزمن"، مجلة أفاق عربية، ع5، كانون الثاني 1978، بغداد، 1978، ص 18.

وقامت المظاهرات في العديد من المدن العربية، وتسرب إلى فلسطين المتطوعون العرب وخاصة من العراق وسوريا يقودهم فوزي القاوقجي* على رأس قوة ضمت خمسمائة متطوع(1).

وقد أصدر القاوقجي بيانا قال فيه: " إنه ليغبطني، وقد شرفني إخواني المجاهدون بقيادة الثورة العربية في سورية الجنوبية أن أدعو القادرين من أشبال العرب إلى السلاح أجل إلى السلاح يا أشبال العرب تحقيقا للأمني القومية وإنقاذ فلسطين العزيزة ومن برائن العبودية والغزوة الصهيونية والمطامع البريطانية ... " (2).

كانت المرة الأولى التي تأخذ فيها ثورة فلسطين مداها القومي، بعد أن كانت الثورات العربية لا تخرج عن مداها القطري بفعل التجزئة، وهي التي شارك فيها العراقيون، والسوريون والفلسطينيون(3).

لم يقتصر وجود الحركات السياسية في هذه الفترة على الجمعيات والأحزاب ذات النزعة لقومية العربية، فقد تصارعت وتمايزت حركات وأحزاب في نزعات فكرية عديدة.

ففي سوريا تأسست الكتلة الوطنية، وهي ذات اتجاه ليبرالي، وفيها انتشرت أحزاب ذات طابع ديني كجماعة الإخوان المسلمين التي أسسها حسن البنا في مصر، ومنظمة الكتائب اللبنانية، وهي طائفية مارونية، ومنظمة النجادة، وهي حركة طائفية سنية، ونشأ الحزب الاتحادي الدستوري في القاهرة على أيدي سوريين كقاعدة للعمل القومي ثم اللجنة التنفيذية للمؤتمر السوري الفلسطيني واتجاه اشتراكي وشيوعي مثل: جماعة الأهالي في العراق،

* فوزي القاوقجي (1890 – 1879) قائد ومناضل قومي عربي ولد في مدينة طرابلس – لبنان، تخرج في تعليمه حتى وصل المدرسة الحربية في الأستانة، أثر العمل مع الأتراك ضد الحلفاء، وبعد الحرب العالمية الأولى التحق بحكومة فيصل بناء على طلبه. أثرت فيه معركة ميسلون فقاد الثورة السورية وكاد أن يستولي على مدينة حماة لولا طائرات الفرنسيين، وفي ثورة فلسطين اتخذ من مثلث الرعب الفلسطيني ساحة لحركته الثورية. (انظر: الموسوعة الفلسطينية، القسم العام، مج 3، 1984، ص 480 – 481.

(1) أبراش، إبراهيم: البعد القومي للقضية الفلسطينية، ص 66.

(2) الحوراني، أكرم: أكرم الحوراني 1912 – 1996 مذكرات، ج1، القاهرة: مكتبة مدبولي 1994، ص 162.

(3) انظر: الحوراني، أكرم: المرجع السابق، ص 165.

والحزب الشيوعي اللبناني، والحزب الشيوعي السوري، والحزب الشيوعي الجزائري، والحزب الشيوعي العراقي(1).

اتسم موقف الحركة الشيوعية العربية بالعداء تارة وبالغموض تارة أخرى تجاه قضية الوحدة العربية والقومية العربية، فالحزب الشيوعي الجزائري ظل يعادي فكرة الوحدة العربية والدعوة لاتحاد الجزائر حتى عام 1957، و لم يحدد الحزب الشيوعي العراقي موقفه الرسمي من القومية العربية حتى عام 1944، رغم أن العراق كان في فترة ازدهار قومي عربي ، وتجلت صورته في ثورة رشيد عالي الكيلاني عام 1941(2).

ولم تقتصر حركة الوعي القومي على الحركات والأحزاب، فقد أسهم مفكرون عرب ومنهم ساطع الحصري في توضيح وشرح معنى القومية العربية، حيث يعتبر ساطع شخصية مرموقة احتلت منصب وزارة المعارف في حكومة فيصل الأول السورية، وقضى زمناً من حياته مدافعاً عنها في وجه الدعوات الإقليمية، ودافع عن عروبة مصر، وقامت فكرته الأساس على أن الأمة العربية موجودة بالفعل، وعمادها الأساس اللغة العربية، ويولي هذه الأهمية التلويح أما الدين فيقلل من أهميته إلا إذا اتحد الدين مع لغة من اللغات كما حصل في العروبة(3).

وفي الجامعة الأمريكية في بيروت قام الدكتور قسطنطين زريق في أواخر الثلاثينيات بنشر الفكرة القومية العربية بين الطلاب العرب الذين حضروا ندواته في "جمعية العروة الوثقى"، التي مثلت الملتقى الفكري القومي لعدد من الشباب الذين لعبوا دوراً نضالياً قومياً فيما بعد في كل من سوريا، والعراق، ولبنان، وفلسطين(4).

رغم الدعوة للوحدة العربية فإن التجزئة العربية تعمقت في حين عانت الأمة العربية من سلب حرية أقطار عربية لم تتحرر بعد، ومن وجود استغلال طبقي ودوراً اجتماعياً لمصلحة فئة من الشعب، ورسم غياب الربط بين الوحدة العربية والاشتراكية أو الاختلاف في تحليل الظروف التاريخية التي تمر بها الأمة العربية قبيل الحرب العالمية الثانية الطريق لصياغة

(1) انظر: فرح، إلياس: مقدمة في دراسة المجتمع العربي والحضارة العربية، ص 182 – 184.

(2) انظر: دروزة، الحكم: الشيوعية المحلية ومعركة العرب القومية، بيروت: دار الحكمة (ب.ط)، (د.ت) ص 109 – 110

(3) انظر: الحوراني، ألبرت: الفكر العربي في عصر النهضة 1798-1939، ترجمة كريم عزقول، بيروت: نوفل 1997، ص 300-301.

(4) انظر: الحوراني، ألبرت: المرجع السابق، ص 319-320.

أيدولوجيا تربط بين قضايا الوحدة والتحرير والاشتراكية ومن هذه النظرة للواقع العربي رشحت أفكار البعث، يقول ميشيل عفلق: "... لقد أعطت حركة البعث للعروبة مفهومها الحديث ومضمونها الإيجابي الثوري بعد أن كانت العروبة لفظة فارغة غامضة... وأصبحت القومية العربية مرادفة لحياة الشعب العربي ومشاكله السياسية والاقتصادية والفكرية وأصبحت تعني في وقت واحد الثورة على التخلف والظلم الاجتماعي، والثورة على التجزئة... لقد قدر لحزب البعث الاشتراكي أن ينقذ الأجيال الصاعدة من الضياع بين العصبية الإقليمية والثورة الأممية ووضعها في صميم العمل التاريخي... "(1).

لم يكن البعث الوحيد من بين الأحزاب في دعوته للوحدة العربية، فقد ظلت فكرة الوحدة العربية في صلب مبادئ الأحزاب والحركات ومنطقاتها السياسية وقد أحصى المفكر القومي العربي، ساطع الحصري 16 حركة وحزبا في بلاد الشام والعراق، كانت قائمة عام 1945، التي جعلت مبادئ الوحدة العربية أساسيات عملها ومن بينها حزب البعث الذي وصفه بأنه من أكثرها اهتماما بقضايا الوحدة العربية(2).

كان لا بد أن تنشأ حركة سياسية جديدة، وقومية الاتجاه، طالما ظلت بلاد الشام مسرحا لحركات قومية تنشأ تباعا، كما أظهرت النصوص السالفة الذكر، ثم أن حاجة العرب للوحدة العربية، والقضاء على التجزئة ستدفع إلى ميلاد حركة جديدة، ومع اقتراب الحرب العالمية الثانية، وأمام مفصل تاريخي هام، وظهور التكتلات الدولية المختلفة، وظهور الثورات الحربية القومية في قارات آسيا وأفريقيا وأمريكا الجنوبية، وعلى ضوء ذلك نشأ حزب البعث وغيره من الحركات القومية العربية المعاصرة في سياق هذه التطورات، وكان البعث امتدادا لها إلا أنه يختلف عنها نوعا وكما، كما سيظهر لاحقا.

(1) عفلق، ميشيل: " الدور التاريخي لحركة البعث"، في سبيل البعث، ص 49

(2) انظر: الحصري، ساطع: الأعمال الكاملة نظرتي إلى حزب البعث " القسم الثاني. ص 193-197.

(2) دور ميشيل عفلق وصلاح الدين البيطار في تأسيس حزب البعث

عرف ميشيل عفلق، وصديقه صلاح الدين البيطار، كمؤسسين لحزب البعث العربي الاشتراكي في سوريا، ورغم أن صلاح الدين البيطار أسهم في تأسيس حزب البعث إلا أن ميشيل عفلق طبع حزب البعث بنظرته طيلة ربع قرن، " واثراً فيه تأثيراً عميقاً " بحيث أنه يصعب فهم مواقف حزب البعث دون معرفة رأي عفلق فيها(1).

ولد ميشيل عفلق في زقاق الموصلي بحي الميدان في دمشق عام 1909، ويقع جنوب مدينة دمشق في حينه، وهو معروف بوطنية أبنائه ومقاومتهم للفرنسيين. وكان والده تاجر حبوب، وتأثر عفلق بوالده يوسف الذي كان على علاقة حسنة ومتميزة مع المسلمين في حي الميدان، وهو ماترك أثره في عفلق وتحليله للإسلام فيما بعد. وفي ذلك الحي ولد رفيقه صلاح الدين البيطار الذي لا يقل عنه ذكاءً وهو سني محافظ، ورغم تشابههما في النشاط والمستوى الاقتصادي إلا أن عفلق درس التاريخ أما صديقه فدرس الطبيعيات(2).

سافر عفلق والبيطار إلى باريس للالتحاق بالدراسات العليا، وهناك تعرف الشابان على النظريات المختلفة، وأقاما علاقات مع الاشتراكيين الفرنسيين، وتسنى لهما الاتصال بالشباب العربي الإفريقي، والإطلاع على هموم الشعب العربي الراحل آنذاك تحت الاستعمار الفرنسي والاختلاط بطلاب من فلسطين والإطلاع على سياسة الحركة الصهيونية وتأثر عفلق والبيطار بزعيم الاشتراكيين الفرنسيين أندريه جيد، الذي زار الاتحاد السوفيتي، وعاد إلى بلاده معارضاً السيطرة السوفيتية على الأحزاب الماركسية، وتأثر ميشيل عفلق وصلاح الدين البيطار بهذا الموقف، ورجعا إلى سوريا ساخطين على موقف الشيوعية، وعزز ذلك تجاهلها لقضية الوحدة العربية والخصوصية القومية للأمم الأخرى، وهما أشد تأثراً بالتجربة الوندوية الإيطالية والألمانية، ووجدا أنها أقرب لتفكيرهما(3).

(1) انظر: دندشلي، مصطفى: حزب البعث العربي الاشتراكي 1940-1960، ص 19-20.

(2) انظر: فرقوط، ذوقان: ميشيل عفلق الكتابات الأولى مع دراسة جديدة لسيرة حياته، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط أولى 1993، ص 36-38.

(3) انظر: البيطار، صلاح الدين، والشاعر، جمال: " الفصل الثاني، حول تجربة البعث في الأربعينات والخمسينات "، ندوة القومية العربية في الفكر والممارسة، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية ط 3، 1984، ص 357.

كانت معرفة ميشيل عفلق وصلاح الدين البيطار بالمشكلة السورية عام 1928 بسيطة، وكانت القضية الوطنية بالنسبة لهما تطرح مسألة نضال الأمة ضد الاستعمار، ولكن بعد دراستهما في فرنسا توصلا لتحديد مشكلات بلدهما في اثنتين هما: - مشكلة قومية ناتجة عن السيطرة الاستعمارية، ومشكلة اجتماعية جاءت من خضوع المجتمع للاستغلال، والجهل والاستبداد؛ ولذا رجعا يحملان الفكرة الاشتراكية، ويؤمنان بالنضال الشعبي، ويعتبران الطبقة التي تمثل الحركة الوطنية السورية لا تستطيع أن ترتفع عن مصالحها الاقتصادية الأنانية والعائلية، ولهذا فإن الأمة بحاجة إلى انقلاب فكري وأخلاقي عميق يهز النفوس من الأعماق(1).

كان عفلق من كتاب القصة، والمسرحية، والشعر قبل أن يؤسس البعث، فقد كتب المقالة القومية والقصة القصيرة، واشتهر بنتاجه المبدع في مجلة الطليعة الأدبية في سوريا، وعلى صفحاتها نشر بواكير نتاجاته الأدبية، ومن بينها نشر مقال "عهد البطولة"، ومقال "ثروة الحياة" ومسرحية "موت السندباد"(2).

لقد شهد شاكر مصطفى على قدرته الأدبية، ومما كتبه حول عفلق: - "هو السمفونية التي لم تتم في الأدب العربي الحديث! إهاب شاعر حالم، وثقافة لا أعمق ولا أصفى، مثالية في الإيمان القومي تحسبها من غير هذا العالم القريب. دخل الجو الأدبي من بابه الأوسع فكان ثورة... لقد التقى فيه الانسجام والوفاق أخصب تيارات الفكر الإنساني... مع أعمق الوعي للتراث العربي، فكان إيمان بالشعب، إيمان بالعمل، إيمان بالبطولة المبدعة..."(3).

عمل عفلق بعد تخرجه في جامعة باريس، وعودته إلى سوريا في حقل التعليم، وفي مدرسة التجهيزات (مكتب عنبر سابقا)، وهو ثانوية الحكومة الرئيسة في سوريا، ويقع في منطقة اسمها منذنة الشحم وسط العاصمة دمشق، وعمل صلاح البيطار في مدارس حمص، وكانت في سوريا يومها مدرستان ثانويتان حكوميتان: واحدة في دمشق وأخرى في حلب لعدد

(1) انظر: قرقوط، ذوقان: ميشيل عفلق الكتابات الأولى مع دراسة جديدة لسيرة حياته، ص39.

(2) انظر: إلياس، جوزيف: عفلق والبعث، نصف قرن من النضال، بيروت: دار النضال للطباعة والنشر والتوزيع، ط 1991، 341-343.

(3) مصطفى، شاكر: محاضرات عن القصة في سورية حتى الحرب العالمية الثانية ألقاها شاكر مصطفى على طلبة قسم الدراسات الأدبية واللغوية 1957، القاهرة: جامعة الدول العربية: معهد الدراسات العربية العالية، (ب.ط)، ص 301-302.

من المواطنين السوريين بلغ تعدادهم 3,5 مليون نسمة، وكانت هذه المدارس تشكل فرصة طيبة للقاء الأساتذة مع الطلاب وبت أفكارهم، وتوصيلها إلى الطلاب القادمين من أنحاء سوريا(1).

يشكل عام 1940 البداية الأولى لتأسيس حزب البعث العربي الاشتراكي، وقد بدأت هذه الفكرة بالعمل تحت إسم حركة الإحياء العربي، التي تحولت إلى حركة البعث العربي لاحقاً. وحول هذه البداية ذكر سامي الجندي - من الرعيل الأول في حزب البعث - أنه مع نهاية عام 1939 وبداية عام 1940 كانت في سوريا مجموعتان تعملان على بعث وإحياء الأمة العربية ونهوضها وهما: مجموعة البعث التي أسسها زكي الأرسوزي، التي تأسست في 29 تشرين الثاني / نوفمبر 1940، التي ضمت يومها ستة أشخاص، وبلغ عدد أعضاؤها في جامعة دمشق اثني عشر شخصاً، ومجموعة أخرى أسسها ميشيل عفلق والبيطار التي حملت اسم البعث تارةً والإحياء العربي تارةً أخرى والتي وزعت منشوراً باسم البعث العربي في عام 1941، وقد انفردت عقد جماعة الأرسوزي، و انضموا تبعاً لتنظيم عفلق والبيطار. تواصل دور عفلق سياسياً وتراجع دور الأرسوزي الذي أصبح غير مؤمن بجدوى العمل السياسي وقتئذٍ. أصبح تنظيم البعث المعبر عن القومية العربية في مناخ سياسي يضم تيارات مختلفة(2).

حول البدايات الأولى لتأسيس حزب البعث يقول صلاح الدين البيطار أحد مؤسسي حزب البعث " في أواخر الثلاثينات كنا نوقع النشرات ضد الأوضاع في سوريا وضد الأوضاع العربية تحت اسم الإحياء العربي، وبعد ذلك أثناء الحرب بدأت كلمة البعث تظهر وتتردد على الألسنة من خلال الأحاديث والندوات التي كانت تتعقد في بيوت بعض الطلبة "(3).

مع بداية الأربعينيات أصدر البعث نشرات تارة باسم حركة الإحياء العربي وتارةً أخرى باسم "حركة نصره العراق" حتى استقر باسم البعث العربي عام 1943(4).

كان البعث في سنوات 1940 - 1943 أشبه ما يكون بندوة فكرية يلتف فيها طلاب حول معلمهم، وليس لها بناء تنظيمي.

(1) انظر: قرقوط، نوقان: ميشيل عفلق الكتابات الأولى مع دراسة جديدة لسيرة حياته، ص 39.

(2) انظر: الجندي، سامي: البعث، الناصرة: مطبعة دانيال، (د. ت)، ص 26 - 32.

(3) البيطار، صلاح الدين، والشاعر جمال: ندوة القومية العربية في الفكر والممارسة، ص 36.

(4) انظر: علوش، ناجي: الحركة القومية العربية في مائة عام، ص 314.

في ربيع عام 1941 توترت العلاقات بين بريطانيا ووزارة رشيد عالي الكيلاني وانتهت بإقالتها وتشكيل وزارة برئاسة طه الهاشمي، وجاء الصدام في نيسان / أبريل 1941 حينما التجأ الوصي على العرش عبد الإله إلى القوات البريطانية وانتخب الشريف شرف وصيا على العرش والذي كلف بدوره الكيلاني بتشكيل الوزارة للمرة الثانية، ولاقت الثورة العراقية الدعم من حكومة فيشي الفرنسية الحامية لسوريا في حين بدأت القوات البريطانية والجيش العربي بالهجوم من جهة الغرب على قاعدة الحباينة فكانت الثورة التي قادها وزير الدفاع الرجل الوطني يونس السبعوي و"الرباعي الذهبي" * واندفعت الجماهير تغلي في ثورة، وكانت قوات المفتي الحاج أمين الحسيني، وفوزي القاوقجي تنتظم وتجمع المجاهدين وتقوي الآمال بالثورة التحررية القومية الشاملة، وتألقت لجان نصره العراق في المدن السورية، وقد أقبل حزب الشباب الذي يقوده أكرم الحوراني في نصره الثورة وأقبل السوريون على دعمها بسخاء(1).

وجدت الحركة الوليدة ما يعبر عن احتجاجها على الأوضاع العربية ورفضها للاستعمار من خلال ثورة رشيد عالي الكيلاني عام 1941، ولم يكتف البعثيون عند حدود التأييد، بل أسسوا " حركة نصره العراق "، وكان عفلق قد كتب وثائقها(2).

في هذا الجو الحماسي شكل مؤسسو البعث، وهم: عفلق، والبيطار والسيد حركه ذات تنظيم قائم وأسس ومفاهيم سياسية وقد تناول هذا التنظيم نداءات جرى توجيهها للشعب السوري واسم التنظيم وغاياته والقائمين عليه، ومثلت " حركة نصره العراق " التربة الفكرية للبعث.

وقد أكدت أهمية الوقوف مع العراق لما في ذلك من فوائد روحية وسياسية وقومية ومن غايات التنظيم: تعميم فكرة التنظيم العربي والوحدة العربية، وتعجيل سيرها، وإمدادها بروح جديدة من حرب العراق وطالبت الطلاب بأن يشتركوا في حركة نصره العراق، ويتقاسموا الأعمال ويؤلفوا اللجان ويقوموا بأعمال الدعاية عن طريق الخطابة، والحديث، وتوزيع المنشورات، وبث الشعارات، ومراقبة تطبيق النظام وردع المخالفين، وجمع الإعانات من

* الرباعي الذهبي هم: صلاح الدين الصباغ (سوري)، وفهمي سعيد، ومحمود سلمان، وكامل شبيب.

(1) انظر: الحوراني، أكرم: مذكرات، ص 219 - 220.

(2) انظر: قرقوط، ذوقان: ميشيل عفلق الكتابات الأولى مع دراسة جديدة لسيرة حياته، ص 172.

الطلاب و المعلمين و الشباب و تنظيم التطوع للتطبيب و التمريض، و دعت لتنظيم الحياة في جوانبها المختلفة لخدمة حرب العراق (1).

كان تأثير ثورة العراق كبيراً على قادة البعث، وهي من أكبر الحوافز في قيام البعث و اعتبروا أن فشلها يقضي على الآمال القومية العربية، و أجمعوا على تعديل الأسلوب المتبع من الرد الإقليمي و القطري إلى الرد القومي الشامل و قد أفادت الثورة في شحذ الهمم و الشعور القومي و تعميقه، و إنارة الطريق أمام القيادات و الابتعاد عن الارتجال و النزوات الشخصية (2).

و تابع الرفيقان ميشيل عفلق، و صلاح الدين البيطار نشاطهما إلى أن جاء قرارهما بتقديم الاستقالة من التدريس في 3 تموز 1942؛ بحجة تدخل الإدارة الفرنسية في التعليم، و تحديد المناهج و توظيف الأشخاص حسب مشيئتها و مما جاء في كتاب الاستقالة " إننا بعد الذي لمسناه في فحص الكفاءة من تشويه للحقائق، و ستر أخطاء المسؤولين من موظفي المعارف و اتباع أساليب ملتوية تشبه التأمير، و لما كنا يائسين من أي إصلاح في مصلحة الامتحانات التي تستمر منذ زمن بعيد في أخطائها: - رأينا من الآن فصاعداً عدم الاشتراك في مثل هذه الفحوص و نحن و اعون لعملنا، نتحمل كل تبعاته " (3).

و في عام 1943، جرت انتخابات نيابية في سوريا، و كان الهدف منها إجراء انتخابات ليترسنى لرجال الكتلة الوطنية ممارسة الصلاحيات التي مارسها الفرنسيون، و تنشأ عنها حكومة شرعية و مجلس أمة يحق لهما التفاوض باسم الشعب (4)، و قد شارك في هذه الانتخابات ميشيل عفلق مرشحاً في دمشق، و اصدر بيانه الانتخابي و الذي أفصح عن منهج فكري، و فيه بين عفلق رؤية البعثيين الأوائل تجاه الطائفية، و العائلية و الإقليمية و العروبة و الشيوعية، و الدين و غاية البعث و أسلوب عمله و منهج تفكيره و رؤيته للعلاقة بين المسيحيين العرب و المسلمين و يعتبر هذا البيان بمثابة البيان الأول في تاريخ حركة البعث و توضيحاً لأهدافها التي دخل فيها الانتخابات: " ندخل الانتخابات، لا باسم طائفة، و لا مدينة، و لا مصالح قريبة أو ظروف سياسية عاجلة، بل باسم فلسفة قومية نريد أن تكون إفصاحاً صادقاً عن الحياة العربية في حقيقتها الخالدة تمثل الروح العربية ضد الشيوعية المادية تمثل التاريخ العربي الحي ضد الرجعية الميتة و التقدم

(1) انظر: قرقوط، ذوقان: المرجع السابق، ص 172 - 177.

(2) انظر: السيد، جلال: حزب البعث، ص 38 - 39.

(3) قرقوط، ذوقان: ميشيل عفلق الكتابات الأولى مع دراسة جديدة لسيرة حياته، ص 182.

(4) انظر: قرقوط، ذوقان: المرجع السابق، ص 207.

المصطنع تمثل القومية التامة ... ضد القومية اللفظية التي لا تتعدى اللسان.. تمثل رسالة العروبة ضد حرفة السياسة تمثل الجيل العربي الجديد. " (1).

فشل ميشيل عفلق في الانتخابات، ولكنه حصل على 145 صوتاً، بما يفوق عدد أعضاء البعث يومها (2) .

واصل عفلق والبيطار لقاءهما مع طلاب مدارس التجهيز الثانوية، ومع طلاب الجامعة السورية في سبيل نشر فكرة البعث العربي، وكانت الفئة الطلابية تجمعها روابط التيار الفكري الذي يلتف حول مجموعة مثقفة. ليس لديها برنامج فكري واضح سوى أفكار مثالية تؤكد أهمية الوحدة العربية والعدالة الاجتماعية، وأخذ الشباب المثقف لزام القضية بيده، إلا أن الظروف المختلفة التي أحاطت بالحركة والعمل السياسي اليومي، وخوض المعارك المختلفة ضد جميع القوى السياسية الموجودة دون استثناء من قوميين سوريين ومرورا بالكتلة الوطنية والشيوعيين، وقوى الاحتلال، جعل حركة البعث تعمل على صياغة فكرها، وتبلور اتجاهاتها وتعمل على تنظيم تيارها الفكري(3).

وبحكم التفاعل مع الواقع الموضوعي المعاش كان لا بد أن يهتم البعث بالقضايا المهمة مثل مفهوم الأمة العربية، والوحدة العربية، ثم النظرة إلى الدين الإسلامي والشيوعية تتوافق أو تصطدم مع نظرة الأحزاب الأخرى.

كانت أولى القضايا المهمة التي تصدى لها عفلق في محاضراته على مدرجات جامعة دمشق قضية الدين، إذ ألقى محاضرة بعنوان: " ذكرى الرسول العربي " في الخامس من نيسان/ أبريل عام 1943، والتي تضمنت نظرة توفيقية بين العروبة والإسلام، وبين الثورة والجهاد التي أكدت على رفض الإلحاد، ولقد اعتبرت هذه المحاضرة من المحاضرات القيمة في تاريخ

(1) قرقوط، ذوقان: المرجع السابق، ص 208 – 209.

وانظر أيضاً: بيان تموز 1943 حول المعركة الانتخابية، سلسلة نضال البعث، ج1، ط4، بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، سنة 1976، ص 26 – 29.

(2) انظر: الجندي، سامي: البعث، ص 31.

(3) انظر: دندشلي، مصطفى: حزب البعث العربي الاشتراكي 1940 – 1963، ص 36-37.

البعث التي نشرت في كتيب يحمل عنوان " ذكرى الرسول العربي " ويذكر ياسين الحافظ* أنها كانت وسيلة مهمة في استقطابه للحزب وأشار إلى ذلك في قوله: " إن من البيان لسحرا " والواقع أن البلاغة والحرارة والميتا فيزياء الثورية التي طبعت أسلوب هذا الكراس وأفكاره لعبت بلا جدال دورا كبيرا في تحويله إلى "البيان " الحركة القومية "(1).

ويذكر بعثي من الرعيل الأول في العراق أنه كان حينما يقرأها ويصل جملة علق المشهورة التي قالها " إذا كان محمد كل العرب فليكن العرب محمداً " تتأبه شعريرة وتسريري في عروقه برودة وكأنه يسمع الوحي من جديد، وكان غار حراء أصبح الوطن العربي وفيه تتراءى صفات النبوة والكمال في كل بعثي(2).

وتناول هذا البيان علاقة العروبة والإسلام، واعتبرها كعلاقة الجسد بالروح ونظر للإسلام بمنظور حضاري، وليس مجرد ممارسة شعائري، وربط بين الدين والتراث الحضاري للعرب فهو يمثل أروع صورة للغتهم وأدابهم، واضخم قطعة من تاريخهم والإسلام يمثل تجدد العروبة وتكاملها وكانت رسالة الإسلام مفصحة عن يقظة القومية العربية، ولذا لم يتوسعوا في فتوحاتهم لغرض اقتصادي بل لتأدية واجب ديني أساسه الرحمة والعدل وبذل النفس، وقد حشدت الأمة قوتها فأنجبت محمدا الذي بإمكاننا أن نعيش حياته مادام الفرد ينتمي للأمة التي أنجبته، ولو بصورة جزئية "كنسبة الحصاة إلى الجبل والقطرة إلى البحر"(3).

مع بداية عام 1943 جرى تسمية الحركة الناشئة باسم " حركة البعث العربي "، وقد أسهمت الاعتداءات الفرنسية على لبنان، ومحاولة السلطة في سوريا جعل ما يجري في لبنان قضية محلية وقد أدركت حركة الأحياء العربي أهمية تأسيس حركة سياسية تأخذ على عاتقها

*ياسين الحافظ: ولد في مدينة دير الزور السورية والتحق بالجامعة السورية عام 1949، وفيها تأثر بأفكار البعث وبالماركسية، وفي عام 1963 حضر المؤتمر القومي السادس الذي عقد في دمشق، وطرح مع آخرين تبني النظرية الماركسية، واقترب من الناصرية بعد هجوم أكرم الحوراني على عبدالناصر واتهمه بالقصور في تحرير فلسطين وبعد حرب 1967 أصبح ماركسيا متصالحا مع القومية العربية.

(أنظر: الحافظ، ياسين: الهزيمة والأيدلوجية المهزومة، بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، ط1 1979، ص 7 – 35. بتصرف)

(1) الحافظ، ياسين: الهزيمة والأيدلوجية المهزومة، ص19.

(2) النكيكي، هاني: أوكار الهزيمة تجربتي في حزب البعث، لندن – قبرص: رياض الريس للكتب والنشر، ط 1 1993، ص79.

(3) أنظر: علق، ميشيل: " ذكرى الرسول العربي "، في سبيل البعث، بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، ط17، سنة 1970، ص122-126.

العمل للقضايا العربية مجتمعة ودعت إلى تضافر القوى الشعبية والرسمية في سبيل تحرير سوريا ولبنان(1).

أخذت حركة البعث العربي تشهد توسعا وامتدادا في ضم الشباب إليها، وكما شاركت في المعتزك السياسي السوري أخذت تتضح معالم فكرها الجديد وبرنامجها السياسي، وفي عام 1946 خطت الحركة خطوة مهمة أسهمت في توحيد فكر البعثيين الأوائل، وتمثلت بإصدار صحيفة البعث في عام 1946، والتي عمل البيطار وعفلق محررين فيها، وقد اهتمت بنشر المقالة الفكرية والتحليل السياسي(2).

تبع ذلك قيام المؤتمر التأسيسي الأول الذي عقد في دمشق في 4-6 نيسان / أبريل 1947 والذي بحث قضايا عديدة، وخرج بتشكيل لجنة تنفيذية للحزب أطلق عليها اللجنة التنفيذية وانتخب عفلق عميدا للحزب وعضوية جلال السيد، وصلاح البيطار، وهيب الغانم إلى جانب وضع دستور البعث والذي حدد موقفه من قضايا سياسية واقتصادية واجتماعية(3).

وحضر مؤتمر الحزب قرابة مائة عضو، ومن بينهم أفراد قلائل من العراقيين والأردنيين واللبنانيين، واعتبرت المرحلة السابقة مرحلة تأسيسه اقتصرت على توضيح فكرة القومية العربية والوحدة العربية(4).

(1) لمحة عن حركة البعث العربي، سلسلة نضال البعث ج1، ص171.
(2) انظر دندشلي، مصطفى: حزب البعث العربي الاشتراكي 1940-1963، ص48.
(3) انظر: نضال البعث ج4. المؤتمرات القومية السبعة الأولى 1947 - 1964، ط 3 بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، 1976، ص20.
(4) انظر: علوش، ناجي، وآخرون: الحركة القومية العربية في مائة عام، ص 314.

(3) موقف حزب البعث العربي الاشتراكي من القضية الفلسطينية 1945 - 1948م

إهتم حزب البعث العربي الاشتراكي بالقضية الفلسطينية منذ نشأته، وتلك الاهتمامات التي ابتدأت منذ منتصف الأربعينيات تقريبا، و تمثلت أولى اهتماماته في الرسالة التي وجهها في 10 آب / أغسطس 1944 إلى المعتمد السياسي الأميركي في سوريا، وفيها ينتقد البعث قرار الحزب الديمقراطي الأميركي بشأن فتح باب الهجرة اليهودية إلى فلسطين واتخاذها وطنا قوميا لليهود، و يرى في هذا الموقف حائلا يقف دون التفاهم والصدقة بين العرب والأمريكان، ولا تقل خطورته عن وعد بلفور(1).

تكررت رسائل قادة البعث، ففي 23 آذار/ مارس 1945 أرسلت قيادة الحزب رسالة إلى وزير أميركا المفوض في سوريا، وكانت رداً على عزم الرئيس الأميركي روزفلت فتح أبواب فلسطين للهجرة اليهودية، وفيها ذكر البعث بمبادئ ويلسن الأربعة عشر؛ المبادئ التي أعلنت أميركا الحرب في سبيل تحقيقها، ووجه اللوم للولايات المتحدة على موقفها المعادي للعرب وحقهم الصريح في عروبة البلاد وأكدت الرسالة أنها تتطرق باسم العرب القوميين(2).

وفي بياناته اللاحقة، وسع دائرة اهتماماته و انتقل من الحديث عن سوريا الطبيعية إلى تناول مشاكل العرب عامة.

أصدر قادة البعث في مجلس الحزب المنعقد في 14 كانون الأول / ديسمبر 1945 بياناً بعنوان "مشاكل العرب السياسية" أفرد فيه لكل قطر عربي خلاصة عاجلة لأبرز مشاكله وتناول الجامعة العربية، ودعا إلى قيام جامعة شعبية عربية وشدد في بيانه على عروبة فلسطين في إطار وحدة سوريا الطبيعية، وربط مصلحة العرب العليا بقيام حكم دستوري، وأن يسعوا للنظام الجمهوري كغاية، وفي الشأن الفلسطيني فقد رفض مشروع بيفن الذي يقر هجرة اليهود، والذي نادى بحرمان شعب فلسطين من إقامة دولة وتركها تحت وصاية الدول الأجنبية وطالب دولتي بريطانيا والولايات المتحدة أن يؤمنا بحق العرب في فلسطين بنيلهم استقلاليتهم وحريتهم، وفي تحليله لنشوء الجامعة العربية، فهي مصابة بضعف في نقطتين مهمتين، وهما: - تأسيسها في ظرف معينة وملابس خاصة بعد تصريح وزير خارجية بريطانيا، ثم مشاركة حكومات

(1) انظر: رسالة 10 آب 1944 كتاب إلى المعتمد السياسي الأميركي في سوريا، سلسلة نضال البعث، ج1، ط4 1976، بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، ص 33- 34.

(2) انظر: رسالة 23 آذار 1945 إلى وزير أميركا المفوض حول قضية فلسطين، سلسلة نضال البعث ج1، ص 49.

رسمية ترتبط ببريطانيا بمعاهدات والتزامات، ولذلك فإن قيام جامعة شعبية عربية يحمي الشعب من السياسات الأجنبية والخضوع لها(1).

في يوم الجمعة الثاني من أيار / مايو 1946، دعا الحزب إلى الإضراب بمناسبة قدوم اللجنة الإنجليزية - الأميركية*، ووجه البعث بيانه للشعب وتناول مقترحاتها في إباحة الهجرة وبيع الأراضي لليهود، ورفض قيام حكومة عربية وإنكارها للحق العربي القومي في فلسطين ولذا أعرب عن استنكاره بإضراب عام شامل داعياً أن تكون المناسبة "فاتحة لتجديد عهد الجهاد المقدس في سبيل فلسطين"(2).

جاء صدور صحيفة البعث في سوريا في الثالث من تموز/ يوليو 1946، ليقدّم وسيلة إعلامية ناطقة بلسان البعث، وكان مديرها المسؤول البيطار والمدير السياسي علق، وهي صحيفة تأخر ترخيصها، وماطلت السلطة في إصدار رخصتها منذ عام 1943(3).

قدمت الصحيفة تحليلات، ومواقف، وتصريحات لقادة البعث حول فلسطين واتسمت بطابع سياسي فكري وأيديولوجي، كما يظهر من سلسلة نضال البعث في أجزائه المختلفة.

جاء في افتتاحية صحيفة البعث المنشورة بتاريخ 10 تموز/ يوليو 1946 انتقاد لموقف الحكومة السورية من القضية الفلسطينية التي اقتضت معالجتها للقضية على إرسال المذكرات للحكومة البريطانية والولايات المتحدة الأميركية، وقد تساءلت البعث عن سبب إهمال تطبيق المقاطعة الاقتصادية على الصهاينة، وفي مقالها بينت أن الحكومات العربية لا تمثل هذه الملايين من العرب، ولا تستند على تأييدها(4).

ظلت المقالات ومواقف قادة البعث تربط بين فضح الحكومة السورية، واثمها بتزوير الانتخابات، وضعفها في معالجة القضايا العربية، ويحذر الحزب من خطر الديكتاتورية، و

-
- (1) انظر: بيان 14 كانون الأول 1945 مشاكل العرب السياسية، سلسلة نضال البعث ج1، ص 83 - 89.
 * جاءت إلى فلسطين لجنة إنكليزية - أميركية، واقتُرحت إدخال 100 ألف مهاجر صهيوني، ورفضت إقامة حكومة فلسطينية، وردت الأحزاب السورية بالدعوة للإضراب، وكذلك فعل البعث الشيء نفسه.
 (2) انظر: بيان 2 أيار 1946 لتكن نصره فلسطين أول امتحان لاستقلالنا، سلسلة نضال البعث، ج1، ص 96.
 (3) انظر: الباقوري، عبدالعال: رباعية فلسطينية، بوابة مصر الشرقية، البعث وفلسطين حتى عام 1958. كذبة صهيونية. سقوط القدس، ط أولى. بيروت: دار الفكر الحديث، 1996، ص 96-97.
 (4) انظر: افتتاحية 10 تموز 1946 علة الضعف في سياستنا الخارجية، سلسلة نضال البعث ج1، ص 103.

يطالب بإبعاد هذه السلطة عن مركز القرار السياسي، ويذكر بما تتعرض له فلسطين طارحاً حارده
حيال القضية.

أصدر " مجلس الحزب " بيانا بعد اجتماع فروعه خلال يومي 19 و 20 أيلول / سبتمبر
1947 وفيه أعلن أنه حزب قومي عربي يؤمن بأن وحدة العرب لا تتجزأ، ويربط بين السياسة
السورية ومصالح الأمة العربية العليا، كما تناول أزمة الحكم التي هي بسبب سيطرة فئة على
السلطتين التشريعية والتنفيذية، و ينفي عملها الحياة الدستورية، وقد وصلت هذه الفئة للسلطة
متذرة بوجود الأجنبي، واعتمادها على قانون انتخابي قديم، ولذا يحذر الحزب من خطر
الديكتاتورية الدايم، ويعتبر البعث أن التحرر لن يتحقق بدون تحقيق الحكم الدستوري والنظام
الجمهوري، واستعرض مشاكل سوريا الكبرى: وأهمها قضية فلسطين التي تتطلب تنفيذ
الحكومات العاجل من تعبئة قواها المسلحة و إزالة العقبات التي تقف دون الشعب و تكتله
وتسلحه للجهاد في فلسطين والبعث يضع نفسه في طليعة كتائب الجهاد وهو على استعداد
للتعاون المخلص مع الهيئات الشعبية لإنقاذ فلسطين(1).

انتقد البعث الحكومة السورية التي اقتضت على إرسال المذكرات، والاحتجاجات، و
فضح سياسة الحكومة وتقصيرها، ودعا إلى ممارسة العنف الثوري مع إسرائيل.

وقد وضح علق أن للصهيونية عقلية ناضجة، وهي حركة ذات تنظيم شعبي وتمتاز بأن
لها عقيدة متينة، وأنها توحى لليهود بالتضحية والإقدام، وإلى زعمائها بالتحرك والصلابة،
وتطبع الحركة في مجملها بطابع القوة والإقدام، ولما كان طابع هذه الحركة شعبيا فان مواجهتها
من قبل العرب بالضرورة يجب أن تكون شعبية، ففي السادس من آب / أغسطس 1946،
صدرت افتتاحية صحيفة البعث بعنوان: "لا ينتظرن العرب ظهور المعجزة، فلسطين لا تحررها
الحكومات بل العمل الشعبي"(2).

ظل طابع النضال البعثي ضد الصهيونية يتراوح بين البيان السياسي، والمقالة الافتتاحية
في جريدة البعث، ويطالب الحكومات بصورة متكررة العمل من أجل قضية فلسطين، وينتقد

(1) انظر: بيان مجلس الحزب حول مشاكل سوريا لداخلية ومشاكل الوطن العربي فضح أزمة الحكومة وتعديل الدستور
وتروير الانتخابات ومعالجة مشاكل البلد العربية، سلسلة نضال البعث ج 1، ص 198 – 208. (بتصرف)

(2) فرزات، حرب: الحياة الحزبية في سوريا، دراسة تاريخية، الأحزاب السياسية وتطورها بين 1908 – 1955، ص
240.

سياساتها ويشرح أخطاءها، ويبين مخاطر تهويد فلسطين على استقلال الدول العربية ووحدةها، وهكذا ظل البعث أسير مشاعره دون أن تمكنه قواه من نقلها إلى دنيا الواقع، وربما يعود ذلك إلى أن عدد منتسبيه كان قليلا كما أن السلطة السياسية نجحت في إلهاء الرأي العام عن قضية فلسطين وصرفه عن ممارسة ضغطه على الحكم(1).

في الأول من نيسان/ أبريل 1947 عقد المؤتمر القومي الأول لحزب البعث العربي الاشتراكي وفيه صدرت مجموعة مواد أطلق عليها اسم الدستور، التي تتضمن بنودا ومواقف تتعلق بالقضية الفلسطينية.

من أبرز هذه البنود البند القائل بـ "النضال ضد الاستعمار الأجنبي لتحرير الوطن العربي تحريراً مطلقاً كاملاً"(2).

وفي المادة الحادية عشر: - "يجلى عن الوطن العربي كل من دعا أو انضم إلى تكتل عنصري ضد العرب، وكل من هاجر إلى الوطن العربي لغاية استعمارية"(3).

وجاء عن المعاهدات مع الدول الأجنبية: - "لما كان الشعب العربي وحده مصدر كل سلطة لذلك تلغى كل ما عقده الحكومات من معاهدات واتفاقات وصكوك تخل بسيادة العرب التامة"(4).

شكل قرار تقسيم فلسطين في 29 تشرين الثاني/ نوفمبر 1947 بمثابة صدمة للشعب السوري، وقد هاجمت الجماهير السفارات الأميركية، والبلجيكية، والسوفيتية، ومقر الحزب الشيوعي، واعتبر الشيوعيون عملاء السوفييت لتأييدهم قرار التقسيم(5).

عارض البعث قرار التقسيم، وصدرت مواقف لصالح الدين البيطار في صحيفة البعث عبرت عنها مقالة حول مخاطر الصهيونية وأثر التقسيم، الذي جاء فيه "تقطيع أوصال الوطن

(1) انظر: الباقوري، عبدالعال: رباعية فلسطينية، ص 83.

(2) دستور حزب البعث، بغداد: دار الحرية للطباعة، 1993، ص 11.

(3) المصدر السابق، ص 12.

(4) المصدر السابق، ص 17.

(5) انظر: الباقوري، عبدالعال: رباعية فلسطينية، ص 81.

العربي وتمزيق شمل الوطن العربي وصعوبة بناء الكيان القومي لدرجة الاستحالة... التقسيم سيقضي على حلم الشعب العظيم بالوحدة العربية... فاستقلال البلاد العربية نفسه مهدد بالخطر. لأن فلسطين في برنامج اليهود ليست سوى رقية جسر ونقطة ارتكاز ينطلقون منها لتأسيس الوطن الصهيوني الذي لا يقف إلا عند حدود الفرات والنيل (1).

حُمّل حزب البعث الحكومات النصيب الأكبر في المسؤولية الملقاة على عاتقها للتحريض؛ بعد أن أوضح طبيعة المخاطر المتمثلة بمخاطر استراتيجية واجتماعية واقتصادية، وبين السبل التي على العرب شعوبا وحكومات أن يتبعوها، وطالب الحكومات العربية وجامعة الدول العربية بمعارضة التقسيم وتعبئة إمكاناتها المادية والمعنوية في الوطن العربي لسحق الصهيونية(2).

واصل حزب البعث شارحا ومنبها إلى المخاطر المحدقة بفلسطين وشكل مكتب فلسطين الدائم وصدرت له بيانات تحمل العناوين التالية: "من حزب البعث العربي إلى الأمة العربية دقت ساعة الفصل ولن تتخذ فلسطين الا بالحديد والنار" (3).

وكذلك رد على مشروع تقسيم فلسطين "الشعب العربي لن يكتفي بإلغاء مشروع التقسيم بل يعتزم القضاء الأبدي على الصهيونية في فلسطين" (4).

وفي سياق الرد على صدور قرار التقسيم، قرر حزب البعث في مجلسه المنعقد بمدينة حمص في سوريا في يومي الخميس والجمعة الواقعين في 15 و16 كانون الثاني/ديسمبر 1948 تجنيد جميع أعضائه للاشتراك في المجهود الحربي في داخل البلاد العربية أو في الخطوط الأمامية لفلسطين. وشاركت قيادة لجنة الحزب التنفيذية في هذا المجهود(5).

توجه ميشيل عفلق وصلاح الدين البيطار، وفيصل الركابي، وشبلي العيسمي، ووهيب الغانم وآخرون إلى جبهة الحرب على أنهم مراسلون حربيون لجريدة البعث، فحملوا المسدسات

(1) انظر: "إنقاذ فلسطين والتعبئة الإجماعية"، سلسلة نضال البعث، ج 1، ص 217.

(2) انظر: المرجع السابق، ص 218.

(3) انظر: المرجع السابق، ص 215.

(4) انظر: المرجع السابق، ص 222.

(5) انظر: "الشعب العربي لن يكتفي بإلغاء مشروع التقسيم بل يعتزم القضاء الأبدي على الصهيونية في فلسطين، في سلسلة نضال البعث ج 1، ص 223.

والمناظير المكبرة وآلات التصوير، وتطوع أغلب الأعضاء في جيش الإنقاذ الذي أشرفت جامعة الدول العربية عليه، الذي كان يقوده فوزي القاوقجي (1).

أرسل عفلق مقالا من جنين نشرته صحيفة البعث بعنوان "إنقاذ فلسطين" وفيه حذر من الأسلوب الدفاعي المصطنع في الحرب مع العدو، وألمح إلى النواقص والأخطاء التي شاهدها في الجبهة الداخلية ورغم ذلك حاول عفلق أن يصيغ المعركة بطابع التفاؤل، وأن جنود الشباب العربي تخطت المصاعب والعقبات التي تجري (2).

وفي مقال آخر نشره عفلق في الثامن من أيار/ مايو 1948 بعنوان "فلسطين جزء من مأساة الوطن العربي العامة"، أظهر تشاؤمه من الرد العربي: "ليست هي الفاجعة الأولى ولن تكون الأخيرة"، وقد عزي عوامل النصر إلى: "أن في الجبهة المعادية شعبا منظما على أحدث قواعد العلم، ويستثمر وقته و(أرضه) بأقصى ما يستطيع فيدر عليه الرزق شعور التفاؤل" (3).

ويحلل وهيب الغانم الجبهات المتقابلة في المعركة ومستوى تعبتتها الاجتماعية واعتبر أن الأساس فيها هي حرية الفرد التي يمتلكها، وهو ما يدفع العدو للإنتاج والتقدم حيث قال: "في جبهة العدو عدد قليل، ولكنه يحكم ويملك، وهو في سبيل ملكه وحريته يبذل كل ما يستطيع فينتج أقصى الأرقام رغم بنيانه الواهي ونفسيته الضعيفة المستخذية" (4).

ظل البعث يكافح على جبهتين وهما: النضال من أجل الديمقراطية داخل القطر السوري والتبنيه للخطر الصهيوني، ويحمل الطبقة الإقطاعية الحاكمة مسؤولية الهزيمة، ويطالب بانتخابات حرة نزيهة.

(1) الباقوري، عبدالعال: رباعية فلسطينية، ص 83.

(2) انظر: "مقال 8 أيار 1948 إنقاذ فلسطين"، سلسلة نضال البعث ج 1، ص 240 - 241.

(3) انظر: "مقال 8 أيار 1948 فلسطين جزء من مأساة الوطن العربي العامة، سلسلة نضال البعث ج 1، ص 241 - 242.

(4) انظر: سلسلة نضال البعث ج 1، ص 244.

أستشهد من البعثيين في الحرب كل من: مأمون البيطار ومحمد جديد وفتحي الأناسي ومحمد صقال (المرجع السابق نفسه).

تناول الحزب في بيانه الصادر في 7 أيلول/ سبتمبر 1948 السلطة الحاكمة التي عجزت في ساحة الحرب مع الاحتلال الصهيوني، وبعد أن مر عليها خمس سنوات في الحكم، علق البعث في بيانه " لقد استأثر بالحكم في السنوات الخمس الأخيرة فئة من محترفي السياسة الذين يمثلون مصالح الإقطاعيين وعقليتهم، ويعتبرون الدولة ملكا خاصا لهم ولذويهم وحواشيهم... تركوا الأوضاع الفاسدة على حالها، وأمعنوا في استغلالها... تعدى الفساد نطاق الشؤون الداخلية البحتة، وكانت معركة فلسطين مناسبة لظهور بعض المؤامرات التي كان جيش البلاد أولى ضحاياها " (1).

وفسر حزب البعث أسباب هزيمة العرب في الحرب العربية - الاسرائيلية عام 1948 فعزاها إلى أوضاع العرب، وضعف الوعي السياسي والتنظيمي، وضعف الإمكانيات الاقتصادية والعسكرية، وتبعيتها للدول المتآمرة على العرب، ثم أوضاع التجزئة، وسيطرة الإقطاعيين، وعملاء الحكم الأجنبي (2).

(1) انظر: " بيان 7 أيلول 1948 في سبيل دفع النكبات عن البلاد يجب تبديل الحكومة وإجراء انتخابات جديدة، سلسلة نضال البعث ج 1، ص 245.

(2) انظر: النضال من أجل عروبة لبنان وتحرره واشتراكيته حتى تقديم ميثاق الحزب إلى الحكومة، سلسلة نضال البعث، ج 8، ط 1، 1972، ص 172.

الفصل الثاني

نشوء حزب البعث في فلسطين: نموه وتوسعه بين عامي 1948- 1958 م

- 1) تبلور الإطار التنظيمي السياسي للبعث في المملكة الأردنية الهاشمية
- 2) تأسيس حزب البعث في قطاع غزة.
- 3) أبرز الأوساط الاجتماعية التي انتشر فيها حزب البعث
 - أ) المعلمون والطلاب
 - ب) القضاة، ورجال القانون وكبار الموظفين
 - ت) الأندية الرياضية والثقافية والكشافة
 - ث) العمال والفلاحين
 - ج) الحركة النسوية
 - ح) مجلس النواب
 - خ) قطاع الجيش
 - د) حكومة سليمان النابلسي
- 4) عدد أعضاء الحزب و توزيعهم الجغرافي
- 5) وسائل ومصادر الدعاية و التعبئة
 - أ) التمويل
 - ب) المطبوعات
 - 1) المطبوعات الصحفية
 - 2) البيانات الحزبية
 - 3) أدبيات فكرية و مواد إعلامية أخرى
 - ج) تجنيد القوى والتحالفات السياسية لمصلحة البعث
 - ح) إدارة الانتخابات البرلمانية
- 6) علاقة القيادة القطرية في المملكة الأردنية بالقيادة القومية لحزب البعث في دمشق
- 7) تسلسل المراتب التنظيمية في حزب البعث
- 8) علاقة حزب البعث بحكومتى الأردن ومصر حتى عام 1958

1) تبلور الإطار التنظيمي السياسي للبعث في المملكة الأردنية الهاشمية

شهدت الأردن وفلسطين في النصف الثاني من أربعينيات القرن العشرين، جملة أحداث مهمة دفعت مجتمعة نحو ظهور أحزاب وحركات وتنظيمات وجماعات شعبية معارضة، نادت بتحرير المحتل من الأرض العربية، وتحقيق الوحدة العربية والتقدم الاجتماعي.

كانت أبرز هذه التطورات المعاهدات التي عقدت بين الأمير عبد الله والبريطانيين، ومنها معاهدة التحالف والصداقة الأردنية - البريطانية في 22 آذار/ مارس 1946، وبموجبها ألغيت الاتفاقية الأردنية البريطانية الموقعة في 20 شباط / فبراير 1928 ونصت على وجوب التشاور المشترك والصريح، والتحالف الوثيق بجميع الأمور المتعلقة بالشؤون الخارجية، وإقامة التمثيل الدبلوماسي بين البلدين وفق الأصول المرعية، كما وعدت الحكومة البريطانية بتقديم مساعدة مالية إلى الأمير عبدالله لتسديد تكاليف الأقسام الحربية في قوات الجيش العربي، وقيدت المعونة بشروط منها: أن يتفق الطرفان المتعاقدان في كل سنة على تحديد قوة الأقسام الحربية في القوات المسلحة الأردنية، ويجوز لبريطانيا أن تختار المواقع المناسبة لإقامة قوات بريطانية مسلحة في شرق الأردن، ويقدم أمير شرق الأردن من جانبه جميع التسهيلات الضرورية لإيواء هذه القوات وصيانتها وخبز ذخائرها ومعداتنا واستئجار أي أرض تلزم حسب الضرورة، وبالمقابل اعترفت بريطانيا بإمارة شرق الأردن دولة مستقلة وبالأمر عبد الله ملكاً عليها(1).

قوبلت هذه المعاهدة بمعارضة شعبية داخل البرلمان وخارجه ففي داخل مجلس النواب انتظم عقد المعارضة في " الكتلة المستقلة " التي قدمت بياناً في 24 كانون الأول / ديسمبر 1946، وطالبت فيه: 1) تعديل هذه المعاهدة، باعتبار ذلك مطلباً من المطالب القومية. 2) إلغاء الملحق العسكري منها(2).

وأهاب الحزب العربي الأردني بالشعب أن يوحد جهوده، ويقدم احتجاجه تجاه المعاهدة، و طالب بجلاء الجيوش الأجنبية عن الوطن العربي والتعاون مع الأقطار العربية الشقيقة داعياً إلى وضع دستور ديموقراطي، و فصل السلطات، واستتكر توقيع المعاهدة من قبل الأمير

1) انظر: محافظة، علي: العلاقات الأردنية - البريطانية من تأسيس الإمارة حتى إلغاء المعاهدة 1921 - 1957، بيروت: دار النهار للنشر، 1973، ص 130 - 133.

2) انظر: محافظة، علي: المرجع السابق، ص 139.

عبدالله، الذي اعتبره فرداً لا يملك هذا الحق داعياً إلى قيام نظام نيابي دستوري بدلاً من نظام الانتداب(1).

تعرضت هذه المعاهدة إلى الانتقادات المريرة، من قبل الوطنيين الأردنيين و عدد من الساسة العرب، " وهاجمتها الصحافة العربية هجوماً شديداً "، فتضايقت حكومة الأردن، وأعربت لدى حكومة بريطانيا، عن رغبتها في تعديل بعض بنودها. عقدت معاهدة أخرى في عمان في 15 آذار/ مارس 1948، وروعي في هذه المعاهدة أن تتسجم أحكامها مع مبادئ ميثاق الأمم المتحدة ومواصلة تمتين عرى العلاقة والصداقة بين بريطانيا والأردن، وتثبيت العلاقات على أسس ثلاث الصداقة بينهما وأن يتعاون الطرفان كل حسب جهده مع مراعاة السلم والأمن الدوليين، وما نص عليه ميثاق الأمم المتحدة.(2)

كانت معاهدة 1948 في مضمونها إعادة صياغة للمعاهدة التي عقدت عام 1946 بما تضمنته من الحفاظ على مصالح بريطانيا، والإبقاء على الوجود العسكري البريطاني في شرق الأردن، وضمت الدفاع عن المواقع العسكرية البريطانية في قناة السويس، وفي العراق واعتبرت هذه المعاهدة حجر عثرة في طريق الحركة القومية العربية، التي ناصبت بريطانيا العداء منذ حرب فلسطين عام 1948.(3)

وقد واكبت هاتان المعاهدتان اللتان وقعتها أمير الأردن مع بريطانيا، الأحداث المتسارعة التي مرت بها القضية الفلسطينية، بحيث أثرت لاحقاً في ظهور الحركات الشعبية المعارضة. كما كان لها تأثير على القرارات الدولية المتعلقة بالقضية الفلسطينية التي كان أهمها في تلك المرحلة قرار التقسيم الصادر عن هيئة الأمم المتحدة بتاريخ 29 تشرين ثاني / نوفمبر 1947، الذي قوبل برفض عربي. في الوقت الذي استطاعت فيه إسرائيل فرض التقسيم كأمراً واقع على الأرض؛ بهزيمتها للجيش العربي والحصول على أراض أكثر مما قرر لها قبل الهدنة وبقوة السلاح(4).

(1) بيان من الحزب العربي الأردني إلى الشعب الأردني الكريم، مجلة الغد، ع 34 السنة الثانية، 3 كانون الثاني 1946، القدس: دار الأيتام الإسلامية، ص10.

(2) انظر: محافظة، علي: العلاقات الأردنية - البريطانية، ص167، و 169.

(3) انظر: محافظة، علي: المرجع السابق، ص172.

(4) انظر: العقاد، صلاح: من فصول المشرق العربي المعاصر، مكتبة الأنجلو - المصرية 1983، ص418.

كان تأثير الهزيمة قوياً في نفوس الجماهير العربية، والقيادات الشابة مثل: الضباط في الجيوش العربية، إضافة إلى القيادات الشعبية، وكانت الهزيمة، مدار تحليل وهجوم وانتقاد مختلف القيادات، وبدأ كل طرف يبحث في أسبابها، ويعلل أسباب الهزيمة ونتائجها(1).

انتهت حرب فلسطين عام 1948 نهاية مفاجئة بعد أن خطط لها البريطانيون، وقد تبعها تناقض المواقف والاستراتيجيات بين حكومة عموم فلسطين، وبين الحكومات العربية وقد حرض الأردن شخصيات فلسطينية على عقد مؤتمر أريحا المؤيد لسياسة الملك عبد الله وطالب المؤتمر بضم فلسطين للأردن، كذلك قامت السلطات بطرد الحاج أمين الحسيني من قطاع غزة، وتحولت قضية فلسطين إلى قضية لاجئين، وتحولت إلى قضية حدود ورغم ذلك ظلت نار الوطنية تتقد في النفوس وفي هذه الأجواء تحرك ضباط الجيش لعمل انقلابات كما صعدت تيارات سياسية جديدة متعددة منها: الشيوعيون، البعثيون والقوميون العرب، والقوميون السوريون، وجماعة الإخوان المسلمون، وحزب التحرير الإسلامي، إلا أن التيارات القومية العربية استقطبت اهتمام الفلسطينيين(2).

أسهمت هذه التطورات في إيجاد أرضية، وقاعدة مناسبة، ومناخ ملائم في نمو وظهور الأحزاب والحركات السياسية الجديدة، ومنها حزب البعث في فلسطين والأردن، وكذلك تبلور وتعزيز نشاطات الأحزاب المختلفة في أوساط الفلسطينيين التي كانت دافعاً للتغيير.

جرى في 4 نيسان / أبريل 1947 عقد مؤتمر قومي تأسيسي لحزب البعث العربي الاشتراكي في سوريا ، وحضره عدد من الطلبة العرب، كان من بينهم طلاب أردنيون عرف منهم أمين شقير، وحمد الساكت. وبعد رجوعهما إلى الأردن أخذوا يؤسسان حلقات البعث في الضفة الشرقية، والتي انضم إليها منيف الرزاز ، وعبدالرحمن شقير، وسليمان الحديدي(3).

1) انظر: علوش، ناجي: فكر حركة المقاومة الفلسطينية (1948 — 1987)، فلسطين: لجنة تراث بيرزيت، 1993، ص 14.

2) أبراش، ابراهيم: البعث القومي للقضية الفلسطينية، ص 83 — 85.

3) انظر: محادين، موفق: الأحزاب والقوى السياسية في الأردن 1927 — 1987 ببلوغرافيا بيروت: دار الصداقة للطباعة والنشر، ط 1988، ص 42

وأيضا: العيسمي، شبلي: حزب البعث العربي الاشتراكي مرحلة النمو والتوسع ج2، 1949 — 1958. بيروت: دار الطابغة، 1979، ص 91.

وفي العام الذي تلاه قام عبدالرحمن شقير، وراضي الشخشير، وسليمان الحديدي بزيارة بهجت ابوغربية في القدس، وبعد سلسلة زيارات متكررة عرضوا عليه الانتساب إلى الحزب في تموز/ يوليو 1949، حيث استجاب لطلبهم وكان من أوائل المنتسبين في الضفة الغربية لحزب البعث، رغم أن بعض الشباب الفلسطيني الذين أقاموا في الضفة الشرقية سبقوه إلى ذلك (1).

إلى جانب الحلقة التي أسسها أبو غربية في القدس، كانت هناك حلقة بعثية تعمل في طولكرم منذ كانون الأول/ ديسمبر 1948، وتضم طلابا درسوا في الجامعة الأمريكية في بيروت وهؤلاء تعرفوا على فكر حزب البعث بعد اختلاطهم بشعبة بيروت، في لبنان، وهم صبري قندح، ومالك الحاج ابراهيم ومحمود الخواجا، وانتسب إلى حلقتهم خالد درزي (2).

انتشرت في الضفة الغربية مجموعات مختلفة تحمل اسم البعث: إحداها يرتبط بحزب البعث الأردني والثانية تعمل في رام الله والقدس، وتحمل اسم جماعة البعث في رام الله، وقد عملت هذه المجموعات المختلفة في مجتمع فلسطيني متعطش للتغيير، ويرفض الهزيمة التي سببتها الأنظمة الرجعية العربية. كانت " جماعة البعث " في رام الله والقدس عبارة عن مجموعة أشخاص غير منتسبين إلى أحزاب سياسية، ولكنهم تأثروا بتيار المعارضة الشعبية، وتميزوا بالمستوى الثقافي العالي، وحلقت حول صحيفة "البعث"، التي أصدرها في مدينة القدس في آذار/ مارس 1949 (3).

بعد عقد الهدنة الثانية عام 1949 بين الأردن والكيان الصهيوني، تعرف عبدالله الريملي وعبدالله نعواس، وكمال ناصر، على الضابط الأردني عبدالله التل، الذي كان حاكما عسكريا لمدينة القدس، وحمل روح المعارضة للنظام الأردني، وقد سهل لهم إصدار صحيفة البعث التي

(1) مقابلة أجريت بتاريخ 14 / 7 / 1998 مع مالك الحاج ابراهيم عضو بلدية طولكرم المنتخب عام 1976، من الرعييل الأول للبعث.

وأيضا: مقابلة أجريت بتاريخ 14 / 7 / 1998، مع الطبيب خالد درزي من الرعييل الأول لحزب البعث في مدينة طولكرم.

(2) انظر: أبو غربية، بهجت: رسائل مطبوعة أرسلها للباحث في 27 تموز 1998.

وأيضا: مقابلة أجريت بتاريخ 20/9/1999م مع عياد المالكي من الرعييل الأول في حزب البعث بمدينة رام الله.

(3) انظر: التل، عبد الله: كارثة فلسطين، ط2، فلسطين - أم الفحم: دار الهدى 1990، ص 569.

وأيضا: سيلع، أبرهام: حزب البعث في الضفة الغربية تحت الحكم الأردني، القدس: الجامعة العبرية، 1984، ص 9. (باللغة العبرية)

حررها الريمائي ، وأتاح لهم الإطلاع على خفايا السياسة الأردنية، وشجعهم على توجيه الانتقادات للحكم الأردني(1).

ضمت "جماعة البعث" في رام الله ، والقدس أشخاصا عرفوا بنضالاتهم الوطنية فبعضهم عمل في مكاتب الدعاية العربية، أو مثل فلسطين في جامعة الدول العربية، وإنشاء مشاريع صناعية لتطوير أحوال المزارع والفلاح الفلسطيني، مثل موسى العلمي، وبعضهم شارك مع عبدالقادر الحسيني في تنظيم الجهاد المقدس، ومع جيش الإنقاذ، ومن بينهم: عبد الله الريمائي ، وعبدالله نعواس، وكمال ناصر، وأنور الخطيب(2).

تضامن مع هذه المجموعة عدد آخر من المثقفين الفلسطينيين منهم: أنور الخطيب، وبرهان الدجاني ، ويحيى حمودة(3).

لاقت صحيفة البعث الدعم والتأييد المالي والمعنوي من الزعيم الفلسطيني موسى العلمي مؤسس المشروع الإنشائي العربي في أريحا(4).

كان العلمي صاحب "كتاب عبرة فلسطين" من أوائل من تعرضوا لتحليل أسباب الهزيمة والذي تشابهت أفكاره مع أفكار "جماعة البعث" ، وكانت عناصر التشابه معها في مطالبته في الوحدة العربية والتغيير الاجتماعي ردا على التجزئة العربية و القضاء على التخلف، وبين العلمي في كتابه أن الشعب بحاجة إلى الحصول على حقوقه كاملة(5).

قدم عبد الله التل المواد الإعلامية للصحيفة، وسرب أخبار الاتصالات الجارية بين الملك عبد الله ، وموسى شاريث أول رئيس وزراء إسرائيلي، و بدوره قام عبدالله الريمائي بفضح سياسة النظام الأردني وكانت واحدة من المسائل التي تعرض لها في صحيفته مسألة تسليم أراضي (المثلث العربي الفلسطيني) التي تسلمتها الحكومة الأردنية من القوات العراقية بعد

(1) انظر: التل، عبدالله: كارثة فلسطين، ص 569 – 570.

(2) انظر: سيلع، أبرهام: حزب البعث في الضفة الغربية، ص 9.

(3) انظر: نسيبة، حازم زكي: تاريخ الأردن السياسي المعاصر، عمان: منشورات لجنة تاريخ الأردن 1990، ص 85-86.

(4) انظر: سليمان، سهيل: كمال ناصر الشاعر والأديب السياسي، بيروت: دار الأصاله 1986 ص 166.

(5) انظر: العلمي ، موسى: عبرة فلسطين، بيروت: دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع 1949، ص 44 و 70 و 80. وأيضا: علوش، ناجي: فكر حركة المقاومة الفلسطينية (1948 – 1987)، ص 14 – 15.

انسحابها، وتخلت حكومة الأردن عنها في اتفاقية رودس نيسان 1949، و لمصلحة إسرائيل، وفي هذه المناسبة أصدر الريمائي صحيفته، وبها مقال بعنوان: "إني لأرى رؤوساً قد أُبْنعت وحن قطافها"(1).

وفي أعقاب نشر هذا المقال أصدرت الحكومة الأردنية قراراً بإغلاق صحيفة البعث وأرسلت التعليمات إلى عبدالله التل كي ينفذها لكن التل لم يأبه بالقرار وواصلت الصحيفة نشر مقالاتها اللاذعة ضد الملك عبدالله(2).

وفي إطار العلاقة بين جماعة البعث وتائد الجيش الأردني عبد الله التل بحثت مسألة إسقاط النظام الأردني، وإجراء انقلاب عسكري، وقد غذى تلك الفكرة نجاح الانقلاب الذي قام به حسني الزعيم في سوريا يوم 30 آذار/ مارس 1949 وبحثت المسألة بين عبد الله التل، وعبد الله الريمائي وتقي الدين النبهاني، وتوجه الريمائي والنبهاني إلى دمشق بايعاز من عبدالله التل، وحدثت هذه الجهود قبل أن يفر التل لاجئاً سياسياً إلى مصرفي العاشر من تشرين الأول / أكتوبر 1949(3).

أغلقت صحيفة البعث في شهري أيار وحزيران 1949، في أعقاب اندلاع التظاهرات الشعبية العنيفة في الضفة الغربية، ثم بسبب كتابة كمال ناصر مقالا في البعث حول تسليم "المتلث العربي الفلسطيني" فسجن 18 يوماً(4).

أطلق سراح عبدالله نعواس في نيسان / أبريل 1949، وبعدها بشهر واحد أطلق سراح عبدالله الريمائي حيث عملت الحكومة الأردنية لاستكمال خطوات ضم الضفتين الشرقية والغربية حيث كان مقرراً لها أن تنتهي في هذا الشهر، وذلك بإجراء انتخابات برلمانية مشتركة للضفتين الشرقية والغربية وحرصاً على إشراك جميع أطراف المعارضة، ومنها: حزب البعث رغم انه لم يقدر تماماً مدى قوتها أو فاعليتها الحقيقية، لاسيما في القدس ورام الله وما حولهما(5).

(1) التل، عبدالله: كارثة فلسطين، ص 570 – 571.

(2) انظر: التل، عبد الله: كارثة فلسطين، ص 572.

(3) انظر: التل، عبدالله: المرجع السابق، ص 593.

(4) انظر: سهيل، سليمان: كمال ناصر الشاعر والأديب السياسي، ص 166.

(5) انظر: سيلع، أبرهام: حزب البعث في الضفة الغربية، ص 11.

أظهرت نتائج الانتخابات القوة التي تمتعت بها جماعة البعث، ومنها المرشحان عبدالله نعواس وعبدالله الريماوي. لقد حظي كلاهما بشعبية كبيرة ليس لكونهما انتميا لهذه الحركة بل لكونهما شخصيتان متميزتان، كما تميز الريماوي بذكائه ونشاطه المكثف؛ مما أهله لاحقا للعودة في الحزب، وظل الأكثر تأثيراً حتى عام 1959(1).

عقدت جماعة البعث اجتماعاتها في القدس ورام الله، ففي القدس عقدت اجتماعاتها في حي باب الساهرة، وهي تلتمس السبيل في سبيل إنقاذ فلسطين وعقدت اجتماعاً موسعاً في بيت يحيى حموده* في رام الله لغرض بلورة حزب سياسي من هؤلاء الأشخاص وغيرهم. وقد وصف أحد المشاركين التوجه السائد لديهم " هو إنشاء حزب بعث عربي يعمل لوحدة هذه الأمة، وتجميع قدراتها لإنقاذ فلسطين(2) .

اختلفت جماعة البعث في تسمية الحزب حيث عرض الريماوي ونعواس وبرهان الدجاني تبني الاشتراكية، وإدخال كلمة الاشتراكي بعد حزب البعث، وتقرر تقديم طلب ترخيص وتعيين محمد أديب العامري أميناً عاماً للحزب، إلا أن الحكومة رفضت منحهم ترخيصاً، وانفردت عقدهم وأعيد تشكيل الحزب بأعضاء جدد(3).

أما اسم جماعة البعث في منطقة رام الله والقدس فقد جاء بعد أن زار ميشيل عفلق فلسطين في حرب 1948، وقام بتوزيع بيانات و منشورات في رام الله والقدس، والتقى عبدالله الريماوي عفلق الذي أعجب بأفكار البعث بعد أن قرأ دستور(4).

سافر عبدالله الريماوي إلى دمشق ليبحث مع مؤسس حزب البعث هناك إقامة حزب مستقل في الضفة الغربية، ودون أن تكون له أية علاقة بتنظيم حزب البعث في الأردن، إلا أن

-
- 1) الشاعر، جمال: سياسي يتذكر تجربة في العمل السياسي، لندن، رياض الريس للكتب والنشر، 1987، ص 66 – 67.
 - * يحيى حموده فلسطيني من قرية لفتا أصبح رئيساً ل (م.ت.ف) في عام 1968 بعد استقالة أحمد الشقيري.
 - 2) نسيبه، حازم زكي: تاريخ الأردن السياسي المعاصر، ص 85 – 86.
 - وانظر أيضاً: سليمان، سهيل: كمال ناصر الشاعر والأديب السياسي، ص 133.
 - 3) انظر: نسيبه، حازم زكي: المرجع السابق، ص 86.
 - 4) انظر: أبو غربية، بهجت: مذكرات بهجت أبو غربية 1916 – 1949، بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ط 1993، ص 38.
- وأيضاً مقابلة أجريت بتاريخ 15/ 8/ 1998 مع جاد ميخائيل من الرعيّل الأول لحزب البعث، الذي عمل في صحيفة البعث، في منزله بمدينة رام الله.

ميشيل عفلق رفض هذا العرض واقتنع عبدالله الريماوي وعبدالله نعواس بالفكرة، وانتسبا لحزب البعث الأردني، ولم يفعل باقي الأصدقاء الشيء نفسه، وكان ذلك عشية الانتخابات النيابية التي جرت في الأردن عام 1950، التي على أثرها تم توحيد الضفتين(1).

وقد جاء توحيد حزب البعث في رام الله مع حزب البعث في الضفة الشرقية بعد أن سبق للبعث في سورية أن أصدر في أوائل عام 1950 منشوراً في دمشق يوضح فيه عدم صلته بحزب البعث في رام الله، الذي أعلنت عن تأسيسه صحيفة فلسطين في شباط / فبراير 1950(2).

انتظم عقد المجموعات البعثية المختلفة في تنظيم حزب البعث العربي الاشتراكي في القطر الأردني، بينما اختار آخرون الاستقلالية السياسية، وهكذا برزت أسماء جديدة في التنظيم أمثال: عبدالله الريماوي، وعبدالله نعواس، وبهجت أبو غربية، وكمال ناصر. ففي مؤتمره القطري الأول عام 1952 أختار المؤتمر عبدالله الريماوي رئيساً للقيادة القطرية بعد أن كان أمين شقير أميناً عاماً لمنظمة البعث قبل هذا التاريخ. وضمت القيادة القطرية لحزب البعث كل من عبدالله نعواس، وبهجت أبو غربية، وعبدالرحمن شقير، وأمين شقير، وحمدى عبدالمجيد، وحسنى الخفش، وسليمان الحديدي(3).

انتشرت فروع حزب البعث في مدن المملكة الأردنية الهاشمية، وعقد الحزب وفي الخامس من شباط/ فبراير 1952 تقدم عبدالله الريماوي، وفرح إسحاق، ومنيف الرزاز، وعبدالله نعواس، وبهجت أبو غربية، وأمين شقير، وسليمان الحديدي بطلب ترخيص للحزب، ورفض مجلس الوزراء طلب الترخيص؛ لأنه يخالف ما جاء في الفقرة الثانية من المادة 16 من الدستور الأردني بدعوى اعتناقه مبادئ متطرفة وهو فرع للبعث في سوريا. عادوا مرة أخرى لتقديم طلب جديد في 23 حزيران/ يونيو 1953، ورفضته الحكومة في آذار/ مارس 1954، وكرروا طلبهم الجديد، وأضيف لهم حسنى الخفش، وحمدى عبدالمجيد، وعلي الجعيري، وراتب دروزة، وعبدالكريم خريس إلا أن طلبهم رفض مرة أخرى من قبل مجلس الوزراء في

(1) انظر: العيسمي، شبلي: حزب البعث مرحلة النمو والتوسع، ص 191.

وانظر: الشاعر، جمال: سياسي يتذكر تجربة في العمل السياسي، ص 66-67.

(2) نسيه، حازم زكي: تاريخ الأردن السياسي، ص 86.

(3) انظر: محادين، موفق: الأحزاب والقوى السياسية في الأردن 1927-1987، بيروت: دار الصداقة للطباعة والنشر، 1988، ص 42-43.

و انظر أيضا: العيسمي، شبلي: مرجع سابق، ص 191.

28 حزيران / يونيو 1954، لكن محكمة العدل العليا عادت و نقضت رفض الحكومة، مما سمح للحزب في النشاط العلني وفي 28 آب / أغسطس 1955 اعتبر الحزب قائما بقرار من محكمة العدل العليا ومارس نشاطه(1).

بدأ تنظيم حزب البعث في المملكة الأردنية الهاشمية، يعمل على تجنيد العناصر المتعلمة والشابة، من النخبة المثقفة، مثل المعلمين والطلاب بشكل خاص، وباقي الفئات المتعلمة بصورة عامة، وهي التي تحظى بالمكانة الاجتماعية.

قام الحزب في بداية تأسيسه على كاهل مجموعة من الأشخاص المثقفين والذين سبق لهم تجارب وطنية وسياسية في الأردن وفلسطين ومنهم: سليمان الحديدي، وأمين شقير، وجمال الشاعر ومنيف الرزاز (الضفة الشرقية)، و كل من السادة: عبدالله الريماوي، وعبدالله نعواس، وبهجت ابوغربية وحسني الخفش، وبسام الشكعة (الضفة الغربية)، وهؤلاء يضمون خريجين من الجامعة الأمريكية في بيروت، أو ناضلوا في الثورات العربية الفلسطينية مثل: ثورة 1936-1939، والحرب العربية - الإسرائيلية عام 1948 أو كانوا أعضاء في عصبة العمل الوطني وتركوها بعد أن أيد الشيوعيون قرار التقسيم الصادر عام 1947(2).

(1) انظر: الموسى، سليمان، ومنيب الماضي: تاريخ الأردن في القرن العشرين ج1، عمان: مكتبة المحتسب، ط2 1996، ص 598 - 599.

وأيضاً: محادين، موفق: الأحزاب والقوى السياسية في الأردن، ص 42.

وأيضاً: أوراق مطبوعة أرسلها بهجت أبوغربية للباحث بتاريخ 27 تموز 1998.

(2) كان سليمان الحديدي عضو الحزب العربي الأردني ومن المحتجين على معاهدة 1946 مع بريطانيا (انظر: بيان الحزب العربي الأردني، مجلة الغد سنة 1947، ع 34، ص 13).

- وكان أمين شقير عضو حركة الإحياء العربي. (انظر: شبلي ، العيسمي: مرجع سابق، ص 191).

- وكان الريماوي مسؤول مكتب التوجيه الوطني لدى اللجنة التنفيذية (انظر: أحمد مرعشلي وآخرون: الموسوعة الفلسطينية، القسم العام، مج 3، ط 1، بيروت: إصدار هيئة الموسوعة الفلسطينية 1984، ص 176).

- واشترك بسام الشكعة في الجهاد المقدس (انظر: ابراهيم الفناش: الحركة الوطنية، ص 125).

- وكان بهجت أبوغربية ممن خاضوا معارك الكفاح ضد الإنجليز وجرح عدة مرات في حرب 1948 (انظر: أبوغربية بهجت: مذكرات، فلسطين في خضم النضال، ص 242 و 385).

- وعمل حسني الخفش في العمل النقابي ومسؤول لجنة الأمن وسكرتير اللجنة القومية في نابلس سنة 1947. (انظر: حسني الخفش: مذكرات، ص 57).

- أما منيف الرزاز بدأ حياته السياسية بالانتماء لعصبة العمل القومي أثناء دراسته في الجامعة الأميركية في بيروت (انظر: الرزاز، منيف: رسائل إلى أولادي أوراق غير منشورة، سلسلة إحياء الذاكرة التاريخية عمان: دار سندباد، 1995، ص 104 - 105).

- أما مخلص عمرو فقد كان محرراً بارزاً في مجلة الغد التي صدرت باسم رابطة المثقفين الفلسطينيين، واتسمت بطابعها القومي التقدمي الذي كان قيادياً بارزاً في عصبة التحرر الوطني، والذي تحول من الشيوعية إلى البعث بعد اعتراف الحزب الشيوعي الفلسطيني بقرار التقسيم الصادر عام 1947 بشأن فلسطين. (عن أوراق مطبوعة قدمها ياسر عمرو عن عمه مخلص عمرو للباحث)

(2) تأسيس حزب البعث في قطاع غزة

تأخر تأسيس حزب البعث في هذه المنطقة من فلسطين عنه في المملكة الأردنية الهاشمية، ويعود سبب ذلك إلى تعرف نخبة من المثقفين الفلسطينيين في الضفة الغربية على أفكار البعث بعد زيارة ميشيل عفلق مؤسس حزب البعث إلى مدن رام الله، والقدس، وتعرف عبدالله نعواس، وعبدالله الريماوي على مبادئ الحزب كما مرسابقاً. جاء امتداد البعث وتأسيسه في قطاع غزة بعد أن تلقى عدد من الطلاب دراستهم في جامعة القاهرة، وتعرفوا على أفكار الحزب من الطلاب السوريين، والمصريين، والفلسطينيين، والأردنيين الذين تلقوا علومهم فيها، واعتقدوا فكر البعث وانتسبوا إليه، ومنهم: شفيق الإفرنجي، و وفا الصايغ، وسعيد الدجني، وبعد رجوع هؤلاء إلى غزة قاموا بتجنيد عدد من المدرسين ومدراء المدارس إلى عضوية حزب البعث(1).

وبعد أن ضم البعث نخبة من المثقفين والمتعلمين وإمدت تشكيلاته إلى عدد من النساء المتعلمات والمدرسات في وكالة الغوث حتى تشكلت فرقة نسائية قادتها مي الصايغ. وتعتبر أعوام 1953 – 1956 فترة تأسيس الحزب، رغم مشاركة البعثيين في مظاهرات عام 1955، وفي ظل وجود حركة الإخوان المسلمين المبكرة وكذلك الشيوعيين لم تتوفر للبعث الظروف كي يكون معبراً عن مرحلة المد القومي العربي(2).

أدى خضوع قطاع غزة للسيطرة المصرية إلى إلحاف تنظيم البعث في غزة بتنظيم البعث في مصر، الذي كان بدوره يخضع مباشرة للقيادة القومية في دمشق، بينما كان تنظيم البعث في الضفة الغربية ضمن حزب البعث الأردني، الذي تشرف عليه قيادة قطرية، ولهذا كانت الصلاحيات المعطاة له في الأردن أكبر منها في قطاع غزة(3).

(1) انظر: أبو عمرو، زياد: الحركات السياسية في قطاع غزة، عكا: دار الأسوار، ص 114. وأيضاً: مقابلة أجريت مع وفا الصايغ من الرعييل الأول لحزب البعث والمؤسسين له في قطاع غزة، في رام الله 29/1999/3.

(2) انظر: أبو عمرو، زياد: المرجع السابق، ص 115.

(3) مقابلة أجريت بتاريخ سابق مع وفا الصايغ.

وأيضاً: مقابلة أجريت بتاريخ سابق مع خالد الرزوي.

3) أبرز الأوساط الاجتماعية التي انتشر فيها حزب البعث

إن أول ما يسترعي الانتباه في نشاط حزب البعث أنه امتد بسرعة في العديد من الأقطار خارج سوريا، بعد فترة وجيزة من انعقاد المؤتمر التأسيسي للحزب في شهر نيسان/ أبريل من عام 1947، وفي مقدمة الأقطار هذه كانت الأردن وفلسطين، وكان للشباب المثقف وطلاب الجامعات الدور الرئيس في في سبيل انتشار الحزب وتغلغله، وشق طريقه السياسي وسيطرته على الشارع في وقت قصير (1).

وبعد الإطلاع على وثائق المخابرات الأردنية، ثم إجراء مقابلات مع نشيطين في البعث إلى جانب مصادر ومراجع أخرى تبين أن نشاط الحزب شمل مختلف القطاعات الشعبية، ومن أبرزها:

أ- المعلمون والطلاب: -

انتشر البعث في أوساط هذه الفئة شأنه في ذلك شأن شقيقه السوري الذي أسسه المعلمون والدارسون، وقد عاد إلى البلاد خريجو الجامعات السورية واللبنانية، الذين التحقوا بسلك التدريس ونشطوا بين صفوف الطلاب، وتعتبر هذه الفئة من أهم فئات الحزب التي قامت بدور تأسيسي وذلك للأسباب الآتية: -

أولاً: شكل المعلمون والطلاب النخبة الحضرية، التي قامت على كاهلها نشاطات الأحزاب، و يعتبر طلاب الثانوية مخزون ثقافي، ورئيس واليه تتوجه الأحزاب وتستمد القوة منه.

ثانياً: المستوى الثقافي العالي لهذه الفئة مقارنة ببقية أبناء الشعب، يدعم الفرضية القائلة: بأنهم بيئة خصبة وممتازة، ومناسبة لحزب عقائدي سياسي، ثم أن المعلمين المثقفين حملوا رغبة جامحة في التغيير السياسي، ويكفي القول أن المدرسين يشكلون ربع مجمع الناشطين في الحزب.

ثالثاً: أن الطلاب يشكلون نسبة كبيرة من المجتمع، وأن السيطرة عليهم ستؤدي إلى تحويل الحزب إلى حزب جماهيري شعبي (2).

(1) انظر: سيلع، أبرهام: حزب البعث في الضفة الغربية تحت الحكم الأردني، ص 91.

(2) انظر: سيلع، أبرهام: المرجع السابق، ص 92.

وأيضاً: كوهين، أمون: الأحزاب السياسية في الضفة الغربية في ظل النظام الأردني 1949 - 1967، ص 334.

رابعاً : رأى البعث في توافق صفة الثقافة والوعي من جهة والشباب من جهة أخرى شرطان من شروط تحقيق فكرة البعث العربي وتوثبه ونهوض الأمة العربية(1).

لقد تواصل نشاط البعث بين صفوف الطلاب في الخمسينيات، وفي المراحل اللاحقة أسهم المعلمون في تجنيد الأعضاء، وقد سلك مؤسسو البعث طريقهم التعليمي قبل أو بعد التحاقهم بالحزب، ومنهم:

عبد الله الريماوي، ومنيف الرزاز، وبهجت أبو غربية، وفي كل مدرسة وجد فيها معلمون منتسبون إلى حزب البعث، كانوا يهتمون بنشر فكره بين طلابهم. كانت المدرسة الإبراهيمية أولى المدارس التي درس فيها بهجت أبو غربية، ونشط فيها والتي مثلت قاعدة لنشر أفكار الحزب والتخطيط لنشاطاته وظل دورها نشطاً حتى شهر نيسان / أبريل 1957(2).

وفي مدينة بيت لحم نشط الأستاذ ابراهيم الصادق (مجدل الصادق) في مدرسة وكالة الغوث والمعلم موسى عبد الفتاح درويش (المالحة - القدس)، والمعلمة وداد الياس بربارة التي كلفت بمهمات اتصال بين قادة الحزب في بيت لحم، وقادته في دمشق ومنهم المعلم صبحي الناشف من قرية الطيبة بالمثلث(3).

وفي مدارس الخليل تركزت نشاطات البعث في مدرسة " الحسين بن علي " الذي درس فيها، محمود الزيتون، وداود السمور، وهما من قادة البعث في منطقة الخليل، وفي مخيم الدهيشة نشطت " مدرسة وكالة الغوث وتشغيل اللاجئين " القريبة من بيت لحم بفضل دور مديرها " صبحي الناشف " قائد الحزب في بيت لحم. كذلك اعتبر معهد بيت حنينا للمعلمين بمثابة قلعة للبعث بفضل النشاط الذي بذله مديرها ذوقان الهنداوي الذي اعتبر في حينها من قادة البعث البارزين وفي "مدرسة الصلاحية "، و"مدرسة الجاحظ " بمدينة نابلس، وفي لواء طولكرم كان المعلمون في الصفوف المتقدمة للحزب(4). وفي قطاع غزة نشط حزب البعث في مدرسة "فلسطين الثانوية" (5).

(1) انظر: علق، ميشيل: "خبرة الشيوخ واندفاعات الشباب"، في سبيل البعث، ص 21.

(2) انظر: سيلع، أبرهام: حزب البعث في الضفة الغربية، ص 91.

(3) انظر: ملفات المخابرات الأردنية، أرشيف إسرائيل. (القدس، رقم ق/20/1 / 128 بتاريخ 26/8/1958 الموضوع وداد الياس بربارة، من بيت لحم 3 صفحات من القطع الكبير.

(4) انظر: سيلع، أبرهام: حزب البعث في الضفة الغربية، ص 91 - 92

(5) انظر: أبو عمرو، زياد: الحركات السياسية في قطاع غزة، ص 114.

وأسهم الطلاب الذين تخرجوا من الجامعات العربية، وخاصة في سوريا ولبنان ومصر بدور بارز في خدمة الحزب، وكلفوا بمهمات مختلفة كنقل التعليمات والبيانات والمنشورات من فلسطين إلى الشام، أو كانوا حلقات وصل بين قيادات البعث القطرية، والقيادة القومية(1).

لكنّ عدداً منهم اضطروا للتوجه للتدريس في دول الخليج العربي، بسبب سوء الأحوال الاقتصادية والفصل التعسفي، والاعتقالات المتكررة للمعلمين وتوقيعهم على كفالات(2).

أدت هجرة المتعلمين والسياسات التعسفية الحكومية المتبعة ضد المعلمين خاصة، والفئات الأخرى عامة إلى تفرغ البلاد من فئات اجتماعية مهمة للحزب. وللدلالة على أهمية دور الطلاب في الحزب، أدرك الحزب بهذا النقص الذي يصيبه نتيجة للهجرة التعليمية، قام الحزب بتعميم بيان سري على أعضائه في عام 1964 دعاهم إلى عدم الهجرة خارج الأردن، بغرض الالتحاق بجامعات الدول العربية بعد أن أصبحت الدراسة الجامعية متوفرة في الأردن؛ حيث افتتحت الجامعة الأردنية أبوابها آنذاك(3).

اهتم حزب البعث أيضاً بتشكيل منظمات واتحادات طلابية، ففي سنة 1953 عقد اجتماع طلاب الأردن بتشجيع من الشيوعيين أيضاً رغم معارضة النظام الأردني، وبحثت شؤون الطلاب وخرج المؤتمر بقرارات وتوصيات منها: حق الطلبة بتأسيس اتحاد طلابي والتعليم المجاني للجميع، وتأسيس جامعة وطنية(4).

وضمن نشاط المعلمين جاء الاهتمام بالطلاب، وتشكيل "منظمات طلائعي البعث"، وهي منظمات ضمت طلاباً لا يتجاوزون في أعمارهم 18 ربيعاً وهؤلاء لا يمكن اعتبارهم منظمين في الحزب بل أنصار ومؤيدين في مظاهرات الحزب، تحت مسؤولية "المكتب الطلابي" أحد مكاتب القيادة القطرية ومهمة هذا المكتب، أن يرتب علاقات الطلاب البعثيين عند

(1) مقابلة أجريت بتاريخ 9/7/1998 مع ياسر عمرو، وزير التعليم في السلطة الوطنية، ومن الرعييل الأول لحزب

البعث، في مكتبه بمدينة رام الله، الذي نقل تعليمات من عبدالله الرماوي في دمشق إلى مخلص عمرو في الخليل

(2) انظر: ملفات المخابرات الأردنية، تقرير سري "كشف بأسماء الموظفين المنتمين للأحزاب المنحلة"، ومنهم أسامة الكرمي (مدرس في كفرثلث)، سامي العطار (مدرس في طولكرم) صبحي الناشف (مدرس في بيت لحم) وغيرهم.

(3) انظر: ملفات المخابرات الأردنية، بيان حزب البعث الصادر عن المكتب الطلابي في الأردن بعنوان، نشرة داخلية للأعضاء، الرقم ع 64/1، (د.م)، سنة 1964.

(4) انظر: براند، أ. لوري: الفلسطينيون في العالم العربي بناء المؤسسات والبحث عن الدولة، بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ص 208.

سفرهم للخارج؛ لان تنظيم البعث القومي شمولي، لذا يجري ربطهم بالتنظيم الحزبي عند سفرهم إلى أي قطر عربي أو أوروبي، مثل: بريطانيا، ومصر حيث نشطت رابطة الطلبة العرب 1956-1958 وكان للبعث تأثير حاسم فيها(1).

تقدمت أغلبية من أعضاء حزب البعث باقتراح للرئيس جمال عبدالناصر بتأسيس اتحاد طلبة فلسطين الذي بدوره دعم الفكرة، وجعلت القاهرة مقر الاتحاد، الذي عقد مؤتمره الأول في 29 تشرين الثاني / نوفمبر 1959، وحضره ممثلون عن المنظمات الطلابية في دمشق والقاهرة والإسكندرية وأسيوط وبيروت، وقد شكلت أعوام 1958 - 1963 فترة صعود للبعث، ونجح البعث في سيطرته على الاتحاد في القاهرة أمام منافسة حركة القوميين العرب(2).

وحول النقابات ودورها في صفوف المعلمين، فقد تم تأسيس اتحاد معلمي وكالة الغوث في تموز/ يوليو 1954، الذي جعلت القدس مركزه وامتدت فروعها في مدن المملكة وفي 10 نيسان / أبريل 1955. أسس اتحاد المعلمين في المملكة، الذي كان مقره في عمان، وفتحت له فروع في مدن إربد ونابلس والقدس والخليل والكرك ومعان، وقد أغلقت أبوابه بقرار من رئيس الوزراء في 14 كانون الثاني/ يناير 1956 بحجة أن موظفي الحكومة لا يسمح لهم بتشكيل نقابات(3).

واهتم البعث بهذه النقابة، وشارك في هيتها الإدارية بأحد أعضاء حزب البعث وهو داود حارث(4).

ب) القضاة، ورجال القانون وكبار الموظفين

كانت نقابة المحامين من أكثر النقابات التي وقعت تحت تأثير حزب البعث، ومن أكثرها فعالية في سنوات الخمسينيات، وسجل محامو البعث نجاحا في انتخابات النقابة في الأردن في

(1) انظر: سيلع، أبرهام: حزب البعث في الضفة الغربية، ص 94.

(2) انظر: براند، أ. لوري: المرجع السابق، ص 74 - 75.

(3) انظر: براند، أ. لوري: المرجع السابق، ص 203.

(4) مقابلة أجريت بتاريخ 2000/4/5 مع الباحث عبدالعزيز أبو هدبا في منزله بمدينة البيرة بتاريخ، الذي حضر الاجتماعات المتعلقة بها في رام الله.

عام 1953 حيث نجح ثلاثة من بين سبعة أعضاء فيها، في حين صعد أربعة من أصدقائه إلى عضوية النقابة(1). كما أن قوة حزب البعث فاقت قوة الحزب الشيوعي في نقابة المحامين(2)*.

توقف نشاط المحامين البعثيين بعد عام 1957 بسبب إجراءات الحكومة الأردنية بعد الإطاحة بحكومة سليمان النابلسي، وبعد عام 1967 عادوا يمارسون نشاطهم، وقد رجع عبدالله الريماوي عام 1970 إلى الأردن، وزاول مهنة المحاماة، وانتخب أميناً عاماً لاتحاد المحامين العرب(3).

يستدل من القوائم التي أعدتها المخابرات الأردنية منذ عام 1957 بأسماء أشخاص ذوي مناصب حكومية رفيعة، و يشغلون مواقعهم في المحاكم والقضاء وغيرها أن البعث كان ذو فعالية في صفوف هذه الفئات الاجتماعية، وكان المحامون في مركز القيادة من حزب البعث(4).

يعزى سبب الدور القيادي للمحامين في حزب البعث لوجود إمكانيات مادية، تؤهلهم للصدور في وجه الضغوطات الحكومية، ولوعيهم القانوني والسياسي.

ت) الأندية الرياضية والثقافية والكشافة:

حاول البعث الدخول إلى الأندية والتنافس مع الأحزاب الأخرى لاستقطاب الشباب ونشر الدعاية الحزبية، وبرزت هذه الظاهرة تحديداً في المراكز التالية في "نادي الخليل الرياضي" الذي تحول إلى مركز مهم لنشر الأفكار البعثية، وفي مدينة طولكرم نشط البعثيون في "نادي طولكرم الرياضي"، ونشطوا في مدينة نابلس، حيث وجد "النادي العربي"، الذي استخدم كقلعة بارزة، لحركة القوميين العرب نجح حزب البعث في كسب عدد من الأعضاء فيه(5).

- 1) انظر: العيسى، شبلي: حزب البعث العربي الاشتراكي مرحلة النمو والتوسع ج2، ص 191 - 192.
- 2) انظر: الفناش، إبراهيم: أوراق خاصة في الحركة الوطنية، (ب.م)، (د.ت)، (د.م)، ص 182.
- * يذكر أحدهم أنه حينما كان يسجن البعثيون كان يسارع العديد من المحامين البعثيين للدفاع عنهم بينما كان أعضاء الحزب الشيوعي تتقصم هذه العناية بسبب ضعف قوتهم في نقابة المحامين.
- 3) انظر: هيئة الموسوعة الفلسطينية: الموسوعة الفلسطينية، القسم العام، مج 3، 1984، ص 178.
- 4) انظر: ملفات المخابرات الأردنية: كشوفات بأسماء البعثيين سنوات 1960 و 1962 و 1963 وحصل الباحث على نسخة منها، ومنهم: عبدالله الريماوي، وكمال بطرس ناصر، وعبدالله حنا نعواس، وجريس الخوري، ومصباح حسن أبوغربية، وأحمد صالح عبدالحميد، وياسر عمرو، وعبدالمحسن أبوميزر، وجبر النقر، ومصطفى عودة، وحمدي عبدالحميد وراتب دروزة وآخرون.
- 5) انظر: سيلع، أبرهام: حزب البعث في الضفة الغربية، ص 95. وأيضاً: مقابلة أجريت بتاريخ 17 تموز 1998 مع بسام أحمد الشكعة رئيس بلدية نابلس المنتخب عام 1976، ومن الرعييل الأول في حزب البعث في منزله بمدينة نابلس.

جرى تشكيل سرية كشافه من البعثيين في رام الله والبيرة والقدس، وممن شارك وبرز في سرية القدس عياد المالكي، وكانت فرقة البعث الكشفية تشارك في المهرجانات، وفي واحدة من الاحتفالات حضر حسن الكاتب محافظ مدينة القدس، والسفير السعودي، وقد أثنى الكاتب على نشاط الكشافة البعيد عن السياسة، ففاجئه عياد المالكي بكلمة جاء فيها: " .. لما كان الكشاف هو الشباب الناهض كان عليه لزاماً أن يتدخل في السياسة وأن يلم بكل الأحداث التي تجري في بلده ووطنه وأن لا يستسلم لحفنة خائنة تتأمر على مصيره ومستقبله، ودوى الـهتاف بالتهليل وانسحب المحافظ والقنصل السعودي " (1).

ث (العمال والفلاحون :-

عند مقارنة نشاط حزب البعث في هذا الوسط مع الوسط الطلابي والمعلمين يلاحظ انه قليل باستثناء النشاط الذي حققه البعث في نابلس.

كان حسني الخفش أميناً عاماً لنقابة العمال العربية منذ عام 1947، بعد اغتيال سامي طه مسؤول النقابة، التي كان مقرها حيفا، وقد نجح الخفش في تجديد نشاطها، وبذل جهوداً كبيرة في مد فروع لها في عمان ، وطولكرم ، ورام الله، وساعده في عمله هذا كل من: عبدالله الريماوي وعبدالله نعواس، وحسان وظانفي، وزياد يونس، و مصطفى عسقلان، واستمر الخفش أميناً عاماً لنقابة العمال حتى عام 1952 إلى أن حلت النقابة على أيدي السلطات الأردنية في عهد رئيس الوزراء توفيق أبو الهدى، ولكن نشاطاتها السرية استمرت ثم عادت تعمل علناً بفعل ضغوط دولية، واحتجاجات نقابية وعملت من جديد عام 1956 (2).

ونشط صادق سنقرط في نقابة عمال الزفتة بمدينة الخليل (3).

بعد الحملة الانتخابية التي قام بها الحزب 1956 وقدم لها 16 مرشحاً زاد اهتمامه بالقرى وبذل جهوداً أكبر لنشر فكره وتنظيمه بين أبناء الريف، وقد رشح في هذه المرة مصطفى عودة

(1)المالكي، عياد: الفراغ السياسي، ص 30 – 31.

(2) انظر: الخفش، حسني صالح: مذكرات حول تاريخ الحركة العمالية العربية الفلسطينية ص 64 – 66.

(3) انظر: كوهين، أمنون: الأحزاب السياسية في الضفة الغربية تحت الحكم الأردني، ص 336.

من قرية (بديا - طولكرم)، وداود كارت من قرية (أم صفا - رام الله)، وإبراهيم غنام (جبع - جنين) (1).

نجح البعث في استقطاب أعداد كبيرة من القرى كما نجح بين أبناء المدن، رغم أنه اتخذ طابعا حضريا لأن قاعدته الأوسع بين سكان المدن، بينما كان اللاجئون يشكلون 15% من قاعدته. لقد كان البعث أنجح ما يكون في رام الله والقدس، ورغم تحقيقه نجاحا في مدينة نابلس أواسط الخمسينيات، إلا أن قياداته ظلت تتمركز في مدينة رام الله، وكذلك نجح هؤلاء في انتخابات مجلس النواب (2).

ورغم ما يبدو من ميل المجتمع الحضري إلى العمل المؤسساتي والحزبي بصورة تتفوق على مجتمع القرية المشدود إلى علاقات وارتباطات عشائرية مع ميله للاستقرار، لكن ذلك لم يمنع حزب البعث من إقامة قواعد حزبية في قرى عديدة، منها: كفر مالك، و بئر زيت، وبيت ريماء، و بديا، و صفا، و اليامون (3).

والمواقع أن الامتداد الحزبي سواء أ كان شيوعياً، أو بعثياً، أو دينياً، تداخلت فيه التركيبة العشائرية ودور الفرد، حيث برزت قرى ومدن تشتهر بالشيوعية مثل (سلفيت) والتي هي مسقط رأس فهمي السلفيتي، وعربي عواد، وحمزة الزير (4).

وأخرى قومية (بيت ريماء، كفر مالك و بئر زيت)، والتي نشط فيها عبدالله الريماوي، و عياد المالكي وكمال ناصر على الترتيب (5).

وأخرى اشتهرت بكونها قاعدة لحزب التحرير، مثل: (عزون)، ويعتبر فرع مدينة قليلية من الفروع القوية (6).

1) انظر: حزب البعث العربي الاشتراكي البرنامج الانتخابي لمرشحي البعث عام 1956 ص 2.

2) انظر: كوهين، أمنون: الأحزاب السياسية في الضفة الغربية، ص 336 و 338.

3) انظر: ملفات المخابرات الأردنية، كشف بأسماء المنتسبين لحزب البعث لمنطقة القدس وتصنيفهم 1960/4/30. أيضا: مقابلة أجريت بتاريخ سابق مع بسام الشكعة.

4) انظر: كوهين، أمنون: الأحزاب السياسية في الضفة الغربية، ص 92.

5) انظر: كشف بأسماء البعثيين عام 1960، التي يستدل منها تفوق العدد في هذه القرى عن غيرها.

وأيضا: مقابلات أجريت بتاريخ سابق مع عياد المالكي، و إبراهيم فرح، و منور الريماوي.

6) انظر: كوهين، أمنون: الأحزاب السياسية في الضفة الغربية، ص 291 - 292.

ج) الحركة النسوية: -

انطلق البعث في مبادئه العامة في دستوره عام 1947 من النص في المادة 12 على أن المرأة العربية تتمتع بحقوق المواطن كلها، وأن الحزب يناضل في سبيل رفع مستوى المرأة حتى تصبح جديرة بتمتعها بهذه الحقوق، وفي عام 1953 تشكل مكتب للنشاط النسائي في الأردن أنيط به مهمة الإشراف على توسيع الحركة النسائية النضالية وربط كل نشاط نسائي بهذا المكتب(1).

ويستدل من ملفات المخابرات الأردنية أن الحزب ضم معلمات و موظفات في مكتب التربية والتعليم، وفي بعض الحالات ربات البيوت اللواتي كان أزواجهن ملتحقين بالحزب أو أقربائهن(2).

قامت بعض نساء البعث بنقل رسائل قادة البعث في فلسطين إلى قادة البعث في دمشق وأحضرن نشرات سياسية وبيانات، وبعضهن تعرضن للإقامة الإجبارية(3).

ح) مجلس النواب: -

رغم معارضة حزب البعث لنظام الملك عبدالله ولحفيدة الحسين من بعده، لكنه ظل يرى في النشاط البرلماني أسلوباً مناسباً للتعبير عن أفكاره وفي عام 1950 شارك مرشحو البعث في الانتخابات وكذلك في السنوات اللاحقة، واختلف موقف البعث عن الأحزاب الأخرى كالشيوعي مثلاً الذي كان يرفض وحدة الضفتين أو المشاركة في الانتخابات، وحول الأسباب التي يراها نعواس موجبة للمشاركة في الانتخابات الأولى كتب في بدء كانون ثاني/ يناير 1950 في صحيفة البعث " لماذا نخوض معركة الانتخابات ؟ الانتخابات النيابية حدث جديد في فلسطين لأول مرة منذ عهد بعيد، ولما كانت الانتخابات قد جاءت في أعقاب نكبة فلسطين، ونكبة العرب بفلسطين، فقد وقف الناس في معسكرين يقول إحداهما بمقاطعة الانتخابات وينادي الآخر

1) انظر: فرح، الياس: من قضايا الثورة والإنسان العربي: بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1978، ص71، و 76.

2) انظر: ملفات المخابرات الأردنية، كشف بأسماء المنتسبين لحزب البعث لمنطقة القدس وتصنيفهم 30 / 4 / 1960.

3) انظر: ملفات المخابرات الأردنية، الرقم ق / 20 / 1 / 128 / 12616، 26 / 8 / 958 * الموضوع المعلمة وداد الياس، بربارة من بيت لحم * صفحتان.

بالمشاركة فيها ... ولكل من المعسكرين حجج ووجهات نظر فللمقاطعة فوائدها ومضارها، وللإشتراك فوائده ومضاره (1).

ومن الأسباب التي دعت له لممارسة النشاط البرلماني: "هي أن لا يخلي السبيل للعناصر الهزيلة تعبت في البلاد وتدعي تمثيل الأمة والتعبير عن رغبتها، ولقد قرر نفر كبير من الشباب الواعي من مختلف البلاد إلى خوض معركة الانتخابات قيما بواجب الجهاد رغم وعورة ومشقة الطريق" (2).

رغم النجاح الذي حققه عبدالله الريماوي، وعبدالله نعواس في انتخابات 1950 و1951. إلا أن الحكم الأردني أخذ يوصد الأبواب أمام الأشخاص المعروفين بمعارضتهم وتأييدهم للأحزاب. ففي عام 1954 جرت انتخابات وصفت بأنها مزورة من قبل الأحزاب المختلفة، وفيها تقدم كمال ناصر ليخوض الانتخابات مرشحا بشكل سري عن حزب البعث، لأن الأحزاب كانت محظورة، وفشل بسبب تزوير الانتخابات. وسقط أيضا عبدالله الريماوي، وعبدالله نعواس من حزب البعث، وكذلك كتلة سعيد المفتي، وانسحب عبدالرحمن شقير من معركة انتخابات عمان، وفر إلى دمشق وفشل في انتخابات السلط عبدالحميد نمر وتسببت الأحداث في مظاهرات واصطدامات بالجيش، وقتل العديد من الأشخاص (3).

لم ينجح في تخطي العراقيل التي وضعها المسؤولون سوى ممثل الاتجاه الديني الشيخ أحمد ألداعور وممثل الجبهة الوطنية عبد القادر الصالح عن نابلس (4).

عرف نواب حزب البعث بنشاطهم في مجلس النواب، وكانوا مثال اهتمام حكومة الأردن وأجهزتها الأمنية.

(1) عبد الهادي، مهدي: المسألة الفلسطينية ومشاريع الحلول السلمية، لبنان - صيدا: المكتبة العصرية، ط1، 1975. ص 581.

(2) المصدر السابق نفسه، الصفحة نفسها.

(3) انظر:، الموسى، سليمان، ومنيب الماضي: تاريخ الأردن في القرن العشرين، ج1، ص 603. وانظر أيضا: الشاعر، جمال: سياسي يتذكر، ص 177.

(4) انظر: جبر، يحيى: عبدالقادر الصالح (1908 - 1992)، الموسوعة التربوية الفلسطينية، نابلس: منشورات الدار الوطنية للترجمة والطباعة والنشر والتوزيع 1996، ص 28.

وفي مقدمة هؤلاء النواب، عبدالله الريماوي الذي تميز بثقافته العالية ومواقفه الجريئة والذي طرح مواقف الحزب بقوة، وناهض سياسة الحكومة، وشملت شعبيته المسلمين والمسيحيين، وقد مثل الاتجاه الوطني في رام الله والقدس، وكان يحصل على أكثرية الأصوات في دائرته الانتخابية، و التفت حوله الأطباء والمحامون والمهندسون والوجهاء والمخاتير و جعل من مكتبه في رام الله مكتبا لحزب البعث(1).

وتحفل وثائق المخابرات الأردنية بتقاريرها عن هذه الشخصية في مناسبات عديدة.ومن بين هذه التقارير يتحدث تقرير مكتوم ومرسل لمباحث القدس أن بعض الغرباء يترددون على بيت السيد الريماوي ويعتقد أن البحث دار حول ترخيص الحزب، وتكررت الاجتماعات في اليوم التالي حتى الساعة الرابعة مساءً، وأن الاجتماع دار مرة ثانية حول تعديل دستور حزب البعث، وتعيين عمان مقرا للحزب والتقدم بطلب ترخيص الحزب(2).

كان حزب البعث نشيطا في البرلمان، رغم أن عدد نوابه قليل، وربما يعود السبب إلى تعبيرهم عن طموح ورغبة جيل الشباب، كما أنهم نجحوا في إقامة صلات ثقافية، والاطلاع على ثقافة الغرب أثناء دراستهم في الجامعة الأمريكية في لبنان، وينطبق ذلك على عبدالله، وعبدالله نعواس، ومنيف الرزاز، وكمال ناصرناصر.

كذلك معارضتهم للحكومة الأردنية، فعلى سبيل المثال، خرج عبدالله الريماوي، وعبدالله نعواس من سجن الجفر عام 1950 إلى قبة مجلس النواب، بعد نجاحهما في الانتخابات، وكان أول بيان لهما " من السجن إلى البرلمان"(3).

كان عنصر الانتقاد الرئيس يتمثل في الهجوم على سلطة البريطانيين المسيطرة على البلاد، وهي بمثابة السلطة التنفيذية وتوقف البعثيون عند قانون: [الشعب هو مصدر السلطات]. قام نعواس و الريماوي مع نواب آخرين من الضفة الغربية بتقديم لائحة من الاقتراحات لا صلاح التشريعات وتحديد سلطة الحكومة، وحاولوا مع نواب آخرين إسقاط وزارة توفيق باشا

(1) انظر: الفتاش، إبراهيم: أوراق خاصة في الحركة الوطنية، ص 179.

(2) انظر: ملفات المخابرات الأردنية، في: (أرشيف دولة إسرائيل)، تقرير مكتوم رقم 9/ 22 86 س/ 2286، 1954، صفتان.

(3) انظر: هيئة الموسوعة الفلسطينية: الموسوعة الفلسطينية، القسم العام، مج3، 1984، ص 77.

أبو الهدى، وطالبوا تعديل الدستور بحيث يضمن للشعب تقرير مصيره، ثم جعل الثقة الوزارية بالأكثرية العادية، وإلغاء القوانين الاستثنائية وتطهير الجهاز الإداري(1).

- من أبرز مطالب البعثيين داخل المجلس وخارجه بين عامي 1950-1955. مايلي:
- 1- عزل الضباط الإنجليز من الجيش الأردني وعلى رأسهم الفريق غلوب باشا.
- 2- إلغاء قوانين الدفاع الأردنية.
- 3- إجراء انتخابات نيابية حرة.
- 4- السماح بتأسيس الأحزاب السياسية.
- 5- إلغاء معاهدة التحالف البريطانية الأردنية لعام 1948(2).

وناضل البعث على الصعيد الخارجي في الدعوة لتحقيق الوحدة العربية وسياسة الحياد الإيجابي ورفضه للأحلاف الاستعمارية، والتدخلات الخارجية الأجنبية في شؤون الأردن، إلى جانب عدم إغفال نواب البعث الخدمات المجتمعية، وتحسين أوضاع الفلاح في الريف، والعمال، والمرأة.

ومما أسهم به نواب البعث: وضع دستور عام 1952 الذي ينص على تأكيد الانتماء القومي للأردن أرضاً وشعباً للوطن العربي والأمة العربية، كما جاء في مادتيه الأولى والثانية وقد تجاوب هذا الانتماء مع دعوة البعث، خاصة أن دستور عام 1928، وغيره من دساتير البلاد العربية التي فرضت على البلاد العربية فترة ما بين الحربين لا تؤكد على هذا الانتماء(3).

ووقف نواب البعث ضد قانون حظر النشاط الشيوعي الذي سنته السلطة، واعتبارها له نشاطاً هداماً(4).

وقف نواب البعث في أكثر من مناسبة ضد قانون الطوارئ الذي استخدمته حكومات الأردن منذ عهد توفيق باشا أبو الهدى عام 1949، الذي يجيز للحكومة طرد أي مواطن ارتكب

(1) انظر: الشاعر، جمال: سياسي يتذكر، ص 163.

(2) محافظة، علي: العلاقات الأردنية - البريطانية، ص 194 - 195.

(3) انظر: الحوراني، هاني، وآخرون: حكومة سليمان النابلسي (1956 - 1957)، عمان: دار سندباد للنشر، 1998، ص 106.

وانظر أيضاً: حزب البعث العربي الاشتراكي البرنامج الانتخابي لعام 1956، ص 6.

(4) انظر: الفتاش، إبراهيم: أوراق في الحركة الوطنية، ص 95.

إحدى المخالفات، أو سجنه لمدة طويلة وبذريعة " الشيوعية الهدامة " اعترض عبدالله الريمائوي على هذا البند، وأكد أن إمكانية اللجوء إلى هذه التشريعات، وأن قانون الطوارئ ينشر في حالات محددة ، ومنها: التأكيد على حماية الوطن والدفاع عنه، والقانون يكون ساري المفعول عندما ينشر بقرار حكومي ، ويستند على قرارات حكومية(1).

وطالب الريمائوي بإلغاء قانون الانتخابات للسلطة، والمجالس المحلية، واشترط وزارة الداخلية بأن يكون عمر الناخب 25 عاماً، وطالب أن يكون عمره 18 عاماً، ثم طالب بتوسيع تنظيم المخططات البلدية والقروية، وتحسين مجالات التربية والتعليم والصحة في البلاد، وجملة هذه المطالب تعكس الرغبة في تحسين أحوال أبناء الضفة الغربية(2).

وأثار البعث موضوع مشاركة المرأة في الانتخابات، بالتصويت، وخاصة المتعلمات والمتقنات ليناقدن الرجال في المجالس البلدية والمحلية. كان النائب كمال ناصر من المطالبين بحصول المرأة على حقوقها في أكثر من مناسبة* في مجلس النواب وخارجه. وشجع نواب البعث التعليم الجامعي، وإرسال البعثات إلى بريطانيا وغيرها من الدول الأوروبية، ولا ضير في ذلك**، حتى وإن كانت دولاً استعمارية(3).

ونالت مشاريع الوحدة العربية، اهتماماً كبيراً، من قبل حزب البعث، وقد قامت مبادئه على الوحدة، ولكنه لم يحدد الوسائل التي يتم بها تطبيق الوحدة وكان مشروع " وحدة الهلال الخصيب " واحداً من المشاريع التي طرحت منذ تأسيس حزب البعث في سوريا، وعادت تطرح من جديد عام 1950. وقامت نواتها في وحدة العراق، وسوريا، وهو ما أطلق عليه المشروع الهاشمي، الذي قابله حزب البعث بغموض وتردد(4).

(1) انظر: أبرهام، سيلع: حزب البعث في الضفة الغربية تحت الحكم الأردني، ص 121.

(2) انظر: أبرهام، سيلع: المرجع السابق، ص 123.

* عرض ناصر أمام مجلس النواب مطالبته بسن تشريعات لصالح المرأة، فوقف حمد جازي، ملوحاً بسيفه قائلاً: "أن النساء قبورهن بيوتهن، وأن الذي يطلب حقوقاً للمرأة يكون مثلها وساقط رأسه بهذا السيف، فلم يكن الرجل إلا جاداً في حديثه، وسقط الاقتراح". (انظر: سليمان، سهيل: كمال ناصر الشاعر والأديب السياسي، ص 142).

** و طرح النائب عبد القادر العمري، نائب إربد برفض إرسال طلاب البعثات إلى بريطانيا بحجة أنها دولاً معادية لحقوق العرب، فرد عليه ناصر أن الذين دوخوا الاستعمار درسوا في بلاده، وأن مختلف التخصصات متوفرة هناك (انظر: سليمان، سهيل: المرجع السابق، الصفحة نفسها).

(3) سليمان، سهيل: كمال ناصر الشاعر والأديب السياسي، ص 141 – 142.

(4) انظر: العباسي، محمد: حزب البعث التاريخ، الفكر، التطبيق، الزهراء للإعلام العربي ط 1992، ص 71.

وعادت حكومة العراق في عام 1951 تطرح المشروع بقوة وحماس، وأجرت اتصالات مع المرشحين للانتخابات في الأردن ومنهم: عبدالله الريماوي وأنور الخطيب، واقترح تنفيذ الوحدة، إلا أنها فشلت بضغط من الملك طلال وتوفيق باشا أبو الهدى، وبعد عزل الملك طلال، وتولي ولده الحسين حكم البلاد، عادت وسائل الصحافة والإعلام تطرح الوحدة الهاشمية من جديد، وتسابق أهل الفكر والقلم لإبداء رأيهم فيها، وأيدها الريماوي، والخطيب وخلص الخيري، ولكن الحكم الهاشمي تراجع بسبب الضغوط البريطانية التي مورست عليه بعد الاعتداءات الحدودية الإسرائيلية المتكررة، والتي بلغت ذروتها عام 1953 في جريمة قبية(1).

نادى حزب البعث بسياسة الحياد الإيجابي وتعرض ميشيل عفلق لهذه القضية منذ عام 1948 حيث أسست هيئة الأمم المتحدة، وبرزت الكتل الدولية الكبرى. وقد أظهر عفلق ميله للديمقراطية الغربية ومطالبها في الحرية، ولكنه رفض سياساتها تجاه القضية الفلسطينية، وأوضح أنه لا يمكن الوقوف بجانب هذه الكتلة مثلما يرفض الديكتاتورية التي يمارسها المعسكر الشرقي، ونادى أخيراً باتباع سياسة الحياد(2).

أدى التشابه في الموقف من سياسة الحياد الإيجابي وتبني سياسة عدم الانحياز من قبل البعث وعبدالناصر إلى حدوث تقارب وتوافق.

بعد ظهور كتلة عدم الانحياز ورفض الدخول في أي من المعسكرين الدوليين ومبادرة عبدالناصر وجواهر لال نهرو وأحمد سوكارنو، عقد مؤتمر باندونغ في إندونيسيا ثم كسر عبدالناصر احتكار أوروبا الغربية للسلاح، وعقد صفقة أ سلحة مع تشيكوسلوفاكيا. عندها أخذت تقوى فكرة إقامة علاقة مع الكتلة الشرقية بهدف الحصول على السلاح، وتقوية الكتلة الأفرو-آسيوية، وقد تبني البعث مبدأ تدعيم هذه الكتلة، وشعارات عدم الانحياز، حتى أنه عقد مؤتمراً كبيراً لعرض البرنامج الانتخابي في السابع من أيلول عام 1956، و عقد المؤتمر في مهرجان كبير في سينما دنيا في رام الله لغرض انتخاب حمدي التاجي الفاروقي وعبدالله الريماوي وكمال ناصر وشعاراته تدعو لتطبيق هذه المبادئ ومما كتب في يافطات البعث آنذاك " 1 - مقاومة الاستعمار بجميع أشكاله و ألوانه ومقاومة الأحلاف الأجنبية مقاومة فعالة. 2- إن البعث ينادي بسياسة الحياد الإيجابي كتلة الدول الآسيوية - الإفريقية وفي مقدمتها الهند. 3- وتدعيم التعاون

(1) انظر: المجالي، هزاع: مذكراتي، (د. م)، 1959، ص 122 - 123.

(2) انظر: فرزات، حرب: الحياة السياسية في سوريا، ص240.

مع الاتحاد السوفيتي، والصين الشعبية ويوغسلافيا وفقا لمقتضيات المصلحة القومية العربية وقضاياها" (1).

وفي جلسة مجلس النواب، بعد إلغاء المعاهدة البريطانية في آذار/ مارس 1957، تحدث النائب كمال ناصر في جلسة مجلس النواب الأردني، وأكد في خطابه المطول على منجزات عديدة أرسى دعائمها البعث وهي " 1 - إنهاء المعاهدة البريطانية - الأردنية نهائياً. 2 - انسحاب اليهود من غزة 3 - ارتداد المعتدين خائبين عن مصر 4 - تعاضم حركة التحرير العربية في الجزائر 5 - ازدياد القوى المناضلة في جميع أنحاء الوطن العربي 6 - إنما قاد إلى هذه الانتصارات " نضالنا التاريخي المظفر في سبيل الوحدة والحرية والاشتراكية" (2).

خ) قطاع الجيش: -

اهتم دستور حزب البعث بالتغيير الثوري الجذري الذي يصيب مناحي الحياة كافة وعبر عنه علق بالانقلابية، واشترط لتحقيقه، وجود الحركة الانقلابية، وهي تسلك سبيل الانقلاب لا الإصلاح التدريجي (3).

و لكن فكرة البعث الانقلابية، تم تفسيرها في تاريخ لاحق بأسلوب آخر، ونعني به الانقلاب العسكري.

سعى الحزب إلى الامتداد والتغلغل، في قطاع الجيش، باعتباره قطاعاً مهماً وجزءاً من القطاعات الشعبية، وكانت الانقلابات العسكرية التي بدأت منذ عام 1949 في سوريا، بقيادة حسني الزعيم قد كشفت أهمية الجيش أمام الحركات السياسية المختلفة في الوطن العربي، زاد على ذلك ظهور دور حركة الضباط الأحرار في مصر بعد انقلاب 23 تموز/ يوليو 1952.

وفي القطر الأردني برز اهتمام حزب البعث بقطاع الجيش مبكراً، حيث عمل الحزب على نشر خلاياه بين ضباط الجيش الصغار، وللتعرف على هذا النشاط كتب أحد المشاركين في إقامة هذه الخلايا: " كان الملازم شاهر أبو شاحوط وقاسم الناصر وتركي الهنداوي وأنا، نعمل معاً في سلاح المدفعية، وعاشنا الظروف القاسية، فبدأنا نبحث في إمكانية تشكيل تنظيم سوي، و كان ذلك بعد الهدنة الثانية* . توصلنا في غضون عام من إقامة تنظيم متواضع من الضباط

(1) ملفات المباحث الأردنية، في أرشيف إسرائيل، وثيقة رقم 24552 /4/4، بتاريخ 9 /9 /1956. ص 1.

(2) سليمان، سهيل: كمال ناصر الشاعر والأديب السياسي، ص 143.

(3) انظر: دستور حزب البعث العربي الاشتراكي، ص 10 - 11.

* الهدنة الثانية: أي عام 1949، أي في السنة الأولى من تكون خلايا البعث في الأردن وفلسطين.

وسميناه باسم " حركة الضباط الأحرار " كما كتبنا نظاماً داخلياً وهيكلًا للتنظيم وقسماً... أن تسمية الضباط الأحرار بهذا الاسم جاءت تجنباً لحصر الحركة في التنظيم الحزبي، ومن أجل استيعاب العديد من الضباط القوميين ليصبح التنظيم ممثلاً لأكبر قطاع من أبناء الشعب العربي في الأردن (1).

لم يقتصر تنظيم الضباط الأحرار على المؤيدين للبعث، بل كان مفتوحاً لأي ضابط قومي وقد امتدت حركة الضباط الأحرار في سيطرتها على سلاح المدفعية و أصبحت لها قوة تنظيمية في سلاح الهندسة، وسلاح الدروع، وزادت قوة الضباط الأحرار بعد ثورة 23 تموز / يوليو 1952 بفترة قصيرة فاتح شاهر أبو شاحوط علي أبو نوار، بأمر الحركة، وكلف محمود المعاينة وشوكت السبول، بالاتصال مع الرتب العليا في الجيش، مع تدارس الأمر مع لجنة التنظيم (2).

جاءت فكرة تعريب الجيش من قبل علي أبو نوار، بعد لقاءات مع القادة السياسيين وبعد أن لمس منهم تجاوباً، طرح الفكرة على الملك حسين. وضمن لقاءات أبي نوار مع القوى السياسية دعا إلى منزل والده عبدالله الريماوي، وعبدالله نعواس، وسليمان الحديدي، وحسني الخفش، وتوجه لعبدالله الريماوي بسؤال حول مدى قدرة حزب البعث على تشكيل وزارة وماهي إمكانياته لدفع الجماهير لخوض معركة ضد بريطانيا ؟.

كان رد الريماوي أن البعث لديه القدرة في المشاركة في وزارة ولا يمكنه تشكيلها أما تسيير الجماهير وتحريكها فإن الحزب لديه الاستعداد على دفع شبابه للتضحية عند أول بادرة وأنه " سيقوم الدنيا ولا يقعدا في كل قرية ومدينة (3).

كانت بعض الظروف قد هيأت للفكرة القائلة بتعريب الجيش، وطرده غلوب باشا من قيادة الجيش وطرده القادة الآخرين من الإنجليز، ومنها: حادثة قبية عام 1953 التي أثارت الأحزاب والجماهير الشعبية في تظاهرات (4).

(1) الحوراني، هاني، وآخرون: حكومة سليمان النابلسي (1956 – 1957)، ص 54.

(2) انظر: الحوراني، هاني، وآخرون: المرجع السابق، ص 55.

(3) انظر: أبو نوار، علي: حين تلاشت العرب – مذكرات في السياسة العربية، لندن: دار الساقى، 1990، ص 165.

(4) انظر: بيان حزب البعث العربي الاشتراكي حول تحرير الجيش آذار 1956، منشور وزع آنذاك وحصل الباحث عليه، صفحة واحدة.

ثم جاءت انتخابات البرلمان الأردني سنة 1954، التي وصفت بكونها مزيفة والزيارات التي قام بها قادة حلف بغداد، ومنهم: الفيلد مارشال السير جيرالد تمبلر رئيس هيئة أركان الإمبراطورية البريطانية، و رئيس وزراء تركيا جلال بايار التي استمرت من تشرين الأول/ أكتوبر حتى منتصف تشرين الثاني/ أكتوبر 1954، وقتل ضابط بريطاني في هذه الأحداث في مدينة الزرقاء، في حين استشهد أربعين مواطناً نتيجة التظاهرات الجماهيرية(1).

هانف الملك حسين أبو نوار في 28 شباط/ فبراير 1956، عن إمكانيات التنفيذ وحضر الملك إلى مقر رئاسة الأركان يرافقه الملازم زيد بن شاكرا، وبين علي أبو نوار خطة تعريب الجيش وقرار الدفاع عنها، وبحثوا في السبل التي تحول دون تدخل إسرائيل وبارك الملك هذا الجهد(2).

استدعى الملك الضابط أحمد زعرور، والضابط محمود معاينة وبحضور شاهر أبو شاحوط وسألهم عن إمكانياتهم العسكرية لتعريب الجيش، فكانت إجابتهم أن لديهم القدرة على تنفيذها دون صعوبة، وعادوا إلى وحداتهم بعد أن أفهمهم الملك أن علي أبو نوار سيبلغهم بموعد التنفيذ، وشارك بها ضباط آخرون* وقامت الخطة على تخطيط يضمن سير خطة تعريب الجيش، دون تدخل إسرائيل، أو إفشالها من الضباط البريطانيين، وتتم بإحكام السيطرة على وحدات اللواء في خو، ثم على مطار ماركا، ومواقع القطاعات الإنجليزية، وسرب الطائرات، والسيطرة على معسكر الزرقاء، ومنع الإنجليز من الحركة والاتصال. ثم تطويق بيت غلوب باشا، ومنع من الخروج والاتصال مع وحدات الجيش وتم تعزيز قوة حماية القصور الملكية، وحدد موعداً لتنفيذها الساعة الثانية ظهراً من يوم الخميس 29 شباط / فبراير 1956(3).

نجحت خطة تعريب الجيش، التي شاركت بها قطاعات واسعة من الجيش، وتم إبعاد غلوب باشا إلى خارج البلاد، وحتى لا ينعكس تأخير تنفيذ الخطة على اتخاذ إسرائيل لأي ردة فعل، واستقبل الشعب خطاب الملك حسين يوم 2 آذار/ مارس 1956 الذي أعلن فيه تعريب

(1) انظر: الحوراني، هاني، وآخرون: حكومة سليمان النابلسي، ص 55، و56.

(2) انظر: أبو نوار، علي: حين ثلاثت العرب - مذكرات في السياسة العربية، ص 171.

* أمثال: تركي الهنداوي، وتوفيق الحباري. (أبو نوار، علي: المصدر السابق نفسه).

(3) انظر: الحوراني، هاني: حكومة سليمان النابلسي، ص 56 - 57.

وانظر أيضاً: أبو نوار، علي: حين ثلاثت العرب، ص 171 - 183.

الجيش بفرحة غامرة ، وانطلقت الجماهير مبهجة بهذا اليوم، وابتهج الفلسطينيون، وخرجوا إلى الشوارع تغمرهم مشاعر كبيرة من الفرح (1).

كان الدور الذي قام به عدد من ضباط الجيش و المؤيدون منهم لحزب البعث ودفعهم لخطة تعريب الجيش كافيا إلى الاعتقاد، بأن حزب البعث تغلغل في الجيش إلى حد كبير، وقد اتهم أبو علي نوار رئيس الأركان بأنه من قادة وضباط البعث وأن بدايات عمله جاءت منذ عام 49، وعرف بها الملك حسين عام 1953 لكن علي أبو نوار رفض هذه الاتهامات، ورد عليها بأنه لا ينتمي إلى أحزاب كما جاء في مذكراته(2).

كانت خطوة تعريب الجيش، خطوة مهمة في تاريخ الأردن، حيث نقلت هذا البلد من التبعية المباشرة لبريطانيا إلى أن تشق طريقها نحو التحرر والاستقلال، كما أنها رفعت عن كاهل الضباط الأردنيين سيطرة القادة البريطانيين.

ضمت حركة الضباط الأحرار منتسبي الأحزاب الوطنية والقومية ، من: البعثيين، والقوميين، والشيوعيين، وجمع هؤلاء عدم الرضا من النظام الأردني. وقد ظل تأثير الضباط الأحرار في الجيش والذين اتهموا بمحاولات انقلابية في الأعوام اللاحقة، وكان للجيش دور مهم في الأزمة التي حدثت بين الملك حسين، ورئيس حكومته سليمان النابلسي. وكان الضباط غير راضين عن خطوة الملك في عزل سليمان النابلسي، و يلاحظ أن الذين خططوا لتعريب الجيش بالاتفاق مع الملك حسين أصبحوا فيما بعد متهمين بعمل انقلابات مما يحمل على القول أن النظام عرف كيف يمتص نقتهم في فترة تعريب الجيش ويدير لهم ظهره في فترة لاحقة متهما إياهم بالتآمر للقيام بانقلابات ضد الحكم.

وقد حاول كلوب باشا استيعاب الفلسطينيين بتجنيدهم في الحرس الوطني والذين يخدمون بدوام جزئي لا جنود نظاميين، وبالمقابل جند عناصر من الضفة الغربية معروفة بولائها للهاشميين، في محاولة لمنع نمو معارضة مسلحة وموحدة في وجه الملك، وفي وجه عائلات الأعيان(3).

(1) انظر: لنت ، جيمس (مترجم): الحسين سيرة حياة، عمان: الدار العربية للنشر والتوزيع ط 1990، ص 77.

(2) انظر: أبو نوار، علي: حين تلاشت العرب، ص 180.

(3) انظر: براند، أ. لوري: الفلسطينيون في العالم العربي، ص 153 – 154.

قابل البعث مبادرة الحسين في تعريب الجيش بالترحيب وأوضح في بيانه الذي جاء في هذه المناسبة " أنه سبق أن طالب الحكومة منذ عام 1953 بعد جريمة قبية ... وهي نتيجة لوثة الشعب وإفشاله حلف بغداد.. وإن هذه الخطوة بحاجة أن تكتمل على طريق الوحدة والاستقلال بخطوات أخرى ومنها: 1) طرد بقية الضباط الإنكليز من الجيش. 2) فصل الشرطة عن الجيش. 3) قبول المساعدات العربية. 4) التعاون الوثيق مع الدول العربية المناهضة بالحياد الإيجابي، ورفض الأحلاف الأجنبية..."(1).

د) حكومة سليمان النابلسي: -

يعتبر سليمان النابلسي أحد أبرز الوجوه الأردنية المعارضة لنظام الحكم في الأردن في عهدي الإمارة والنظام الملكي حتى وفاته عام 1976. في عام 1954 تأسس الحزب الوطني الاشتراكي من مجموعة أشخاص في الضفتين الشرقية والغربية لنهر الأردن، وقام الحزب على أسس غير عقائدية أو شعبية وكانت عضوية الحزب غير مفتوحة للجميع وجل تركيزه على أبناء العائلات والبرجوازية الصغيرة.

تسلم أمانة الحزب هزاع المجالي؛ وغاية الحزب توحيد الأردن والعراق في اتحاد هاشمي نظرا لوجود القواسم المشتركة بين القطرين؛ ولأن في العراق جيشا قويا مرهوب الجانب، ولديه الإمكانيات المالية(2).

في الخامس عشر من كانون الأول/ ديسمبر عام 1955 جرى تأسيس حكومة برئاسة هزاع المجالي بهدف ضم الأردن إلى حلف بغداد وحاول النابلسي أن يثني رفيقه عن ذلك، وزاره في بيته، وحاول التأثير عليه من قبل زوجته، التي نصحته أن يقبل نصيحة أخيه سليمان، لكنه أبقى(3).

نتيجة ذلك قامت المظاهرات في أرجاء المملكة كافة، وكانت شاملة وعنيفة، راح ضحيتها عدد من الشهداء، فاضطر هزاع إلى تقديم استقالته بعد 4 أيام من اندلاعها إلى الملك

1) بيان حزب البعث العربي الاشتراكي حول تحرير الجيش العربي، آذار 1956، في منشور وزع آنذاك وحصل البلعث على نسخة عنه، صفحة واحدة.

2) انظر: المجالي، هزاع: مذكراتي، ص 143.

3) انظر: محافظة، علي: أبحاث وأراء في تاريخ الأردن الحديث، ص 224.

يوم 19 كانون الأول /ديسمبر، واقترح على الملك حل المجلس النيابي وإجراء انتخابات جديدة حتى يتاح للشعب الأردني أن يعطي رأيه في مسألة الانضمام إلى حلف بغداد(1).

تم تعريب الجيش الأردني في آذار/ مارس 1956، وتقرر إجراء انتخابات نيابية حدد موعدها في 21 تشرين الأول / اكتوبر 1956، وقد سادتها أجواء تامة من الحرية، وشاركت فيها الأحزاب كافة سواء أكانت المحظورة أو العلنية باختلاف ميولها واتجاهاتها، وهي: الحزب الوطني الاشتراكي الذي فاز بثلاثة عشر مقعدا والحزب لشيوعي بثلاثة مقاعد، وحزب البعث بمقعدين*، والجبهة الوطنية بأربعة مقاعد و الاتحاد الدستوري بمقعد واحد. والإخوان المسلمون بأربعة مقاعد، وفاز حزب التحرير بمقعد، أما المستقلون فقد نالوا عشرين مقعدا(2).

كلف الملك حسين سليمان النابلسي بتشكيل مجلس وزراء بناء على فوز الحزب الوطني بالأغلبية؛ وبصفته رئيسا للحزب الوطني كلف بالمهمة بعد اعتذار عبدالحليم النمروتجاوبا مع الطموح الوطني والقومي العربي، ومطالبة الجماهير العربية بتحرير الإرادة الوطنية، والمطالبة ببناء مؤسساتها. حينما اشترك الريماوي في حكومة النابلسي " ركز اهتمامه على السيطرة على حزب البعث من خلال موقعه الرسمي لتقوية نفوذه الشخصي في الحكومة والجيش "(3).

تمتع الوزير البعثي بقوة الشخصية والشكيمة وقد مارس تأثيره القوي ووطد علاقاته بمختلف مراكز التأثير، فيها كنسج الصداقة المتينة مع رئيس الأركان الأردني علي أبو نوار، ومع مجموعة من الضباط العسكريين من الحكومة المصرية، إلى جانب كونه الرئيس القطري لحزب البعث.

ظهر تأثير الوزير البعثي في منعه إدخال فرقة عسكرية عراقية إلى الأردن بعد اعتداء إسرائيل على قطاع غزة وسيناء في تشرين ثاني / نوفمبر 1956، وقد وصل صالح صائب الجبوري رئيس أركان الجيش العراقي منذ عام 1948، وبتكليف من الأمير عبد الإله حاكم العراق لإدخال الفرقة ووضع قوة جوية عراقية لمساعدة الأردن. وفي هذه المفاوضات

(1) انظر: محافظة، علي: المرجع السابق، ص 238.

* فاز فيهما عبدالله، الريماوي، وكمال ناصر.

(2) انظر: محافظة، علي: المرجع السابق، ص 253.

وأيضا: العبيدي، جدوع عوني: حزب التحرير الإسلامي ط1، عمان: دار اللواء للصحافة والنشر 1993 ص 74.

(3) انظر: الشاعر، جمال: سياسي يتذكر، ص 191-192.

والاجتماعات مثل الأردن عبد الله الريماوي وعلي أبو نوار، ووزير الدفاع عبد الحليم نمر وفي أثناء محادثات الأطراف المختلفة عمل الريماوي، ونسق مع الأطراف المختلفة على منع دخولها، وقال أنه بناءً على اتفاق سابق يجب بحث الأمر مع القيادة المشتركة المصرية السورية الأردنية مما أغضب الحكومة العراقية ورفض الخضوع لتعليمات هذه الدول(1).

وكان برنامج البعث والوزير البعثي يضغط باتجاه الحصول على المعونة من مصر وسوريا والسعودية بدلا من المعونة البريطانية وكان علي أبو نوار صديق عبد الله الريماوي قد أجرى محادثات في هذا الصدد مع المسؤولين المصريين، إلى جانب إقامة علاقات دبلوماسية مع الصين الشعبية والاتحاد السوفييتي(2).

وهو ما أدى إلى خشية الملك من حلول السوفييت في الفراغ الذي أحدثته بريطانيا، بعد العدوان الثلاثي على مصر. رغم ذلك عقد الحسين اتفاقية التضامن العربي في 1957/1/19 بين الأردن ومصر وسوريا والسعودية والتي تهدف إلى دعم الكيان العربي الأردني واستقلاله، وتقديم مبلغ مالي سنوي من قبل هذه الدول(3).

لم يكن الملك حسين على ثقة بان هذه الدول ستفي بالتزاماتها، ولذا أبقي خيوط علاقاته مع الغرب مستمرة، وكان حذراً من دخول السوفيت إلى بلاده بسبب المعونة المصرية، ولم يكن راضٍ عن حكومة سليمان النابلسي، التي شملت أكثر من وزير غير مرغوب فيه مثل عبد القادر الصالح المعروف بميله نحو الجبهة الوطنية، التي كانت واجهة سياسية للحزب الشيوعي الأردني المحظور ثم سماح النابلسي بإصدار صحيفة الجماهير، التي يناقض صدورها قانون مكافحة الشيوعية، الذي يحظر نشاط الحزب الشيوعي(4).

سادت أجواء الشك والريبة في العلاقة بين الملك حسين ورئيس وزراء حكومته سليمان النابلسي وكذلك بعض الوزراء، وأصحاب المراتب العليا في الجيش، بسبب التقارير التي أوردتها أجهزة المخابرات والموالين للملك حسين، وقد وصف الحسين بعضهم بالمتمارين عليه،

(1) انظر: أبرهام، سيلع: حزب البعث في الضفة الغربية، ص 28.

وانظر أيضا: أبو نوار، علي: حين تلاشت العرب، ص 274.

(2) انظر: محافظة، علي: العلاقات الأردنية البريطانية، ص 266.

(3) انظر: التلهوني، بهجت: الحسين بن طلال، ط 1، (دم) 1957، ص 119.

(4) انظر: التلهوني، بهجت: الحسين، 174.

وأنهم يصفونه بالعميل للإمبريالية، كما أن النابلسي ألقى خطاباً يوم 21 كانون الأول/ ديسمبر 1956 في عمان لمدة تزيد عن ثلاثين دقيقة في مديح الرئيس جمال عبدالناصر دون التطرق للملك حسين بتاتا. اعتبر الملك حسين وزير خارجيته عبدالله الريماوي ورئيس أركان جيشه علي أبو نوار في عداد المتأمرين عليه، وأن حزب البعث يميل للشيوعية، وكلاهما يدفعان الأردن للارتباط بالسوفييت ومصر، وأوردت المخابرات الأردنية تقريراً يذكر أن بعض الوزراء أدخلوا أكثر من المائة ألف دينار لأنفسهم ولأغراض أخرى، وقد زادت الاتصالات بين عبدالله الريماوي والسوريين إلى حد اعتبرت فيه دمشق مركزاً لوزارة الخارجية الأردنية. أرسل الملك حسين رسالة إلى سليمان يصف فيها الخطر، والتهديد الذي يتعرض له الأردن من الإمبريالية الجديدة في إشارة للشيوعية ومن خطر القوميون العرب في إشارة لحزب البعث(1).

بدأ الصراع بالظهور بين الملك وحكومته، فهو غير واثق من التزام الدول العربية بتعهداتها للأردن، ونجاحها في سد الفراغ الذي أحدثته انهيار التحالف الأردني - البريطاني في الثالث عشر من آذار 1957(2).

ظهر التناقض بين عبدالله الريماوي الذي أعلن معارضته لمبدأ الرئيس الأميركي دويت أيزنهاور صاحب نظرية الفراغ منذ 2 كانون الثاني/ يناير 1957، الذي طرح أميركا بديلاً لتحل في الفراغ الذي أحدثته انسحاب بريطانيا من الشرق الأوسط، وبين الملك حسين الأسباب التي تشجعه على قبول هذه المساعدة طالما لا تتعارض مع سيادة العرب، ورأى فيها فرصة لتخليص بلاده من ضائقة اقتصادية. وكان مبدأ الفراغ بمثابة القشة التي قسمت ظهر البعير، وبالمقابل حرك سليمان النابلسي الجهود السياسية لإقامة علاقات دبلوماسية مع الاتحاد السوفيتي، حيث لم تف الحكومة الأميركية بالتزاماتها الاقتصادية التي عقدتها مع الأردن، وعندها توجه علي أبو نوار وشفيق الرشيدات بطلب المساعدة من الاتحاد السوفيتي، وأجريا اتصالات مع السفير الروسي في دمشق، وطلباً منه تقديم مساعدات عسكرية للأردن، وأعرب بدوره عن استعداد السوفييت لتقديم صفقات سلاح، وقد أثارت هذه الاتصالات غضب الملك حسين، وفي 10 نيسان/أبريل 1957 أمر الملك الحسين رئيس حكومته بتقديم استقالته، ووضع سليمان النابلسي تحت الإقامة الجبرية(3).

1 (انظر: فريدون ، جم صاحب: الحسين مهنتي كملك أحاديث ملكية، عمان: الدار العربية للطباعة والنشر، ص106-

113 (بتصرف) وأيضاً: التلهوني، بهجت:، المرجع السابق. ص 171 - 173.

2 (انظر: محافظة، علي: العلاقات الأردنية البريطانية، ص171.

3 (انظر: محافظة، علي: المرجع السابق، ص 271، و ص 274.

بعد استقالة سليمان النابلسي ؛ وقعت حوادث ومصادمات، بين مؤيدي الملك ومؤيدي رئيس الأركان علي أبو نوار في الثالث عشر من نيسان. وفي مساء ذلك اليوم توجه الملك وعلي أبو نوار إلى معسكر الزرقاء، وقد طوقت القوات الموالية للملك مؤيدي علي وعشرين ضابطاً. وفي اليوم نفسه لجأ أبو نوار إلى سوريا وعُين اللواء علي الحيارى خلفاً له بالوكالة. ولكن اللواء الحيارى الذي عين في 18 نيسان/ أبريل 1957 قائداً للجيش الأردني، لجأ إلى سوريا، وأبلغ رئيس الوزراء الأردني استقالته من دمشق بعد يومين(1).

يقول الملك حسين أن التخطيط للانقلاب قد بدأ في 7 نيسان/ابريل 1957 حين أحاطت سرية مصفحات العاصمة عمان في المواقع الإستراتيجية، وهو ما أثار اضطراب الملك حسين وتوجه بسؤال لقائد الجيش أبي نوار عن معنى هذه التحركات التي تجري حول العاصمة فأجابته: إنها عملية روتينية، تتعلق بتفتيش السيارات التي تدخل عمان أو تخرج منها(2).

ويذهب الملك حسين إلى أن أبا نوار كان يدفع النابلسي ووزراءه، لقبول الاستقالة لا لشيء إلا لأن الملك في نظره غير قادر على تشكيل حكومة بدون النابلسي، وقال: "عليكم تقديم استقالتكم، وسأرغمه على استدعائكم"، وذكر الملك حسين أن مخابراته كشفت رسالة من الرئيس عبدالناصر تشجعهم على الثبات في أماكنهم ورفض الإذعان لطلب الملك إليهم تقديم استقالتهم(3).

في ظل التطورات المتسارعة، التي أُنذرت بانقلاب الحكم الأردني على حكومة النابلسي الوطنية. أخذ الشيوعيون والبعثيون يهيئون أنفسهم، ويعدون العدة لمعركة الدفاع عن النفس، وبادرت الأحزاب الوطنية والقومية(الشيوعي، البعثي الوطني الاشتراكي، القوميون العرب) والشخصيات الوطنية إلى عقد مؤتمر وطني في مدينة نابلس يوم الثاني والعشرين من نيسان/أبريل 1957 وطالب الحضور الملك حسين برفض مشروع أيزنهاور وتحقيق الاتحاد الفيدرالي بين سوريا ومصر والأردن والتمسك بسياسة عدم الانحياز والحياد الإيجابي والإفراج

(1) انظر: حمدان، حمدان: أكرم الحوراني رجل للتاريخ، ص212.

(2) انظر: فريدون، جم صاحب: الحسين مهنتي كملك، ص 114 – 115.

(3) انظر: فريدون، جم صاحب: الحسين مهنتي كملك، ص115، و 118.

عن المعتقلين حالاً. ودعوا الشعب إلى القيام بإضراب عام ومظاهرات طيلة يوم الأربعاء 24 نيسان 1957(1).

وتشكلت لجان وطنية في مدينة نابلس، وعمت سائر مدن الضفة الغربية وقامت بمظاهرات فيها واتسمت بالعنف، وتقرر فيها تشكيل جبهة وطنية من الأحزاب وكان يقود المظاهرات في نابلس بسام الشكعة أحد قادة الحزب، وفي تظاهراتهم كان قادة الأحزاب كل يلقي خطابه باسم حزبه، وهم يتبادلون الصعود على المنصات* يومياً وتكرر الوضع على هذا النحو أكثر من أسبوعين(2).

مضى الحسين في قراره غير أبه بالاحتجاجات الشعبية، وصدر مرسوم ملكي بتعيين الدكتور حسين فخري الخالدي بعد استقالة النابلسي، وهو شخصية وطنية من قادة الهيئة العربية العليا بزعامة المفتي، إلا أن ظهوره في هذا الوقت بالذات، دفع الأحزاب والوطنيين لمعارضته باستثناء جماعة المفتي لأن فخري الخالدي يعتبر أحد قادتهم، وعين الملك الحسين إبراهيم هاشم خلفاً له، ونادى المرسوم بأن جميع الأحزاب خارجة عن القانون، وعادت الأحزاب إلى العمل السري(3).

فرعبدالله الريماوي ونعواس، وآخرون من قادة البعث اختفوا في الضفة الغربية، وبقى السؤال الذي اختلف عليه:

— هل كان أبو نوار، وحزب البعث يخططون للانقلاب؟

يبدو للباحث أن البعث، وعلي أبي نوار لم يمتلكا برنامجاً وتخطيطاً لذلك بل كان الأمر متداخلاً مع الأحداث التي مرت بها البلاد، والتناقض القائم بين الحسين و حكومته في تحديد وجهة السياسة الأردنية، والقوى التي يجب أن تقيم علاقات معها.

(1) انظر: " بيان المؤتمر الوطني في مدينة نابلس 22 / 4 / 57"، وزع آنذاك وحصل الباحث نسخة منه. حضره 22 نائباً من 44 شخصاً وبلغ حضور البعثيين في المؤتمر 12 شخصاً.

* كان يصعد تارة إلى المنصة بسام الشكعة، ويلقي خطاباً باسم البعث وتارة أخرى يصعد عربي عواد من سلفيت، ويخطب باسم الحزب الشيوعي ويتحدث عن أهداف المظاهرة، ويدعو إلى عودة حكومة النابلسي.

(2) انظر: الفتاش، إبراهيم: أوراق خاصة في الحركة الوطنية الفلسطينية، ص 125 - 126.

(3) انظر: الفتاش، إبراهيم: المرجع السابق، ص 124 - 125.

إثر هذه الأحداث قامت المظاهرات العارمة على النظام، ولكنه بطش بها بشدة وتشرّد الكثيرون من الضفتين الشرقية والغربية، ومن بينهم قيادات الحزب، وشنت حملة اعتقالات شملت مئات من البعثيين والشيوعيين، وغيرهم من المعارضين السياسيين، واعتقل حافظ عبد الهادي مدير الإذاعة الأردنية وهرب قسم كبير من شباب الإذاعة الأردنية المنتمي بعضهم للحزب بما فيهم مديرها الشاعر يوسف الخطيب والكاتب يوسف السفري، وإبراهيم أبو ناب، وحكمت المحكمة العامة بالسجن لمدة عام على غالبية المشاركين بالتظاهر، وكانوا من الحزبيين البعثيين بينما حوكم آخرون بالاعتقال الإداري لمدة أطول، ومنهم محمد أمين وعباد المالكي(1).

وشكل بعض الفارين إلى سوريا " مجلس الانقلاب الأردني "، وضم الريماوي وسعيد العزة وعلي أبو نوار(2).

التقى عبدالله الريماوي وعبد المحسن أبو النور قائد الجيش الأول في سوريا مع اللاجئيين السياسيين الأردنيين، وكانت لدى مصر أفكار لقلب النظام الأردني، وتم ترتيب تهريب الأسلحة من غزة إلى الضفة الغربية من خلال مخلص عمرو، ومن سوريا إلى إربد من خلال حزب البعث، وكان ياسر عمرو حلقة وصل بين مخلص عمرو في القدس، وعبد المحسن أبو النور، وعبدالله الريماوي في دمشق، ونقلت الأسلحة واكتشفت الخطة واعتقل مخلص عمرو وآخرين من الضفتين الغربية والشرقية، وانتهى تعذيبه الشديد بموته في نيسان/ أبريل 1961(3).

وعلى أثر الأحداث اختفى بهجت أبو غربية، وسليمان الحديدي، وحسان وظانفي* مشكلين قيادة سرية لحزب البعث، وقد اعتقل بهجت في عام 1960(4).

-
- (1) انظر: المالكي، عباد: الفراغ السياسي، ص 30-31.
 وأيضاً مقابلة أجريت بتاريخ 98/ 7/10 مع محمد أمين في رام الله.
 (2) انظر: سعد، أحمد صادق، وياسين، عبدالقادر: الحركة الوطنية الفلسطينية 1948-1970، القدس: منشورات صلاح الدين 1978، ص 98.
 (3) أوراق مطبوعة كتبها ياسر عمرو للباحث في 10 / 1 / 1999.
 *حسان وظانفي: أحد أعضاء حزب البعث من مدينة السلط بلغ مرتبة عضو قيادة قطرية في حزب البعث وهو أحد الذين حضروا المؤتمر القومي الثالث عام 1959.
 (4) رسائل مطبوعة أرسلت من بهجت أبو غربية للباحث في تموز 1998.
 وانظر: من ملفات المخابرات الأردنية، كشف بأسماء البعثيين لمنطقة القدس 30 / 4 / 63 تقع في 11 صفحة (من بين الفارين: عبدالله الريماوي، و عبدالله نعواس، و يوسف الخطيب، وعبد المحسن أبو ميزر، وأحمد نيب شاور ومحمد محمود علي الريماوي، و سامي حسين عاطف درويش، و فؤاد محمد الزغير، ويعقوب حسن الريماوي، و زهير أحمد الخطيب، وكمال ناصر. وانظر: سليمان، سهيل: كمال ناصر الشاعر والأديب السياسي، ص 144، وقد تقيّب عن جلسة مجلس النواب التي حضرها الملك حسين يوم 1 تشرين الأول 1957 النواب، شفيق الرشيدات، ويعقوب ز يادين، ويوسف البندك، و سعيد العزة، و عبد الخالق يغمور، و عبدالله الريماوي، و كمال ناصر، وفائق وراذ.

عقدت الوحدة المصرية – السورية عام 1958، وقابلها العراق والأردن باتحاد هاشمي الذي أسقط بعد ثورة 14 تموز/ يوليو 1958.

وفي هذا العام أجرى محمود الروسان اتصالاته مع ضباط أردنيين، واتفق معهم على إطلاق تسمية ضباط الوحدة الشاملة، واتهم بإجراء اتصالات مع عدد من منتسبي الأحزاب القومية كالبعث والقوميين العرب، وأنهم اتفقوا على قلب النظام الأردني، وفي السابع عشر من تموز قبض على محمود الروسان، وأخيه ماجد وعدد من الضباط الذين اتصل بهم، وتم الاستغناء عن خدمة بعضهم، وشملت الاعتقالات أعضاء ناشطين من حزب البعث والشيوعيين والقوميين العرب ومن الأحزاب الدينية، ونقل هؤلاء إلى سجن الجفر الصحراوي في شرق الأردن(1).

تكررت الاعتقالات في السنوات اللاحقة في صفوف الضباط الأردنيين من مختلف الرتب كما أن السلطة قامت بسلسلة اعتقالات لقادة ومنتسبي الأحزاب. ففي العشرين من نيسان / أبريل وحتى الرابع عشر من أيار / مايو عام 1959 تمت حملة جديدة من الاعتقالات شملت عدد من الضباط، وتم الاستغناء عن خدمات بعضهم على دفعات، و اعتقل صادق الشرع، وأخيه العميد صالح الشرع، وأحد أقربائه الطبيب رفعت عودة من بلدة بديا – لواء طولكرم، واتهم مجموعة ضباط من رتب مختلفة بالإعداد لخطة انقلابية تشمل التخطيط لاحتلال قيادة الجيش، وقتل القائد العام، و قصف قصر زهران ليلة 15 / 16 آذار/ مارس 1959 ؛ بهدف الاستيلاء على الحكم، وأصدرت محكمة أمن الدولة يوم 17 تشرين الأول/ أكتوبر 1959 قراراً بإعدام قادة الانقلاب صادق الشرع، ورفعت عوده، وصالح الشرع، بينما حوكم الآخرون بفترات تتراوح بين 7 – 15 سنة، ولكن الحكم لم ينفذ، وتم اعتقالهم حتى نيسان/ أبريل 1963، وصدر قرار العفو عنهما(2).

تولى مهمة الدفاع عن رفعت عودة المحامي وليد صلاح من نابلس، والذي اتهم في مذكراته محكمة أمن الدولة بالتزوير، ويؤكد ذلك من خلال المضايقات التي مورست ضده داخل وخارج المحكمة، مثل منعه الدخول إلى قاعة المحكمة، فقد تعرض لتهديدات مبطنة، كذلك كتبت الصحف خلاف ماكان يجري من محاضر، واتخذت المحكمة طابعاً صورياً، وتعرض

(1) انظر: الموسى، سليمان: تاريخ الأردن، ج2، عمان: مكتبة المحتسب، 1996، ص 22 – 24

(2) انظر: الموسى، سليمان: تاريخ الأردن، ج2، ص 31 – 33

بدوره لضرب مبرح من قبل شخصين ومع أن رفعت عودة صرح بمسئوليته التامة، إلا أن الأحكام شملت مجموعة من الأشخاص(1).

وقد نسب لعبد الحميد السراج رئيس المكتب الثاني في سوريا في سنوات الوحدة المصرية السورية مسؤوليته في التحريض على الانقلابات في الأردن بهدف دعم سياسات الجمهورية العربية المتحدة، كما أن هذه المحاولات كانت معروفة لدى بعض اللاجئين، وتتناقلها الأخبار قبل وقوعها، و منها محاولة صادق الشرع الانقلابية على الحكم الأردني(2).

أن ما يلاحظ في هذه الانقلابات أن الذين اتهموا بالتخطيط لها من شرق الأردن باستثناء الانقلاب الأخير الذي ظهر فيه اسم رفعت عودة، أحد قادة البعث من قرية بديا والذي عمل طبيبا في الجيش الأردني، كذلك تم اعتقال الضباط الأحرار الذين سبق لهم التخطيط مع الملك لتعريب الجيش، وطرد كلوب باشا، بعد توجيه تهمة الإعداد لقلب النظام الأردني، وأصبحوا هدفا لإعتقالات متكررة من النظام الأردني.

(1) انظر: صلاح، وليد: رحلتي في العمر مذكرات، عمان: الدار الوطنية، 1990، ص 128 – 131.

(2) انظر: الشاعر، جمال: سياسي يتذكر، ص 144 – 145.

4) عدد أعضاء الحزب، و توزيعهم الجغرافي

لا يوجد تقدير دقيق لعدد عناصر حزب البعث في الضفة الغربية وقطاع غزة بل توجد هناك تقديرات حكومية تختلف عن تقديرات الحزبيين وهي لا تصح الا بمعيار نسبي، و ينقص هذا البحث التقدير الدقيق، و يرتبط ذلك بما يلي:

1- توجد وثائق وتقارير للمخابرات الأردنية لم يتمكن من الحصول عليها، بسبب عدم السماح بالكشف عنها لأسباب يجهلها الباحث.

2- قلة الوثائق والمصادر التي تناولت حزب البعث في قطاع غزة التي تمكن الباحث من الحصول عليها والتي لا تتجاوز بضعة مراجع.

3- إن الأسماء التي سجلت في كشوفات البعثيين، و التي أعدتها المخابرات الأردنية لم تذكر، هل كان الشخص عضواً أو نصيراً أو قائداً.

4- سُجل أشخاص في كشوفات البعثيين على أنهم أعضاء في حزب البعث وبعدها التحق عنهم ومنهم ثبت عدم صحة الملفات المسجلة إذ كانوا أعضاء في حركة القوميين العرب أو الأحزاب الأخرى وبعضهم أنكر أي علاقة بحزب البعث، ونسب ذلك إلى صداقات لم يقدرها رجال المخابرات والمباحث.

5- قسمت كشوفات البعثيين التي أعدتها المخابرات الأردنية إلى درجات بحسب خطورتهم وهي الدرجة العليا ويرمز لها بالدرجة (أ) والدرجة المتوسطة ويرمز لها بالدرجة (ب) والدرجة الدنيا ويرمز لها بالدرجة (ج).

6- كانت القوائم المسجلة عام 1963، أكثر توضيحاً لسجل الأفراد فقد بينت درجات خطورتهم، ومكان إقامتهم، وطبيعة عملهم، ويلاحظ أن الذين فروا إلى الخارج الحقوا بأخر مكان لسكناهم، وسجل اللاجئون بحسب القرى التي أخرجوا منها(1).

(1) انظر: سبيع، أبرهام: حزب البعث في الضفة الغربية، ص 103 - 105.

و انظر: ملفات المخابرات الأردنية: كشف بأسماء المنتسبين لحزب البعث عام 1963.

ولكن كم كان عدد عناصر حزب البعث عام 1956-1957، وهي سنة الذروة في نشاط حزب البعث في الضفة الغربية، وقطاع غزة؟.

تختلف الإحصائيات في تحديد عددهم ما بين حديث الرواة من قادة البعث ووثائق المخابرات الأردنية، وفي هذا السياق قدر أمنون كوهين الذي أن عددهم لا يتجاوز 700 شخص في عام 1957(1). بينما ذكر أبرهم سيلع الذي قام بدراسة عن حزب البعث في الضفة الغربية أن عدد أعضاء حزب البعث فيها بلغ 765 وهي سنة الذروة في النشاط القومي(2).

أما في قطاع غزة فإن عدد أعضاء حزب البعث، وحسب قول مسؤول الفرع في حينه بلغ في هذا العام بين (400 – 600) شخص، ويزيد الرقم أو يتناقص حسب عودة الموظفين من دول الخليج في الصيف، لكن هذا الرأي لا يوجد ما يؤكد من مراجع مطبوعة (3).

و يلاحظ أن عدد أعضاء البعث في الضفة الغربية يفوق عددهم في قطاع غزة ويذهب عدد ممن انتسبوا لحزب البعث في أوائل الخمسينيات إلى أنه كان بمستوى التيار الجماهيري، وخاصة في رام الله والقدس – وأنه تفوق على غيره من الأحزاب مثل: الحزب الشيوعي كما أنه بلغ مستوى قيادة قطرية في المملكة الأردنية منذ عام 1952. أما في قطاع غزة، فلم يرتق إلى هذا المستوى، حيث لم يتجاوز مرتبة قيادة الفرع* (4).

ومن حيث العدد والهيكلية المتبعة تتفوق القيادة القطرية على قيادة الفرع، كما أنه لا يمكن اعتماد ملفات المخابرات كحقيقة مسلم بها التي اعتمد عليها أبرهم سيلع وأمنون كوهين، التي تتناقض مع أقوال و أعضاء وقيادات في الحزب.

و يميل بعض البعثيين الذين قابلتهم في الضفة الغربية للقول أن هذه الإحصائيات غير دقيقة وأن عدد أعضاء البعث لا يقل عن ضعف هذا العدد، ويفسرون سبب ذلك إلى أن المباحث

(1) كوهين، أمنون: الأحزاب السياسية في الضفة الغربية، ص 339.

(2) سيلع، أبرهم: حزب البعث في الضفة الغربية، ص 103.

(3) مقابلة أجريت بتاريخ سابق مع وفا الصايغ.

* لقد كان عدد الفروع في الضفة الغربية فرعان، بينما وجد فرع واحد في غزة، وهذا يعني وجود عدد أكبر من الخلايا والعناصر منتسبة للحزب. ومقابلات أخرى أجريت بتاريخ سابق مع عياد المالكي، وبسام الشكعة.

(4) مقابلة أجريت مع فرحان أنيس الذي كان في هذه المجموعة. ومقابلة أجريت بتاريخ سابق مع محمد أمين في مدينة رام الله.

الأردنية لم تسجل جميع أعضاء البعث لأن بعضهم كان على علاقة حسنة بالمسؤولين الذين غضوا الطرف عنهم، وأن مجموعات من حزب البعث لم تعتقل في مناسبات عديدة، فهناك مجموعة كان يديرها أسعد عكة لم يعتقل أفرادها عام 1966 رغم الهجمة الاعتقالية (1).

ويذهب بعض قادة البعث إلى أن رام الله والقدس كانتا تستأثران بعدد يفوق ما ذكره الباحث أبرهام سيلع، وأن عدد عناصر البعث في بيرزيت لوحدها بلغ 128 منتسباً عام 1957، في حين يرى بعض قادة البعث في مدينة الخليل أنه كانت تجري اجتماعات الخلايا الحزبية في المقاهي نظراً للشعبية التي تمتع بها البعث في عامي 1956 و1957 وليس صحيحاً ما أورده أبرهام سيلع من أرقام (2).

(1) مقابلة أجريت بتاريخ سابق مع عياد المالكي. ومقابلة أجريت بتاريخ سابق مع إبراهيم فرح من بيرزيت.
 (2) مقابلة أجريت بتاريخ سابق مع ياسر عمرو. ويؤيد ماذهب إليه هؤلاء كل من وليد ربيع، وزكسي الدرزي، وعياد المالكي، وبسام الشكعة.

وهذا قائم بعد أعضاء حزب البعث في الضفة الغربية، وتوزيعهم الجغرافي عام 1957 حسبما أوردته المخابرات الأردنية في كشوفاتها، التي نقل عنها بعض الباحثين.

عدد الأعضاء	اللواء
175	رام الله
131	نابلس
127	طولكرم
120	جنين
108	القدس
46	بيت لحم
34	الخليل
24	أريحا
المجموع الكلي 765 (1)	

نلاحظ من الجدول السابق أن رام الله تعتبر في صدارة أعداد البعثيين، بينما يقل عدد أعضاء الحزب في الخليل و أريحا، علما بأن مدينة الخليل وقرائها، من المدن الكبرى. ربما يعود السبب في ذلك إلى أن قوة التركيب الحمانلي وسيادة الثقافة الإسلامية في منطقة الخليل قد أسهمت في كبح توجهات الشباب اليسارية، فقد وجد في مدينة الخليل أيضاً قلادة بارزون من حزب التحرير الإسلامي: - أمثال عبد القديم زلوم. وهذا يبرر استئثار القدس بنصيب الأسد من أعضاء الحزب وقتئذ، وتتميز بانفتاح ثقافي على الغرب عبر السياحة وغيرها، مما جعلها أقرب لفهم وتبني الفكر اليساري من بعثي وشيوعي وقومي عربي مقارنة بغيرها من المدن الفلسطينية كما كان للأشخاص دور مهم في نشر الأفكار البعثية حيث أدت بعض الشخصيات دوراً مهماً في جعل الحزب يتمتع بشعبية كبيرة خاصة في رام الله والقدس. وهذه معطيات أخرى، تبين الفئات المنتسبة للحزب و عددها، التي صنفها الباحث حسب كشف لرجال المخابرات الأردنية عام 1960. ويتناول محافظة القدس، التي تضم مدن رام الله، والقدس، وأريحا، كما تظهر في الجدول الآتي:

(1) انظر: سلع، أبرهام: حزب البعث في الضفة الغربية، ص 103.

العدد	الفئة	العدد	الفئة
12	عمال	184	غير معروف
11	مخاتير	100	معلمون
10	ربات بيوت ومعلمات	30	محامون
7	موظفون كبار	27	طلاب
6	مزارعون وملاك	24	مهنيون
3	صحفيون وكتاب	16	كبار التجار
المجموع الإجمالي (1)443		13	فارون

من الجدول السابق يلاحظ كثرة الفئات المتعلمة في الحزب، وكذلك عدم دقة المباحث الأردنية في تحديد عمل الأشخاص، وقلة عدد العمال والنساء، ووجود عدد لا بأس به من المحامين قياساً بالعمال وغيرهم.

ولدى تصنيف الباحث للفلاحين في الجدول المذكور آنفاً، وجد أن 283 شخصاً من أصول فلاحية، وإن بعضهم هاجر للمدينة بعد طردهم من قراهم الفلسطينية المدمرة عام 1948 وآخرون يقيمون في قراهم، ومن أبرز القرى التي أنتشر فيها البعث: بيت ريماء، وكفر مالك، وبيرزيت، وجفنا، ودير غسانة، وعارورة، والسواحره، وصفاء، وكفرعين، ودير أبومشعل، ودير عمار. ومن القرى والمدن المدمرة: العباسية ويازور، وكفرعانة، والمالحة، وسلمة، ولفتا، والمزيرعة، ومدينتي يافا واللد(2).

وفي قائمة أخرى تضم القدس، وأريحا، وبيت لحم، التي طبعت على الآلة الكاتبة عام 1962، فقد بلغ عدد البعثيين 193 شخصاً، ولم تدرج منطقة رام الله في هذه السجلات، وفي سجلات تضم القدس ورام الله وأريحا وبيت لحم، والتي دونت في 21 آذار/ مارس 1963 بلغ عددهم 263، وهذا يعني أن عدد البعثيين تناقص عن عام 1960، رغم أن البعث نجح في الوصول إلى السلطة في العراق وسوريا(3).

ويشير تقرير أرسله المقدم سعادة الجلاد قائد مقاطعة القدس عن نشاط البعث في هذه المنطقة بتاريخ 27 تموز / يوليو 1963 " لا نلاحظ أي نشاط ملموس، إلا أنه من المؤكد بالنسبة

(1) تصنيف الباحث لوثيقة من ملفات المخابرات الأردنية مكونة من 12 صفحة بعنوان: كشف بأسماء البعثيين عام 1960.

(2) المصدر السابق نفسه.

(3) انظر: وثيقة من ملفات المخابرات الأردنية، كشف بأسماء البعثيين عام 1960، مرجع سابق.

لتطورات الأحداث في سوريا والعراق فان فروع الحزب لا بد أن يكون لها نشاط منظم، ولكن بصورة مكتومة وتحفظ شديدين" (1).

وعن الأسباب التي أدت إلى تراجعها يذكر الجلاد أن قتل الفئات القومية الأخرى ومنها الناصرية في سوريا، جعل البعثيين ينقسمون على أنفسهم بين مؤيد يرى في ذلك توطيداً لأركان النظام البعثي السوري ومعارض يرى فيه إساءة للبعث ولأسهم تأييده في الوطن العربي، وقد حضرت في أذهان الجماهير جرائم الحزب الشيوعي العراقي كما أن الحزب عزل تماماً في علاقته مع الأحزاب الأخرى(2).

وقد لاحظ الباحث في مطالعته أن أسماء كشوف البعثيين تتكرر وقليلة التي شطبت منها، ورغم سفر بعضهم للخارج إلا أن الأسماء بقيت مدرجة في القوائم من سنة لأخرى.

(1) ملفات المخابرات الأردنية في أرشيف إسرائيل، وثيقة 6- 413 بتاريخ 27 / 7 / 1963. ص1.
 (2) انظر: ملفات المخابرات الأردنية في أرشيف إسرائيل، وثيقة 6- 413 بتاريخ 27 / 7 / 1963. ص1.

5 (وسائل ومصادر الدعاية والتعبئة

أ) التمويل:

جاءت مصادر تمويل نشاطات الحزب من مصدرين داخلي وخارجي وكان للاخير تأثير في زيادة التدخل في شؤون الحزب وتمثلت المساعدات الخارجية في تقديم الدعم السياسي والمعنوي والمالي، وشملت جهتين: الأولى حزب البعث في سوريا، والثانية: من قبل النظام المصري، فقد قدمت الحكومة المصرية الدعم الإعلامي المتمثل بصوت العرب، والذي كان يغذي عنصر التحريض لإشعال المظاهرات في الأردن ويثير حماس الجماهير الأردنية(1).

ولقد ذهبت بعض المصادر الأردنية إلى أن البعث قد حصل على أموال من السعودية، ومصر حيث أدخل عبدالله الريماوي على حسابه بوساطة البنك العربي 5000 دينار، ثم أن القيادة القومية حينما اختلفت معه عام 1959 اتهمته بقبض 60000 دينار من الحكم المصري لغرض تغطية انتخابات عام 1956 ويحصل على نصر مؤزر في الانتخابات(2).

يؤيد بعض البعثيين أن الريماوي حصل على دعم مالي من جمال عبدالناصر ولكنهم يشكون بهذه المبالغ، ويذهب جمال الشاعر إلى أن عبدالله الريماوي كان على علاقة بأجهزة الحكم المصرية من ناحية السياسات في الأردن، والأموال التي تتفق، وقد بحث الأمر مع ميشيل علق(3)، ويذكر أحد قادة البعث في غزة، أن حزب البعث حصل على دعم مالي من كمال رفعت، وزير الشؤون العربية في النظام المصري عام 1957؛ بهدف تغذية نشاط "جبهة المقاومة الشعبية" لطرده الاحتلال الإسرائيلي في قطاع غزة وحينما قام النظام الأردني بحملة اعتقالات عام 1957 جرى صرف مبالغ مالية لذوي المعتقلين، وإيصال دفعات شهرية لهم(4).

وعلى صعيد آخر أقر النظام الداخلي لحزب البعث أن يجري تغطية نفقات الحزب من مصادر ذاتية، ومنها الاشتراكات الشهرية، ومبيعات ومنشورات الحزب ويختلف المبلغ المفروض على المشتركين بحسب مستوى الدخل وعمر الشخص. ففي حين يدفع طلاب

(1) الفتاش، ابراهيم: أوراق في الحركة الوطنية، ص 108.

وأيضا مقابلة: أجريت بتاريخ سابق مع ياسر عمرو.

(2) موسى، سليمان، ومنيب الماضي: تاريخ الأردن في القرن العشرين ج 1، ص 662.

وانظر: سيلع، أبرهام: حزب البعث في الضفة الغربية، ص 65.

(3) انظر: الشاعر، جمال: خمسون عاما ونيف، الحلقة الثانية عشر، صحيفة النهار المقدسية، الثلاثاء، 11/10/1994، ص 18.

(4) مقابلة: أجريت بتاريخ سابق مع وفا الصايغ في مدينة رام الله. و أيضا مقابلة: أجريت بتاريخ سابق مع ياسر عمرو.

المدارس والمعاهد، مبالغ شهرية بسيطة كان الرجال الأكبر سناً يقطعون رواتبهم نسبة 5 بالمائة. وحينما كان حزب البعث يحتاج نفقات أكثر لتغطية احتياجات أكبر كانت تجري حملة تبرعات بين المؤيدين، والأنصار، وأعضاء الحزب(1).

وأدرك البعث والأحزاب الأخرى أهمية الدور الذي يقوم به الأطباء والمحامون، وأصحاب الأعمال المهنية؛ إذ هم أقوى على تحمل الأعباء المالية، ومضايقات السلطة من الموظفين الذين تتأثر أوضاعهم بتعسف السلطة وضغوطها، ولقد احتل الأطباء دوراً مهماً في أحزاب الحركة الوطنية، مثل: البعث (منيف الرزاز، وأمين شقير)، وحركة القوميين العرب (جورج حبش، ووديع حداد) والحزب الشيوعي (يعقوب زيادين)، وهكذا كانوا في الصف القيادي الأول(2).

وفي سياق الدعم الخارجي، حصل زعماء حزب البعث الفارين الريمائوي ونعواس والقيادات الحزبية الأردنية والضباط الأردنيون، الذين لجأوا إلى سوريا بعد إقالة حكومة النابلسي على الدعم المالي، والرواتب الشهرية حيث عمل هؤلاء كلاجئين سياسيين في سوريا(3).

وحصل حسني الخفش على مرتب شهري من الجمهورية العربية المتحدة بعد أن توجه إليها لاجئاً سياسياً قادماً من مصر في عام 1961(4).

ب (المطبوعات:

أن المواد المطبوعة أظهرت لنا جملة نشاطات الحزب في مختلف مراحلها سواء أكانت فترات قوة أو ضعف، أو إبراز مواقفه حيال القضايا الوطنية والقومية، ويمكننا حصرها بمايلي:

(1) انظر: حزب البعث العربي الاشتراكي. القيادة القومية: النظام الداخلي للحزب، كانون الثاني 1993. (د.م.)، ص 99-106.

(2) انظر: الرزاز منيف: رسائل إلى أولادي أوراق غير منشورة، عمان: دار سندباد للنشر سنة 1990. ص 52 - 53

(3) الحوراني، أكرم: مذكرات ج3، ص 2308.

(4) انظر: براند. أ، لوري: الفلسطينيون في العالم العربي بناء المؤسسات والبحث عن الدولة، ص 87.

وأيضاً: مقابلة أجريت بتاريخ 17 تموز 1998 مع بسام احمد الشكعة بمنزله في نابلس.

1) المطبوعات الصحفية

صحيفة البعث: أسسها عبد الله الريماوي وكمال ناصر، و أسهم في تحريرها عبد الله نعواس وراجي صهيون. صدر العدد الأول في آذار/مارس عام 1949، وقامت بجهد مؤسسيها، ومولت من جيوبهم. كان مقرها في مدينة القدس، وقد لاقت المؤازرة والتأييد من قبل حاكم القدس عبدالله التل و أسهم الزعيم موسى العلمي بالمال. صدرت إسبوعيا في أول عهدها، وغدا أمين شقير محررها المسؤول اعتبارا من آذار/مارس 1950. وصدر أمر بإغلاقها* لمدة شهر ونصف من نيسان/ابريل 1949(1).

الجيل الجديد: أصدرها كمال ناصر، وهشام النشا شيببي، وعصام حماد عام 1949 يشبه خطها ونهجها صحيفة البعث، صدرت في رام الله وتميزت بهجومها على حكومة الأردن ومفاوضاتها مع اليهود، وكتب فيها " كيف سلمنا المثلث" وافتتاحية بعنوان: "من دخل البلاد بغير حرب يهون عليه تسليم البلاد" وصدر منها 23 عددا وتعرضت للتوقيف والاحتجاب عدة مرات و لضغوطات وعراقيل المسؤولين. أغلقت بسبب الضغط الحكومي وصعوبة الحصول على التمويل لدى صاحبها(2).

اليقظة: صدرت في عمان عام 1948، وكان رئيس تحريرها سليمان الحديدي أحد قادة حزب البعث(3). تعرضت لسلسلة من الاغلاقات حسب المقالات والانتقادات والمواقف من الحكومات الأردنية، فأغلقت عام 1954 بعد طلب حزب البعث الترخيص له في ظل أنظمة الطوارئ التي أطلقها توفيق باشا أبو الهدى ومعها سائر صحف الأحزاب المعارضة، التي مثلت الأحزاب المختلفة(4).

صوت الجماهير: هي إحدى نشرات البعث السرية التي أصدرها الحزب في الأردن عام 1964، و كانت تحوي سبع صفحات، ويشبه خطها السياسي موقف النظام الحاكم في

* خلال جولة الملك عبدالله الذي زار رام الله كتب الريماوي مقالا في الصحيفة حول تسليم المثلث " وسجنه الملك ثمانية عشر يوما ، وضيق عليها واضطرت الصحيفة نقل مقرها من القدس إلى رام الله لمواصلة الصدور.

(1) انظر: سهيل، سليمان: الشاعر كمال ناصر، ص 164 – 166.

وانظر أيضا: سيلع، أبرهام: حزب البعث في الضفة الغربية، ص67، حيث صدر منها 174 عددا منها 162 على شكل مجلات والباقي يومية.

(2) انظر: سليمان، سهيل: كمال ناصر الشاعر والأديب والسياسي، ص168 – 176، (بتصرف).

(3) العيسمي، شبلي: حزب البعث مرحلة النمو والتوسع، ص 191.

(4) انظر: الموسى، سليمان، ومنيب الماضي: تاريخ الأردن في القرن العشرين ج1، ص597.

سوريا، وتناولت في صدر صفحاتها القضايا القومية والقضية الفلسطينية وهاجمت سياسة عبد الناصر وإيران الشاه(1).

الوحدة: نشرة حزبية أصدرها التنظيم البعثي في غزة في الستينيات أشرف على تحريرها جهاز مكون من وفا الصايغ، وجمال الرئيس، وماجد العلمي.

المستقبل: جريدة يومية سياسية أشرف على إصدارها محمد جلال عناية و وفا الصايغ(2).

كذلك جرى توزيع صحيفة البعث الصادرة في سوريا، وبيعت لمصلحة البعث في فلسطين(3). ونشرت الصحف الوطنية مقالات البعثيين على صدر صفحاتها، ومنها: صحف فلسطين والدفاع وصحيفة الأحرار اللبنانية التي صدرت عام 1966 كمنبر لحزب البعث لعدة سنوات.

2) البيانات الحزبية:

تعتبر البيانات من الأهمية بمكان؛ بسبب سهولة توزيعها ورخصها مقارنة بتكلفة المطبوعات الأخرى مثل: الصحافة والإعلام، ثم الحاجة للتعبير عن موقف ساخن وسريع وكذلك إمكانيات التوزيع السريع للمنشورات، وإطلاع الجمهور على آخر ما استجد من مواقف، وقد نشط البعث في إظهار مواقفه عبر نشرها تجاه مختلف القضايا الدولية والعربية التي ظهرت بصورة علنية عام 1956؛ أي في ظل حكومة سليمان النابلسي.

حصل حزب البعث على الترخيص وطبعت بياناته في مطبعة دار الطباعة العربية في القدس ودار النشر والطباعة عمان، ومن البيانات ما صدر خارج فلسطين أي من القيادة القومية لحزب البعث، وكانت نشرات سرية يطلع عليها الأعضاء فقط، ومنها على سبيل المثال بيان صدر في شباط / فبراير 1955 بشأن حلف بغداد(4).

1) ملفات المخابرات الأردنية في (أرشيف دولة إسرائيل): حزب البعث العربي الاشتراكي في الأردن: نشرة صوت الجماهير، ع22، تشرين الثاني 1965، ملف رقم 59 - 686.

2) عمرو، زياد: الحركات السياسية في قطاع غزة، ص 120. وايضا: مقابلة أجريت بتاريخ سابق مع وفا الصايغ.

3) مقابلة أجريت مع فرحان أنيس الذي كان يبيع الصحيفة في رام الله.

4) أنظر: ملفات المخابرات الأردنية في (أرشيف دولة إسرائيل) بيان أصدره حزب البعث العربي الاشتراكي في المملكة الأردنية بمناسبة تأميم القنال في عام 1956، صفحتان، ملف رقم 6 - 443.

وانظر أيضا: بيان حزب البعث العربي الاشتراكي بمناسبة المعاهدة الأردنية الإنجليزية 1957، ملف 3 - 443.

واصدر البعث بيانا ردا على كتاب رئيس وزراء الأردن، هزاع المجالي الذي نشر كتابه بعنوان "هذا بيان للناس" الذي أيد فيه حلف بغداد(1).

وقد وزعت هذه البيانات أما بالبريد أو باليد على أن ترجع لنفس الشخص الذي سلمها وتحرق(2).

كما استخدمت طرق أخرى لإيصال المواد المطبوعة للحزب، والممنوع وصولها من الخارج آنذاك مثل البيانات والمنشورات التي أحضرت من سوريا إلى فلسطين، أو نقل الأموال لتغذية النشاطات الحزبية، وقد كلفت قيادة حزب البعث النساء بنقلها(3).

3 أدبيات فكرية ومواد إعلامية أخرى

أصدر الحزب إضافة إلى ماتقدم ذكره، مواد إعلامية أخرى، منها الكتب والكراسات المتنوعة فهناك الكتب الثقافية والفكرية تقع على مسؤولية المكتب الثقافي في القيادة القومية كما أن أعضاء وأمين عام القيادة القطرية كان بإمكانهم نشر كتب فكرية وثقافية لتعليم فكر البعث وتوضيحه، وكانت أولى المصادر الإعلامية كتاب في سبيل البعث لمؤسس الحزب ميشيل عفلق، وكتابه معركة المصير الواحد وغيرها من المؤلفات والخطب والمقالات، التي نشرها في صحيفة البعث الدمشقية منذ عام 1946 – 1966(4).

1) أنظر: حزب البعث العربي الاشتراكي: بيان حزب البعث رداً على دعاة الأحلاف، (دم)، سنة 1956، . يقع في 54 صفحة من الحجم الصغير.

وانظر أيضاً: حزب البعث أمة عربية واحدة ذات رسالة خالدة النشرة الدورية، شباط 1955 الاتفاق التركي العراقي 5 صفحات حجم كبير.

2) مقابلات أجريت مع بسام الشكعة، وعباد المالكي، وباسر عمرو، وغير هم في تاريخ سابق.

3) انظر: ملفات المخابرات الأردنية، في (أرشيف دولة إسرائيل) بتاريخ ق / 20 / 1 / 128 / تاريخ 26 / 8 / 58 "مكتوم ومستعجل موضوع المعلمة وداد إلياس بربارة من بيت لحم".

ونجح البعث في تجنيد رجال أمن وجنود، مما حمى بعضهم من الاعتقال أو الفرار، وقد أسهمت العلاقات العائلية والصداقات أحياناً في ذلك؛ مما سهل مهمات الحزبيين* المختلفة. يذكر محمد سهيل النبالى أنه نجا من الاعتقال ذات مرة رغم أنه كان يحمل منشورات وقد أنزل ومعه طلاب آخرين من الباص بين رام الله ومخيم الجلزون لغرض تفتيشهم من قبل قوات الأمن الأردنية واقترب أحدهم لتفتيشه؛ فأسر له بأن لديه منشورات، لكن رجل الأمن تركه دون أن يقبض عليه؛ بسبب وجود صداقة مع والده. وفي مرة أخرى نجا كمال ناصر من القبض عليه بسبب وجود جندي على علاقة بحزب البعث الذي ساعده على التخفي، وقدم معلومات مضللة لمرءوسيه. (مقابلة أجريت بتاريخ سابق مع محمد طه النبالى في رام الله.

وأيضاً: مقابلة أجريت بتاريخ 1 / 10 / 1999، مع ابراهيم فرح في رام الله. (.

4) طبعت مؤلفات البعث مرات عديدة، وقامت جبهة التحرير العربية بتوزيعها على الأعضاء و الأتصار كما جرى عام 1988 في فلسطين.

وشكلت مؤلفات منيف الرزاز مرجعية للبعثيين، واتسمت مؤلفاته بالوضوح في التعبير عن رأي الحزب، ونشرتها دار الطليعة في بيروت وغيرها من دور النشر، ومنها: تطور معنى القومية وكتاب معالم الحياة العربية الجديدة، الذي صدر عام 1952 ونال جائزة جامعة الدول العربية(1).

وكان كتاب دستور حزب البعث الصادر عام 1947، من أهم المواد التي يبدأ بمطالعتها أعضاء البعث وأنصاره، ثم اللوائح الداخلية وغيرها.

ج) تجنيد القوى والتحالفات السياسية لمصلحة البعث

كان حزب البعث حريصاً على دوام العلاقة واستمرارها مع الأحزاب الأخرى، وتجنيد القوى السياسية لمصلحته رغم وجود خلافات مبدئية وفكرية، وكان هناك فترات من التعاون والخلافات وعلى فترات متتالية ولقد قررت هذه العلاقات مستوى المنافسة على أصوات المواطنين، وعدد المرشحين والناخبين، والفائزين، أو تشكيل الجبهات الوطنية والأطر المشتركة والموقف من الحكومات.

حكم توجه البعث تجاه الأحزاب والقضايا: الموقف المبدئي والفكري للبعث من الأحزاب الأخرى، وفي هذا الإطار كانت الأحزاب الشيوعية في الأردن وفلسطين وسوريا والعراق من أشد المنافسين لحزب البعث، وهي منافسة قديمة بدأت في سوريا، وكان البعث يركز في محاربتة للشيوعية ومنافسته و مهاجمتها في الأمور التالية:

1) الشيوعية غريبة ومن مصادر غير عربية، ولا تلي طموحات، وأمانى القومية العربية وأهدافها.

2) سلبية الاشتراكيين الماركسيين، وتأثرهم بالخط الستاليني، الذين يستظلون بظلال موسكو.

3) قال البعث أن اشتراكيته من صميم القومية العربية، ومبادئه مقتبسة من المجتمع العربي وواقعه وشدد البعث على أن فكرة الشيوعية جاءت من الظروف الأوروبية(2).

1) يذكر الذين قابلتهم أن هذه المؤلفات كانت بمثابة دليل نظري لعملهم، وقد استمر معتقو الجبهة العربية والصاعقة يطالعونها وينسخوها وينقلوها من معتقل لآخر حسبما شاهدت في السجون الإسرائيلية، وقد أعادت الجبهة العربية طبع العديد منها في سنوات الانتفاضة بين عامي 1987 و 1994.

2) انظر: غنلق، ميشيل: في سبيل البعث، ص 210.

وانظر أيضاً: انظر: نشرة حزبية صادرة عن المكتب الثقافي التوجيه الحزبي بعنوان " بين اشتراكيتنا.. والشيوعية.. والاشتراكية الوطنية ".

كانت حركة القوميين العرب حليفاً طبيعياً لحزب البعث، وقد كانت حركة صغيرة نشأت بعد البعث بسنوات، وتجمعها المبادئ المشتركة في مبادئ الوحدة وتحرير فلسطين ورفض التصالح والتفاوض مع اليهود، ولم يكن من خلاف بينهما سوى أن البعث كان يتبنى الاشتراكية بينما كانت شعارات حركة القوميين العرب تجمع الوحدة والتحرير، ولا تتبنى الاشتراكية. وقد مرت علاقة بعض قادة البعث والقوميين العرب بفترات تقارب وصلات عميقة فقد جمعهم "جمعية العروة الوثقى" في الجامعة الأميركية في بيروت ومنهم: جورج حبش وجمال الشاعر وسعدون حمادي في أنشطة الجمعية الثقافية والتي أشرف عليها قسطنطين زريق(1).

وعندما تأسست الحركة عام 1952، كانت هناك مباحثات لتوحيدها مع البعث و اشترط القوميون العرب أن يبدأوا ممارسة الكفاح المسلح والتدريب على السلاح قبل ممارسة النضال الشعبي، واعتماد تنظيم حديدي، الا أن البعث كان يرى أن يبدأ بالنضال الجماهيري السياسي أولاً(2).

جرى في عام 1958 تقارب كبير بسبب إيمان الطرفين بأهمية الوحدة السورية-المصرية، وبعد مرور عام من تحقيق الوحدة، صدر بيان مشترك في شهر شباط/فبراير 1959 باسم "الكتلة القومية الاشتراكية"، الذي أكد أهمية الوحدة العربية بين البلدين وضرورة لحاق الأردن بها(3).

ولكن علاقتهم توترت وتنافرت بعد استقالة وزراء البعث في حكومة الجمهورية العربية المتحدة وقد حاول جورج حبش أن يمنع هذه الاستقالة، ولكن دون جدوى فساءت العلاقة بينهما(4).

(1) انظر: الشاعر، جمال: سياسي يتذكر، ص 42.

ويذكر مالك الحاج ابراهيم أنه كان عضواً في جمعية العروة الوثقى، وكان يحضر هذه الجلسات المشتركة والتي أدارها قسطنطين زريق. (مقابلة أجريت معه في طولكرم بتاريخ 18 - 8 - 1999م.)

(2) مطر، فؤاد: الحكيم قصة حياة الدكتور جورج حبش، لندن: منشورات هاي لايت، سنة 1984 ص 32 و 33.

(3) انظر: ملفات المخابرات الأردنية في أرشيف اسرائيل: بيان أصدره حزب البعث وحركة القوميين العرب بعنوان: بيان الكتلة القومية الاشتراكية في الأردن شباط 1959. ملف رقم 6 - 653.

(4) انظر: كوهين، أمنون: الأحزاب السياسية في الضفة الغربية، ص 143-144.

وأيضاً: الشاعر، جمال: سياسي يتذكر، ص 90.

رغم التعارض بين النظام الأردني من جهة، وسائر الأحزاب الأردنية، إلا أن أحزاب الحركة الوطنية لم تتغلب على صراعاتها وتناقضاتها، وكانت تستغلها الحكومة الأردنية لمصلحتها. رغم ذلك شهدت العلاقة بين حزب البعث وحركة القوميين العرب تعاوناً بارزاً وتشكلت الجبهة الشعبية القومية منهما. في حين واصل الشيوعيون والإخوان المسلمون عملهما المنفصل، حتى بعد إنشاء الجبهة التي كان عليها مهمة توحيد جهودهم جميعاً، ولقد ساءت علاقات القوميين والشيوعيين بعد انقلاب تموز/ يوليو 1958 في العراق، بعد أن توطدت علاقات الشيوعيين مع نظام عبدالكريم قاسم على حساب القوى القومية، وسرت إشاعات وأقوال تتحدث عن تعاون وتخطيط القوميين والبعثيين لعمل انقلاب والتخطيط لاغتيال شخصيات أردنية، ولكن بوصول البعثيين للسلطة في آذار/ مارس 1963 انتهى هذا التعاون، وساءت علاقاتهما(1).

كانت الأحزاب الأردنية كالحزب الشيوعي، وحزب البعث العربي الاشتراكي والحزب الاشتراكي الوطني، والقوميين العرب، تتوحد في القضايا الكبرى ومنها الموقف تجاه حلف بغداد، أو ضد تزوير الحكومة للانتخابات، ودعم حركات التحرر العربية، وهذه بعض الأمثلة على هذا التحالف: —

(1) في شهر تشرين الأول / أكتوبر 1954 تحالفت الأحزاب ضد تدخل الحكومة في انتخابات البرلمان والتي اتهمت بتزويرها، لذا جرت بتاريخ 17 تشرين الأول / أكتوبر مظاهرات شعبية عنيفة شملت البعثيين والشيوعيين وحركة القوميين العرب، وكان أعنفها في عمان ونابلس(2).

(2) في كانون الثاني/ يناير 1955 تحالفت الأحزاب ضد قرار حكومة هزاع المجالي بالانضمام لحلف بغداد.

(3) تحالفت أحزاب الحركة الوطنية في شهر نيسان / أبريل 1957، وعقدت مؤتمرها وقد تشكلت لجنة وطنية في نابلس وعمت المظاهرات في مدن المملكة. وفي عام 1956 تعلن حزب البعث مع حركة الإخوان المسلمين، وعدد من المستقلين في بناء " جبهة المقاومة الشعبية " للاحتلال الإسرائيلي في غزة عام 1956.

(1) انظر: كوهين، أمنون: الأحزاب السياسية في الضفة الغربية، ص 144 — 145.

(2) انظر: الفتاش، ابراهيم: أوراق خاصة في الحركة الوطنية، ص 98 — 99.

بينما رفض البعث الدخول مع الحزب الشيوعي في جبهة وطنية بسبب اعتراف الأخير بقيام دولة إسرائيل، وقرار التقسيم الصادر عام 1947(1).

ولكن مظاهر التنافس والتناحر بين البعث والشيوعيين، كانت لا تقل عن الأولى وتظهر على النحو الآتي: -

(1) ظل البعث حذرا من إقامة جبهة وطنية مع الحزب الشيوعي، وكان يتنافس معه رغم أن البعث دعا إلى تشكيل جبهة اشتراكية تضم الأحزاب الاشتراكية في الوطن العربي وقارة آسيا، إلا أنه قابل دعوة الحزب الشيوعي لإقامة جبهة وطنية بالرفض لأنه اعتبرها عملية خاصة بالحزب الشيوعي هدفها حل مشاكله ورفع العزلة عنه، وتستهدف مقاومة قيادة البعث للجماهير الشعبية، كما أن حزب البعث لا يثق بمسلحهم التاريخي والتنظيمي(2).

(2) أدت المذابح التي قام بها الشيوعيون في شهر آذار/ مارس 1959 بمدينة الموصل العراقية* وقيام عبد الكريم قاسم بإعدام الضباط القوميين المتهمين بانقلاب على نظامه إلى صراعات وخلافات بين حزب البعث وسائر المؤمنين بالقومية العربية من جهة والأحزاب الشيوعية في الوطن العربي من جهة أخرى(3).

انتقلت الخلافات إلى فلسطين حتى أن الحزب الشيوعي الإسرائيلي تعرض إلى انقسام في صفوفه وحلت الجبهة العربية، وولدت حركة قومية عربية باسم " جماعة الأرض "(4).

د) إدارة الانتخابات البرلمانية

نظر حزب البعث للانتخابات البرلمانية بأهمية بالغة، واعتبرها وسيلة للوصول إلى أهدافه وقد خاض البعث انتخابات البرلمان منذ أن توحدت الضفتين الشرقية والغربية، وخاض

(1) انظر: أبو عمرو، زياد: الحركات اسباسبية في قطاع غزة، ص 119.
(2) انظر: التقرير الصادر عن المؤتمر القطري لحزب البعث العربي الاشتراكي الأرنبي أيار 1954، ص 2 - 3.
* حدثت مذبحة الموصل بعد أن سبر الشيوعيون قطار السلام، من بغداد إلى الموصل للاحتفال بمهرجان السلم الكبير يوم 6 آذار 1959، وكانت الموصل مركزا للقوميين العرب والبعثيين، وحاول عبدالوهاب الشواف منع قيام المهرجان الشيوعي خوفا من الاستنزات، وقابل عبدالكريم قاسم لهذا الغرض، ولم يكثر، و خرج الجميع في تظاهرات، وحدثت تشرشات، وحرقت مكاتب، واعدم عبد الوهاب الشواف، ورفعت الحاج سري، وناظم طبعلي وغيرهم.
(3) انظر: اسكندر، أمير: صدام حسين مناقلا ومفكرا وانسانا، القدس: منشورات البيادر السياسي تشرين أول 1990، ص 73- 74.

(4) انظر: فهوجي، حبيب: القصة الكاملة لحركة الأرض، ط أولى، القدس: منشورات العربي، 1978، ص 18 و 20.
وأيضا: مقابلة أجريت بتاريخ 1/ 3/ 1998 مع صالح برانسي أحد مؤسسي حركة الأرض، في مدينة الطيبة بالمثلث.
وأيضا: سعد احمد صادق: الحركة الوطنية الفلسطينية 1948-1970، ص 82.

أربع دورات انتخابية حتى عام 1967، ومنها انتخابات نيسان 1950 و انتخابات 1951، 1954، 1956 وفي الدورتين الانتخابيتين الأولى والثانية نجح عبدالله نعواس وعبدالله الريماوي.

رغم أن البعثيين والشيوعيين كانوا من ضحايا الانتخابات المزورة في الدورة الثالثة التي سبق أن تحدثنا عنها، التي انسحب منها المرشح سعيد المفتي رئيس الحكومة يومئذٍ وعلى خطأه سار الريماوي والأحزاب الأخرى واندلعت المظاهرات والصدامات في رام الله ونابلس والقدس، وقد جاءت بتحريض ممن اتهموا الحكومة بالتزوير، وهم ضحايا الانتخابات أمثال: الشيوعيين والبعثيين(1).

رفض الأمين القطري لحزب البعث الأردني عبدالله الريماوي الدخول في جبهة وطنية تضم الأحزاب، وفضل دخول الانتخابات دون التكتل مع أي منها. رغم أن الأحزاب الأخرى عرضت على البعث الدخول في قائمة موحدة والحصول على خمسة مقاعد إلا أن عبدالله الريماوي أصر على النزول بقائمة بعثية مستقلة، وكان متشدداً في مسألة التحالف مع الحزب الوطني. وقد حاول أكرم الحوراني تبصيره بالأثر السلبي لذلك مثلما اتفق ميشيل عفلق، وصلاح الدين البيطار، وكمال رفعت على هذا الرأي، ولكن دون جدوى. ودخل حزب البعث الانتخابات هذه المرة بـ16 مرشحاً موزعين على مختلف المناطق في المملكة الأردنية الهاشمية. إلا أن نصيب البعث من النجاح كان محدوداً وبعيداً عن تقديراته التي نجح فيها كمال ناصر وعبدالله الريماوي، وكانت نتائجها هزيلة بالنسبة للبعث(2).

وكان لنتائج الانتخابات الهزيلة بالنسبة لحزب البعث، وفشل مرشح البعث حنا نعواس في الانتخابات عن القدس انعكاساً سلبياً على قاعدة الحزب، مما أدى إلى انفصال بعض القيادات عن الحزب، ومنهم عبد الرحمن شقير وإبراهيم حباشنة، ويرجع فشل نعواس في هذه الانتخابات للصدى القوي للجبهة الوطنية* في القدس، حيث أدت وحدة صفوف الوطنيين إلى استمالة سكان

(1) انظر: الشاعر، جمال: سياسي يتذكر، ص177.

(2) انظر: الحوراني، أكرم: منكرات، ج2، ص2132 – 2137.

كما أن الريماوي رفض قبول المحامي إبراهيم بكر مرشحاً عن البعث، والذي لم يكن عضواً في البعث، وهو ما دفعه لتأييد الشيوعيين ومؤازرتهم. (مقابلة أجريت مع عياد المالكي بتاريخ سابق.)

* الجبهة الوطنية هي القائمة الانتخابية التي أعدها الحزب الشيوعي، وضمت عدداً من قياداتهم، وشخصيات وفعاليات من خارج الحزب، وقد اختيرت بسبب حظر النشاط الشيوعي، وفاز من مرشحيها كل من فائق وراشد عن لواء رام الله، وعبدالقادر الصالح عن نابلس، ويعقوب زيادين عن القدس.

المدينة الذين يرون في هذه الوحدة الطريق الأقرب والأنسب لمقاومة الصهيونية الغازية، كما أسهمت الخدمات الجليلة التي قدمها يعقوب زيادين لفقراء المدينة في دعم الجبهة الوطنية ومرشحها(1).

كان تنافس مرشحي البعث شديدا مع غيرهم، حتى أن بعض أقارب المرشحين البعثيين كانوا مرشحين في قوائم أخرى، وترك حزب البعث الحرية للأعضاء أن ينتخبوا أيا من المرشحين، ولكنهم اختاروا حزبهم السياسي كما هو الحال في تجربة كمال ناصر والذي رشحه الحزب، في وقت قرر خاله موسى ناصر أن يرشح نفسه عن منطقة رام الله، وترشح عادل الشكعة عن نابلس إلا أن أخيه بسام الشكعة نشط في دعايته لمصلحة البعث، ورغم أن البعث كان يدرك أن بعض مرشحيه ليسوا بمستوى الشعبية، التي يتمتع بها مرشحو الأحزاب الأخرى في لواء نابلس، إلا أنه كما يظهر كان يفضل ترشيحهم حتى يشتد عوده في التجارب البرلمانية(2).

نشط البعث أثناء الانتخابات في حشد تجمعات جماهيرية كبيرة، وخرج عن الطابع السري في الاستقطاب هذه المرة. سير الباصات لنقل أبناء القرى في منطقة رام الله والمناطق الأخرى إلى صناديق الاقتراع، كما أن أعضاءه ركبوا سياراتهم حاملين مكبرات الصوت داعين الجماهير لحضور "المهرجان الدعائي الانتخابي الكبير والحاشد في رام الله"(3).

وضع البعث تصورات في برنامجه الانتخابي، الذي ضم مختلف القضايا التعليمية والثقافية والاقتصادية والأمن والجيش والسياسة الخارجية والموقف من القضية الفلسطينية(4).

وتعتبر انتخابات تشرين أول / أكتوبر 1956، من أكثر الانتخابات التي تحمس لها البعث ومن الشعارات البعثية وقتئذ "الجيش والحرس الوطني درع الوطن، وأملنا لليوم المنشود ويعملان على: -

(1) انظر: الشاعر، جمال: سياسي يتذكر، ص 69.

(2) انظر: المالكي، عياد: الفراغ السياسي، ص 33.

وأیضا مقابلة: أجريت بتاريخ سابق مع بسام أحمد الشكعة في نابلس.

وأیضا مقابلة: أجريت بتاريخ 1 / 4 / 1999 مع عبد الجواد صالح رئيس بلدية البيرة المبعد في منزله بمدينة البيرة.

(3) انظر: ملفات المخابرات الأردنية تقرير رقم 4 / 4 / 24028 تاريخ 5 / 9 / 56، ص 1.

(4) انظر: البرنامج الانتخابي لحزب البعث عام 1956 .

- 1) تحرير الجيش والحرس الوطني من الحاجة للمال البريطاني، ومن قيود المعاهدة البريطانية، وقبول المعونة العربية بديلاً عنها.
- 2) تسليح الجيش والحرس الوطني تسليحاً كاملاً من الكتلة الشرقية.
- 3) تحقيق وحدة الجيوش العربية، لكي تطوق إسرائيل بجيشٍ واحدٍ وقيادةٍ واحدةٍ (1).

وينقل سيلع عن ناجي علوش أن أسباب فشل البعث في انتخابات عام 1956 تعود إلى الأسباب الآتية: —

- 1) ضعف الإطار التنظيمي، إذ أن أعضاء البعث كانوا أعضاء جدد ولم تكن لديهم الخبرة الحزبية وكثيرون منهم كانوا طلاباً.
- 2) غياب البرنامج العملي استعداداً للانتخابات وقبل بدنها.
- 3) غياب التعاون مع الأحزاب، والتيارات السياسية الأخرى، ومخاوف الأحزاب الأخرى من البعث (2).

ويضاف إلى الأسباب المذكورة أن الريماوي فتح باب العضوية على مصراعيه في محاولة لمواجهة الزعامات المعتدلة التي كانت تؤيدها الفئات غير الملتزمة عند الانتخابات وقد ورثت هذه الزعامات النفوذ المحلي والزعامة الموروثة، أو العلاقات الشعبية التي كسبتها من العمل المهني أو وظائف الدولة وينطبق الحال على البعث والشيعيين والقوميين العرب الذين فاز منهم أصحاب الأوضاع المذكورة (3).

(1) انظر: أرشيف وثائق جمعية الدراسات العربية في القدس: بيان حزب البعث العربي الاشتراكي، الذي وزع آنذاك بعنوان: بيان مرشحا البعث العربي الاشتراكي، ملف رقم 251.

(2) انظر: سيلع، أبرهام: حزب البعث في الضفة الغربية، ص 76.

وانظر أيضاً: علوش، ناجي: الثورة والجماهير. بيروت: دار الطليعة، 1962، ص 47.

ومقابلات: أجريت بتاريخ سابق مع عياد المالكي، وعبد الجواد صالح، وبسام الشكعة وياسر عمرو.

(3) انظر: الشاعر، جمال: سياسي يتنكر، ص 70.

6) علاقة القيادة القطرية في المملكة الأردنية بالقيادة القومية لحزب البعث في

دمشق

نبعت العلاقة بين البعث في الأردن وفلسطين وقيادته القومية، من القاعدة الفكرية المشتركة ومن طبيعة تسلسل المراتب الحزبية، والتي تقوم على أساس اعتبار القيادة القومية، أعلى سلطة تنفيذية. وتعمل القيادة القومية على توجيه ومراقبة منظمات وفروع الحزب، في جميع الأقطار تقبل أو ترفض الاندماج مع تكتلات سياسية أخرى، أو التعاون مع الأحزاب الأخرى، أو الاشتراك في الحكم أو الدخول في الانتخابات النيابية، أو المشاركة في المؤتمرات العربية والدولية. أما صلاحيات الأمين العام فهي أيضا كبيرة أنها نفس صلاحيات القيادة القومية(1).

تضم القيادة القومية لحزب البعث أعضاء يتم انتخابهم في مؤتمرات البعث القومية التي تعقد بعد أن توجه القيادة القومية دعوات إلى أعضاء القيادات القطرية ويراعى في اختيارهم أن لا يزيد عدد ممثلي كل قطر عن ثلاثة أشخاص، وبموجب المؤتمر القومي يتقرر انتخاب الأمين العام وانتخاب أعضاء القيادة القومية، ويشترط توافر جملة شروط في عضو القيادة القومية ومنها أن يكون قد مضى على عضويته في حزب البعث عشر سنوات متتالية، وان يتفرغ للعمل في القيادة القومية(2).

تتولى القيادة القومية في حال غياب المؤتمر القومي مهمة رسم استراتيجية النضال للبعث بتعميم مواقفها، وتنسيق جهودها مع القيادات القطرية نحو توحيد الأمة العربية وتنظيم ارتباط الحزبيين خارج الوطن العربي ومن مهمات القيادتين القومية والقيادات القطرية العمل على تنسيق الإطار التنظيمي ويقوم على طاعة المراتب الدنيا للمراتب العليا حسب المركزية الديمقراطية التي عمل بها الحزب، ومن حق القيادة القومية حل القيادات القطرية في حالة خروجها على مبادئ البعث، وتعيين قيادات قطرية مؤقتة لحين إجراء انتخابات(3).

1) انظر: دنشلي، مصطفى: حزب البعث العربي الاشتراكي 1940-1960، ص 200.
وانظر أيضا: القيادة القومية لحزب البعث العربي الاشتراكي: النظام الداخلي، موضوع بنية الحزب المسألة 43، ص 73-89. (بتصرف)

2) انظر: حزب البعث العربي الاشتراكي القيادة القومية: النظام الداخلي، ص 67، و 72، و 74.

3) انظر: المرجع السابق، ص 75، و 80 - 81.

لم يكن أعضاء القيادة القومية في وحدة فكرية تامة، وكثيراً ما جرى إبعاد بعضهم بسبب خلافاتهم مع القيادة القومية وعلى رأسها طرد الأمين القطري الأردني عبدالله الريماوي ومجموعته، كما حدث في المؤتمر القومي الثالث 1959، وفي المؤتمر القومي الرابع 1960، طرد فواد الركابي أمين عام القيادة القطرية في العراق وفي المؤتمر القومي الخامس 1962 صدر قرار بشطب القيادة القطرية السورية وطرد أكرم الحوراني ومجموعته وتم تعيين لجنة ثلاثية عراقية لإعادة تنظيم حزب البعث في سوريا(1).

في ضوء ما تقدم فإن على القيادة القطرية في الأردن وفلسطين ومنها فرع غزة أن تتسق سياستها الاستراتيجية مع القيادة القومية في دمشق، وينبع هذا من النظرة القومية الشمولية التي يتميز بها البعث في نظريته وبناءه التنظيمي.

(1) انظر: الفكيكي، هاني: أوكار الهزيمة تجربتي في حزب البعث العراقي، ص 102 – 103.

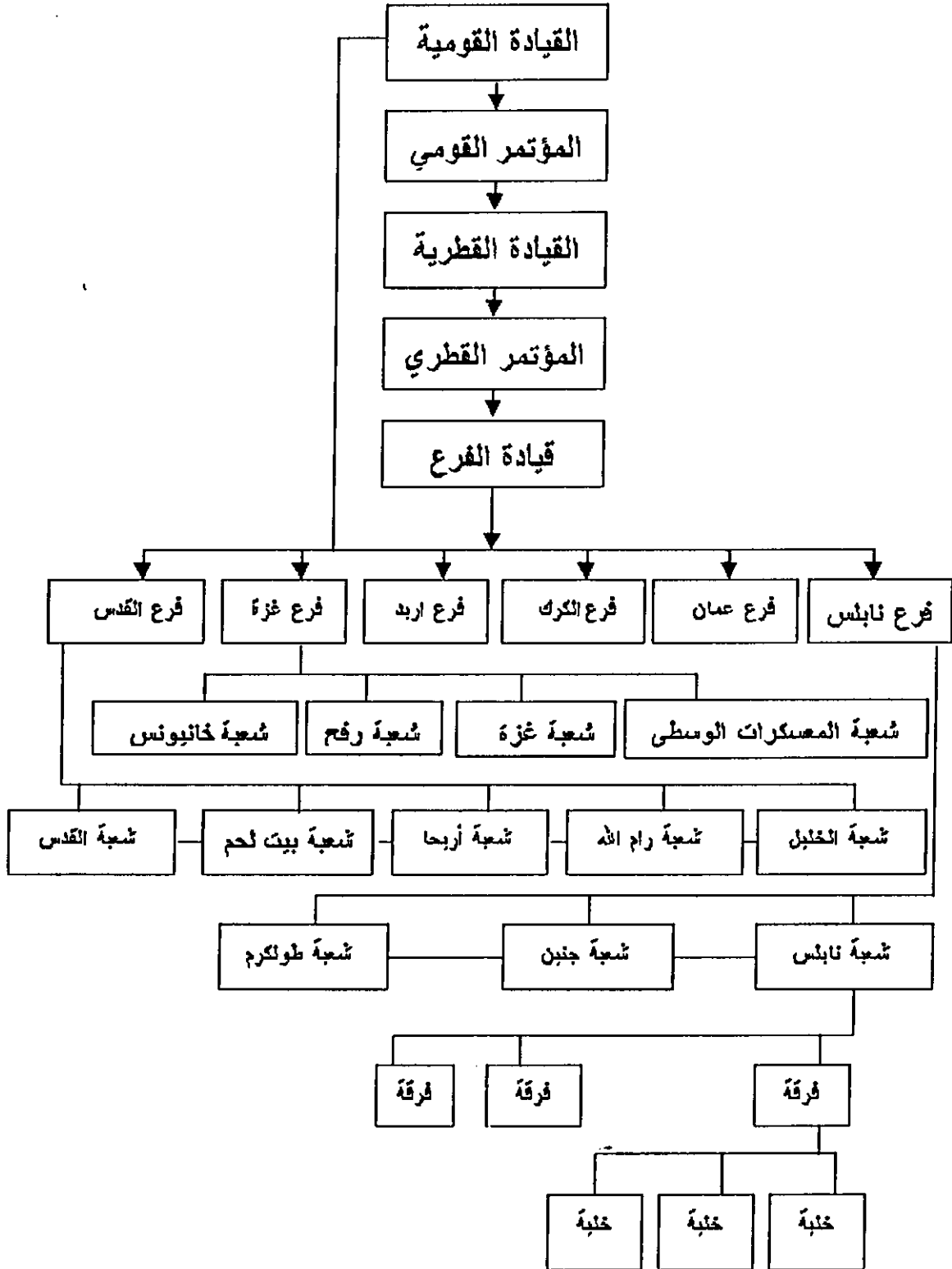
7) تسلسل المراتب التنظيمية في حزب البعث

يتدرج التنظيم الحزبي البعثي في فلسطين، حسب النظام الداخلي للحزب، وتعتبر الخلية الحزبية أدناها مرتبة في سلم الهيكل التنظيمي والمراتب للحزب في مختلف الأقطار التي يتواجد فيها حزب البعث وتعتبر أعلاها مرتبة القيادة القومية، وعبر هذه المراتب وتسلسلها يبدأ تجنيد الأشخاص للحزب.

تتدرج هيكلية الحزب، وتنظيمه من الأدنى إلى الأعلى في تنظيم هرمي ويضم الخلايا وكل خلية تضم (3-7) أشخاص، وللخلية مسؤول، وهي أدنى وحدة تنظيمية، ومهمتها نشر أفكار الحزب ومبادئه، وتعقد اجتماعات دورية، وتشارك عدة خلايا من بين (3-7 خلايا) لتكون فرقة حزبية، وتعلوها مرتبة الشعبة، والتي تتكون من 2-9 فرق ويعلوها في المرتبة فرع الحزب، وهو عبارة عن اشتراك فرقتين أو أكثر. ومن مجموع فروع الحزب التي لا تقل عن فرعين تتكون القيادة القطرية. تتألف القيادة القطرية من واحد وعشرين عضواً، كحد أقصى في القطر الذي يحكمه الحزب ومن بين 13 عضواً، كحد أقصى في ظروف العمل السري. وهذه هيكلية التنظيم الحزبي في فلسطين والأردن في عام 1957 كما تحددها اللوائح الداخلية، وسير العمل الحزبي في حينه، وقد وصل تنظيم حزب البعث في المملكة الأردنية الهاشمية إلى مستوى قيادة قطرية، يمثلها عبدالله الريماوي في عضوية القيادة القومية، بينما وصل البعث في غزة إلى مستوى قيادة فرع، وهي أقل مستوى من القيادة القطرية، وترتبط بالقيادة القومية مباشرة في سوريا، ويشاركها فرع الطلاب في مصر، ولا ترتبط قيادات البعث في قطاع غزة والضفة الغربية برباط هيكلية في حينه، وهذه صورة لما قام عليه التسلسل الهرمي آنذاك كما يوضحه الشكل الآتي(1):

(1) انظر: القيادة القومية لحزب البعث العربي الاشتراكي: النظام الداخلي للحزب، ص 13 - 16.

تسلسل الهيكل التنظيمي في حزب البعث العربي الاشتراكي في فلسطين والأردن



ملاحظة: الفرق والخلايا المنبثقة عن شعبة نابلس والخلايا مجرد مثال، وينطبق هذا المثل على جميع الشعب المدونة أعلاه.

لقد بلغ حزب البعث في الضفتين الغربية والشرقية، من القوة بحيث كانت له قيادة فرع سنة 1952. وعقد مؤتمراً حزبياً عام 1953(1)، أما في قطاع غزة فهو لم يتعد "قيادة الفرع" حتى عام 1967، ولم يعقد مؤتمرات قطرية(2).

ظل الريماوي في منصب الأمين القطري لحزب البعث في المملكة الأردنية منذ عام 1952 وحتى عام 1959، كما ذكر سابقاً.

طرد الريماوي بسبب انحيازه لجمال عبد الناصر، وحل محله الرزاز أميناً عاماً حتى عام 1965. حيث شغل منصب أمين عام حزب البعث بدلاً من ميشيل علق(3).

أما في قطاع غزة ومصر فقد تكونت قيادة فرع، وكان أمين السر علي مختار المسؤول عن الطلاب، بينما كان مسؤولاً عن شعبة غزة عضو قيادة الفرع وفا الصايغ، وهو مسؤول القطاع بأكمله وأعطيت قيادة المنطقة الوسطى. وقيادة خان يونس، لمصطفى أبو مدين، وتكون فرع غزة من شعبتين إحداهما في غزة، والأخرى في خان يونس(4).

وفي عام 1959، أصبح صدام حسين مسؤول قيادة تنظيم غزة، وتنظيم الحزب في دول شمال أفريقيا العربية، وتنظيم الحزب في السودان ومصر(5).

(1) انظر: العيسمي، شبلي: حزب البعث مرحلة النمو والتوسع، ص 194.

(2) مقابلة أجريت بتاريخ سابق مع وفا الصايغ.

(3) انظر: الموسى، سليمان: تاريخ الأردن في القرن العشرين، ج2، ص 89.

(4) مقابلة أجريت بتاريخ سابق مع وفا الصايغ في رام الله. وأيضاً: مقابلة أجريت بتاريخ سابق مع خالد الدرزي في طولكرم.

(5) انظر: اسكندر، أمير: صدام حسين، ص 348.

8) علاقة حزب البعث بحكومتى الأردن ومصر حتى عام 1958

سلك حزب البعث في علاقته مع النظام الأردني منهج المعارضة الذي انتقد تصرفات الحكومة، وهاجم نهج ملك البلاد.

بدأت المعارضة في عهد الملك عبد الله، وتمثلت بانتقاد سياسته عبر " صحيفة البعث" التي حررها الريماوي وضمت نعواس، وكمال ناصر(1).

وفي شرق الأردن صدرت صحيفة الميثاق في عام 1948، كصحيفة أسبوعية على يد بعض عناصر المعارضة الفلسطينية والأردنية، وشنت كلاهما حملات عنيفة على السياسة البريطانية في الشرق الأوسط(2).

كانت صحافة البعث صريحة في معارضة النظام سواء أكانت البعث أو الجيل الجديد، وهي تهاجم* ملك البلاد في مناسبات عديدة(3).

بعد اغتيال الملك عبد الله في 20 تموز 1951، شهد الأردن فترة انتقالية في الحكم، وفي السادس من أيلول، تسلم الأمير طلال السلطة في البلاد، خلفاً لوالده، وقوبل بترحاب مجلس النواب والشعب وعهد إلى توفيق أبي الهدى بتشكيل وزارته التاسعة(4).

وقد صرح أبو الهدى بأنه لن يمس التكتلات السياسية، وسيعيد النظر في سياسته ولن يشتط في تطبيق أحكام قانون الدفاع الأردني، وأن لا يبالغ في الاعتقالات وأن يقوم بتطهير الجهاز الإداري(5).

1) انظر: التل، عبدالله: كارثة فلسطين، ص 569.

2) انظر: محافظة، علي: العلاقات الأردنية - البريطانية، ص 193.

*هاجمت كلوب باشا، والقادة الإنجليز، ومما جاء فيها " أن القيادة والسلاح، هي في أيدي أعداء العرب، والد أعداء الجيش العربي الذي ننشد".

3) التل، عبدالله: مرجع سابق، ص 574.

4) انظر: الموسى، سليمان، ومنيب الماضي: تاريخ الأردن، ج1، ص 555، و 561-562.

5) انظر: المجالي، هزاع: مذكراتي، ص 124.

ولكنه نقض وعده، وتصرف بديكتاتورية، وعندئذ اتفقت المعارضة من مختلف التيارات السياسية على إسقاط حكومته، وإخراجه من مركز القدرة السياسية. قامت معارضة قوية داخل البرلمان وخارجه، وعقدت جلسة لمجلس النواب وقد تصدى النائب البعثي عبد الله نعواس لتوفيق أبي الهدى بانتقادات قاسية. ففي جلسة مجلس النواب التي عقدت في 11 تشرين الثاني/ أكتوبر 1952 هاجم عبدالله نعواس و مؤيديه من النواب رئيس الوزراء، وأنقسم المجلس النيابي، وتشكلت كتلة معارضة، وأنسحب من الجلسة 17 نائبا من بين 40 نائبا(1).

وتبلورت أفكار المعارضة بتقديم مطالب وهي:

إقالة السيد توفيق أبي الهدى و تعديل الدستور، وجعل الثقة الوزارية بالأكثرية العادية والمطالبة بإلغاء القوانين الاستثنائية، وتعديل قانون الدفاع وإخراج المعتقلين من السجون وإحالتهم للقضاء ومحاربة الغلاء والبطالة، و المحافظة على حقوق اللاجئين، وحمايتهم من استبداد، وكالة الغوث، و المطالبة بتطهير الجهاز الإداري. وقررت المعارضة البرلمانية تبني المطالب الشعبية، وتقرير مبادئ ثابتة تلتف حولها، و تكوين مكتب يتألف من السادة: - عبد القادر الصالح، و هزاع المجالي، وأنور الخطيب، ويوسف عباس عمرو، وعبد الله الريماوي، وعبد الفتاح درويش(2).

واستمرت المظاهرات في مدن المملكة مطالبة باستقالة الحكومة، فعمد إلى اعتقال وسجن المتظاهرين وتهديد النواب، وحاول أبو الهدى سن قانون للتطهير الإداري ولم ينفذه(3).

وأدى مرض الملك إلى غياب دوره، وإلى إعفائه من ممارسة سلطاته الدستورية التي انتهت في 11 آب / أغسطس 1952، وتسلم الملك الشاب الحسين بن طلال مقاليد الحكم والذي أتم الثامنة عشرة من عمره في الثاني من أيار/ مايو 1953 وأدى اليمين الدستورية، وكلف السيد فوزي الملقى تشكيل حكومة جديدة(4).

(1) انظر: المرجع السابق نفسه، الصفحة نفسها.

(2) انظر: المجالي، هزاع: مذكراتي، ص 126 - 127.

وأيضاً: الموسى، سليمان، ومنيب الماضي: تاريخ الأردن في القرن العشرين، ج 1، ص 572.

(3) انظر: المجالي، هزاع: المرجع السابق، ص 129.

(4) انظر: المجالي، هزاع: المرجع السابق، ص 124.

وفي السنة الأولى من حكم الحسين قامت اسرائيل باعتداء حدودي كبير خارقة اتفاقية الهدنة بهجومها على قرية قبية* من قرى محافظة رام الله، مما شكل سبباً في النقمة الشعبية الى الحكومة الأردنية والضباط الإنجليز، وغذى المعارضة بمطالب محددة وواضحة، كالمطالبة بتسليح الحرس الوطني، وطرد الضباط الإنجليز.

بسبب هذه الجريمة أنفجر الغضب الشعبي والرسمي، وقامت المظاهرات في القدس، عمان نابلس، و رام الله، واريد، وهوجم المجلس الثقافي البريطاني، ومكاتب النقطة الرابعة في عمان. وقوبل قادة الجيش البريطاني بهجوم لاذع، وانتقاد لدور قيادتهم البريطانية المسيطرة على الجيش الأردني، وطالبوا بإسقاط سيطرتهم، وعلى رأسها الفريق كلوب باشا(1).

اهتم حزب البعث بجريمة قبية التي ارتكبتها العدو الصهيوني، وكشف التصير الشديد في تأمين الدفاع عن الحدود، وحرك التظاهرات الداعمة لشعاراته المرحلية، ومنها تحرير الجيش وطرد كلوب باشا، ثم رفضه لزيارة تمبلر ومحاولته ربط الأردن بالأحلاف الأجنبية(2).

تبع هذه الأحداث رفض مجلس النواب منح الثقة بوزارة توفيق باشا أبو الهدى والذي اصدر سلسلة قرارات تقييد وتمنع صدور الصحف ولمدة ستة شهور، ومنها اليقظة (صحيفة البعث) والكفاح (يحيى حمودة وإبراهيم بكر) والميثاق (صحيفة الحزب الاشتراكي)، والعهد الجديد وصوت الشعب(3).

ظل البعث في جبهة المعارضة ضد النظام الأردني، وكانت مجمل مواقفه تحارب تزويد الانتخابات، واندفع الحزب في اتجاه المعارضة العلنية كما أن مواقف قاداته تميزت بالجرأة

* بدأ عدوان اليهود على قرية قبية مساء يوم 14 / 10 / 1953، وقد لاحظ الحرس الوطني حركتهم بعد أن شاهد اليهود جنديين من الحرس الوطني وشدوا وثاقهما، ولكن أحدهما نجح في الهرب، واستنفر الحرس الوطني وحدثت اشتباكات بين الطرفين، وبعد منتصف الليل دخلوا إلى القرية، وأخذوا ينسفون بيوتها على رؤوس ساكنيها، وفي صباح اليوم التالي، ذاع خبر الجريمة التي كانت حصيلتها 42 منزلاً و 66 شخصاً أكثرهم من النساء والأطفال، وقتلت الحيوانات داخل الزرائب ونسفت مدرسة القرية وكانت القوة المهاجمة لا تقل عن كتيبة مساندة، أما المدافعون بلغوا 440 من رجال الحرس الوطني. (انظر: الموسى، سليمان، ومنيب الماضي: المرجع السابق ج1، ص 586 و 587).

(1) انظر: محافظة، على: العلاقات الأردنية - البريطانية، ص 205 - 206.

(2) انظر: العيسمي، شبلي: حزب البعث مرحلة النمو والتوسع، ص 192.

(3) انظر: الموسى، سليمان، ومنيب الماضي: تاريخ الأردن ج1، ص 597.

والصراحة والوضوح في نقد الحكومة وسياساتها وقد أوضح البعث مطالبه في برنامجه، والتي جسدها مؤتمره القطري في أيار/ مايو 1954 على النحو الآتي:

1- تعديل قانون الدفاع، وإطلاق الحريات إطلاقاً كاملاً.

2- وضع قانون انتخابي تقدمي.

3- فصل الشرطة والدرك عن الجيش.

4- مهاجمة المعاهدة الانجليزية الأردنية، كخطوة فعالة في سبيل العمل على إلغائها.

5- إبراز الوحدة العربية كضرورة قومية، وكحل للخلاص من المعاهدة البريطانية

الأردنية وتحرير الأردن.

6- مقاومة تصفية القضية الفلسطينية أو التفاوض مع اليهود ومقاومة الاستيطان ورفض

الصلح مهما كانت الصور والأشكال(1).

أما موقف البعث في فلسطين و رؤيته وتحليله لنظام عبد الناصر فقد نبع من تحليل القيادة القومية للبعث ونظرتها في بداية الأمر، التي كانت تؤمن بالثورة والنضال الشعبي في الوصول إلى الحكم وعدم جدوى الانقلابات العسكرية، لما حملته من مخاطر ديكتاتورية، وتسلب نظام الفرد وكان لتجربة حزب البعث وترحيبه بانقلاب حسني الزعيم وثبات عدم صحة رأيه أثر في حذره من انقلابات العسكريين التي تتناقض مع العمل الشعبي.

ففي الثلاثين من آذار/ مارس 1949، قام حسني الزعيم بانقلاب عسكري باركه الشعب وتوسم فيه خيراً، وكذلك كان موقف البعث الذي راح يتقرب من الزعيم ويعرض عليه برنامجه الإصلاحية، ويرفع له مذكرات، أكدت على ضرورة تشكيل جبهة سياسية تمنع قائد الانقلاب من التفرد في السلطة(2).

ورفع البعث بياناً يشرح فيه مطالب البلاد والأوضاع الراهنة وانحرافات العهد الجديد وأوكلت إلى عضو في حزب البعث صياغته، ومن ثم تسليمه إلى حسني الزعيم قائد الانقلاب وتوزيعه كمنشور ووقع عليه قادة البعث يومئذ*، فاعتقلهم الزعيم ومعهم عدد كبير من الحزبيين، وعمولوا بشتى الإهانات وتعرضوا لشتى وسائل التعذيب(3).

(1) أرشيف ملفات المخابرات الأردنية في (المكتبة الوطنية في دولة إسرائيل): المؤتمر القطري، أيار 1954، ص 3.

(2) الياس، جوزيف: علق والبعث، نصف قرن من النضال، ص 43 - 44.

* وهم: ميشيل علق، وجلال السيد، وصلاح الدين البيطار، و وهيب الغانم.

(3) السيد، جلال: حزب البعث، بيروت: دار النهار، سنة 1974، ص 59، و 60.

وقام سامي الحناوي بانقلاب آخر على الزعيم في 14 آب/ أغسطس 1949 ثم تلاه انقلاب أديب الشيشكلي الذي أمسك بالسلطة، وحل الأحزاب ومنع الصحف من الصدور، و أطلق العنان لحركة التحرير العربية لأن تعمل باسمه(1).

إزاء هذه التطورات، وقف البعث من انقلاب 23 تموز/ يوليو 1952 في مصر موقف الحذر. وبعد أن وقع عبد الناصر اتفاقية الجلاء مع بريطانيا عام 1954، والتي تنص على تأمين قواعد في قناة السويس لبريطانيا في حالة تعرض بريطانيا للخطر في منطقة الشرق الأوسط، ولهذا علقت القيادة القومية في نشرتها السرية لفروع الحزب في الوطن العربي "النضال ضد الإقطاعية لا يمكن أن يتم بدون دعم القوى السياسية المنظمة في إطار نظام ديمقراطي، ودعا البعث الحكم في مصر بعد الإطاحة بالملكية إلى إقامة نظام دستوري ديمقراطي، ودعا أنصاره وأعضاءه لتعبئة الرأي العام العربي ضد الدكتاتورية والتي نكلت بالقوى الشعبية"(2).

جرى في عام 1954 تبادل الزيارات بين المسؤولين المصريين ورجال الحكم في العراق فانتقد البعث إقامة علاقات مع الحكم العراقي، ووصف النظام المصري بالدكتاتوري، وأنه نظام يتعارض مع الشعب، وبين البعث أهمية إطلاق الحريات، وإفساح المجال للهيئات والمنظمات الشعبية، وأوضح أن من لا يؤمن بالشعب لا بد أن يلجأ للأعداء وأن الولايات المتحدة تسند وجوده كنظام ديمقراطي وشككت في الهالة التي تظلل النظام من قبل الاستعمار الذي "مهما حاول إظهار هؤلاء الضباط الأغرار بمظهر الأبطال الأحرار إلا أن زيف الحكم يظهر زيف بطولته"(3).

لكن هذا الموقف العدائي والحذر في التقرب من عبد الناصر تحول نحو مطالبة حكومة الأردن بالدخول في وحدة مصرية سورية أردنية، ودون شروط، وأخذ يطالب حكومة الأردن بالحصول على المعونة العربية بدلاً من المعونة البريطانية، وكان ذلك التوجه قد ظهر مع بداية نيسان عام 1955، حيث قام النظام المصري بتوقيع اتفاق تجاري مع الاتحاد السوفيتي، وعقد

(1) بيان الديكتاتورية العسكرية لا تؤمن بالشعب، سلسلة نضال البعث ج5، ص 37.

(2) نشرة سرية بعنوان: الاتفاق التركي - العراقي، صدرت في شباط عام 1955، ووزعت آنذاك وحصل الباحث على نسخة منها، ص3.

(3) انظر: الدكتاتورية العسكرية لا تؤمن بالشعب، سلسلة نضال البعث ج 5، ص 37.

صفقة أسلحة مع تشيكوسلوفاكيا، ثم اتفاقية تعاون متبادل مع سوريا والسعودية في أواخر تشرين أول/ نوفمبر لمواجهة الضغوط الغربية الناجمة عن حلف بغداد(1).

هذه التطورات جعلتهم يصفون نظام عبد الناصر نظاما قوميا تحرريا وتقدميا ودعا على أثر ذلك حزب البعث، والحزب الوطني الاشتراكي إلى جمع التبرعات لتسليح الجيش المصري. ولأن مصر ستحقق إرادة الأمة العربية، وهو ما دفع تقارب البعث مع عبد الناصر، ومعارضة الطرفين لحلف بغداد، حيث زار الرئيس التركي الأردن والعراق عام 1955، وسعى إلى ضم الأردن إلى حلف بغداد، وفي كانون الثاني وصلت بعثة الجنرال البريطاني تمبلر على رأس وفد كبير، واقترح أن يكون الانضمام إلى حلف بغداد على حساب الاتفاقية الموقعة بين بريطانيا والأردن عندها أخذت الأجهزة المصرية الإعلامية بمهاجمة الحلف معبرة أنه مكيدة في حين رفع البعثيون توقعات وعرائض وقدموها للملك حسين، وتظاهروا ضد الزيارة في مدن المملكة الأردنية الهاشمية(2).

وقام جمال عبد الناصر بسلسلة خطوات على رأسها قرار تأميم قناة السويس، الذي بعث الحماس في نفوس الجماهير العربية، وفي فلسطين والأردن نشر البعث بياناً بهذه المناسبة معلناً احتفاله بالحدث التاريخي، وقام برفع صور الرئيس جمال عبد الناصر، وتقدم قادة البعث الجماهير بمسيرات، وجرت تظاهرات شعبية في القدس ضمت المئات معلنة تضامنها مع الحكم المصري بقيادة عبد الناصر، وفي طليعة صفوفهم كل من بهجت أبو غربية، وعبد المحسن أبو ميزر، وعمت مدن الخليل، ورام الله وطولكرم، ورددت شعارات تطالب بإلغاء المعاهدة البريطانية الأردنية، وهتفت الجماهير بعبارات مناوئة للإمبريالية وفيها كان التعاون واضحا بين البعث والحزب الشيوعي رغم أن لكل منهما شعارات خاصة به(3).

وفي أوائل أيلول / سبتمبر 1956 وقبيل انتخابات البرلمان، عبر قادة حزب البعث عن إعجابهم بخطوة التأميم، التي قامت بها مصر وخطوة الحسين في تعريب الجيش، وطرده كلوب باشا. ألقى حمدي التاجي الفاروقي وعبد الله الريماوي، خطابين أمام الجماهير المحتشدة وقد امتدح الفاروقي الحسين لقيامه بخطوته الجبارة في تعريب الجيش الأردني، وطرده كلوب باشا،

(1) انظر: دندشلي، مصطفى: حزب البعث العربي الاشتراكي 1940-1960، ص 210 - 211.

(2) انظر: العيسمي، شبلي: حزب البعث مرحلة النمو والتوسع، ص 193 وأيضاً: رسالة مطبوعة من بهجت أبو غربية، مرجع سابق.

(3) أنظر: سيلع، أبرهام: حزب البعث في الضفة الغربية، ص 27.

و انسجاما مع رغبات الشباب، وامتدح جمال عبد الناصر على تأميمه القناة وطالب الملك بإلغاء المعاهدة البريطانية الأردنية وقبول المعونة العربية. و في خطابه عبر عن لسان الجماهير العربية المؤيدة لجمال عبد الناصر لما قام به من تأميم لقناة السويس والتي هي ملكية خاصة بمصر، ومما قاله أن " قناة السويس مصرية حفرت بأيدي عربية، وماؤها عربي، وشواطئها عربية، وسمكها وترابها، وأن العرب يؤيدون مصر من الشرق إلى الغرب ومن الشمال إلى الجنوب (1).

أما عبدالله الريماوي فقد ألقى خطابا أشار فيه إلى التآمر على قضية فلسطين وطرد "الطاغية الملك فاروق" وأوضح أن الاستعمار يحيك الدسائس، والمؤامرات ليس لحكومة مصر التي أمتت قناة السويس وحدها، وإنما لدول عربية أخرى، وأوضح الريماوي أن قادة البعث يحبون جمال عبد الناصر، لأنه يكره الزعيم البريطاني ايدن، وحذر حكومة الأردن، و أي شخص مسؤول فيها إذا استعملت القواعد العسكرية البريطانية في عمان والمفرق فسي خدمة بريطانيا(2).

لم يقتصر التعاون وتقارب الأفكار بين البعث وعبدالناصر في الضفة الغربية ففي غزة التي خضعت للحكم المصري عام 1948 حيث أدار الضابط المصري مصطفى حافظ عمليات التسلل الفدائي ضد اسرائيل منذ آذار / مارس 1954، والتي شارك فيها الشباب البعثي(3).

ونال البعث في غزة حرية العمل التي منحها له أجهزة الحكم المصري، وكان أقرب الأحزاب إلى النظام المصري إلى الحد الذي لم يميز فيه البعثيون مواقفهم عن مواقف النظام المصري القومية(4).

حقق البعث نجاحا بفعل الدعم الذي قدمته مصر، وساعدت الحرية المنوحة له في قطاع غزة على توسيع قواعده بين عامي 1958 – 1961، و تم التعاون بين قادة البعث والقيادة المصرية، و تأسست "جبهة المقاومة الشعبية" أيام الاحتلال الإسرائيلي لقطاع غزة والتي

(1) ملفات المخابرات الأردنية في أرشيف (دولة إسرائيل) تقرير المباحث المرسل لقيادة منطقة القدس رقم ق/24028/4/4/2، بتاريخ 5 / 9 / 56، صفتان.

(2) انظر: ملفات المخابرات الأردنية في أرشيف (دولة إسرائيل) تقرير المباحث المرسل لقيادة منطقة القدس رقم ق/24028/4/4/2، بتاريخ 5 / 9 / 56، الصفحة الأولى.

(3) مقالة أجريت بتاريخ سابق مع وفا الصايغ.

(4) انظر: الأزعر، محمد خالد: " محاولة تاريخ التجربة"، شؤون فلسطينية، ع 192 آذار 1989، ص 97.

ضمت إلى جانب البعثيين والأخوان المسلمين، وكانت هناك جبهة أخرى من الشيوعيين وأصدقائهم دعيت باسم "الجبهة الوطنية"، وتمت اتصالات بين الجبهتين لتوحيد جهودهما وانتهت بالفشل بسبب خلافهما حول الموقف من العلاقة مع الشيوعيين في إسرائيل(1).

ويذكر أحد قادة البعث أن كمال رفعت وزير الدولة للشؤون العربية قدم لقيادة فرع حزب البعث أموالاً ومواد مطبوعة، وعمليات أسرائيلية مزيفة، وجرى عمل مشترك لتفعيل دور المقاومة وديمومة عملها، ونظراً لعدم معرفة البعض بأسباب هذه العلاقة اتهم وفا الصايغ بالعمالة للمخابرات المصرية(2).

ومن صور التعاون الأخرى أن فرع البعث في غزة كان بمثابة حلقة الوصل بين نظام الحكم المصري، وحزب البعث في الضفة الغربية بقيادة الريماوي، وسبب قرب قطاع غزة من مدينة؛ لذا تم إدخال كميات من الأسلحة عبر منطقة خط الهدنة غربي الخليل، وتعاون في ذلك قادة البعث، ومنهم: مخلص عمرو، وعبدالله الريماوي، ووزير الشؤون العربية في الحكم المصري كمال رفعت، ومررت الأسلحة من بيارة وفا الصايغ مسؤول قيادة فرع غزة(3).

وعلى أثر ذلك تم اعتقال مخلص عمرو في 3 آب/ أغسطس 1958، واستشهد من آثار التعذيب بعد عامين(4).

(1) انظر: أبو عمرو، زياد: الحركات السياسية في قطاع غزة، ص 19 1.

(2) انظر: أبو عمرو، زياد: المرجع السابق، ص 119 – 120. وأيضا: مقابلة أجريت بتاريخ سابق مع وفا الصايغ.

(3) انظر: أبو عمرو، زياد: المرجع السابق، ص 117. وأيضا: مقابلة أجريت بتاريخ سابق مع وفا الصايغ.

(4) انظر: خطاب ياسر عمرو في مجلس النواب الأردني، ملحق الجريدة الرسمية المجلد 7 الأحد الموافق 21 نيسان 1963، ص 1061 – 1062. وأيضا: مقابلة أجريت مع ياسر عمرو في مكتبه بمدينة رام الله.

ولقد اتهم عدد من قادة وأعضاء حزب البعث في المملكة الأردنية الهاشمية بمحاولة إسقاط الحكم الأردني، وجمع السلاح لهذا الغرض، وتعرض عدد منهم للتعذيب الشديد* (1).

كانت مواقف مصر في كفاحها ضد الاستعمار تدفع باتجاه قيادة مصر للعالم العربي؛ لكونها أصبحت عموداً فكرياً للنضال القومي العربي، وقد شجع البعث هذا التوجه إيماناً منه أن مصر تحتل دوراً خطيراً في المنطقة، وقد أسهمت الهبات الشعبية العربية، وتظاهرات الجماهير المؤيدة للحكم المصري في فلسطين وسورية والأردن؛ في أن تمضي الثورة المصرية في حماسها للاتجاه القومي (2).

كان من نتائج المواقف الثورية للنظام المصري والتي تكشفت يوماً بعد يوم أن زاد الحاح البعث في سوريا على الاتحاد مع مصر. ففي هذا السياق نشر عفاق ما يزيد عن 15 مقالة تطالب مصر بالوحدة مع سوريا، التي اعتبرت مصر محوراً مهماً للوحدة العربية فضلاً عن استهداف الغرب لمصر عبد الناصر (3).

هكذا أصبح المناخ مهيئاً للوحدة المصرية السورية، التي سيبدل البعث دوراً مهماً في تحقيقها، وسيضحي حزب البعث بحل نفسه في سوريا ومصر من أجلها.

* اتهم المعلم سامي العطاري من مدينة طولكرم بحيازته كميات أسلحة، وبمحاولته قلب نظام الحكم الأردني وحكم عليه بالمؤبد، وكاد سامي العطاري أن يهلك بسبب التعذيب، ومحاولة حرقه بالسبيرتو، بينما إحدوب ظهر يوسف الناطور من طولكرم بفعل أثار التعذيب، وكان صمود العطاري، قد حمى عشرات البعثيين من الاعتقال، وحوكم بالمؤبد. (1) مقابلة أجريت بتاريخ 20 / 8 / 1999، مع يوسف الناطور من الرعيل الأول في حزب البعث في مدينة طولكرم. وأيضاً مقابلة: أجريت بتاريخ سابق مع بسام الشكعة، وأكد سامي العطاري صحة ذلك أثناء اتصالي الهاتفي به حيث يقيم في دمشق.

وانظر: تقرير مباحث طولكرم منسوخ بخط اليد بعنوان: كشف بأسماء الموظفين المنتمين للأحزاب المنحلة البعث*. ملف رقم 22 - 1541)، وينكر أنه نقل الرسائل بين عمه مخلص عمرو، وعبد المحسن أبو النور قائد الجيش المصري، وعبد الله الريماوي.

(2) انظر: عفاق، ميشيل: معركة المصير الواحد، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ص 79 و 88.

(3) انظر: عفاق، ميشيل: المصدر السابق، ص 25 - 26.

الفصل الثالث

أوضاع حزب البعث بين عامي 1958-1967

- 1) موقف حزب البعث في فلسطين تجاه الوحدة المصرية - السورية 1958 - 1961
- 2) تأثير خلاف الريماوي مع عفلق على حزب البعث في فلسطين
 - أ- تأسيس القيادة القومية والقطرية الثورية
 - ب - دعوة الريماوي لتكوين الحركة العربية الواحدة
- 3) علاقة حزب البعث بنظام الحكم الأردني بين عامي 1960-1967
 - أ - علاقة البعث بالنظام الأردني بعد قيام الجمهورية العربية المتحدة
 - ب - نشوء الكيان الفلسطيني ومنظماته وتأثيرها في علاقة حزب البعث بالنظام الأردني .
 - ج - موقف البعث في فلسطين من الحكومة الأردنية بعيد أحداث السموع
 - د - الأوضاع التي قادت إلى انقلاب 23 شباط 1966 في سوريا، وتأثيرها على حزب البعث في فلسطين

1) موقف حزب البعث في فلسطين تجاه الوحدة المصرية السورية 1958-1961

شهدت سوريا ومصر بين عامي 1958 - 1961، قيام أول وحدة عربية في القرن العشرين، التي جاءت بعد سلسلة تطورات داخلية وخارجية مرت بالقطرين العربيين مصر وسوريا، وكذلك توثيق عرى العلاقات بينهما، التي تعزى إلى مجموعة عوامل، وكان أبرزها: - أولاً: صعود التيار القومي الوحدوي العربي الاشتراكي في القطر السوري، الذي كان ثمرة الوحدة بين حزب البعث العربي بقيادة علق وصلاح البيطار، والحزب العربي الاشتراكي بقيادة الحوراني، وقد عزز من وحدة الحزبين الاضطهاد السياسي الذي مارسه أديب الشيشكلي ضدتهما، و هكذا تشابهت أوضاعهما مما مهد الطريق لوحدتهما فيما بعد، والتي تجاوزت إلى حد كبير مع مواقف البعث، كما أن شعبية الحوراني في ريف حماة شجعت البعث على استقطاب هذه القاعدة الشعبية(1).

وبعد أن نجح البعث بإسقاط الحكم العسكري في سوريا، وفي يوم 25 شباط 1954 بادر الضابط البعثي مصطفى حمدون إلى توجيه بيانه، وطلب فيه من الشعب الدفاع عن شرفه وحمل السلاح وأثمر التملل الشعبي في نجاح الانقلاب(2).

أدت هذه التطورات إلى نجاح البعث في الانتخابات الشعبية، وسجلت نتائجها نجاحاً لحزب البعث الذي فاز ب16 مقعداً في البرلمان من بين 140 مقعداً، وكان من بين الفائزين أكرم الحوراني الذي تمتع بشعبية في مدينة حماة(3) إلا أنها سجلت تراجعاً في شعبية الأحزاب التقليدية المؤيدة للعراق الهاشمي ومنها: الحزب الوطني، وحزب الشعب، ونجح أكرم الحوراني في استلام منصب رئيس مجلس النواب ونجح شكري القوتلي في استلام منصب رئيس الجمهورية، وسقط منافسه خالد العظم في 18 آب / أغسطس 1954(4).

ثانياً: أسهمت شعبية جمال عبدالناصر وصعودها على المستوى القومي العربي في جذب اهتمام البعث في سوريا بخطواته السياسية، وظهر بطلا ورمزا قوميا للأمة، وذلك بسبب قرار

(1) انظر: العيسمي، شبلي: حزب البعث مرحلة النمو والتوسع، ص 289.

(2) حمدان حمدان: أكرم الحوراني، ص 132.

(3) KAMEL .S. ABU JABER: The Arab Ba'th Socialist Party and Organization, Syracuse University press 1966, p. 35

(4) حمدان، حمدان: مرجع سابق، ص 215.

التأميم التاريخي لقناة السويس، والعدوان الثلاثي على مصر ثم أن الشعب منحه ثقته وإرادته بعد منجزاته في ضرب الإقطاع وجشع المستغلين و تجسيد التيار العربي الثوري(1).

ثالثاً: لقاء البلدين مصر وسوريا ،بعد زوال الاستعمار وتطهير البلدين منهما، ناهيك عن أصالة القومية العربية وجذورها العميقة في نفوس العرب، ونضوج الوعي القومي العربي وتفهيمه للأحداث التي تمر بها الأمة العربية تفهماً صحيحاً، وسياسة الحياد الإيجابي التي سار عليها البلدان في السياسة الخارجية، وابتعادها عن سياسة المعسكرات العربية التابعة للعائلات المالكة، وشعورهما بالخطر الصهيوني المشترك للبلدين، والتأمر الاستعماري المتمثل بالأحلاف، ومنها: حلف بغداد ومبدأ أيزنهاور الاستعماري(2).

أمام صعود شعبية عبدالناصر، وبروز دور مصر القومي العربي، أخذ ميشيل عفلق يكتب المقالات، ويلقي التصريحات التي تنثني على موقف عبدالناصر، وتشدد على أهمية اتحاد مصر وسوريا بعد لقائهما السياسي والثوري، وتغيرت نظرة البعث لنظام عبدالناصر الذي كان يوصف بأنه نظام عسكري ديكتاتوري فردي، وقد بين عفلق أسباب التغيير وهي: -

أن النظام المصري كانت تشده القوى الانعزالية في مصر، وأسهم منطلق الانقلاب الثوري العربي في تحويل نظرته، ففضية فلسطين تشد مصر دوماً إلى الجسم العربي، والإصلاح الداخلي أعطى مزيداً من الثقة والجرأة في مكافحة الاستعمار في الإطار العربي والعالمى وأسهم مؤتمر باندونغ في استكمال التوجه الذي سارت عليه سوريا قبل سنوات، ثم أنه لو لا ضغط الجماهير، والهبات الشعبية في الأردن وسوريا لأمكن أن تتخذ الثورة مساراً آخر(3).

رابعاً: أدى غياب الانسجام والوحدة الفكرية التامة بين قادة البعث إلى تحليقهم حول عبدالناصر فرغم صعود جماهيرية حزب البعث بفعل الوحدة الاندماجية التي حققها اندماج الحزب العربي الاشتراكي في البعث، إلا أن المواقف، والرؤى، والتحليلات السياسية كانت

(1) دندشلي، مصطفى: حزب البعث العربي الاشتراكي 1940-1960، ص 213 - 214.

(2) انظر: " النشرة الداخلية لحزب البعث بتاريخ كانون الثاني / شباط 1958، تحت عنوان: حول الجمهورية العربية المتحدة، وماذا يعني حل الأحزاب في سوريا بالنسبة لنا، سلسلة نضال البعث، ج 8، القطر اللبناني (1951- 1961)، ص 98.

(3) انظر: عفلق، ميشيل: معركة المصير الواحد، ص 80 - 81.

مختلفة، ومثلها التصريحات الصحفية والإعلامية، حتى أن عفلق أظهر استياءه من السلوك السياسي لأكرم الحوراني في أكثر من مناسبة وكان مصدر الاختلاف نابعا من اختلاف التفكير بين عفلق " المثالي " الراض لقذارة السياسة ومغرياتها، و اكرم الحوراني السياسي " العملي " الذي يوصف سلوكه بالنفعي وبالمناور، ويضاف إلى ذلك إفلاس السياسيين، وفشل العسكريين في تسيير دفة الحكم، وتنافر الأحزاب، وتباعد النظريات(1).

خامساً: ساد شعور مشترك لدى ضباط البعث وعبدالناصر أن خطرين يحيطان بسوريا، وهما خطر خارجي يتمثل في حلف بغداد، و الخطر الشيوعي الداخلي المحقق بسوريا والفضى السياسية الداخلية، وما يخطط له عفيف البزري، وخالد بكداش من مؤامرة انقلابية لاستلام الحكم وأن تحقيق الوحدة بزعامة جمال عبدالناصر تفويت لهذه المؤامرة(2).

تبادل المسؤولون في القطرين المصري والسوري الزيارات بينهما، وزار محمد أنور السادات رئيس البرلمان المصري في 17 تشرين الأول / أكتوبر 1957 سوريا وجرت محادثات مشتركة حول توحيد القطرين، وقد قابل السوريون مشروع الوحدة بحماس منقطع النظير، ويفوق اندفاعية المصريين الذين اظهروا التريث(3).

وحرص الحوراني على إبراز مظاهر حفاوة وترحيب الشعب السوري الذين خرجوا بالآلاف وحمل رجال المقاومة الشعبية سلاحهم وقاموا بعرض عسكري أمام الوفد المصري وحمل المتظاهرون أنور السادات على الأعناق ورفع البعث شعاراته مثل: (عاشت وحدة مصر وسورية)، (لا حياة للعرب الا بوحدتهم)، وكذلك فعلت حركة القوميين العرب في شعار (عاش نضال الشعب العربي في سبيل الوحدة والتحرر والثأر)(4).

في يوم 21 كانون ثاني / يناير 1958 أقلعت طائرة تقل وفدا عسكريا من سوريا مكون من أربعة عشر ضابطاً من رؤساء القوات المسلحة من بين 24 عسكريا يشكلون المجلس العسكري في سوريا وتبعهم صلاح الدين البيطار، وفوجئ عبدالناصر بقدمهم، جاءوا يطلبون

(1) انظر: دندشلي، مصطفى: حزب البعث العربي الاشتراكي 1940 - 1963، ص 169-171.

(2) انظر: دندشلي، مصطفى: المرجع السابق، ص 215.

وانظر ايضا: الشاعر، جمال: سياسي يتذكر، ص 79.

(3) انظر: دندشلي، مصطفى: مرجع سابق، ص 214-215.

(4) الحوراني، أكرم: مذكرات، مج 4، ص 2454.

الوحدة الفورية واستغرب عبدالناصر استعجالهم وكان له رأي في الوحدة وأن مصر بحاجة إلى خمس سنوات لتحقيق الوحدة فشرحوا له المخاطر التي تمر بها سوريا ومنها تربص قادة وحدات الجيش بعضهم ببعض والأسلحة التي يهربها حلف بغداد إلى سوريا، وعن نشاط خالد بكداش الذي حول حي الأكراد إلى ثكنة مسلحة والتحركات التركية على الحدود السورية(1).

كان السوريون والبعثيون منهم خاصة يستعجلون الوحدة مع مصر، وكأنه لا وقت لديهم لدراسة شكل وطبيعة الوحدة، وربما رأوا فيها الفرصة الذهبية لتطبيق مبادئهم.

توج السوريون جهودهم، بعقد اجتماع مجلس النواب بحضور الأكثرية فيه وعقد مجلس النواب السوري يوم الأربعاء 5 شباط / فبراير 1958 برئاسة أكرم الحوراني، وألقى شكري القوتلي كلمة تاريخية ربط فيها بين نضال الحركة القومية العربية في سوريا منذ أوائل القرن في سبيل الوحدة ونضال الحرية، وبين أن الشعب السوري أعلن الجهاد باسم الله والحرية، وأن الثورة السورية التقت بروافد الثورة العربية وكان لا بد لمصر أن تدخل معركة الحرية، وتلتقي مع سوريا التي تفتنا بظلالها القطرين وكانت الحرية سيلا لربط مصير البلدين العربيين برباط الوحدة العربية الجامعة ثم بمبادئ الحياد، وعدم الانحياز(2).

وأعرب في نهاية خطابه عن استعداده التخلي عن منصبه، والتضحية من أجل الوحدة وأنه يتشرف بتسليم الراية للرئيس جمال عبدالناصر، واصفا إياه بالرجل المؤمن وأنه سيكون يوم 21 من شباط / فبراير أول المقترعين على الوحدة وانتخاب الرئيس القائد(3).

قرر الرئيس السوري شكري القوتلي عن طيب خاطر تسليم اراية للرئيس جمال عبدالناصر وأن يكون يوم 21 شباط 1958 يوما للاستفتاء على الوحدة في القطرين العربيين مصر وسوريا وقد نالت الوحدة في الاستفتاء الشعبي في سوريا أعلى الأصوات وبعد يومين وصل ناصر إلى سوريا التي استقبلته بحفاوة بالغة، وهتافات شعبية لا نظير لها، وخطب في الجماهير، ووصف عبدالناصر سوريا بأنها قلب العروبة النابض، وهي حاملة لراية القومية العربية التي تتادي دائما بها(4).

(1) انظر: حسنين، محمد هيكل: سنوات الغليان ج 1، القاهرة: مركز الأهرام للترجمة والنشر، سنة 1988، ص 273 - 275.

(2) انظر: حمدان، حمدان: أكرم الحوراني رجل للتاريخ، ص 231 - 235.

(3) حمدان، حمدان: أكرم الحوراني رجل للتاريخ، ص 238.

(4) انظر: حمدان، حمدان: المرجع السابق، ص 261 - 262.

هتفت الجماهير السورية للوحدة العربية، ورددت شعارات (فلسطين عربية) و (وحدناها وحدناها أرضاً وسماها) و (عاش بطل القومية العربية مؤمماً للقناة وقاهر العدوان) (1).

اشترط عبدالناصر في محادثاته مع قادة البعث، حل الأحزاب السياسية في القطرين المصري والسوري، وقد أيد البعث ذلك، ورفض الحزب الشيوعي حل الأحزاب واتفق عبدالناصر والبعث على تكوين قيادة سياسية موحدة، وإبعاد الجيش عن السياسة نهائياً وشككت وزارة كبرى من القطرين بلغت خمسين وزيراً، وأسس تنظيم الاتحاد القومي (2).

قابل حزب البعث في فلسطين والأردن الوحدة المصرية - السورية بالتأييد، وطالب بتحقيق الوحدة الاندماجية بين البلدين، وقد دعا حكومة الأردن إلى التعاون والارتباط الوثيق بالدول العربية التي تتادي بسياسة الحياد الإيجابي والتخلص من الاستعمار وعدم الارتباط بالأحلاف الأجنبية منذ عام 1956 (3).

واصدر حزب البعث، وحركة القوميين العرب في شباط 1959 بياناً باسم الكتلة القومية الاشتراكية حول الوحدة السورية - المصرية طالب فيه انضمام الأردن للوحدة معللاً أهمية الوحدة وهي: أن لها نتائج قومية ودولية بعيدة الأثر على مستقبل العرب جميعاً وأن بقاء الأردن على أوضاعه الفاسدة الحالية يسيء إلى الحركة القومية ويعرقل سيرها (4).

كان قادة البعث في فلسطين والأردن متحمسين للوحدة المصرية السورية والذين بدأت علاقاتهم الرسمية مع الحكومة المصرية منذ شهر آذار/ مارس 1955، حيث أدارت السفارة المصرية في الأردن في هذه الفترة العديد من العمليات، مثل أعمال التسلل داخل إسرائيل بهدف القيام بأعمال فدائية ضد أهداف إسرائيلية، وإنشاء علاقة مع زعماء المعارضة وعلى رأس

(1) انظر: حمدان، حمدان: المرجع السابق، ص 238.

*الاتحاد القومي: هو التنظيم السياسي الذي جاء تأسيسه بعد حل هيئة التحرير في مصر، الذي نشأ في مصر وسوريا أيام الوحدة بين البلدين، كما أنه جاء بديلاً لحل حزب البعث والأحزاب الأخرى، كما اشترط عبدالناصر على قادة حزب البعث في سوريا، وقبل قيام الجمهورية العربية المتحدة.

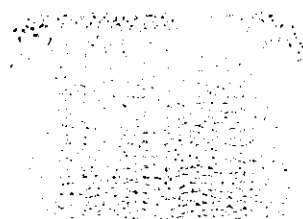
(2) انظر: حمدان، حمدان: مرجع سابق، ص 273.

وانظر أيضاً: حسنين، محمد هيكل: مرجع سابق، ص 280.

(3) انظر: بيان حزب البعث العربي الاشتراكي آذار 1956، بعنوان: "تحرير الجيش"، مرجع سابق.

(4) انظر: ملفات المخابرات الأردنية في (أرشيف دولة إسرائيل): بيان الكتلة القومية الاشتراكية، 1959.

هؤلاء عبدالله الريماوي حيث استخدمت هذه العلاقات فيما بعد لتجنيد خلايا من المتسلسلين،
وخصوصا من أوساط اللاجئين(1).



(1) انظر: سيلع ، أبرهام: حزب البعث في الضفة الغربية، ص26.

2) تأثير خلاف الريماوي مع عفلق على حزب البعث في فلسطين:

مرحزب البعث العربي الاشتراكي في عام 1959، بظروف سيئة وصعبة عانى منها الحزب وهي مصاعب ألفت بظلالها على مسيرة الحزب إلى يومنا هذا.

كان من أبرز أزمات الحزب خروج عدد من قياداته من الحزب وعملها لصالح أجهزة الجمهورية العربية المتحدة كما هو الحال في خروج عبدالله الريماوي في الأردن وفؤاد الركابي في العراق، وكذلك حل تنظيمه في سوريا وظهور بوادر فشل الوحدة المصرية - السورية ونجاح المخابرات المصرية في تكوين أجنحة ناصرية في الحزب دون رغبة الأمين العام ميشيل عفلق، ثم تعرض البعث في العراق لاضطهاد سياسي ظهرت آثاره في مجازر ارتكبها نظام عبدالكريم قاسم في مدينة الموصل في الثالث عشر من آذار/ مارس 1959، وترحيل عدد من ضباط البعث في سوريا إلى مصر(1).

بعد أن تسلم عبدالناصر رئاسة الجمهورية العربية المتحدة، قام بتسليم عبدالحميد السراج وزارة الداخلية، الذي راح يحكم قبضته على الحكم في سوريا، ويعمل على إضعاف حزب البعث، ويقرب فئات أخرى من موقع النفوذ السياسي والعسكري والاقتصادي(2).

كان قادة البعث وعلى رأسهم عفلق، قد وافقوا على حل حزب البعث في القطرين السوري و المصري، معتقدين أن الاتحاد القومي سيكون الإطار المناسب لتجميع القوى السياسية في البلدين، وكانوا يأملون أن يكون البعث عموده الفقري الا أن شيئا من ذلك لم يتحقق، بل مارس الريماوي تأثيره وبادر إلى الاتصال بجميع البعثيين خارج الجمهورية العربية المتحدة، ونجح في كسب ثقة القيادات القطرية ومنها: قيادة العراق برئاسة فؤاد الركابي والقيادة اللبنانية برئاسة علي جابر. وقد ضايقته هذه الأعمال رفاق الريماوي ومنهم: كمال ناصر، وعبد المحسن أبو ميزر واحترار نعواس فيما يفعله مع صديق العمر(3).

كانت نتائج انتخابات الاتحاد القومي في سوريا عام 1959 غير مرضية لقادة البعث فقد حصل مؤيدوه على 100 مقعد من بين 9445 مرشح، كما أن الحكومة شجعت الأحزاب

(1) قارن: دندشلي، مصطفى: حزب البعث العربي الاشتراكي 1940 - 1960، ص 230.

والفكيكي، هاني: أوكار الهزيمة تجربتي في حزب البعث، ص 100-101.

(2) أنظر: الشاعر، جمال: سياسي يتذكر، ص 90.

(3) أنظر: الشاعر، جمال: المرجع السابق، ص 75.

التقليدية على مناهضة البعث، واحتجرت أكرم الحوراني، وصلاح البيطار في مصر بحجة تدارس الأوضاع، ومد السراج يد العون للأحزاب التقليدية، وسحبت الإذاعة من وزارة الإرشاد التي يديرها رياض المالكي(1).

جاءت نتائج انتخابات الاتحاد القومي مخيبة لتطلعات البعثيين، حيث كانت خليطاً من أشخاص ليس لديهم اتجاهات سياسية، مما جعل الاتحاد القومي عاجزاً عن فعل شيء في سوريا، لأنه كان تجمعاً للقوى والعناصر الطائفية والتجارية وملاك الأراضي. وزعماء العشائر، وكان خليطاً من عناصر يمينية ويسارية، وفشل بسبب ذلك(2).

في هذه الأجواء شعر قادة البعث، وعلى رأسهم ميشيل عفلق، أن حزب البعث ضحى بنفسه وأنهى عمله كتتظيم شعبي لمصلحة الوحدة، إلى أن جاء الاتحاد القومي ليقذف دعاء الوحدة، وهذا ما دفع لإعادة التفكير في مسألة جدوى حل الحزب والعمل على تصحيح مسار الوحدة.

أخذ الريماوي يكثف جهوده ونشاطاته، للسيطرة على البعث خارج الجمهورية العربية المتحدة وقد لاقى الدعم من عبد الحميد السراج، ووضع الريماوي صيغة ثورية للتعامل مع عبدالناصر كقائد للحركة القومية العربية، وبينما كان الحوراني والبيطار يكتفيان بنقد الأوضاع، راح عفلق يستقبل البعثيين السابقين من خارج الجمهورية العربية المتحدة مبدياً مخاوفه وتذمره مما يجري، والتقى به سعدون حمادي وجمال الشاعر اللذان بين لهما مخاطر مسلك الريماوي على البعث وعليه شخصياً، وبعد مداوولات، خرج جمال الشاعر بقناعة أن قرار تأليف القيادة القومية خارج الجمهورية العربية أصبح جاهزاً للتوقيع بقيادة الريماوي وتضم الدكتور علي جابر، والأستاذ جبران المجدلاني من لبنان، والمهندس فؤاد الركابي من العراق، وبهجت أبوغربية، بالإضافة للمحامي عبدالله الريماوي من الأردن(3).

(1) انظر وقارن: دنشلي، مصطفى: حزب البعث العربي الاشتراكي، ص 230.

وأيضاً: حمدان، حمدان: أكرم الحوراني رجل للتاريخ، ص 336.

(2) انظر: دياب، محمد عبدالكريم: الثورة العربية المعاصرة، الأبعاد الفكرية والتنظيمية، بيروت: دار المسيرة، ط 1978، ص 280 - 281.

(3) انظر: الشاعر، جمال: سياسي يتذكر، ص 75 و 77.

عندها وجهوا دعوة لعقد اجتماع لتشكيل لجنة تحضيرية، كي تتاطب بها مهمة عقد مؤتمر قومي للحزب ووزعت الدعوة من قبل ميشيل عفلق، بصفته الأمين العام الوحيد لحزب البعث والغرض منها: - انتخاب قيادة قومية جديدة يستطيع ميشيل عفلق أن يسلمها أمانة البعث بعد عقد مؤتمر قومي شرعي، وهي صياغة تمنع عبدالله الريماوي من توجيه تهمة تراجع الحزب عن حل نفسه وتخريب الوحدة المصرية - السورية.(1)

بدأ التحضير لعقد المؤتمر القومي الثالث في بيروت، بعد لقاءات ومباحثات جرت بين ميشيل عفلق، وجمال الشاعر، وسعدون حمادي، وفي هذه اللقاءات نوقشت كيفية عقد لجنة تحضيرية للمؤتمر القومي الثالث على الأسس التالية: -

أولاً: - على ميشيل عفلق أن يدعو إلى عقد اجتماع، بوصفه الأمين العام، ليسلم المسؤولية لمن يراه الحزب مناسباً.

ثانياً: - التباحث في وضع حزب البعث العربي الاشتراكي خارج الجمهورية العربية المتحدة(2).

عقدت اللجنة التحضيرية المكونة من جمال الشاعر (الأردن)، جبران مجد لاني (لبنان) سعدون حمادي العراق، أحمد مطر(السعودية)، وغيرهم اجتماعها في شهر شباط/ فيراير 1959 في دمشق لمدة ثلاثة أيام، وكانت القيادات الرئيسية تمثل الأقطار التي حضرت منها. وتم بالإجماع الاتفاق على عقد مؤتمر قومي يناقش موضوع حل الحزب في مصر وسوريا، وعلاقة الحزب بالجمهورية العربية المتحدة ونظام عبدالناصر، وما يمكن أن يقوم من تنظيمات شعبية في الدولة الجديدة، وبرر عفلق قبوله بحل حزب البعث بأنه فوجئ أثناء اجتماعه بجمال عبدالناصر بطلبه حل حزب البعث، واشترطه تحقيق الوحدة بين القطرين على هذا الأساس، وكانت مباحثات الوحدة في نهايتها، وهو ما لم يترك له مجالاً للعودة إلى القيادة القومية أو المؤتمر القومي عملاً بالنظام الداخلي للحزب، واضطر أن يعطي الجواب في الجلسة نفسها(3).

(1) انظر: الشاعر، جمال: "مذكرات جمال الشاعر خمسون عاماً ونيف، أوراق وخواطر وذكريات في العمل القومي والنشاط الحزبي"، جريدة النهار، القدس، ع2714، الأحد 23 / 10 / 1994، ص 15.

(2) انظر: الشاعر، جمال: سياسي يتذكر، ص78.

(3) انظر: الشاعر، جمال: مذكرات جمال الشاعر خمسون عاماً ونيف، أوراق وخواطر وذكريات في العمل القومي والنشاط الحزبي"، جريدة النهار. القدس، ع2714، المرجع نفسه، ص 15. وأيضاً: الشاعر، جمال: سياسي يتذكر، ص79.

بين علق سبب موافقته السريعة على شروط عبدالناصر في تحقيق الوحدة بين مصر وسوريا بأنه فوجئ بهذه الشروط، ولم يكن بالإمكان الرجوع للقاعدة الشعبية للحزب بعد أن لاحت فرصة لمشروع وحدوي، وعلى البعث أن يثبت صدق إيمانه بالوحدة وتضحيتها في سبيلها. كما أن الشيوعيين سيطروا على الشارع ومؤسساته وكان لابد من إيقاف المد الشيوعي في إقامة دولة الوحدة مع جمال عبدالناصر(1).

عقد المؤتمر القومي الثالث سرأ في بيروت في 27 آب/ أغسطس — الأول من أيلول/ سبتمبر 1959 وحضر المؤتمر ممثلون عن التنظيمات الحزبية في الأردن، والعراق، وفلسطين، ولبنان، والخليج العربي، واليمن والمغرب، وتونس، وبعض الجامعات العربية والأجنبية، وكان أكثر المشاركين عدداً من الأردن ولبنان، وبلغ عدد أعضاء المؤتمر ما يزيد على واحد و تسعين عضواً(2).

كان الانقسام واضحاً في هذا المؤتمر بين مؤيد ومعارض، وتخلل المؤتمر تشنج واضح ظهر بين علق والريماوي، وفيه تعرض علق لأوضاع الجمهورية العربية المتحدة، وحل حزب البعث، وانتقد أوضاع الوحدة وأخطاءها، بينما وقف الريماوي محذراً من إعادة تنظيم الأوضاع كما كانت عليه قبل قيام الوحدة، كما أنه عارض وجود علق في المؤتمر كأمين عام لحزب البعث، واعتبر وجوده تعدياً صارخاً على الوحدة، وحذر أبو غربية قبل انعقاد المؤتمر من محاولات إعادة نشاط حزب البعث في دولة الوحدة، والهجوم على الجمهورية العربية المتحدة ووقفت قيادة الحزب ضد هذا التيار الذي وصفته بـ "الانتهازي والانحرافي والإقليمي"، والذي حاول استغلال غياب الحزب وزرع أقدامه ليدفع باتجاه استقلال التنظيمات القومية وجعلها تابعة لحكومة الجمهورية العربية المتحدة ومجرد صدى لها(3).

ظل الريماوي يدافع عن فكرته القائلة: أن الوحدة قامت على مبدأ التنظيم الواحد ممثلاً بالاتحاد القومي، وحل الأحزاب والارتفاع عن الأنانية(4).

(1) الشاعر، جمال: سياسي يتذكر، ص 79.

(2) انظر: نندشلي، مصطفى: حزب البعث العربي الاشتراكي 1940 — 1960، ص 230.

(3) انظر: نندشلي، مصطفى: المرجع السابق، ص 231 — 232.

وانظر أيضاً: الشاعر، جمال: سياسي يتذكر، ص 86.

وأيضاً: سلسلة نضال البعث ج 4: المؤتمرات القومية السبعة الأولى 1947 — 1964، ص 80.

(4) انظر: الريماوي، عبدالله: الحركة العربية الواحدة، ص 365.

انسحب عبد الله الريماوي ومعه أكثر من ثلاثين أردنياً، ونجح ممثلو البعث اللبناي التحكم في انتخابات المؤتمر القومي، ورغم تعيين منيف الرزاز أميناً عاماً للقطر الأردني الذي قبل الأمر على مضض، وقادت الأمور إلى تفتيت الحزب في الأردن(1).

دار الخطاب والحديث في المؤتمر القومي الثالث في مسألتين مهمتين:—
الأولى: — تعديل النظام الداخلي لحزب البعث، بحيث يتقرر عدد أعضاء القيادة القومية الممثلين للأقطار العربية، بحسب حضورهم المؤتمر، وليس بحسب ترشيحهم من القيادات القطرية.

الثانية: — بحث العلاقة مع الجمهورية العربية المتحدة، وحل الحزب فيها(2).
صدرت عن المؤتمر مجموعة قرارات، وأهم ما في المؤتمر أنه كرس الخلافات ووسع من شقة التكتلات، و أظهر عدم وحدة الحزب الفكرية والتنظيمية، وخرج المؤتمر القومي الثالث بتكريس زعامة مؤسس الحزب ميشيل عفلق، و فصل الريماوي بسبب ممارساته ووصف سلوكه بأنه: " مغامر وفردى ويعمل لحساب مخابرات عربية، وفشل في تصريف السياسة الحزبية في الأردن، وأنغمس في مغامرات ومؤامرات عسكرية فاشلة، واهمل العمل العقائدي الشعبي مما قضى على سمعته وسمعة الآخرين داخل الحزب (3).

عكس طرد الريماوي أثراً سلبياً على مسيرة الحزب، حيث خرجت معه مجموعة من الأردنيين والفلسطينيين، وتأثر بموقفه بهجت أبوغربية، الذي قام بجولات عديدة استهدفت شرح الموقف للقيادات المختلفة، وليطلعهم على أسباب خروج الريماوي، ووصفت القيادة القومية هذه المحاولة بأنها تهدف إلى تحطيم الحزب، وجره خلف الريماوي، وأن محاولة التخريب الواسعة شملت شعب دمشق، والكويت، وفرع الطلاب في القاهرة، وقيادات الحزب في قطر الأردن، وطرابلس في لبنان، وبيئت أن مجموعة الريماوي حصلت على الدعم من جهات خارجية

(1) انظر: الشاعر، جمال: سياسي يتذكر، ص 86.

ومقابلات مع من حضروا المؤتمر القومي الثالث ومنهم: بسام الشكعة (نابلس) في تاريخ سابق. ومقابلة أجريت بتاريخ سابق مع مالك الحاج ابراهيم.

ويذكر أبوغربية في رسالته للباحث أن عدد المنسحبين بلغ 38 وأن عدد الباقين 42 عضواً.

(2) انظر: الشاعر، جمال: مرجع سابق، ص 88.

(3) سلسلة نضال البعث: " بيان القيادة القومية عن الزمرة الانتهازية المفصولة من الحزب"، في كتاب القيادة القومية 1955— 1962، ج6، من تشكيل القيادة القومية حتى نهاية الانفصال، ص115.

وتمولة، وبينت أن من صور المؤامرة إعطائها صفة الخلاف الفكري، وأن أطراف المؤامرة تحاول " شراء ضعاف النفوس " (1).

كما أن المؤتمر خرج بتشكيل قيادة قومية جديدة* مكونة من عشرة أعضاء على رأسها عفلق وصدر بيان يؤكد فيه على وحدة الحزب القومية، وترسيخ بنيته الداخلية، ويعلن مصادقته على حل حزب البعث في الجمهورية العربية المتحدة وعن رغبته في توثيق التعاون مع قادة الجمهورية، وقادة الثورة الجزائرية والحركات الشعبية في الوطن العربي(2).

وخرج المؤتمر بالدعوة إلى وجود وحدات تنظيمية بعثة خاصة بال فلسطينيين في أماكن تواجدهم في سوريا ومصر، وقطاع غزة، وترتبط بالقيادة القومية مباشرة، وظهرت بوادر قيام مشروع الكيان الفلسطيني في هذا المؤتمر(3).

قابل الريماوي فصله من الحزب بأن نشر بياناً في جريدة الحياة اللبنانية في 5 أيلول / سبتمبر 1959 هاجم فيه القيادة القومية لحزب البعث ، وقال بعدم شرعية قرارات المؤتمر القومي الثالث، ولا تلزم قراراته ممثلي القطر الأردني ومنظمات الحزب، واعتباره " غير شرعي وتخريبي " على المستويين الحزبي والقومي ووقع البيان مجموعة من قادة البعث المؤيدين له، وفسر مؤيدو الريماوي عدم شرعيته ؛ لأن القيادة القومية المذكورة غير شرعية، وأعلنت المجموعة التي وقعتها أن عبدالله الريماوي هو أمين سر القطر الأردني والقائم بجميع صلاحياته، بهذه الصفة، وأن جميع الدعايات بحق الأمين العام عبدالله الريماوي كاذبة(4).

كان خروج الريماوي قد سبب الهزة الأولى والعميقة في حزب البعث، وتبعه تصدع سياسي في حزب البعث، وتأثرت أوضاعه إلى حد كبير، وكانت أولى تأثيرات الخلاف في ظهور تنظيمات سياسية جديدة، ودعوات فكرية سياسية منسجمة مع أجهزة الجمهورية العربية المتحدة، وخارجة عن برامج الحزب وتتمثل في: - تأسيس القيادة القومية، والقطرية الثورية ثم الحركة العربية الواحدة.

(1) المرجع السابق نفسه، ص 118 – 119.

* ضمت القيادة القومية: منيف الرزاز، وفؤاد الركابي، و طالب شبيب، و غسان شرارة، ومدحت جمعة، و عبدالوهاب شميطي، و خالد شرطي، ومجيد جشي.

(2) انظر: دندشلي، مصطفى: حزب البعث العربي الاشتراكي، ص 232.

(3) علوش، ناجي: فكر حركة المقاومة الفلسطينية 1948 – 1987 نظرة عامة، بيرزيت: لجنة تراث بيرزيت، 1993 ص 19.

(4) ملفات المخابرات الأردنية في (أرشيف إسرائيل، القدس)، قيادة مقاطعة نابلس، رقم م. ن. ن — 1/2/ب تاريخ 1959/9/15، ملف رقم. ملف 6 – 613.

أ) تأسيس القيادة القومية والقطرية الثورية: —

بعد طرد الريماوي في المؤتمر القومي الثالث، قام بتأسيس حركة جديدة، رد فيها على القرارات التي اتخذت في ذلك المؤتمر، وقد سماها (القيادة القومية الثورية والقيادة القطرية الثورية) ونشطت في الأردن وفلسطين، وقامت بتوزيع منشورات، وبيانات تحمل هذا الاسم(1).

كما أن الريماوي مارس تأثيره في القيادات القطرية*، و انحاز إليه عدد من أعضاء حزب البعث وقادته، منهم: — عبدالوهاب الشميطلي في لبنان، و فؤاد الركابي في القطر العراقي، وفي الأردن كان تأثيره قد شمل عددا من قادة فروع** الحزب والشعب(2).

وفشل الريماوي في تحويلها إلى حركة شعبية عامة، وزاد من فشلها نجاح المخابرات في القبض على بهجت أبو غربية متخفياً سنة 1960(3).

ومما زاد في فشل القيادة القطرية الثورية، وعدم قدرتها على الامتداد واستقطاب أعضاء حزب البعث، فشل الانقلابات العسكرية التي غامرت بها في الأردن، والتي اتهمت بتدبيرها أجهزة الجمهورية العربية المتحدة، كما وأدت اعترافات جلال العباسي، و قاسم ناصر وغيرهم عن مشاركتهم في انقلابات ضد الحكومة الأردنية، إلى تشويه سمعتها، ولكن خروجه أضعف الحزب(4).

بذل الريماوي جهوده لتكثيل قادة حزب البعث في الأردن حوله، إلا أن حزب البعث في الأردن أيد تعيين، منيف الرزاز، أميناً عاماً لحزب البعث بناءً على قرار المؤتمر القومي الثالث وضمنت القيادة القطرية الجديدة: أمين شقير، وجمال الشاعر، وأحمد خريس، وأنور العابد،

(1) انظر: منشور باسم (القيادة القطرية الثورية)، يتناول الحركة وأهدافها نشر عام 1962.

* أيد الريماوي في الأردن كل من: بهجت أبو غربية، سليمان الحديدي، بسام أحمد الشكعة، حسني صالح الخفشش بسام عبدالحميد السائح، محمد العارف، تركي حدادين.

** أيد غفلق: سعدون حمادي (العراق)، و جمال الشاعر (الأردن)، و وفا الصايغ (فلسطين — غزة)، ومالك الحاج إبراهيم (فلسطين — طولكرم)

(2) " نشرة داخلية سرية للأعضاء"، سلسلة نضال البعث: كتاب (القيادة القومية 1963 — 1966) ج10، ص105.

و أيضاً: مقابلة أجريت بتاريخ سابق مع بسام احمد الشكعة، الذي حضر المؤتمر القومي الثالث.

(3) رسائل مطبوعة من بهجت أبو غربية، مرجع سابق.

وأيضا مقابلة أجريت بتاريخ سابق مع مالك الحاج إبراهيم، ومقابلة أجريت بتاريخ سابق مع بسام الشكعة.

(4) انظر: "التعميم الشهري رقم 2 منتصف كانون الثاني 1961 سري وخاص بالقيادات"، سلسلة نضال البعث: كتاب القيادة القومية 1955 — 1962، من تشكيل القيادة القومية حتى نهاية الانفصال، ج6، ص 140 — 141

ووليد البطاينة. واصل الريماوي تحركاته المضادة للقيادة القومية، وظل يجمع حوله المزيد من المؤيدين والأنصار، بينما عملت القيادة القومية من جهتها على توجيه نقد شديد ولاذع لسلوكه، وتم تعميم بيانات على أبناء الضفة الغربية والشرقية بهذا الخصوص، وأرسلت ملحقاً خاصاً بأخطائه واصفة سلوكه بالمنحرف منذ بداية طريقه السياسي(1).

وفي المؤتمر القومي الرابع الذي عقد في أواسط عام 1960 هاجمت القيادة القومية الريماوي واتباعه بعنف بسبب انحرافهم عن الخط الشعبي واستخدامهم الانقلابات العسكرية لتحقيق أهداف الحزب واتهمهم بالعمل لحساب قيادة الجمهورية العربية المتحدة والانتفاع منها والعمل لحساب عبدالناصر وفقدان الحزب عدداً من القياديين والعناصر الذين أصبحوا غير مؤمنين بجدوى العمل في صفوف الحزب(2).

ويظهر أن قيادة الريماوي تأثرت إلى حد كبير من انفصال الوحدة السورية المصرية، والذي أدى إلى تغيير مقرها من دمشق إلى القاهرة، ولذا أضعف هذه الحركة وفي 1962/8/27 أقيمت قمة للجناح الناصري في حزب البعث من ممثلي الدول العربية، وبمنتهى الصراحة أعلنت تأييدها لعبد الناصر واتهمت القيادة الأرتوذكسية للبعث بتخريب الوحدة العربية(3).

وكان صدى نشاط الريماوي محدوداً، وتجلّى في بعض المنشورات التي نشرت في الذكرى العاشرة لقيام ثورة الضباط الأحرار في 23 تموز/ يوليو 1963(4).

-
- (1) انظر: جمال، الشاعر: خمسون عاماً ونيف، جريدة النهار المقتضية ع 2707، بتاريخ 16 / 10 / 1994، مرجع سابق، ص 14
 - (2) انظر: " تقرير عن أسلوب العمل الحزبي قدمته القيادة القومية إلى المؤتمر القومي الرابع، وأقره المؤتمر "، سلسلة نضال البعث، ج4: المؤتمرات القومية السبعة الأولى 1947 - 1964. ص 109.
 - (3) انظر: سيلع، أبرهام: حزب البعث في الضفة الغربية، ص 45.
 - (4) بيان، حزب البعث العربي الاشتراكي الثوري، القيادة القطرية الثورية في الأردن، بمناسبة ثورة 23 يوليو، الذي وزع عام 1962 وحصل الباحث على نسخة منه.

ب - دعوة الريماوي لتكوين الحركة العربية الواحدة: -

دعا الرئيس جمال عبدالناصر في خطابه يوم 23 تموز/ يوليو 1963 إلى إلغاء وجود الحركات المختلفة، ودمجها جميعاً في حركة عربية واحدة، وأن يقودها النظام المصري؛ حتى يتحقق الهدف القومي الأكبر في الحرية والوحدة والاشتراكية، وبدورها دعت إلى قيام "الحركة العربية الواحدة"، داعيةً إلى مباركة جمال عبدالناصر كزعيم لهذه الحركة(1).

وقد أبدت حركة القوميين العرب ترحيبها بهذه الفكرة، وأبدت أسفها لخيبة أمل العرب في فشل الوحدة وانسحاب سورية من الجمهورية العربية المتحدة وتعثرها، وتعاطف مع هذه الفكرة الكاتب والمفكر الفلسطيني ناجي علوش، الذي دعا حزب البعث والاتحاد الاشتراكي، وجبهة التحرير الجزائري إلى الاتحاد في تنظيم واحد بقيادة عبدالناصر في سبيل قيادة الحركة العربية الواحدة، وتحقيق اتحاد اشتراكي عربي شامل(2).

وألّف عبدالله الريماوي كتابه (حول الحركة العربية الواحدة) عام 1964، ولم يخرج في إطاره الفكري والسياسي والعقائدي عن فكر حزب البعث في الوحدة والحرية الاشتراكية. ليس في مبادئ الحركة العربية الواحدة ما يختلف عن مبادئ البعث سوى في تأكيده على الطبيعة الديناميكية للمسيرة العربية، والتي تعتمد الحركة الشعبية في عملها وليست الطبقة وتمثل شباب الأمة بدلاً من الحزب الواحد كما هو الحال في البعث وهي مسيرة تاريخية أنتجتها قوى تاريخية، وقد لاقت تأييداً من منشقين عن البعث ومن جماعات تؤمن بالاشتراكية(3).

انتقد عبدالله الريماوي حزب البعث الذي وصفه بالتحول نحو "الإقليمية العقائدية"، وتميز كتابه بالاستطراد والإسهاب والإطالة، ولم يحدد الأدوات العملية بصورة دقيقة ودافع عن نظام جمال عبدالناصر، ووجد فيه النظام المؤهل لقيادة الحركة العربية الواحدة(4).

(1) انظر: خدوري، مجيد: الاتجاهات السياسية في الوطن العربي. الولايات المتحدة الأميركية: مطبعة جون هوبكنز، ط أولى، 1970 م ص184.

(2) خدوري، مجيد: المرجع السابق، ص185.

(3) انظر: خدوري، مجيد: المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(4) انظر: الريماوي، عبدالله: الحركة العربية الواحدة: دار النشر للجامعيين، طبعة 1، كانون الثاني 1964، ص387-388.

أرسل عبدالله الريماوي رفيقه بسام عبدالحميد السائح نائباً عنه حاملاً الفكرة متجهاً إلى رام الله وعقد فيها اجتماعاً ضم 20 بعثياً، وكان رأي عياد المالكي أن هذه الحركة لا تختلف في مبادئها عن مبادئ حزب البعث في الوحدة والحرية والاشتراكية، وكتب رداً عليها مبيناً أنها جاءت لتزيد الانقسامات، وتقع على البعث مهمة إنشاء مثل هذه الجبهة للوقوف في وجه دعاة المد القطري على حساب المد القومي، وكان الرأي السائد في رام الله أن الجميع يؤيد الحركة العربية الواحدة، إذا جاءت لتوحيد الحركات السياسية، وصدرت عن إرادة حزب البعث وموافقته أما إذا كانت دعوة انفصالية، فإنهم يرفضون السير في التنظيم الناصري، وشكك بعضهم بدور حزب البعث في الوحدة المصرية السورية وقد إرفض الاجتماع دون نتيجة، وبدأت حملة مركزة ضد علق(1).

شهد عام 1964 تحسناً في علاقات عبدالناصر مع الملك حسين، بينما شهدت سورية تازماً في علاقاتها مع الأردن ومصر، وظهر أن القيادة القومية الثورية لم تعمر طويلاً، وكان ظاهراً للعيان أنها توقفت، ولم تعد تجري محاولات انقلابية جديدة، والتي كانت تجري بتخطيط من اللاجئين الفلسطينيين والأردنيين في الجمهورية العربية المتحدة.

وسار الريماوي في مسار معاكس للتيار السياسي الجديد، ولتأسيس (م. ت. ف) والتوجهات القطرية، وانتقدها بشدة، ورأى فيها صنيع الأنظمة العربية وعجزها عن تحرير فلسطين، وعاد ليؤكد أهمية المنطلقات القومية العربية الوجودية في تحريرها، وهو يعتبر الوحدة العربية شرطاً ضرورياً لذلك، ونبه إلى خطورة الشعارات القطرية والإقليمية وهي التي لا يمكن لها أن ترتفع إلى مستوى قضية فلسطين، وكتب الريماوي: " أنه ليس أخطر على القضية في غدها، وليس أكثر تحدياً للعبء التي أكدتها المعركة في أمسها، وليس أكثر استهتاراً بالمنطق العلمي الثوري في حلها من شعارات فلسطينية أو غير فلسطينية ترتفع بين الحين والآخر لتقول: لا يحل قضية فلسطين إلا الفلسطينيون متجاهلة أن الفلسطينيين لوحدهم غير قادرين على حل المشكلة بعد أن وصلت إلى ما هي عليه".(2)

(1) انظر: المالكي عياد: الفراغ السياسي، 36 - 38.

(2) الريماوي، عبدالله: البيان القومي الثوري مشروع ميثاق مقترح للحركة العربية الواحدة 1966، ط 1966، القاهرة: النهضة المصرية، ص 741 - 742.

وينقل بطرس عوده عن الريماوي أنه قال له " مصيبة م.ت. ف أنها أصبحت بأيدي
أناس ليسوا بمستوى التحديات المتمثلة في القضية الفلسطينية، وهذه الشعارات التي أوصلتهم
إليها تخفي مصائب وكوارث " (1).

1 (عوده، بطرس عوده: الاستسلام في الواقع العربي، الأردن: المكتبة الوطنية وكالة التوزيع والنشر 1996. ص120.
وفي مقابلة أجراها الباحث مع المحامي منور الريماوي الذي عمل في مكتبه، وكان صديقاً له، و ذكر أن عبدالله الريماوي
اختلف مع جمال عبدالناصر بشأن تأسيس (م. ت. ف) ، ورأى في ذلك تخلي مصر عن دورها القومي العربي وحصرها
في الدور القطري وصولاً بها للتفاوض مع الكيان الصهيوني، و حينئذ انتهى إعجابه بالرئيس جمال عبدالناصر.

علاقة حزب البعث بنظام الحكم الأردني بين عامي 1960 – 1967

أ (علاقة البعث بالنظام الأردني بعد قيام الجمهورية العربية المتحدة

كانت العلاقة بين حزب البعث والحكم الأردني، طيلة هذه الفترة متأثرة إلى حد كبير بما يجري من تطورات داخلية في الأقطار العربية مصر، وسوريا، والعراق، و اليمن، وتميزت العلاقة بأنها سارت في خطوط غير ثابتة ومتذبذبة، وهي تتراوح بين حرية نسبية محدودة في فترات قصيرة واعتقالات واضطهاد في غالب الأحيان، ولذا يمكن القول أن حدود العلاقة مرسومة سلفاً، حسبما يشاء النظام الهاشمي.

تسلم منيق الرزاز أمانة القطر الأردني، والحزب يعاني من آثار الانقسام، ومن اضطهاد السلطة له، ولكنه سار باتجاه منسجم مع مبادئ البعث وسلوكياته(1).

تعرض الأردن في عام 1960 إلى حادث خطير، حيث جرى تفجير مقر رئيس الوزراء هزاع المجالي، والذي راح ضحية الحادث، ومعه عشرة من معاونيه. ألصق هذا الحادث الذي جرى يوم 1960/8/29 بأجهزة الحكم في الجمهورية العربية المتحدة، وبحزب البعث العربي الاشتراكي، وتقدمت الأردن إلى حكومة الوحدة بمذكرة تطالب فيها أن يسلم لها عدد من المتهمين في قضية التفجير(2).

في هذه الأثناء اقترح الحسين إشراك بعثيين، وعقائديين في المؤسسات والحياة العامة، وكان ذلك في اجتماع حضره وصفي التل وجمال الشاعر. عارض الرزاز هذه المشاركة، وطالب بعودة سليمان النابلسي ومعه وزرائه المدنيين والعسكريين، الذين شاركوه في الوزارة كشرط لهذه المشاركة وعودة الثقة(3).

(1) انظر: العيسمي، شبلي: حزب البعث مرحلة النمو والتوسع، ص 197.

(2) انظر: جريدة الجهاد (يومية سياسية)، الثلاثاء، 30 / 1960/8 السنة الأولى، ع272، تحقيق محمد السعدي، ص1.

(3) انظر: الشاعر، جمال: سياسي يتذكر، ص 94 – 95.

تابع الملك حسين محاولاته السياسية لكسب البيئة السياسية التي ترعرع فيها البعث، والشيوعيون، والقوميون العرب، وكلف وصفي التل، بتشكيل حكومة من الشباب المتقف (1).

درس حزب البعث في عام 1962 مسألة المشاركة في الانتخابات النيابية، وسادت البعثيين وجهتا نظر مختلفتان، واحدة مع المشاركة في الانتخابات باعتبارها وسيلة لنشر أفكار الحزب والأخرى ضد الانتخابات، وكان من المنتظر أن تجري الانتخابات في أواخر العام نفسه، وبعد فترة من النقاش عادت القيادة القطرية لحزب البعث في الأردن للاجتماع، واتفق الأمين القطري لحزب البعث الأردني وآخرين على عدم خوض الانتخابات، وحسم قادة البعث رأيهم لصالح عدم المشاركة فيها (2).

ورغم ذلك شارك عضوان من قادة البعث في الانتخابات التي جرت يوم 24 تشرين الثاني/ أكتوبر 1962 وهما: ياسر عمرو (الخليل) *، وأحمد خريس (أربد)، وشارت حول مشاركتهما ملابسات في صفوف البعث.

وبناءً عليه، أصدر منيف الرزاز الأمين القطري لحزب البعث قراراً بفصلهما من الحزب. وعندما قوي المد الوحدوي، وأظهر النائبين مواقف مؤيدة لحكومتها البعث في العراق وسوريا، ولمشروع الوحدة الثلاثية عام 1963؛ ولهذا طلب منهما الأمين العام لحزب البعث الأردني إلقاء خطابين يوافق عليهما الحزب، وقد استجاب ياسر عمرو، وصوت غالبية أعضائه البرلمان على حجب الثقة عن الحكومة ومنهم النائبان المذكوران (3).

قام وصفي التل بعد تشكيل الحكومة بعدد من الإجراءات منها: سن قانون التطهير في الجهاز الإداري، والعودة للحديث عن قانون الخدمة المدنية، وأصدر الملك قانون العفو العام

(1) انظر: سسر، أشر: الخط الأخضر بين الأردن وفلسطين، سيرة وصفي التل السياسية، (ترجمة جودت السعيد)، عمان: دار الشروق، ط1994، ص40.

(2) انظر: الشاعر، جمال: سياسي يتذكر، ص93.

* ذكر ياسر عمرو أن قرار القيادة بالعدول عن دخول الانتخابات حمله أحمد عقل أحد أعضاء حزب البعث، والذي أوصله إلى خريس، في حين لم يبلغ عمرو بهذا القرار، بعد أن ذهب لعدد الناخبين الذين حضروا لانتخابه. فاز عمرو على منافسيه، وكان نصيبه الأول من بين الأصوات في لواء الخليل، وحاز على (5354) صوتاً، في حين حصل المرشح الثاني إسماعيل حجازي على (4700) صوتاً أما خريس فكان ترتيبه الرابع، حيث حصل على (5384). صوتاً في دائرته الانتخابية، بينما حصل الفائز الأول، وهو إدريس التل على 8916 صوتاً. (انظر: الجريدة الرسمية الأردنية (ملحق) سنة 1962، عمان: مطبعة القوات المسلحة، ص. 1431).

(3) انظر: الشاعر، جمال: سياسي يتذكر، ص96.

وأيضاً: مقابلة أجريت بتاريخ سابق، مع ياسر عمرو في رام الله.

الذي شمل الأفراد من معتقلين سياسيين في الثلاثين من كانون الثاني/يناير 1962، حيث أفرج عن 120 شيوعيا، وبقي منهم مائة في السجون، وشملت الإفراجات اللاجئيين السياسيين، ومعتقلين سياسيين، منهم: محمود الروسان المتهم بمؤامرة انقلابية ضد الملك حسين، وبعلاقته مع علي أبو نوار بعد أن حكم عليه عام 1957 بالسجن لمدة 10 سنوات. وعاد من سوريا عبدالرحمن فرعون عضو الحزب الوطني الاشتراكي، والدكتور حمدي التاجي الفاروقي عضو حزب البعث(1).

وقع في 26 أيلول / سبتمبر 1962 انقلاب عبدالله السلال في اليمن، الذي رفع وتيرة ونفس المعارضة الأردنية وغير من تكتيكاتها، التي تتغذى من التطورات الخارجية المحيطة بالقطر الأردني ونظرا لطبيعة العلاقة الجدلية القائمة بين البعد الوطني والبعد القومي أخذت العديد من الشخصيات التي دخلت مجلس النواب تعد العدة للتكثف داخل المجلس لتصيد أخطاء الحكومة، وحركت السخط ضد الحكومة لتأييدها أنصار الملكية في اليمن، وقد انضم عمرو وخريس إلى كتلة المعارضة تلك(2).

عقدت جلسة لمجلس النواب يوم 20 نيسان/أبريل 1963، وهي الجلسة السابعة عشرة من الدورة العادية وفيها ألقى ثلاثون نائباً كلماتهم، وكان منهم المؤيد والمعارض للحكومة، وكان جل انتقاد المعارضين للحكومة بسبب تأييدها للملكيين في اليمن والموقف العدائسي الذي تتفقه الحكومة من نظام عبد الناصر(3).

كان من بين الذين القوا كلماتهم ياسر عمرو عضو البعث، وكانت محاور حديثه حول ميثاق الوحدة الثلاثية. ففي سياق حديثه عن الحرية الفردية بين أن من ينكر حرية الفرد لا يمكن أن يكون أميناً عليها في أي من الظروف والأوضاع، واتهم حكومة الأردن بسلب حرية المواطن في فترة عصيبة يمر بها الأردن، حيث هددت كرامته، وكُمت أقبواه أبنائه، وسلبت حريته، كما حصل في قصة استشهاد مخلص عمرو، الذي خرج ملفوفاً بكفن أبيض بعد أن زج به في المعتقل في 13 آب / أغسطس 1958(4).

(1) انظر: سسر، أشر: الخط الأخضر بين الأردن وفلسطين سيرة وصفي التل، ص 42 – 43.

(2) انظر: سسر، أشر: المرجع السابق، ص 54.

وأيضاً: مقابلة أجريت بتاريخ سابق مع ياسر عمرو.

(3) انظر: ملحق الجريدة الرسمية الأردنية. عمان: مطبعة القوات المسلحة عام 1962، ص 1063.

(4) انظر: ملحق الجريدة الرسمية الأردنية. عمان: مطبعة القوات المسلحة عام 1962، ص 1063.

و قد طالبت كتلة المعارضة في مجلس النواب أثناء محادثات الوحدة الثلاثية بين مصر، والعراق وسوريا بأن يلتحق الأردن بها، وعبر عن هذا الموقف ياسر عمرو في حديثه في المجلس حيث قال: " أن قضية الوحدة لم تعد قضية تقارب تفرضه مرحلة معينة أو مصلحة سياسية أنية في ظرف محدد من الظروف ولكنها عملية بناء مصير... و شعبنا يتجرع الغصص، لأنه لم يجد مكانه بعد في هذه الوحدة، ولم يلتق بعد من نفسه واتجاهه ونزعاته وأشواقه (1).

لم يكن الملك سعيداً، بهذه المعارضة، وأعرب عن ترحيبه بمعارضة بناءه تساعد الحكم وحذر من عدم الاستقرار الذي تستغله لمصلحتها، ويدفع لاحتلال الضفة الغربية(2).

حركت كتلة المعارضة في مجلس النواب الشعب في الضفتين، وخرجت المظاهرات والمسيرات الشعبية، التي كانت على أشدها في مدن المملكة، وكانت أكبرها حشوداً في مدينة رام الله(3).

أمام تلك التطورات، ووجود كتلة معارضة في مجلس النواب، قامت السلطات الأردنية باعتقال عدد من أعضاء الكتلة الوطنية، وكانت أغليبتهم من الضفة الغربية، لم تستمر حكومة سمير الرفاعي سوى شهر واحد بعد حجب الثقة عنها، وطلب منه تقديم الاستقالة وقامت المظاهرات المؤيدة لجمال عبدالناصر، وطالبت بالوحدة الفورية معه. استمرت هذه الدورة 142 يوماً، وتسلم حسين بن ناصر وزارته الأولى في 21 نيسان 1963، وتعرض عشرة نواب للاعتقال، كما أن عدد من قادة حزب البعث تعرضوا للاعتقال*، وشملت الاعتقالات السياسيين منهم و العسكريين، وتم التحقيق معهم والتحرط منهم لمدة تسعة شهور(4).

(1) المصدر السابق، ص 1063-1064.

(2) انظر: سسر، اشر: الخط الأخضر بين الأردن وفلسطين، ص58.

(3) مقابلة أجريت بتاريخ سابق مع عياد المالكي.

وأيضاً: مقابلة أجريت بتاريخ سابق مع جاد ميخائيل.

*من بينهم: داود الحسيني، و خليل السلواني، وإسحاق النزار، أنطوان البينا، يوسف عبده، ياسر عمرو، عواد محمود عواد، حاتم أبو غزالة، أحمد خريس، يوسف التكروري وأيضاً مقابلة أجريت بتاريخ سابق، مع ياسر عمرو.

(4) انظر: الموسى، سليمان: تاريخ الأردن في القرن العشرين (1958 — 1995): ج2، ص57-59

أسهم حزب البعث بتشكيل جبهة الاتحاد الوطني في القطر العراقي، التي ضمت خمسة أحزاب وهي: البعث، والشيوعي، والاستقلال، والوطني الديمقراطي والديمقراطي الكردستاني، التي نجحت بإسقاط النظام الهاشمي في ثورة 14 تموز/ يوليو 1958(1).

وتسلم اللواء عبدالكريم قاسم رئاسة الجمهورية، وراح يسلك طريقا معاديا للحركة القومية العربية ومؤيدا للشيوعية، ووقف في خط المعاداة لنظام جمال عبد الناصر وللجمهورية العربية المتحدة، وشن حملة اعتقالات واسعة في صفوف حزب البعث العربي الاشتراكي، واستقال الوزراء القوميون، وبدى ملمح السيطرة الشيوعية بارزا(2).

عاد البعث لممارسة العمل السري واستعدادا لمرحلة جديدة من العمل ضد نظام قاسم ووقف حزب البعث العراقي في طليعة المعارضين لنظام قاسم.

كانت أولى محاولات البعث محاولة اغتيال عبدالكريم قاسم في شارع الرشيد وهي عملية كلف بها الشاب صدام حسين، الذي كادت مجموعته أن تجهز على عبدالكريم قاسم الذي كان غارقا بالدم واقتربوا منه لكنه اصطنع الموت فتركوه واختفوا(3).

نجح حزب البعث العراقي بالتحالف مع أحد أركان ثورة 14 تموز/ يوليو 1958 اللواء عبد السلام عارف في الإطاحة بالحكم القاسمي في ثورة 8 شباط / فبراير 1963، ورغم أن الحزب الشيوعي حاول جاهدا الدفاع عن نظام قاسم داعيا الشعب والمؤيدين لحمل السلاح، لكن خطوته باءت بالفشل وقبض على عبدالكريم قاسم، واعدم انتقاما منه لإعدامه رفعت الحاج سري، وناظم الطبقجلي، وعزيز شهاب، وهم من خيرة الضباط القوميين العرب(4).

بعد مرور شهر من الثورة العراقية حدثت ثورة 8 آذار/ مارس 1963 القومية في سوريا التي جاءت كتحالف ضم البعثيين والناصريين، والقوميين العرب، والوحدويين الاشتراكيين، وقد قضت على عهد الانفصال بعد مرور عامين، حكم فيها الانفصاليون بالتكالب

(1) انظر: اسكندر، أمير: صدام حسين مناضلا ومفكرا وانسانا، ص 29.

(2) انظر: هيكل، محمد حسنين: سنوات الغليان ج 1، ص 421 – 422.

(3) انظر: أبو نوار، علي: حين تلاشت العرب، ص 354.

وقارن ايضا: اسكندر، أمير: مرجع سابق، ص 45 – 46.

(4) انظر وقارن: الفكيكي، هاني: أوكار الهزيمة تجربتي في حزب البعث العراقي، ص 244 و 248.

وانظر ايضا: هيكل، محمد حسنين: سنوات الغليان، ج 1، ص 675 – 682.

على المنافع الشخصية وكره الشعب حكمهم وكان حكمهم ضعيفا لفقدان الشرعية، مما سهل طريق إزاحته من الحكم. بعد أيام من تسلم المجلس الوطني الحكم في سوريا توجه وفد سوري - عراقي للتفاوض مع النظام المصري لتحقيق الوحدة الثلاثية، وبدأت المحادثات يوم 14 آذار/ مارس 1963، وانضم إليها في اليوم التالي: ميشيل عفلق، صلاح الدين البيطار، لؤي الاتاسي رئيس مجلس الثورة(1).

قوبلت محادثات الوحدة بمظاهر الاحتجاج والسرور في فلسطين ولكنها لم تستمر أو تتججج في تحقيق الوحدة، إذ سيطرت الشكوك و عدم الثقة بين قيادة حزب البعث وعبدالناصر، وتأزمت العلاقة بينهما خاصة بعد المحاولة الانقلابية، التي قام بها الضباط الناصريون في سوريا يوم 18 تموز/ يوليو 1963(2).

كان لثورتي البعث في العراق وسوريا تأثيرا قويا في نفوس البعثيين في فلسطين والأردن كما دلت الأحداث اللاحقة، فقد طلب الحسين من منيف الرزاز الأمين القطري لحزب البعث أن يكون وسيطا بينه وبين مصر، وسوريا، و العراق؛ ليدخل في محادثات الوحدة ثم ليعمل على تحسين أجواء العلاقات بين العراق والأردن. سافر الرزاز إلى بغداد، وبعد حديثه واجتماعه مع قادة البعث في العراق ومنهم: صالح مهدي عمّاش، رجع يحمل عرضا من صالح مهدي عمّاش إلى الملك حسين ويتضمن عرضا ماليا مقابل الخروج من الأردن، وأن يطلب اللجوء السياسي من أحد الأقطار، وأن ينضم إلى الإمام بدر(3).

وكان حزب البعث في العراق يأمل أن يصل تأثيره إلى الأردن، لذا أرسل طالب شبيب عضو القيادة القطرية العراقية برقية إلى قادة البعث، طالبا منهم تقييم الأوضاع في الأردن وتحديد موقف البعث الأردني تجاه النظام الأردني، والإسمهم في إعادة الحياة السياسية الصحيحة وتنشيط البرلمان وتحسين مختلف الأجهزة الإدارية(4).

أقر الملك حسين، وبناء على تنسيب من مجلس الوزراء الأردني، وانسجاما مع التطورات الجارية في المحيط العربي، إصدار عفو عام عن جميع المعتقلين والموقوفين، ومن

(1) انظر: هيكل، محمد حسنين: سنوات الغليان، ج 1، ص 685 - 686.

(2) انظر: الموسى، سليمان: تاريخ الأردن في القرن العشرين، ج 2، ص 59.

(3) انظر: الشاعر، جمال: سياسي يتذكر، ص 96.

(4) انظر: الشاعر، جمال: المرجع السابق نفسه، الصفحة نفسها.

بين هؤلاء اللواء صادق الشرع، والدكتور رفعت عودة وفي محاولة من الملك للتقرب من مصر قدم وصفي التل استقالته في 27 آذار/ مارس، لأن مصر كانت تعتبره خصما لها(1).

بعد فشل محادثات الوحدة الثلاثية، شنت حرب إعلامية متبادلة بين سوريا ومصر، وتآزمت علاقات البلدين. وفي ظل التطورات العربية، ومراقبة الأردن لها، سارعت السلطات الأردنية إلى شن حملة اعتقالات في صفوف البعثيين شملت قيادته المدنية ومؤيديه داخل الجيش، وحتى الذين أفرج عنهم عقب انعقاد مؤتمر القمة العربي الأول في كانون الثاني/يناير 1964.

جاء قرار اعتقال البعثيين عقب اجتماع ما سمي ب" مجلس الأمن القومي " في الحكم الأردني والذي استعرض الأسماء، ووقع اختيارهم على اثني عشر اسما مدنيا اعتقلوا في 28 تموز / يوليو 1963. واثني عشر عسكريا كان بينهم الدكتور رفعت عودة، وصلوا إلى الجفر بعد ثلاثة أيام من اعتقال رفاقهم من المدنيين، وقد اتهموا بالتحضير للقيام بانقلاب عسكري في شهر أيار / مايو من ذلك العام(2).

ضم المعتقلون الاثنا عشر * من المدنيين: محامون، وأطباء، وصيادلة، وموظفون، وتبعهم في شهر تشرين الثاني/ اكتوبر مائة شخص معظمهم من البعثيين، وجيء بعدد قليل من الضفة الغربية، وفي أوائل شهر كانون الثاني / يناير 1964، وصل البعثيون إلى سجن المحطة، وارسلى قادة البعث مثل جمال الشاعر ومنيف الرزاز، وأمين شقير إلى دائرة المخابرات العامة(3). كان من بين الذين اعتقلوا في الضفة الغربية: نديم الزرو، وعبدالجواد صالح، وعباد المالكي، واتهم هؤلاء بإثارة الاضطرابات، والقذح في المقامات السامية(4).

(1) انظر: الموسى، سليمان: تاريخ الأردن في القرن العشرين ج2، ص56.

(2) انظر: الموسى، سليمان: المرجع السابق، ج2، ص59 — 60.

* كان من بين المعتقلين: أنيس المعشر، و أمين شقير، وجمدي الساكت، و صبحي القطب، و فايز المبيضين، و منيف الرزاز، وجمال الشاعر، و اسماعيل محادين، و محمد الدباس، و يعقوب هلسة، و من العسكريين الذين وصلوا بعد يومين وهم : رفعت عودة، و طارق الشرع، و جعفر الشامي، و شاهر ابوشاحوت، و محمود المعاينة، و عبدالرحمن العرموطي، و أديب القاسم، و تركي حسين، و وشوكت السبول، و اللواء أحمد زعرور، و أنور حدادين، و سمير جبجي.

(3) انظر: الشاعر، جمال: سياسي بنذ كر، ص 98.

وأيضا: انظر: صحيفة النهار، ع 2719، السنة الثامنة، الجمعة 94/10/28، خمسون عاما ونيف " ، ص16.

(4) انظر: سيلع، أبرهام: حزب البعث في الضفة الغربية، ص48.

ب) نشوء الكيان الفلسطيني ومنظماته وتأثيرها في علاقة حزب البعث بالنظام الأردني

رغم جماهيرية التيار القومي العربي وانتشاره في الوطن العربي في سنوات الخمسينيات وانخراط عرب فلسطين في صفوف الحركات القومية والوطنية والأممية وأهمها: حزب البعث العربي الاشتراكي، وحركة القوميين العرب وغيرها، إلا أن تجربة الشعب الفلسطيني الكفاحية ظلت تعبر عن نفسها بدور طليعي للشخصية الفلسطينية بسلسلة هبات وانتفاضات شعبية متواصلة منذ الهبة الأولى في ثورة 1920 حتى بعثت الشخصية الفلسطينية من جديد عام 1959، إذ يشكل هذا التاريخ بداية الدعوة من جهات عديدة لبعث وإبراز الكيان الفلسطيني، وتعتبر حركة فتح من أبرز التنظيمات الداعية إلى إظهار الكيان الفلسطيني، وقد عبرت عنه في مجلة " فلسطيننا نداء الحياة " (1).

أكد حزب البعث أهمية إبراز الكيان الفلسطيني، وهويته النضالية، وأكد في مؤتمره القومي الثالث المنعقد في بيروت أهمية إنشاء كيان سياسي ثوري لأبناء فلسطين، وقيام جبهة تحرير فلسطين ولإيمارس الشعب الفلسطيني دوره الطليعي في التحرير، ودعت إلى تجنيب شعب فلسطين الخوض في الخلافات العربية وتبديد جهوده فيها(2).

وقد أوصى حزب البعث في المؤتمر القومي الرابع المنعقد عام 1960 'إلى تكوين جبهة شعبية تضم مختلف القوى الفلسطينية لرفع وتيرة النضال مع العدو الصهيوني، وأوصى في مؤتمره الخامس عام 1962 بإنشاء منظمة فدائية يقودها البعثيون، التي أشرف عليها خالد الإشرطي وأعدت مجموعات مقاتلة، ونفذت أعمال استطلاعية، وبعض الأعمال القتالية، إلا أنها لم تستمر بعد استلام البعث للسلطة في العراق وسوريا عام 1963(3).

(1) انظر: نمر سرحان: " بدايات آباء ثورة 1965 حلقة أولى "، جريدة الأيام 23 /10/ 1999 عدد 1380، السنة الرابعة، ص 1

وانظر: أيضا: سخيني، عصام: " الكيان الفلسطيني 1964 - 1974 " مجلة شؤون فلسطينية، ع 41 / 42 كانون الثاني/ شباط 1975، ص 50.

(2) انظر: علوش، ناجي: فكر حركة المقاومة الفلسطينية 1948 - 1987، ص 19.

(3) هيئة الموسوعة الفلسطينية " جبهة التحرير العربية": الموسوعة الفلسطينية، القسم العام، مج 1، ص 514 - 515.

وقد تكررت دعوة البعث إلى قيام جبهة تحرير فلسطين في مناسبات عديدة ومنها المؤتمر القومي السادس عام 1963، الذي جاء بعد استلام البعث للسلطة في سوريا والعراق، حيث دعت قرارات المؤتمر إلى قيام الجبهة بدعم عربي خاصة من القطرين السوري والعراقي، وأن تكون لها القيادات المؤمنة والثورية، وأن تكون بمنأى عن الخلافات بين الدول العربية(1).

جاءت دعوة البعث منسجمة مع دعوات أخرى أطلقتها جهات عربية مختلفة مثل: الدعوة التي أطلقها عبد الكريم قاسم رئيس الجمهورية العراقية داعياً إلى إقامة جمهورية فلسطين وهاجم في خطابه يوم الخميس السابع من كانون الثاني / يناير 1960 ضم الأردن ومصر للأجزاء الباقية من فلسطين، ووصف اسرائيل بالسارق الكبير ومثلها فعل أبناء العمومة من العرب الذين قطعوها(2).

كذلك كانت جامعة الدول العربية قد دعت هي الأخرى في الدورة الحادية والثلاثين عام 1959. إلى إبراز كيان شعب فلسطين في الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وإبرازه كشعب موحد ليس مجرد لاجئين؛ لیسع العالم صوته، واختيار ممثليه الذين يحددونهم بنفسه(3).

اهتم جمال عبد الناصر هو الآخر بإبراز الكيان الفلسطيني، وتأسيس منظمات فلسطينية لهذه الغاية. وفي خطابه بمقر المجلس التشريعي في مدينة غزة يوم 22 حزيران / يونيو/ 1962 اعترف بغياب الخطط لديه من أجل تحرير فلسطين ووصفها بأنها: "اعتقد مشكلة في العالم"(4).

و انتقد الذين اتهموه بالتقصير، منبها إلى خديعة البعض وادعائهم أنهم وضعوا خططاً للتحرير داعياً أبناء شعب فلسطين أن يأخذوا زمام قضيتهم بأيديهم، وأن يتصلوا ببعض للعمل في سبيلها، وأن يقضوا على الخلافات من أجل مصلحة فلسطين(5).

(1) انظر: مقررات المؤتمر القومي السادس "القيادة القومية"، دمشق 27 / 10 / 1963 ص 23.

(2) انظر: الجمهورية الفلسطينية "خطاب قاسم" 1960، بغداد: مطبعة الرابطة، ص 9.

(3) انظر: سخني، عصام: الكيان الفلسطيني 1964 - 1974، شؤون فلسطينية ع 41 / 42، ص 50.

(4) علوش، ناجي: فكر حركة المقاومة الفلسطينية، ص 25.

(5) انظر: مطر، فؤاد: حكيم الثورة جورج حبش، ص 114.

وأسهم انفصال الوحدة المصرية - السورية في أيلول/سبتمبر 1961، وسوء علاقات البعث مع جمال عبد الناصر في تراجع تيار الوحدة العربية لمصلحة التيارات القطرية والإقليمية، وبعد ياسر الفلسطيني من تحقيق الوحدة كثر عدد التنظيمات الفلسطينية التي تصبو إلى أن يأخذ شعب فلسطين قضيته بيده وقد زاد عددها على 36 تنظيمًا، وكان قوام بعضها يصل إلى عنصرين وآلة كاتبة فقط، وإلى مئات الأشخاص لبعضها الآخر، كما أن الأحزاب القومية العربية، مثل: البعث والقوميين العرب أسست بدورها الأجهزة القطرية الفلسطينية، وأبرزت الدور المستقل لعناصرها من الشعب الفلسطيني(1).

جاءت ظروف جديدة عام 1963 غذت نزعة الشعور بأهمية الكيان الفلسطيني، فبعد وفاة أحمد حلمي عبد الباقي ممثل فلسطين في جامعة الدول العربية، و عقدت الدورة الأربعون لمجلس الجامعة العربية، واختير أحمد الشقيري الذي عمل سفيراً لدى السعودية في هيئة الأمم ليتولى مهمة إعداد الخطط الكفيلة بإنجاز مؤسسات الكيان الفلسطيني وفي 13 كانون الثاني/يناير 1964 عقد أول مؤتمر عربي لجامعة الدول العربية، وفيه جرى بحث مسألة تحويل مياه نهر الأردن، وإقامة كيان فلسطيني مستقل(2).

بذل الشقيري جهوداً مستفيضة وتوسع في تطبيق فكرة الكيان، مدفوعاً بتأييد من الرئيس جمال عبد الناصر، وتم بناء هياكل لهذا الغرض، مثل: جيش التحرير الفلسطيني الذي هو التعبير العسكري عن الكيان الفلسطيني، وفتح أول معسكر للتدريب في غزة وشاركت وحدة رمزية في احتفالات (ج.ع.م) بعيد احتفالات الثورة في 23 تموز / يوليو 1964، وفي المؤتمر القومي الثاني أقرت إنشاء جيش التحرير الفلسطيني، الذي ضم قوات عين جالوت في غزة، وقوات حطين في سوريا، وقوات القادسية في العراق، وافتتحت إذاعة صوت فلسطين في القاهرة، وأنشأت مركز أبحاث فلسطيني في بيروت، والمنظمات الشعبية والتنظيمات المالية، مثل: المجلس القومي الفلسطيني(3).

في الوقت الذي خرج فيه مشروع الكيان الفلسطيني للنور كان البعث في سوريا في عداة وحرب إعلامية مع عبد الناصر، وأخذ الرئيس السوري أمين الحافظ يطرح أفكاراً في التحرير كالقول: بأن إسرائيل هي أساس ما يحدث للعرب من مشاكل، وأنه إذا توفر له أربعين

(1) انظر: مطر، فؤاد: المرجع السابق، ص 52.

(2) انظر: أبو حسنة، نافذ: "خالد الفاهوم يتذكر"، حلقة 7 (حوار)، صحيفة الحياة الجديدة، رام الله، 1998 ص 13.

(3) انظر: الأيوبي، الهيثم، "عشرة أعوام من عمر الكفاح المسلح الفلسطيني" شؤون فلسطينية، ع 42/41، ص 58 - 59.

لواء من القوات المسلحة فإنه يكفل ساعتذ تحرير فلسطين في غضون أربعة أيام وكان موقف سوريا معزولا في هذا المؤتمر، ولم يلق استحسان المؤتمرين(1).

أيد حزب البعث قيام الكيان الفلسطيني الثوري، وليس مجرد صفة تمثيلية، بينما قوبلت فكرة الكيان الفلسطيني منذ البدء برفض أردني. ففي حين أصر حزب البعث في القطر السوري على ضرورة وجود كيان فلسطيني مستقل كان الشقيري يحاول استرضاء الحسين؛ حيث طالبه بافتتاح المؤتمر وذهب للعقبة ليقنعه بذلك. اشترط الملك حسين على أحمد الشقيري أن تصرف (م. ت. ف) النظر عن تسليح الفلسطينيين، وأن يتضمن خطاب الشقيري نصا صريحا بأن المنظمة ليست لها أهداف في الضفة والقطاع؛ وعلى ضوء ذلك منعت السلطات الأردنية عدد من البعثيين الفلسطينيين حضور المؤتمر القومي الفلسطيني الذي حضره اثنا عشر منهم، لقد اتخذ البعثيون موقفا متحفظا من أحمد الشقيري ودارت حول الكيان الفلسطيني نقاشات مستفيضة، وعشية انعقاد المؤتمر القومي الأول لتأسيس منظمة التحرير نشرت صحيفة البعث السورية مشروع الكيان الفلسطيني الذي بادرت لصياغته لجنة حزبية ترأسها خالد الإشرطي عضو القيادة القومية للحزب، وعضوية عبد المحسن أبو ميزر رئيس تحرير صحيفة البعث وقد عكس مشروع البعث الشكوك في قيادة الشقيري، وقبل أربعة أيام أصدر المكتب السياسي للقوى الثورية للعمل الفلسطيني الموحد بيانا نشر في بيروت أكد فيه أهمية قيام كيان ثوري يضم المنظمات الثورية الفلسطينية، وليس كيان يقوم على الجهد الفردي(2).

قام حزب البعث بدراسة أوضاع منظمات حركة المقاومة الفلسطينية في المؤتمر القومي الثامن الذي عقد في نيسان /أبريل 1965، و قدمت شعبة فلسطين في لبنان تصورها عن هذه المنظمات وشمل تقريرها أوضاع عدد من المنظمات الفلسطينية كان أبرزها: الهيئة العربية العليا، وحركة فتح ومنظمة التحرير الفلسطينية، واقترحت في تقريرها، على المؤتمر القومي الثامن أن يدرس بمشاركة الخبراء العسكريين، إمكانية قيام حرب تحريرية شعبية أي حرب العصابات في المناطق الوعرة والجبلية من فلسطين، وإمكانيات التدريب الفدائي ومشاركة الحزبين الفلسطينيين في ذلك، وتهيئة الرأي العام الفلسطيني والعربي للمشاركة المعنوية والمادية في ذلك العمل، وأبدى حزب البعث تحفظاته تجاه منظمة التحرير، وأكد وجوب الحفاظ

(1) انظر: هيكل، محمد حسنين: سنوات الغليان، ج 1، ص 767.

(2) احمد، ظافر: ست وثلاثون عاما على تأسيس حزب البعث العربي الاشتراكي، (ب.م)، (د.م) 1983، ص 45 - 46.

على شخصية التنظيمات البعثية، وإعادة نشاط تنظيم حزب البعث في غزة وتشكيل قيادة فلسطينية تكون على صلة بالقيادة القومية(1).

وقدم المؤتمر القومي الثامن لحزب البعث توصياته إلى القيادة القومية، للعمل بها وأهمها:

1- اعتبار القضية الفلسطينية، قضية العرب الأولى، و قضية الحزب الرئيسة ورفض الحلول التصفوية كالتوطين والتقسيم.

2- أبدى البعث استعداداه لدعم كل عمل كفاحي مسلح تقوم به المنظمات الفلسطينية التي لا تقوم حولها شبّهات، وأن ينسجم مع خطط الحزب عند وضعها ومقتضيات السلامة القومية.

وقرر العمل على تدريب شعب فلسطين بصورة ملائمة لظروف معركة التحرير وتهيئته من أجلها وقد أوصى المؤتمر القومي الثامن بتوحيد موقف الحزب ونظام الحكم في سوريا وأوصى المؤتمر بأن يبحث الحزب في إزالة التناقض القائم مع منظمة الهيئة العربية العليا، ودرس إمكانية التعاون مع حركة فتح(2).

وبعد أن قام الجناح العسكري لحركة فتح " قوات العاصفة " بعملية تفجير نفق عيابون في 31 كانون أول / ديسمبر 1964 ردا على قيام الكيان الصهيوني بتحويل روافد نهر الأردن لري منطقة النقب، وقد اتخذ البعث موقفه الداعم لأعمالها، ورأى فيه ما ينسجم ووجهة نظره في تحويل روافد نهر الأردن بالقوة، وبين أن مكان العمل الفلسطيني هو أرض فلسطين وأن الاجتماعات والمؤتمرات التي تعقدها دول الجامعة العربية لن تحقق تحرير فلسطين، وأثنى على دور العاصفة حيث قال: "خطة العاصفة هي التي يجب أن يأخذ بها كل العرب في عملهم من أجل فلسطين، وهي العمل المسلح بكل ما في الكلمة من معنى"(3).

وعندما انطلقت حركة فتح أمن البعث بتحويلها إلى جبهة ثورية تضم الفئات المختلفة للنضال في سبيل قضية فلسطين، ولقد عبر "تنظيم البعث الفلسطيني" في لبنان عن ترحيبه بمشاركة فتح في نضالها المسلح، وقاتلوا في صفوفها، وفرز عددا من أعضائه لهذه الغاية،

(1) انظر: تقرير حول فلسطين أعدته شعبة فلسطين في لبنان، سلسلة نضال البعث ج8، 139 - 147. وأيضا: عبدالقادر ياسين، " الحركات القومية العربية والكفاح المسلح الفلسطيني"، مجلة شؤون فلسطينية ع 98، كانون الثاني 1980، ص 51.

(2) انظر: سلسلة نضال البعث ج8، ص 147 - 148.

(3) "درس من العاصفة لمحترفي المؤتمرات العربية"، سلسلة نضال البعث: القطر اللبناني 1961 - 1968. النضال من أجل وضع حزبي سليم ومن أجل لبنان وطني وديمقراطي، ج 11، بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، ط2 1976، ص 183.

وكان منهم جلال كعوش أحد شهداء الثورة الفلسطينية في الفاتح من كانون الثاني / يناير 1965، ولم تمنع الخلافات في المنطلقات الفكرية والسياسية من هذه المساهمة(1).

ومن الذين تم فرزهم لينخرطوا في حركة فتح، عضو القيادة القومية خالد الشرطي، والذي كان عضوا فيها بين عامي 1959 – 1966(2).

أسهم البعثيون بدور مهم في م.ت.ف والحركات الأخرى، فقد شاركوا في تأسيس جبهة النضال الشعبي الفلسطيني، ومن أبرزهم بهجت أبو غربية، ورفعت عوده(3).

التحق كمال ناصر ب (م.ت.ف)، الذي عمل محررا لمجلة فلسطين الثورة وناطقا باسم اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية، ورئيس دائرة الإعلام والتوجيه القومي فيها(4).

و انضم ناجي علوش إلى حركة فتح بعد أن كان مسؤولا بارزا في حزب البعث، وسبق له أن حضر المؤتمر القومي الثالث(5).

لقد غلب حزب البعث شعار الوحدة طريقا لتحرير فلسطين على غيره من الشعارات الأخرى وكان يرى حل قضية فلسطين، وسائر القضايا الأخرى من خلال نظريته القومية الشمولية، لقد أظهر البعث قصورا وضعفا في تطبيق شعار حرب التحرير الشعبية رغم إيمانه بها، وتأخر في تطبيق شعار إقامة جبهة تحرير فلسطين، رغم طرحه لها منذ عام 1959. ومع

(1) انظر: الكيالي، عبدالوهاب: دراسات ومطالعات فلسطينية (1974 – 1977) المؤسسة العربية للدراسات والنشر. ص 57 – 58

(2) انظر: مجلة الثائر العربي، ع 19، 31 كانون الثاني، 1970، ص2.

(3) انظر: الموسى، سليمان: تاريخ الأردن في القرن العشرين، ج 2، ص 64.

و أيضا: أبو غربية، بهجت: رسالة مطبوعة أرسلها للباحث، تموز 1998.

(4) انظر: سهيل، سليمان: كمال ناصر، ص 189.

(5) مقابلة أجريت بتاريخ 15 حزيران 1998 مع أخيه الباحث موسى ناصر في بيرزيت.

وأخرى أجريت بتاريخ سابق مع ابراهيم فرح في رام الله.

ويستدل من قراءة كشف بأسماء البعثيين عام 1960، و1963، ومقابلات الباحث في تواريخ مختلفة مع ياسر عمرو وصخر حبش وبسام الشكعة وغيرهم أن عددا من القادة الوطنيين نشأوا سياسيا في صفوف البعث وانخرطوا في منظمة فتح و(م.ت.ف) ومن بينهم: فاروق القدومي، ومحمد زهدي النشاشيبي، وعبد المحسن أبو ميزر، وعبد المحسن قطان، ومصطفى المالكي، وعبدالله الحوراني، وياسر عمرو، وعبد الجواد صالح، و صخر حبش، وقد شغلوا مواقع مهمة في اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية وهيئاتها القيادية.

أن حزب البعث عاد يدرس بعناية المشكلة العربية في فلسطين في المؤتمر القومي السادس المنعقد في أيلول بدمشق عام 1963 داعياً الدول العربية بصورة عامة والسلطتين الثوريتين في سوريا والعراق بصورة خاصة إلى تنفيذ وإقرار جبهة تحرير فلسطين، وأن تكون بمنأى عن الخلافات العربية وانتهى إلى اعتماد عرب فلسطين كطليعة لتحرير فلسطين(1).

يظهر أن كلا السلطتين العراقية والسورية لم تسلكا الطريق الذي أسهم في تغيير واقع الشعب الفلسطيني، وظل البعث يرفع شعار منع تحويل إسرائيل لمياه نهر الأردن بالقوة العسكرية، ولكنه لم يمارس فعليا القوة، وظل يتهم الرئيس جمال عبدالناصر بأنه لا يملك خطة تحرير، ويصفه بأنه يتذرع " بوجود القوات الدولية في قطاع غزة وسيناء ويقوم بتنظيمات فلسطينية متضاربة، هو مرجعها الأساس(2).

لقد غلب حزب البعث الحاكم في سوريا الشعارات على العمل في موضوع تحرير فلسطين ولم يكن عمله بمستوى طرح شعاراته في سنوات 1963 – 1967، ولعل انشغال قيادات الحزب القطرية والقومية، في سوريا في خلافات عميقة، وتيارات متضاربة منع من تطبيق شعار الكفاح المسلح الذي نادى به مؤتمرات البعث القومية. رغم ذلك اهتمت قيادة البعث في سوريا بتطوير العلاقة مع حركة فتح، وأمرت عدد من عناصرها بالانخراط في حركة فتح، و كان من بينهم يوسف العرابي، ومحمد حشمت، وهما فلسطينيان ذوي نزعة بعثية وإعداد عسكري، تطوعا في صفوف العاصفة، وقتلا في نهاية شهر شباط / فبراير 1966 برصاصات مسدس مجهول، ولم يتضح كيف قُتلا ؟

وما لبثت أن ارتابت السلطات البعثية في دمشق، أن يكون قادة فتح وراء تصفيتيهما، وهكذا تم توقيف القادة: ياسر عرفات، و خليل الوزير أبو جهاد، و أبو علي إياد، وأبو صبري

(1) انظر: القيادة القومية لحزب البعث: مقررات المؤتمر القومي السادس:، دمشق: القيادة القومية نشر بتاريخ 10/27/1963، ص 13.

* يذكر مصطفى المالكي محافظ مدينة قلقيلية للباحث في مقابلة أجريت بتاريخ 18 / 1 / 2001 أن مجموعة من البعثيين عملت على تبني الكفاح الفلسطيني المسلح، ودون أن تأخذ إنا من القيادة القومية، وعملت في عامي 1962 و 1963 على القيام بسلسلة عمليات عسكرية انطلقت من رام الله وطولكرم مستفيدة من تجربة الفدائيين المصريين عام 1955، وكان من بينهم إحسان سمارة، ومنير المالكي، ومصطفى المالكي وخالد الدرزي وأن المخابرات الأردنية وجهت لها ضربة حيث قبض محمد رسول الكيلاني على ثلاثة منهم، بعد تأدية واحدة من العمليات واعترفوا على منير المالكي الذي تعرض لتعذيب شديد انتهى إلى هجرته خارج البلاد.

(2) انظر: علوش، ناجي: المسيرة إلى فلسطين، ص 124 – 125.

صيدم، وسبعة أعضاء آخرين، أقل أهمية، وجرموا بالاغتيال. وتم الإفراج عنهم، بعد نقاش وجدال بين قادة فتح ووزير الدفاع حافظ الأسد، ولم يبق في السجن، سوى عنصر بسيط(1).

مع ذلك كان للبعث الدور الكبير في إتاحة الفرصة لحركات فدائية أن تتشط في نشاطاتها التنظيمية والسياسية في دمشق، ومن بينها حركة فتح، وشباب الثار، وجبهة التحرير الفلسطينية، وقد وظفت حركة فتح تحالفها مع بعض قادة حزب البعث في سوريا الذين رأوا في كفاحها المسلح ما ينسجم مع نظرة البعث القومية، ومدوها بالخبرات والدعم العسكري الذي أوصلها لتنفيذ أول عملية عسكرية في الأول من كانون الثاني / يناير 1965(2).

كانت أهداف منظمة التحرير في السيطرة على الفلسطينيين ومرابطة جيش التحرير في الضفة الغربية تحمل في طياتها تهديدا خطيرا للأردن، وكان واضحا للملك أن الأمور ستتقود عاجلا أم آجلا للصدام بين الطرفين بسبب تعارض الجانبين، فبينما ترغب المنظمة في تنظيم الفلسطينيين فإن الأردن يرغب في السيادة على المملكة ومواطنيها(3).

تم توقيع اتفاق بين المنظمة بقيادة أحمد الشقيري، والحسين بن طلال في عام 1966، الذي ينظم طرق جباية ضريبة التحرير، والبرنامج الإذاعي، وإنشاء المعسكرات الصيفية والإرشاد القومي، وبعد فترة علم مصدر للمنظمة أن مجلس الأمن القومي الأردني قرر ضرب القواعد المؤيدة ل م ت ف وبالمقابل جرت اتصالات مختلفة بين جبهة المعارضة لإقامة جبهة بينها التي شملت الأحزاب المحظورة في الأردن وتمت لقاءات بين البعث والقوميين العرب والشقيري لتنسيق العمل الفلسطيني، وفي نهاية آذار ونيسان تفاقمت الأزمة بين الجانبين، ووجهت الحكومة ضربة اعتقالية واسعة ضد المتعاطفين مع حركة القوميين العرب وحزب البعث، والحزب الشيوعي وأعضاء النقابات المهنية المقربين من المنظمة والمتعاونين معها(4).

-
- (1) انظر: رولو، أريك: أبو إياد، صلاح خلف فلسطيني بلا هوية، ص 84 - 86.
 وذكر بسام أحمد الشكعة للباحث أن الحادث كان مصدر حساسية، واحتكاك بين حركة فتح، والنظام السوري لسنوات، وأن اغتيالهما جاء بعد نجاح عربي في الوصول إلى مسؤول مركز تدريب وتجهيز في حركة فتح.
 (2) انظر: سميح، شبيب، " منظمة التحرير الفلسطينية التطور، وصراع الإدارات " مجلة شؤون فلسطينية، ع 152 - 153، تشرين الثاني / كانون الأول 1985، ص 31.
 (3) سسر، أشر: الخط الأخضر بين الأردن وفلسطين سيرة وصفى التل، ص 73.
 (4) انظر: المرجع السابق، ص 85 - 86.

وكان هدف مظاهرات 1963 مطالبة حكومة الأردن بالانضمام إلى محادثات الوحدة الثلاثية بين مصر وسوريا والعراق(1).

تعرضت حكومة الأردن لانتقادات عنيفة من قبل مصر وسوريا ومنظمة التحرير الفلسطينية وتسابقت في كيل التهم ضد الملك حسين، ورئيس وزرائه وصفي التل، وقد أفرزت الأحداث انتفاضة شعبية وطالب الفلسطينيون حكومة الأردن بالثأر وأخرجت وضع الحسين، وقد شجع البعثيون في سوريا رئيس م. ت. ف أحمد الشقيري على رفع وتيرة انتقاداته، وردت حكومة الأردن على ذلك بطرده إلى غزة، وقد تعرضت إذاعة دمشق للموقف الأردني بالشتائم، ووصفت الهجوم بأنه مؤامرة خطط لها الحلف الاستعماري الهاشمي الصهيوني، والهدف في رأي البعث إظهار حكمه بمظهر المقرر، وإتاحة الفرصة للملك حسين كي يمعن في إضطهاد الأردنيين(2).

وفي خطاب الشقيري في الجلسة الثانية لمجلس الدفاع العربي في القاهرة تعرض لموقف الملك حسين، واتهمه بخيانة قضية فلسطين، وعدم تنفيذه مطالب (م. ت. ف) والقيادة العربية الموحدة في تبني خطة عسكرية دفاعية والإعداد لمعركة التحرير ووصف موقف الأردن بالتقصير؛ بعد أن دخلت القوات الإسرائيلية إلى السموع، وقامت بنسف بيوتها، وهي مطمئنة طيلة ثلاث ساعات وقبل أن تتمكن قوات النجدة من الدفاع وقد وصلت قبيل انتهاء الغارة بدقائق، ولم تكن هناك دبابات أو مدرعات ومصفحات سوى سيارات وأسلحة خفيفة، وعاد المغيرون الإسرائيليون، وهم ينشدون ويرقصون، وقد أخذوا معهم بعض الجرحى الفلسطينيين(3).

وذكر الشقيري أن البلاغ بشأن الاعتداء الصهيوني وصل متأخرا بعد 5 ساعات وان الملك حسين رفض عمل القاعدة الجوية، التي تأخرت عامين، وكان من المفترض أن يبدأ العمل فيها في الأول من تموز / يوليو 1964م، ولكن العمل بدأ في حزيران / يونيو 1966 واتهم الشقيري التل بأنه أفشى أسراراً عسكرية للعدو(4).

(1) انظر: سخيني، عصام: " الكيان الفلسطيني 1964 — 1974"، مجلة شؤون فلسطينية، كانون الثاني، وشباط 1975، ص62.

(2) انظر: لنت، جيمس: الحسين سيرة حياة، ص147 و 150

وانظر: جريدة الحياة، اللبنانية، الأربعاء 16 تشرين الثاني 1966، ص 1.

(3) انظر: الشقيري، أحمد: الملك حسين أمام قصص الاتهام خفايا معركة السموع أمام مجلس الدفاع العربي، منظمة التحرير الفلسطينية، ما قاله أحمد الشقيري في الجلسات المغلقة 1966. ص15 — 16.

(4) انظر: الشقيري، أحمد: المصدر السابق، ص 18 — 21.

ج) موقف البعث في فلسطين من الحكومة الأردنية بعيد أحداث السموع

تعرضت قرية السموع وهي من قرى الخليل الحدودية في صباح يوم الأحد 13 تشرين الثاني/ نوفمبر 1966 م، لاعتداء إسرائيلي كبير، الذي قام به العدو الإسرائيلي في الساعة الخامسة والنصف صباحاً، وقد تم التحضير له بعد أن احتشدت قوات العدو مكونة من لواء مشاة منقولا بناقلات نصف مجزرة، ومساندة كتيبة دبابات وكتيبة مدفعية وسرية هندسة، ويغطيها سربان من طائرات الميراج، وبدأ الهجوم على محورين هما محور رجم المدفع - رافات - السموع، ومحور الاصيفر - بطا، وبدأ الهجوم الصهيوني بقصف مدفعي شديد على جميع هذه الأهداف(1).

قدم الجيش الأردني كتيبة مشاة ناقصة التجهيز للدفاع عنها، و حظيرة مشاة كانت موجودة في رافات وأخرى موجودة في مخفر الاصيفر، وكذلك رجال الشرطة في مخفر رجم المدفع وتعطل الهجوم قليلاً، واندفع الطيار الشهيد الملازم موفق السلطي يقحم سرباً من طائرات العدو، وخر شهيداً بعد أن أصاب إحداها، وتقدمت طلائع النجدة الأردنية بعد ها إلى مشارف قرية السموع واستشهد الرائد الشهيد محمد ضيف الله الشوبكي، وجرح قائد اللواء العقيد بهجت المحيسن أثناء تقدمه لقتال العدو وبقي القتال حتى الساعة التاسعة صباحاً(2).

هبت المظاهرات العنيفة في الضفة الغربية والتي أخذت تطالب بتأمين الحدود والدفاع عنها وهي مظاهرات اختلفت عن غيرها في مطالبها، و تعرضت حكومة الأردن إلى حملة عنيفة من منظمة التحرير الفلسطينية وأحزاب الحركة الوطنية التي اهتمت هذه المرة بالمطلب الفلسطيني؛ مما يعكس بروز وظهور الكيان الفلسطيني بينما كانت مطالب الحركة الوطنية في المرات السابقة ندعو إلى غير ذلك، ففي مظاهرات 1957/1956 طالبت بتحقيق الحكم الوطني،

(1) انظر: أبو نوار، معن: في سبيل القدس، عمان: مطبعة القوات المسلحة الأردنية، ص 18.

(2) أبو نوار، معن: المرجع السابق نفسه، الصفحة نفسها

قدر الأردنيون خسائر العدو الإسرائيلي بخمسين إصابة بين قتيل وجريح، وتدمير سبع عربات مدرعة، وأصيبت ست طائرات، واستشهد ضابطان أردنيان واستشهد 13 ضابط صف وجندي أردني وجرح 23 آخرين، واصيب من المدنيين من أبناء السموع خمسة شهداء وستة جرحى. وقد خسرت القرية أكثر من مائة منزل نسفت وقصفت من بين بيوتها المائتين، وركزت واحدة من دبابات العدو سلاحها على منذنة مسجد القرية، وتعرضت شركة باصات الخليل - السموع إلى إطلاق صاروخ على الباص وبيت السائق، فتناثرت حجارته على جانب السيارة (انظر: " العدوان على السموع كان هجوماً حربياً مدبراً اشترك فيه لواء كامل، وحوالي 50 دبابة و 77 طائرة ولولا استبسال الجيش الأردني لوقعت مجزرة رهيبه" (جريدة الحياة اللبنانية، الأربعاء في 16 تشرين الثاني 1966، ص 1.)

واجه الطيارون الأردنيون الهجوم الإسرائيلي بعمل أشبه ما يكون بالعمل الانتحاري ؛ إذ لا يعقل أن تقف طائرتي هوكرهنتر أمام الميراج الإسرائيلي، ورغم أن القيادة العربية العليا المشتركة طلبت قبل حدوث الهجوم بفترة أن يقوم بتقوية سلاح الجو، ولوحت إسرائيل بأنها ستوجه ضربة للأردن، بدعوى قيام هجمات فدائية عليها، وخرقها خط الهدنة معها ؛ ولهذا اتخذت إسرائيل مختلف المسوغات للدفاع عن أسباب غارتها الإرهابية، فقد جاء على لسان أبا إيبان وزير خارجيتها الذي قال في مؤتمر صحفي بعد الغارة: " أن هذه الغارة لا تقصد منها أن تكون موجهة ضد الملك ولا ضد الحكومة، وإنما هي موجهة ضد الشعب، ضد القرى الأمامية التي تاوي الفدائيين، والتي ينطلق منها الفدائيون(1).

شهد الأردن مظاهرات شعبية في أعقاب أحداث السموع في 21 تشرين الثاني، ووصفت القيادة القطرية لحزب البعث العربي في الأردن الحكم الأردني بالمتآمر منذ عهد الملك عبدالله، الذي سبق له أن سلم مناطق كانت تحت حراسته وأن انطلاقة الفدائيين جاءت بسبب انطلاقة طلائع شعب فلسطين في حرب التحرير الشعبية، وقد شن النظام أسلوب البطش بالحديد والنار ويمارس أوسع حملة اعتقالات في مدن المملكة، كما أن عشرات القتلى سقطوا وأغرقت الشوارع بالدماء في مظاهرات السموع وختم البيان بالدعوة إلى وحدة القوى التقدمية والتمسك بقرارات مؤتمر نابلس المعبرة عن أهداف الجماهير الثائرة(2).

و يطالب بيان القيادة القطرية الأقطار العربية بتسليح الشعب الفلسطيني، وقلب النظام الأردني لتدافع جماهير الشعب، وعن بيوتها وممتلكاتها وأطفالها من أجل الانضمام لقافلة الدول العربية المتحررة: " أن ثورتكم الهادئة لا بد وان تستمر حتى يتحقق للأردن بصفته حكم تقدمي يهيئ الفرصة اللازمة لتنظيم الجماهير وتسليحها وتدريبها من أجل خوض حرب التحرير الشعبية طريق العودة الوحيدة والحتمية (3).

(1) انظر: المصدر السابق ، ص 18 .

(2) انظر: " البيان الذي أصدرته القيادة القطرية لحزب البعث العربي الاشتراكي في الأردن حول الاضطرابات التي تلت الاعتداء الإسرائيلي على قرية السموع "، سلسلة الوثائق العربية 1966، وثيقة رقم 405، عمان في 24 / 11 / 1966، ص 831 – 832 .

(3) المصدر السابق نفسه، ص 832 .

تلا هذا الحادث حملة اعتقالات كبيرة للحركة الوطنية الفلسطينية والتي سبق لها أن تعرضت في نيسان من العام نفسه إلى حملة مماثلة، التي جرت ضد البعث والقوميين العرب والحزب الشيوعي وأعضاء م. ت. ف، وبهذه الحملة الاعتقالية أصبحت الحركة الوطنية في المملكة الأردنية مكسورة الجناح، وما أن شنت حرب حزيران/ يونيو 1967 حتى كانت تعاني من ضعف شديد، لم يمكنها من تنظيم مقاومة شعبية ضد الاحتلال الإسرائيلي في الضفة الغربية، و كان هذا نذير شؤم للأوضاع القادمة(1).

(1) انظر: الفايز، عصام أحمد: النظام الهاشمي والحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني، (ب.ط)، (د.م)، (د.ن)، (د.ت) ص

د) الأوضاع التي قادت إلى انقلاب 23 شباط 1966 في سوريا، وتأثيرها على حزب البعث في فلسطين

أدى حل حزب البعث في سوريا، أثناء الوحدة المصرية - السورية، إلى أزمة عميقة لاحقاً في مسيرة حزب البعث ووحدته التنظيمية كما سبق ذكره، والتي أفسحت مجالاً لعمل فئات مختلفة باسم الحزب ومنها اللجنة العسكرية التي نشأت بعد إبعاد عدد من الضباط السوريين من سوريا إلى مصر، حيث أسست بعد نقل ضباط موالين للبعث من الإقليم الشمالي (سوريا) إلى الإقليم الجنوبي (مصر) في عهد الجمهورية العربية المتحدة، وهناك كلفوا بأعمال روتينية غير مهمة عسكرياً، وقد تداعى هؤلاء لتشكيل لجنة عسكرية، وكان من أبرز وجوهها: صلاح جديد حافظ الأسد سليم حاطوم محمد عمران، يوسف زعين، عبدالكريم الجندى، أحمد المير وهؤلاء كانوا يسعون لتعديل مسار الوحدة، وتوحيد مواقف الضباط البعثيين بإقامة الصلة فيما بينهم(1).

وكانت هناك مجموعة عرفت بـ "مجموعة القطريين"، ومن شخصياتها: نور الدين الأتاسي، و إبراهيم ماخوس، و مرجعية هؤلاء: وهيب الغانم، وزكي الأرسوزي، ويتبنى هؤلاء الفكر الماركسي ويتهمون جمال عبد الناصر، وميشيل عفلق بتصفية الحركة الشعبية. وبالمقابل كانت القيادة القومية التي يتزعمها ميشيل عفلق؛ وصلاح البيطار، يتعاطف معها الياس فرح، و شبلي العيسمي، و جمال الأتاسي، وعبدالله عبد الدائم، وعبد البرعيون السود، وغيرهم. ووجدت كتلة أكرم الحوراني، ومنهم: عبد الفتاح زلط في حلب، ورياض المالكي في دمشق، و خليل كلاس، ومصطفى حمدون، وجمعها مع كتلة القطريين موقف واحد من جمال عبدالناصر والوحدة بين مصر وسوريا(2).

نجحت القيادة القومية بقيادة عفلق في التغلب على حلفاء عبدالناصر في حزب البعث، وسجل عفلق انتصاراً للحزب وله في مؤتمرات البعث القومية الثالث عام 1959؛ حيث طرد عبدالله الريماوي وتياره، وفي الرابع طرد فؤاد الركابي، وفي الخامس أطاح بأكرم الحوراني وفي السادس هزم، وفي السابع انتقم من علي صالح السعدي، وحمود الشوفي، وياسين الحافظ، وهاني الفكيكي بطردهم، وفي الثامن فشل مسعاه لضرب اللجنة العسكرية، واستلم منيف الروزاز أمانة الحزب القومية(3).

(1) انظر: الفكيكي، هاني: أوكار الهزيمة تجربتي في حزب البعث العراقي، ص 145 - 146.

(2) انظر: الفكيكي، هاني: المرجع السابق، ص 144 - 148.

(3) انظر: الفكيكي، هاني: المرجع السابق، ص 102 - 103.

كانت اللجنة العسكرية تعمل بصمت في السر وراء الكواليس، وهي تراقب عمليات الطرد التي تجري في حزب البعث، و كان آخرها طرد الحوراني*، ووقفت اللجنة العسكرية منها موقف المنفرج وهي تراقب صراع القيادتين القومية والقطرية في سوريا؛ وهم يطمحون أن يكونوا محور السلطة ويرقبون بغطية وسرور هجوم القيادة القطرية على ميشيل عفلق وصلاح البيطار(1).

نجحت اللجنة العسكرية في قيامها بانقلاب 8 آذار/ مارس 1963 دون أن يشترك قادة البعث في التخطيط له أو التنفيذ، ولكنهم نسبوا انقلابهم إلى حزب البعث استنادا إلى تراث البعث في الجيش وفي الشعب، كما أن ثورة الثامن من شباط العراقية 1963 دفعتهم لاختيار البعث بملء إرادتهم، ووجهوا الدعوة لصلاح الدين البيطار لتأليف حكومة جبهة قومية ليرأسها، وبدورها اشركت القيادة القومية لحزب البعث قيادة التنظيم العسكري في قيادة الحزب المدنية، بينما ظل التنظيم العسكري مغلقا على قيادة البعث، ولا يحق للأمين العام ميشيل عفلق التدخل فيه(2).

جاء المؤتمر القومي السادس، المنعقد في دمشق عام 1963، ليظهر إلى السطح التكتلات التي عملت بصمت منذ سنوات، وفي المؤتمر نجحت الفئة الماركسية في طرح التقرير العقائدي*، ونيله التأييد. حقق الخط اليساري الماركسي نجاحا في تثبيت ما سمي بـ "المنطلقات النظرية"، وتحول حزب البعث إلى حزب شبيه بالحزب الماركسي، وبرزت لديه مقولات: الحزب القائد، وحزب الطبقة العاملة وتبنى الاشتراكية العلمية بديلا للاشتراكية العربية، وأدان المؤتمر تقديس الحزب للملكية الفردية، وقدموا الديمقراطية الشعبية بديلا عن التجربة البرلمانية التي وصفت بأنها مفهوم برجوازي وفي هذا المؤتمر ظهرت مقولات: "يمين بعثي" و"يسار بعثي"، وسقطت هيئة القيادة القومية التاريخية، وقد ألغى المؤتمر دستور حزب البعث، ولم يعد يؤمن بميشيل عفلق كملهم وقائد، ومع أن القطريين السوريين كانوا راغبين في إضعاف عفلق

* راح أكرم الحوراني يهاجم عبدالناصر و يشكك في عروبة مصر، ويحرج قيادة البعث القومية، بما طرحه من دعوة لقيام قوميات إقليمية* كالدعوة لوحدة الهلال الخصيب، ووحدة المغرب العربي و هلم جرا، ورأى فيها عفلق والبيطار ما يتعارض مع مفهوم البعث الوحدوي الشامل. (انظر: كلمة الأمين العام ميشيل عفلق في المؤتمر القومي الخامس، سلسلة نضال البعث: كتاب المؤتمرات القومية السبعة الأولى 1947 - 1964 ج4، ص 149).

(1) انظر: دندشلي، مصطفى: حزب البعث العربي الاشتراكي 1940 - 1960، ص 351.

(2) انظر: الرزاز، منيف: الأعمال الفكرية والسياسية ج2، كتاب التجربة المرة، ص 91 - 93.

*التقرير العقائدي هو صياغة فكرية حول تطبيق فكر حزب البعث، وأخذت نهجا ماركسيا، ومن طرحه ياسين الحافظ، وهاني النكيكي، وحمود الشوفي، وعلي السعدي.

الا أن العسكريين منهم كانوا يشعرون أن الثكنات العسكرية هي المكان الذي تحسم فيه المعارك(1).

ويلاحظ في هذا المؤتمر، أن نصيب سوريا والعراق ** في القيادة القومية جاء أكثر من المرات السابقة، ويفوق القطرين اللبناني والفلسطيني حيث خضع للموازن العسكرية والسيطرة على السلطة في البلدين(2).

توالى ضغط وتكتيل القطريين والعسكريين داخل حزب البعث، وفي مؤتمراته القطرية والقومية وغرقت القيادة القومية في البحث عن آلية عمل يتم فيها تحديد نسبة العسكريين واسترجاع سيطرة المدنيين على الحزب، ولكن دون فائدة ترجى حتى اضطر ميشيل عفلق إلى تقديم الاستقالة في المؤتمر القومي الثامن عام 1965.

ورشح بدلاً منه منيف الرزاز الذي نال ثقة أغلبية المقترعين واكتفى عفلق بمنصب القائد العام المؤسس لحزب البعث(3).

كانت مهمة منيف الرزاز عسيرة ومعقدة، فقد دخل لجة من الصراعات والخلافات بين تيارات البعث المختلفة التي ضمت ثلاثة أطراف متصارعة على زعامة البعث وهي: القيادة القومية، والقيادة القطرية، واللجنة العسكرية، وجميعها يحاول الإمساك برقاب السلطة والتفرد بها، فهل ينجح الرزاز في مسعاه؟!؟

قام الرزاز بخطوات حثيثة لبعث الحيوية والنشاط والحركة في القيادة القومية ومواجهة عزلتها الخائفة عن قواعد الحزب؛ فأجرى لقاءاته واتصالاته بمنظمات الحزب في سورية وخارجها وفتح الباب للصحافة واتصل بعدد من الأحزاب الشيوعية والاشتراكية، وزاد من وسائل التنقيف، و التوعية الفكرية والحزبية، وأعاد الذين فصلتهم اللجنة العسكرية بسبب الشك في ولائهم، وعمل على تقوية سلطة القيادة القومية، ودفع الحكم للإفراج عن المعتقلين

(1) انظر: الفكيكي، هاني: أوكار الهزيمة تجربتي في حزب البعث العراقي، ص 328 - 334.

** نال العراق خمسة أعضاء، وسوريا أربعة أعضاء، ولبنان اثنين، واثنين من الأردن هما: أسعد عكة (القدس)، ومنيف الرزاز (عمان).

(2) انظر: د ند شلي، مصطفى: حزب البعث العربي الاشتراكي، ص 335.

(3) انظر: سلسلة نضال البعث: كتاب المؤتمر القومي الثامن ج 9، نيسان 1965، ص 18.

والمحكومين سياسياً، ورفع الإقامة الجبرية والاهتمام بالشكاوى الموجهة ضد سوء استخدام السلطة(1).

بقي أمام الرزاز حل المعضلة المهمة، وهي: تضيق الخناق على اللجنة العسكرية وإطلاق يد القيادة القومية وتحديد عدد ودور العسكريين في القيادة القطرية السورية.

إلا أن طارنا دخل إلى ساحة الصراع، فبعد أن كان محور الخلاف بين اللجنة العسكرية والقيادة القومية، أصبح الخلاف داخل اللجنة العسكرية. وهو خلاف ظهر بين اللواء صلاح جديد والفريق أمين الحافظ، ومحوره نقل المقدم أحمد سويداني من منصب مدير مخابرات إلى منصب شؤون الضباط، وهو ما أثار صلاح جديد، وأخذ يهاجم الفريق أمين الحافظ متهما إياه بحصر السلطات بين يديه وسدد له ضربة بالإيقاع بينه وبين المتعاونين معه في السلطة، وكانت تكتيكات صلاح جديد هي الأقوى في هجومه المتتابع على القيادة القومية ومؤيديها، وقد نجح في عزل أمين الحافظ عن العسكريين وتكثيلهم حوله، ثم أصبح الأمين القطري للقيادة القطرية للبعث. حاول منيف الرزاز أن يعيد تركيب القيادة القطرية السورية بأن تضم عدداً من المدنيين والمؤيدين للقيادة القومية في مسعى يهدف إلى أخذ زمام القيادة بيد المدنيين كما حاولت القيادة القومية إبعاد أهم شخصيتين عسكريتين عن الحزب وهما: صلاح جديد وأمين الحافظ، ولكن خلافاً جديداً نشب بينهما حول من يتولى وزارة الدفاع ورئاسة الأركان، ولكن غياب سلطة القيادة القومية ظلت قائمة، وأمرت القيادة القومية القطرية السورية بالاستقالة وأدخلت دماً جديداً، وتوسعت من 11 عضواً إلى 16 عضواً (2).

يلاحظ أن القيادة القومية ظلت عاجزة عن ضبط الأمور والسيطرة على السلطة في سوريا، بسبب السيطرة التي حظيت بها اللجنة العسكرية المسيطرة على الجيش، وبالتالي فرضت سلطتها على الحزب.

لقد نجحت اللجنة العسكرية في الدخول إلى القيادة القطرية السورية بعد أن جرت انتخابات حزبية بعد أيام من ثورة الثامن من آذار/ مارس 1963، وبلغ عدد العسكريين 4 أشخاص مقابل 5 أشخاص. وحمل ذلك صعوداً للقيادة القطرية، التي تعادى ميشيل عفلق،

(1) انظر: الرزاز، منيف: الأعمال الفكرية والسياسية ج2، كتاب التجربة المرة، ص 123 – 129 (بتصرف).

(2) انظر: الرزاز، منيف: المرجع السابق، ص 135 – 143.

انظر وقارن أيضاً: الجندي، سامي: البعث، ص 138.

وصلاح البيطار، وجمال عبدالناصر، ويلتقي معها تيار مناوى لميشيل عفلق يتمثل في تيار علي السعدي في العراق(1).

كان عفلق والبيطار يؤمنان بأن حل الخلاف بينهما وبين القيادات الشابة لا يمكن له أن ينتهي إلا بتفجير الأزمة، وعدم الصمت أو الاكتفاء بالمداراة، وأن أسلوب العلاج الوحيد هو المجابهة، وكان رأي البيطار أن تتبع القيادة القومية سياسة التآزم مع العسكريين، حتى يخضع العهد الجديد لما تمليه إرادة القاعدة الحزبية(2).

ألقى عفلق حديثاً طويلاً في مؤتمر الأطراف " المنعقد بدمشق، بتاريخ 18 كانون الأول / ديسمبر 1965 وشن أوسع هجوم على " القطريين والعسكريين "، و تناولته الصحف، ولم يعود الخلاف مستورا كما كان من قبل و كرس فيه هجومه وانتقاده للقيادة القطرية السورية، ويتلخص في مايلي: -

أولاً: إن الحزب تحول إلى تكتلات وشلل، و إلى عمليات دس وتخريب تقوم بها القيادة القطرية السورية، كالفصل بين القيادة القومية، والقاعدة الحزبية.

ثانياً: انتقد عفلق القيادة القطرية التي أغرتها السلطة واتهمها للقيادة القومية باليمينية وهي تهاجم تاريخ الحزب وتتهمه باليمينية، مع أن البعث يساري النزعة أصيل، وأن اليسارية هي: تحليل علمي موضوعي.

ثالثاً: دعا ميشيل عفلق للفصل بين الجيش والسياسة، وعدم جمع الحزبيين بين وظيفتين، وأن لا يقود العسكريون العاملون في قطاعا تهم العسكرية حزب البعث.

رابعاً: دعا إلى ضرورة احترام القيادة القومية، لأن بيدها سلطة الحزب طيلة 25 عاماً.

خامساً: وجه اتهاماً صريحاً للجنة العسكرية والقيادة القطرية، التي جاءت بعد ثورة 8 آذار/ مارس 1963، واتهمها في التسبب في العزلة التي يعانيها البعث عن محيطه العربي وعن الشعب وأن هناك أباد مشبوهة* قد دست في صفوف حزب البعث لتخريبه، ولا يستبعد أن يكون لأعداء الأمة العربية دور فيها(3).

(1) انظر: دند شلي، مصطفى: حزب البعث العربي الاشتراكي 1940-1960، ص 345 - 346.

(2) انظر: منيف، الرزاز: الأعمال الفكرية والسياسية ج2، كتاب التجربة المرة، ص 146 - 147.
* يذكر أنه في هذا العام قبض على الصهيوني إيلي كوهين في سوريا.

(3) انظر: عفلق، ميشيل: نقطة البداية أحاديث بعد الخامس من حزيران، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1971، ص 201 - 204، (بتصرف).

وأيضاً: الحديث الذي فجر أزمة البعث في سورية، ميشال عفلق يروي كيف دست شرعية الحزب " جريدة الحياة اللبنانية، ع7000، الجمعة، 25 شباط 1966، ص 7 - 8.

بعد نجاح القطريين والعسكريين السوريين في سحب البساط من تحت أرجل القيادة القومية منذ انقلابهم في آذار/ مارس 1963، راحوا يطالبون القيادة القومية ببحث مسألتي " الاعتدال واليسارية " في مؤتمر قطري لحزب البعث، إلا أن القيادة القومية رفضت هذا الطلب ووقفت ضده (1).

تمثلت شرارة الانقلاب على القيادة القومية، بعد أن أصدرت القيادة القومية أمراً بنقل سليم حاطوم وعزت جديد أصحاب قوة عسكرية مرابطة حول دمشق، وكانا يهددان القيادة القومية، ويعتبران أن قواتهما ملك خاص بهما وقد تمردا على القرار وأوامر النقل، وعادت القيادة القومية لتقرر نقل ثلاثة من أنصار القيادة القطرية، واثنين من أنصار أمين الحافظ، وعقدت جلسة لهذا الغرض مساء يوم 21 شباط/ فبراير واستغرقت حتى صباح يوم 22 شباط ووقف اللواء حافظ الأسد في الجلسة و قال: " يا إخوان أبلغكم من الآن، أنا مع هؤلاء الضباط أن سكتوا سكت معهم، وأن اعتصموا اعتصمت معهم، وأن قاتلوا قاتلت معهم " (2).

في صبيحة يوم الأربعاء الساعة الخامسة الموافق 23 شباط / فبراير 1966 تحركت دبابات يقودها عزت جديد، انطلقت من القابون على بعد ثلاث كيلومترات من دمشق واتجهت إلى أبي رمانة حيث يسكن الحافظ، ثم خرجت سيارات تحمل المغاوير من حرسنا على بعد سبع كيلومترات، التي يقودها سليم حاطوم، وصوبت الأسلحة إلى مقر القيادة القومية، ومقر الرئيس السوري أمين الحافظ، ودامت المعركة ساعة حول قصره وأعلنت سوريا نبأ الانقلاب الذي قامت به القيادة القطرية المؤقتة، وانقطعت أخبار سوريا عن العالم سوى ما تذيعه إذاعة دمشق، التي أعلنت نبأ القبض على القيادة القومية وتحويل القادة التاريخيين إلى محاكم حزبية، وقد أسهم الطيران السوري بقيادة اللواء حافظ الأسد في إسناد الحركة (3).

نشر منيف الرزاز من مخابه السري في دمشق بيانا في 8 آذار/ مارس 1966، وفيه كتب عن الانقلابيين الذين داسوا على شرعية الحزب تدفعهم شهوة الحكم مستعينين بقوة العسكر

(1) انظر: " صراع الأجيال في البعث وحركة 23 شباط 1966 "، مجلة الأسبوع العربي، ع 351 السنة السابعة، الاثنتين 28 شباط 1966م، ص 15.

(2) انظر: الرزاز، منيف: الأعمال الفكرية والسياسية، ج2، ص 193 – 195.

(3) انظر: مجلة الأسبوع العربي، ع 351، ص 1 و 13.

لفرض إرادتهم، وأنه أريق به من الدماء ما لم يرق في غيره، ووصفهم بالمرتدين عن مبادئ البعث، وأن القيادة القومية حاولت أن تحل الخلاف بمنطق الحزب لا بمنطق القوة والتكتل العسكري، وأن تحل الولاء للحزب وأخلاقه وعقيدته ومبادئه، وتحملت كثيرا في سبيل ذلك فوق كل ولاء، واثمهما بالخيانة وممالة الاستعمار(1).

وأعلن (القبض)* على العديد من قادة البعث منهم: الفريق أمين الحافظ، ميشيل عفلق منيف الرزاز، خرج انقلابيو 23 شباط على الشعب السوري بثلاثة بيانات، وقد جاء فيها فرض قرار حظر التجوال في القطر العربي السوري في صباح يوم الأربعاء بتاريخ 23 / 2 / 1966 وحتى إشعار آخر وإغلاق المطارات والحدود، محمد عمران، ومنصور الأطرش، وصلاح البيطار، و شبلي العيسمي، وأعلن أنهم سيقدمون لمحكمة حزبية جزاء ما اقترفت أيديهم بحق الحزب والثورة، وأعلنت عملها بالدستور المؤقت، وحل المجلس الوطني للثورة، وتعيين اللواء حافظ الأسد وزيرا للدفاع(2).

كشف انقلاب شباط السوري عن ضعف البنى والخيوط التنظيمية ومراتبها، والولاء للقيادة القومية، وللجناح المدني من البعث، وأظهر هشاشة الانضباط الحزبي وكان فاتحة لفوضى قوة العسكريين وتصارعهم المستمر للسيطرة على الحزب والدولة بعد أن كان المثقفون يقوون سياسة البعث، ومنذ ذلك التاريخ انقسمت قيادة البعث رأسيا وأفقيا، وتكونت قيادتان قوميتان، وتبلور جناحان متخاصمان في سورية والعراق، وسائر الأقطار العربية التي يتواجد فيها حزب البعث، أحدهما يدعم القيادة التاريخية القومية برئاسة ميشيل عفلق، وآخر يؤيد الانقلابيون السوريون.

أصدرت القيادة القومية بيانا من بيروت أوضحت فيه أن انقلاب شباط لن يكون آخر إلا انقلابات بل سيتبعه انقلابات أخرى*، وقد جاء في بيانها توكيدا لخطاب عفلق في "مؤتمر

(1) انظر: " بيان الدكتور منيف الرزاز، الأمين العام السابق لحزب البعث العربي الاشتراكي من مخبأه في دمشق"، سلسلة الوثائق العربية، سنة 1966، وثيقة رقم 73، ص 146.

* البيان غير صادق فقد نجح عفلق على سبيل المثال لا الحصر بالجوء إلى بيروت (الشاعر جمال: سياسي يتذكر، ص 65).

(2) انظر: " البلاغات رقم 1 و2 و3 والقرار رقم 1 الصادرة عن القيادة القطرية المؤقتة لحزب البعث العربي الاشتراكي اثر وقوع الانقلاب في سورية"، سلسلة الوثائق العربية، 1966، ص 117.

* في يوم الخميس 8 أيلول 1966 قام انقلاب عسكري على يد سليم حاطوم، وعبد عسلي وكان نصيبه الفشل، وهرب إلى الأردن، واتهم بأن له صلة بصلاح الدين البيطار. (انظر: رفيق الخوري (تحقيق) " الدكتور ابراهيم ماخوس يسروي للأحد تفاصيل المؤامرتين الفاشلتين ماهي العلاقة بين تنظيم البيطار وسليم حاطوم"، مجلة الأحد، 18 أيلول 1966، ص 802، السنة السادسة عشر، ص 4 و 88).

الأطراف " أن العقيدة والمبدأ استبقى والنضال لا الحكم والمادة وأن الانقلاب يفصح عن طبيعة النظام الذي يؤمن بالسلاح والقوة، وأنه لن يبقى حزب البعث ولا ثورة تمت للحزب طالما فقدت القيادة القومية شرعيتها، وهي التي تمثل منظمات البعث في الوطن العربي، ووصفت الانقلاب بأن ليس له صلة بحزب البعث(1).

ووصفت الانقلاب أنه قام على التكتل منذ أن اتفقوا على القيام بانقلاب 8 آذار/ مارس 1963 في سوريا وهي لا تأسف على حكم صنعتة القوة الغاشمة، وأردفت قائلة: " إذا كانت الدبابات والمدافع هي التي صنعت ثورة الثامن من آذار، وهي التي أتت على حزب البعث إلى الحكم، فلماذا هذا الحكم لأنه قام على أساس فاسد... ولأنه فقد روحه الثورية، ولم يبق فيه إلا القوة الغاشمة التي تصنع في كل يوم انقلاباً. (2).

عبرت القيادة القطرية الأردنية عن تأييدها للقيادة القومية التاريخية في بيان نشرته مجلة الأحرار اللبنانية في 26 آذار / مارس 1966 وفيه أعلنت عن تمسكها بالشرعية الحزبية ممثلة بالقيادة القومية. وزعت بيانها على الصحف والإذاعات، ووصفت الانقلابيين بالمرتدين، واعتبرت أن استخدام القوة والعنف عمل غير حزبي، وطالبت أن يكون الاتصال مع القيادة القومية من خلال مكتب الاتصال في بيروت، ورفضت إجراء أي اتصال على انفراد مع الانقلابيين في سوريا، مشددة على أهمية الاعتماد على النفس، وجمع التبرعات من الحزبيين(3).

بعد فترة تشكلت قيادة قطرية جديدة في المملكة الأردنية كان من بين أعضائها محمود معاينة وضافي جمعاني، و عبدالرحمن العرموطي، وهاجم الهنداوي، واعتبروا حركة 23 شباط حركة شرعية تمثل الحزب، وأعلنوا ولائهم لها، ومال آخرون للتعاون مع العهد الجديد، بينما امتنع جمال الشاعر ** عن المشاركة فيها، وفضل آخرون التريث والانتظار(4).

(1) انظر: الخالدي، وليد، وأبيش، يوسف: "بيان القيادة القومية لحزب البعث العربي الاشتراكي لشجب حركة 23 / 2 / 1966، وثيقة رقم 6"، سلسلة الوثائق العربية 1966، ص 158 - 160

(2) الخالدي، وليد: لمصدر السابق، ص 159.

(3) انظر: "بيان القيادة القطرية لحزب البعث العربي الاشتراكي في الأردن تأييدا لقيادة الحزب القومية" سلسلة الوثائق العربية 1966، ص 193، و 194.

**أيد ميشيل عفلق كل من: أمين شقير (عمّان)، و شاهر الطالب (السلط)، و شاهر أبو شاحوط (السلط)، واسماعيل محادين (الكرك)، ووليد عبدالهادي (نابلس) وغيره. (انظر: محادين، موفق: مرجع سابق، ص 49).

(4) انظر: الشاعر، جمال، "خمسون عاما ونيف" جريدة النهار، القدس، ع 2722، الأحد 30 - 10 - 1994، ص 17.

كان من تداعيات انقلاب 23 شباط السوري أن عددا من الدول العربية اغتتمت فرصة الخلاف بين رفاق الأمس، وراحت تشن حملة اعتقالات في العراق، والأردن، ولبنان(1).

حيث بلغ عدد المعتقلين في الأردن ما يزيد عن 400 شخص إضافة إلى اعتقالات شملت حركة القوميين العرب، وحركة فتح(2).

شملت الاعتقالات أعضاء القيادة القطرية الأردنية للبعث، وأعضاء فرع عمان وشعب إربد، و نابلس، و القدس، وقد أحال عبدالوهاب المجالي وزير الداخلية الأردني آنذاك أعضاء القيادة القطرية للقضاء بتهمة الانتساب إلى حزب غير مشروع والقيام بنشاط مخل بأمن الدولة، واستلام أموال من سفارة أجنبية والمتهمون هم: الطبيب البيطري عبد الغني موسى النهار أمين سر القيادة القطرية. وأعضاء القيادة القطرية وهم: عايد حنا البقاعين، وفهد الفانك، وعدنان خليل شقير، و فايز محمد سحيمات، و واصف يعقوب عازر(3).

وطالت الاعتقالات مدن الضفة الغربية والضفة الشرقية وأشرف على التعذيب ضباط ألماني برتبة رائد، وتعرضوا لتعذيب جسدي ونفسي شديد ين.

تواصلت الاعتقالات لمدة تزيد عن ستة شهور، واعترف بعض المعتقلين من المدنيين عن ضباط في الجيش بأنهم خططوا لعمل انقلاب، ولكن رفاقهم ضغطوا عليهم باتجاه عدم الاعتراف وعانى من التعذيب الشديد: عياد المالكي، وأحمد سمحان، وألصقت بهما المباحث الأردنية، تهمة الأعداد لنشاط عسكري، والتخطيط لتشكيل تنظيم فلسطيني مسلح. شملت الاعتقالات مدينة نابلس اعتقل هارون رشيد وتيسير لباد، وخالد الطاهر، ومن قلقيلية حسين جبارة، ومن رام الله سمحان زهران، و عياد المالكي، ومنير المالكي، ونمر مرثا، وهرب يوسف البرجي إلى سوريا، ومن بيت لحم موسى درويش وإبراهيم طريف، وغيرهم من الضفة الشرقية. ومن حركة القوميين العرب، اعتقل سمير غوشة، وصبحي غوشة، وحمد ربيع(4).

(1) انظر: 5 آذار 1966 القيادة القطرية تشجب الاعتقالات وتطالب بالإفراج عن المعتقلين، سلسلة نضال البعث: القطر اللبناني، ج 11، ص 219.

(2) انظر: الموسى، سليمان: تاريخ الأردن، ج2، ص 89. وأيضاً: مقابلة أجريت بتاريخ سابق مع عياد المالكي.

ومقابلة أجريت بتاريخ 1 / 11 / 1999 مع تيسير لباد في نابلس، وقد شملتهما الاعتقالات.

(3) انظر: " أسماء الحزبيين الذين أحيلوا للمحاكمة"، صحيفة فلسطين، 15 / 6 / 1966، ص 1.

(4) المالكي، عياد: الفراغ السياسي، ص 40 - 42.

أدت الاعتقالات المتكررة سنويا إلى إتهام حزب البعث بعد حصاد قاداته التي اتبعتها السلطة، وخسارته للعديد من قياداته التي دب في نفوسها الإحباط والإحساس بالوهن، و لقد زادها انقلاب 23/ شباط السوري زيادة في التصدع، ولم تعد بعض قياداته وعناصره تجد فيه حزبا طليعيا، بينما وجد بعضهم في منظمة التحرير الفلسطينية وفصائلها بديلا عنه.

عاد كمال ناصر إلى الأردن يائسا مما قام به انقلابيو 23 شباط / فبراير في سوريا* وبعد أن نجح انبرى يهاجمهم في الشوارع سجنوه حتى فر من سجنه، وفر إلى لبنان ثم لجأ إلى باريس، وعاد إلى بلده بيرزيت - فلسطين في أواخر عام 1966، وبعد عام 1967 شارك في "لجنة انقاذ القدس"، التي نشطت عربيا وعالميا في فضح الإجراءات الصهيونية، وفي يوم الثالث والعشرين من كانون الأول /ديسمبر أعلن راديو العدو الصهيوني عن نفيه وإبعاده وصديقه ابراهيم بكر من قبل السلطات الصهيونية إلى خارج فلسطين، وبعد خروجه ضم عضوا في اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية ومسؤولا للتوجيه والإعلام، وفي عام 1970 أصبح متحدثا رسميا باسم اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية* (1).

* وما قاله من شعر يعبر عن هذه المناسبة:

وعصبة أضمرت للبعث طمعتها
ما كان بها أحرى لو سلكتا
قل للغيارى على أمجاد أمتنا
المجد يعرف من منا غياراه

وحبذا من وهبناهم طلائعنا في

** استشهاد كمال ناصر في بيروت على يد وحدة مظليين إسرائيلية بتكليف من الاستخبارات الإسرائيلية (الشاباك) في العاشر من نيسان 1973، وقد شارك أيهود باراك في اغتياله، ومعه رفيقه كمال عدوان، وأبيوسف النجار.
(انظر: سليمان، سهيل: كمال ناصر، ص 91 - 93، و 136.

الفصل الرابع

تنظيمات البعث في فلسطين بين عامي 1967 - 1982

- 1 (انطلاقة وتأسيس منظمات البعث
أ - تأسيس منظمة طلائع حرب التحرير الشعبية (قوات الصاعقة)
ب - تأسيس جبهة التحرير العربية
- 2 (مستويات النضال، وأشكال الكفاح لمنظمات البعث في ساحة فلسطين
أ (النشاط العسكري لمنظمة الصاعقة
ب) أداء وممارسة جبهة التحرير العربية
ج) وضع حزب البعث في الضفة الغربية وقطاع غزة
- 3) علاقة تنظيمات البعث بـ(م . ت . ف) والفصائل المنضوية تحت لوائها
1 - علاقة منظمة الصاعقة مع الفصائل الأخرى
2 - علاقة جبهة التحرير العربية بالفصائل الفلسطينية
- 4 (موقف منظمات البعث تجاه النظام الأردني وأحداث حرب أيلول 1970
- 5 (موقف منظمات البعث من النظام اللبناني والحرب الأهلية عام 1976
- 6 (أثر أبرز الأحداث على الساحة العربية في تنظيمات البعث
أ (الحرب العراقية - الإيرانية عام 1980
ب) الاجتياح الإسرائيلي للبنان عام 1982

1) انطلاقة وتأسيس منظمات البعث

أ) تأسيس منظمة طلائع حرب التحرير الشعبية قوات الصاعقة

جاء تأسيس منظمة الصاعقة، كتجسيد لموقف البعث، الذي سبق ذكره، تجاه قضية فلسطين والذي بدأت الدعوة له منذ المؤتمر القومي الثالث عام 1959، ونما وتطور هذا الموقف عبر مؤتمرات البعث القومية حتى المؤتمر القومي الاستثنائي التاسع عام 1966 .

لقد أسهم اهتمام البعث المتزايد بتقديم أولوية شعار تحرير فلسطين على شعار تحقيق الوحدة العربية أولاً، إلى الاهتمام ببناء التنظيم الفلسطيني على غيره من الاهتمامات الأخرى، وكانت بدايات هذا التوجه قد اتخذت في المؤتمر القومي الخامس الذي عقد في بيروت عام 1962، وتبع ذلك خطوات عملية مثل تشكيل فرقة خاصة بالطلبة الفلسطينيين ضمن شعبة الطلبة العرب في دمشق وتطورت حتى بلغت مستوى فرع ضم البعثيين الفلسطينيين في سوريا وشكل هؤلاء مع منظمة حزب البعث في الأردن "التنظيم الفلسطيني الموحد" بمستوى قيادة قطرية، في أعقاب "المؤتمر القومي التاسع الاستثنائي" لحزب البعث الذي عقد في دمشق في شهر أيلول / سبتمبر في دمشق 1966(1).

ففي هذا المؤتمر أكد حزب البعث على أهمية قضية فلسطين كقضية قومية استراتيجية، وربط بين الأهداف التكتيكية والاستراتيجية للحزب، ورأى أن الطرح العلمي الموضوعي يقوم على ربط النضال الوحدوي الاشتراكي بقيام حرب تحرير شعبية عربية شاملة تسهم فيها الجماهير العربية الكادحة والقوى التقدمية، وهدفها الأول هو تحرير فلسطين بحيث يؤدي إلى الإسراع في تحرير الوطن العربي بأسره(2) .

وأولى مؤتمر البعث أهمية للدور الطليعي الذي يجب أن يحمل مسئوليته البعثيون في منظمات تحشد طاقات الجماهير، ولقاء يضم القوى التقدمية العربية ويدعو إلى قيام جبهة تقدمية في الأردن تضم الفئات والمنظمات الشعبية الفلسطينية المناضلة وطالب المؤتمر أن يجري إعداد جيد ودراسات للإمكانات وتطبيق شعار حرب التحرير الشعبية في أقرب وقت ممكن(3) .

(1) ياسين، عبد القادر : " الحركات القومية العربية والكفاح الفلسطيني "، شؤون فلسطينية،

ع98 / كانون الثاني / يناير 1980، ص52.

(2) انظر : سلسلة الوثائق العربية 1966، وثيقة رقم 214، ص 482 .

(3) المرجع السابق، ص482- 483 .

أثمرت جهود المؤتمرات القومية والحزبية في سوريا على تأسيس منظمة الصاعقة قبل حرب حزيران / يونيو 1967 بقليل، وتلقت فكرة تأسيسها العون والتشجيع من تنظيم البعث الفلسطيني لكن المنظمة انطلقت رسمياً في أيار / مايو 1968 بقرار من حزب البعث العربي الاشتراكي في سوريا. وعادت أصولها إلى عدة تنظيمات* أو أطراف منفصلة انصهرت خلال عام 1968(1) .

تم دعوة البعثيين في فلسطين والأردن والكويت والقطر السوري لعقد مؤتمر تحضيري سمي ب "المؤتمر التحضيري الفلسطيني"، الذي عقد في شهر أيار/ مايو 1968 وانبتق عنه " التنظيم الفلسطيني الموحد" للحزب والذي تقرر من خلاله أن يكون العمود الفقري لمنظمة الصاعقة، وتكون القيادة القطرية للتنظيم الفلسطيني الموحد هي ذاتها هي قيادة الصاعقة(2) .

اختير ضافي الجمعاني قائداً لمنظمة الصاعقة، كما كان أمين سر " التنظيم الفلسطيني الموحد"، الذي حل تشكيله محل قيادة حزب البعث الأردني، وكانت الفكرة أن العمل الفدائي، وفلسطينية العمل الحزبي هما الوسيلة لتقوية التنظيم الحزبي(3) .

اعتبرت منظمة الصاعقة ذراعاً تنفيذياً لحزب البعث الحاكم في سوريا وفي هذه الخطوة أراد النظام السوري أن يُقلد حركة فتح في تأسيسه (جناح العاصفة) وقامت سوريا بدعم المنظمة مالياً وعسكرياً دون اللجوء لجمع التبرعات المالية من جهات أخرى، واختير لها عدد من ضباط الجيش السوري وقد حظيت باهتمام سوري بالغ من قبل الجناح المدني في حزب البعث بزعامة صلاح جديد، و تدخلت في الأحداث الداخلية لسوريا، وفي عام 1969 اعترفت بها باقي المنظمات الفلسطينية كمنظمة سريعة التطور، وبعد الثورة التصحيحية التي قام بها

* تشكلت الصاعقة من اندماج فصائل جبهة التحرير الشعبية الفلسطينية ومنظمة قوات الجليل مع منظمة طلائع حرب

التحرير الشعبية (انظر : سلسلة وثائق فلسطينية عام 1968، ص 970 – 971) .

(1) انظر : الصايغ، يزيد : منظمة طلائع حرب التحرير الشعبية " قوات الصاعقة"، الموسوعة الفلسطينية، دراسات القضية الفلسطينية، مج 5، بيروت : مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ط 1990، ص 412 .

(2) انظر : الرئيس، رياض نجيب، ودنيا حبيب النحاس : منظمة التحرير الفلسطينية المسار الصعب، ص 73.

وأيضاً : خورشيد، غازي : دليل حركة المقاومة الفلسطينية، بيروت : مركز الأبحاث الفلسطيني، 1971، ص 86.

(3) انظر : الشاعر، جمال : سياسي يتذكر، ص 203 .

حافظ الأسد في 16 تشرين/ أكتوبر 1970 استبدل العديد من قادتها بقيادة مؤيديه للأسد، ووضعت تحت إشراف ضباط من الجيش السوري(1).

جاءت هذه التغييرات بعد أن تعرض رئيس الجمهورية السورية نور الدين الأتاسي واللواء صلاح جديد، ويوسف زعين للاعتقال، وشملت أيضا ضافي الجمعاني، ويوسف البرجي، وحكم الفايز، وقد أمضى هؤلاء (عشرون عاما) في الاعتقال(2).

أحرزت منظمة الصاعقة نمواً وامتداداً أ بين فصائل حركة المقاومة الفلسطينية وانطلاقاً من دعوة حزب البعث لأهمية تعزيز لقاء القوى التقدمية، والوطنية العربية، والثورية العالمية، وما أشارت إليه مؤتمرات حزب البعث، وتراثه النضالي. كما أن منظمة الصاعقة أجرت حواراً واتصالاً مع عدد من فصائل المقاومة، ومنها حركة فتح والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين لغرض المشاركة والدخول في مؤسسات (م. ت. ف) أثمر في عام 1968 في انعقاد الدورة الرابعة للمجلس الوطني الفلسطيني، ولأول مرة شاركت فيه منظمتان فدائيتان هما الصاعقة و حركة فتح.

حددت منظمة الصاعقة صراعا وتناقضا مع الأعداء على النحو الآتي :-

أولا : التناقض بين حركة التحرير الوطني الفلسطينية والعربية من جهة، وما بين قوى الاستعمار والإمبريالية العالمية والرجعية من جهة أخرى .

ثانيا : طبيعة الصهيونية العنصرية والرجعية ونزعتها التوسعية وارتباطاتها مع الإمبريالية تجعل تكوينها موجها لكلا الحركتين حركة التحرير الفلسطينية وحركة التحرير الوطني العربية .

ثالثا : أن الطبيعة الوطنية المتذبذبة للبرجوازية الفلسطينية - الأردنية يجعلها حليفة للاستعمار والإمبريالية و الحركة الصهيونية في بعض الأوقات .على ضوء ذلك ترى منظمة الصاعقة أن معركة التحرير وطبيعة التناقض مع الاحتلال الصهيوني تجعل مسألة تحرير

(1) انظر : وزارة الدفاع الإسرائيلية : المنظمات التخريبية، (د.م) دائرة التربية والتعليم للنشر والتوزيع 1973، ص 20 - 21 .

وقارن أيضا: الرئيس، رياض نجيب، ودنيا النحاس : منظمة التحرير الفلسطينية المسار الصعب، ص 75 .
* أطلق سراح ضافي الجمعاني في نهاية تشرين الأول 1994، وافرغ عن رفاقه وهم: حسن الخطيب ومجلى نصرأوين، ويوسف البرجي، وحكم الفايز في عام 1993، والذين اعتقلوا في 25 حزيران 1971 (انظر : جريدة النهار : فلسطين، الأول من تشرين الثاني 1994، ع 2723، السنة الثامنة، ص4)
وأيضا : مقابلة أجريت مع المحامي منور الريماوي في رام الله بتاريخ 8/1 / 2000 .
(2) انظر : المالكي، عياد : الفراغ السياسي، ص 49 .

فلسطين مهمة تتجاوز طاقات الشعب الفلسطيني وتربط النضال التحرري الفلسطيني بالنضال التحرري العربي حيث يصعب الفصل بينهما (1) .

تناول المؤتمر التحضيري لتنظيم حزب البعث الفلسطيني، الذي عقد في شباط/ فبراير 1968 قضية فلسطين على أنها قضية مستقبل حركة التحرر العربية، وأبرز أهمية الدور الطبيعي للشعب الفلسطيني في ممارسة حرب التحرير الشعبية، وأن فلسطين وال الضفة الشرقية أصبحتا لهما ساحة معركة واحدة، هي معركة التحرير الشعبية الفلسطينية وشددت الصاعقة على أن الكيان الفلسطيني المنشود ليس غاية في حد ذاته، وإنما هو خلق لأداة النضالية لتحرير الأرض المغتصبة وهو ما تقتضيه الظروف النضالية وتعبئة الجهود الفلسطينية والعربية وأكد تنظيم حزب البعث الفلسطيني على أنه لا زال مقتنعاً بضرورة الاستمرار في نهجه وبرنامجه القومي واستمرارية عمل فروع مع التأكيد على نظرة الحزب القائلة بالمحافظة على كيان وشخصية الشعب الفلسطيني(2) .

ب - تأسيس جبهة التحرير العربية

جاءت مبادرة إنشاء هذا الفصيل من قبل القيادة القومية لحزب البعث العربي الاشتراكي في 30 كانون الثاني/ يناير 1968، وكان المؤتمر القومي التاسع* للحزب الذي عقد في بيروت قد قرر في شباط/ فبراير 1968 إنشاء منظمة فدائية باسم جبهة التحرير العربية، وهي منظمة تأتمر بأوامر القيادة القومية في بغداد(3) .

كان تأسيس جبهة التحرير العربية يحمل طابع تعريب القضية الفلسطينية، أي تشكيل جبهة تضم المناضلين من مختلف الأقطار العربية، وتضم الفصائل العربية التي تعمل لتحرير فلسطين وقد وصف رياض الريس خطوة إنشاء الجبهة بأنها " لاقت ترحيباً في العالم العربي على اعتبارها نعمة لحركة المقاومة، والمحاولة الجدية الأولى لتعريب القضية الفلسطينية، ويؤكد اسم الجبهة الطبعة العربية بدلا من الطبعة الفلسطينية لحرب التحرير (4).

(1) انظر :خورشيد، غازي : دليل حركة المقاومة الفلسطينية، ص 88 .

(2) انظر :علوش، ناجي : فكر حركة المقاومة الفلسطينية (1948 - 1987)، ص 116 - 118

* هناك مؤتمرات قوميان أحدهما عقدته قيادة 23 شباط في سوريا والآخر عقدته القيادة التاريخية بقيادة ميشيل عفلق في بيروت، وهو تعبير عن خلافهما حول القيادة القومية والشرعية الحزبية .

(3) انظر :علوش، ناجي : فكر حركة المقاومة، ص 122 .

(4) الريس، رياض ، نجيب الريس، ودنيا النحاس : منظمة التحرير الفلسطينية المسار الصعب، ص 79.

ترى بعض المصادر العبرية والعربية التي تناولت منظمات حركة المقاومة الفلسطينية أن (ج.ت.ع) أسست رداً على منظمة طلائع حرب التحرير الشعبية " قوات الصاعقة " وفي إطار الخلاف بين القطرين البعثيين سوريا والعراق وأنها ضعيفة الفعاليات العسكرية وظلت مجرد تنظيم اسمي(1).

يرى الباحث أن تأسيس الجبهة العربية جاء في إطار التطور الذي سار به حزب البعث في أجنحته المختلفة، الذي أكد أهمية المشاركة في تبني حرب التحرير الشعبية لفلسطين والتطور تجاه استيعاب المتغيرات الجديدة التي فرضت تغيرات في المفاهيم والمستجدات والانتقال من شعار الوحدة قبل العودة إلى شعارات جديدة تؤكد أهمية شعار العودة أولاً، وقد فسر ميشيل علق مبادرة البعث لتأسيس (ج.ت.ع) أنها تهدف إلى " التخلص من أمراضه التي أصابته يريد أن يتجدد كلياً يريد أن يولد ولادة جديدة سليمة، ولادة فكرية ولادة عملية، ولادة نضالية.. الجبهة بالنسبة إلى الحزب ليست جزءاً من عمله، ليست الجزء العسكري ولا الجزء القتالي، ولا الجزء الفلسطيني وإنما هي الحزب بإرادته في الانبعاث من جديد وفي إرادة التصحيح الشامل والعميق في أوضاعه".(2).

أبرزت جبهة التحرير العربية في بيانها السياسي، الذي جاء بمناسبة تأسيسها الصادر في 31 آب / أغسطس 1969 أهمية ما يلي :-

- 1) نبذ أجواء التناذب والعنف والتعصب الفئوي، وهو الجو الملائم للعمل الفدائي والصمود في وجه الاستعمار العالمي والصهيونية كطريق للخلاص.
- 2) أوضحت أن مرور عامين على هزيمة حزيران/ يونيو 1969 كشف عن محاولات تطويق الثورة وحصرها في نطاق قطري ضيق يقطع عنها شريان الحياة الذي يصلها بمنابع القوة والقدرة وهي الجماهير العربية(3).

1) انظر : وزارة الدفاع الإسرائيلية : قسم الإرشاد والتعبئة، المنظمات التخريبية (باللغة العبرية) د.م، 1973، ص 22

وانظر أيضاً : الشاعر، جمال : سياسي يتذكر، ص 203

2) علق، ميشيل : نقطة البداية أحاديث بعد الخامس من حزيران، ص 140 .

3) انظر :جبهة التحرير العربية الطريق القومي لتحرير فلسطين، منشورات جبهة التحرير العربية، رام الله ط2، 2000، ص 8.

3) انتقدت محاولات القوى المعادية التي تتظاهر بتأييد الخصوصية وإبراز الشخصية الفلسطينية والتي تدفع في نهاية المطاف إلى تخلي الفلسطينيين عن القتال والصمود بذريعة عدم القدرة وحدهم على تحقيقه، وهو ما ينقل الشعب الفلسطيني من أمل غير صادق و إلى يأس غير مبرر، وقد استفادت القوى المعادية من قصور الحركات الثورية العربية في ممارسة العمل الشعبي المسلح، لتقول أن المرحلة السابقة شهدت تفريطاً من قبل حركة الثورة العربية(1).

وقد صاغت رؤيتها وبرنامجه السياسي في الدعوة إلى التركيز على ما يلي:

1) تبني شعار الكفاح الشعبي المسلح صعوداً به ليصل إلى حرب التحرير الشعبية العربية وممارسة المقاومة الفلسطينية حرب التحرير الشعبية العربية مقابل تفوق الثقافة الاستعمارية والصهيونية وتهتدي بالفكر القومي العربي الوحدوي الاشتراكي.

2) ربط أهداف البعث ومبادئه النضالية بالقضية الفلسطينية لأن كفاح الجبهة العربية يتصف بالطابع القومي والاشتراكي، والربط بين مبدأ الوحدة كطريق لتحرير فلسطين وفلسطين كطريق للوحدة، وان الفصل بين الشعارين إضعاف للقضية العربية ولمعركة التحرير وإساءة لها وتعتبر جبهة التحرير العربية تنظيم جهوي مفتوح لجميع القوى والفئات الثورية العربية العاملة في سبيل تحرير فلسطين، وهي تنظيم قومي عربي يضم مقاتلين من جميع البلاد العربية، وتقاتل تحت راية مبادئ البعث في(الوحدة والحرية والاشتراكية)، وهي مفتوحة لكل من يؤمن بالكفاح الشعبي المسلح كطريق وحيد لتحرير الأرض والإنسان(2).

وانطلاقاً من أهمية حشد الجماهير العربية في معركة تحرير فلسطين أمام الصهيوني، الذي تواجهه الأمة العربية ؛فقد تشكلت الجبهة العربية من عرب ثوريين، وضمت قواعدها الفدائي السوري، والعراقي، والفلسطيني، والسوداني، والجزائري، والعربستاني، والأرثوري(3).

1) انظر : المرجع السابق، ص 9 .

2) انظر : جبهة التحرير العربية الطريق القومي لتحرير فلسطين، ص17.

3) انظر : مجلة الثائر العربي، ع19، بتاريخ 15 شباط 1970، ص 52.

2) مستويات النضال وأشكال الكفاح لمنظمات البعث في ساحة فلسطين

أ - النشاط العسكري لمنظمة الصاعقة

واجهت الأنظمة العربية ومنها النظام السوري والمصري هزة سياسية بعد حرب حزيران 1967، وقد عبرت التظاهرات الطلابية في مصر عن رفض الهزيمة كما أن النظام السوري وجد نفسه محرجا بعد هزيمته في حرب حزيران / يونيو 1967، وهو النظام الذي رفع شعارات حرب التحرير الشعبية(1) .

قامت منظمة الصاعقة بشن سلسلة عمليات عسكرية في محاولة منها لأخذ زمام القيادة السياسية والعسكرية من أكبر المنظمات الفلسطينية، وهي حركة فتح واعتبرت نفسها أنها تقع على يسار فتح، وهي بذلك تظهر طبيعة التفكير السوري تجاه الثورة الفلسطينية، بدعم وتأييد القيادة المدنية لحزب البعث السوري، ولعبت المنظمة دورا رئيسا في حياة الجماهير السورية، حيث طلب الحزب من المنظمات الالتحاق في دورات تدريبية عسكرية منذ عام 1968(2) .

قامت منظمة الصاعقة بالتنسيق والمشاركة مع الفصائل الفلسطينية الأخرى، ومنها حركة فتح، والجبهة الشعبية الديمقراطية، وجبهة النضال الشعبي الفلسطيني بسلسلة عمليات مسلحة عبرت الجولان والأغوار، وقد نشرتها صحيفة البعث السورية معنونة على صفحاتها الرئيسية(3) .

نشرت الصاعقة عام 1968 سلسلة من البلاغات العسكرية عن نشاطها الفدائي والعمليات التي قامت بها مجموعاتها المسلحة التي عبرت إلى فلسطين المحتلة، و شملت عمليات قنص واشتباكات مسلحة مع دوريات العدو، و يلاحظ أن من أبرزها فاعلية العملية التي قامت بها المجموعة رقم 56 .

(1) انظر: الرئيس، نجيب رياض، والنحاس، دينا : منظمة التحرير الفلسطينية المسار الصعب، ص74.

(2) انظر: الرئيس، رياض نجيب: المرجع السابق، ص 75 .

(3) انظر: صحيفة البعث، ع2143، الأربعاء 25/أذار 1970، ص1

يذكر البلاغ رقم 17 مثلاً أن المجموعة رقم 56 من قوات الصاعقة تحركت ليلة 1 حزيران / يونيو 1968، ونصبت كمينا لدورية إسرائيلية في منطقة ميمان السمان في وادي الحولة، وقد ضمت الدورية الإسرائيلية سيارتين عسكريتين، وناقلة جنود نصف مجنزرة، وعلى مسافة قريبة منها كمن الفدائيون، وترقبوها وكانت حصيلة الاشتباك قتل 35 جندياً صهيونياً واستشهد من الفدائيين عبد الغفور محمد جمعة من الجمهورية اليمنية، ومحمد تيم دعاس، ومحمد عبد القادر(1) .

وتظهر قراءة الباحث لمجموعة أعداد من جريدة البعث الدمشقية أن الصاعقة مارست العديد من العمليات الخاصة والنوعية خاصة عبر هضبة الجولان، وتشارك فصائل أخرى في عملياتها. ففي واحدة من هذه المعارك دخلت مجموعات الصاعقة إلى مدينة القنيطرة واشتبكت مع قوات العدو الصهيوني لأكثر من ساعتين، أصيب العدو بخسائر فادحة، وقد اشتبكت الصاعقة مع إحدى نقاط تمركز العدو الصهيوني شرق معسكر الهندسة سابقاً بالقنيطرة على بعد 100 متر واستخدم الثوار في المعركة القذائف الصاروخية والأسلحة الرشاشة والقنابل اليدوية، مما أدى إلى تدمير آلية العدو ورجع الثوار بأحد الجرحى، وفي أثناء عودتهم دمروا آلية أخرى جاءت لنجدة الأولى(2) .

توزعت عمليات الصاعقة بين عمليات خاصة عبرت في الجولان والأغوار وأخرى تمت من خلال المجموعات العاملة في الجزء المحتل من فلسطين عام 1948، وفي الضفة الغربية وقطاع غزة، وقد تجاوز عدد بلاغاتها عام 1968 أكثر من 39 بلاغاً(3) .

ويلاحظ كذلك عبر قراءة العناوين البارزة في صحيفة البعث الدمشقية في أعوام 1968 – 1972 أن الصاعقة استمرت في تأدية عمليات عسكرية نشيطة سواءً من أراضي الجولان أو الأراضي الأردنية حتى عام 1971(4).

ظلت الصاعقة تتشط في ممارسة عمليات عسكرية، إلى أن تعرضت إلى ضربات في مركزها الأساس تمثلت في خلاف القيادات الرأسية في سوريا، وبحكم ارتباطاتها بالنظام

(1) انظر : وثيقة رقم 375 البلاغ العسكري رقم 17 لقوات الصاعقة ، سلسلة وثائق فلسطينية 1968 ، ص 429 .

(2) انظر : جريدة البعث السورية، كانون الثاني 1970، ع2090، ص1.

(3) انظر : سلسلة الوثائق الفلسطينية العربية لعام 1968، بيروت : مؤسسة الدراسات الفلسطينية، سلسلة الكتاب السنوي الفلسطيني رقم 6، 8، ص 206 – بلاغ رقم 39، ص766

(4) انظر : صحيفة البعث، أعداد : 2093 و2090 و2095 و2096 و2103 و2105 و2117 و2130 و2137 و2139 و2141 و2157 و2906 وغيرها .

السوري تقلصت نشاطاتها، وتراجعت شعبيتها في فلسطين ومواقع الشتات الفلسطيني . تمثلت الهزة السياسية الأولى في انعكاس الخلاف بين أجنحة البعث في سوريا على منظمة الصاعقة بعد أن ظهر إلى السطح في أحداث أيلول /سبتمبر 1970. ففي هذا الوقت ضغط الجناح المدني برئاسة صلاح جديد على الجناح العسكري بقيادة الأسد لإرسال مدرعات إلى الأردن لكنه رفض تقديم غطاء جوي، وقاد الخلاف الناشب إلى نزاع مرير أدى إلى قيام بالثورة الأسد التصحيحية، الذي أرسل بدوره وحدات من الجيش لتطويق قواعد الصاعقة في سوريا المؤيدة لصلاح جديد، في محاولة لتغيير الأوضاع لصالحه وأتبعها بمحاولة عقد مؤتمر للفرع الفلسطيني حتى ينال تأييده لكنه لم يؤد إلى نتيجة عندها قام الأسد باعتقال زعمائها، وتعيين زهير محسن رئيساً لها وكانت تلك الهزة الأولى التي عانت منها الصاعقة رداً من الزمن(1).

تبع الهزة الأولى التي أصابت الصاعقة عام 1970 و 1971 هزة ثانية في الحرب الأهلية اللبنانية، بعد أن انحازت المنظمة إلى قوات التدخل السوري في لبنان .

لقد اهتزت صورة الصاعقة في فلسطين لانحيازها للموقف السوري منذ حزيران وتموز 1976، وقد مارست بعض وحداتها في مخيم تل الزعتر دوراً أشبه ما يكون بدور المتأمر واضطر بعض عناصرها إلى الانخراط في فصائل أخرى وترك هذا الفصيل وقد أصاب الصاعقة تراجع حاد في وجود العناصر الفلسطينية، واختارت غالبيتهم الانخراط في الفصائل الأخرى(2) .

ولقد أثار هذا السلوك غضب قادة المقاومة و جماهير الشعب الفلسطيني، فقد تظاهرت الجماهير الشعبية في مدن الضفة الغربية، ففي مدينة نابلس عم السخط المدينة ضد هذا التدخل والانحياز لقوات الكتائب اللبنانية، وقد أظهر عدد من رؤساء البلديات الفلسطينية استياءهم من السلوك السوري غير المتوقع عند بعضهم في دعم القوى الانعزالية المسيحية في لبنان، بينما كانوا يأملون في مساعدة سوريا للفلسطينيين(3) .

(1) انظر :الريس، رياض نجيب، ودنيا النحاس: منظمة التحرير الفلسطينية المسار الصعب، ص 76 و 77 .

(2) انظر : كوبان، هلينا : المنظمة تحت المجهر، لندن : منشورات هايت لايت، 1984، ص 244.

(3) انظر :جريدة الشعب، فلسطين : القدس / 11 / 6 / 1976، ع 1158، السنة الرابعة، مسيرات ومظاهرات استتكار المأساة، ص 1 .

وانظر : جريدة الشعب، ع 1159، ص 1 .

وفي سجن نابلس قوبل أعضاء الصاعقة بالعزلة في نزوة التدخل السوري في لبنان، وفي عام 1982، و أمام قصور الموقف العربي أمام الاجتياح الإسرائيلي، أصبحت كلمة البعث ممجوجة إلى الحد الذي هتف فيه طلاب جامعة بيرزيت في مناسبات عديدة ضد حزب البعث قائلين :

حزب البعث يرتعب لما يسمع صرختنا . (مشاهدات الباحث أثناء اعتقاله في عام 1977 و 1978، ثم دراسته في جامعة بيرزيت في عام 1981 – 1986) .

وكانت آخر الشبكات والخلايا الكبرى للصاعقة التي أعتقل أفرادها شبكة يديرها المحامي البعثي فريد غنام عام 1976، وتعرض منزله ومكتبه للإغلاق بالأسمنت المسلح؛ (1) وبسبب التعذيب، وآثاره المرضية والإهمال المتعمد استشهد فريد غنام في أيار 1978 (2) .

لقد تأثر حجم منظمة الصاعقة بالظروف المحيطة بفلسطين، وخاصة التقلبات السياسية في سوريا، وبحكم ارتباطها بالنظام السوري.

ففي عام 1968 دخل إليها عدد كبير من الفلسطينيين بفضل اعتمادها على مخزون بشري يعود إلى حزب البعث، ويرجح أن الصاعقة انطلقت بعدد لا يقل عن 200 – 300 مقاتل دائم، وما لبثت أن أضحى 500 مقاتل، وارتفع عددهم إلى 800 – 1000 رجل في الفترة 1969 – 1970؛ وذلك بفضل التجنيد الحزبي لتأدية الخدمة العسكرية وتناقصت إلى 500 شخص في الفترة الواقعة بين عامي 1970 – 1971، وإلى منتصف ذلك العدد في منتصف السبعينيات، وتراجع العدد في أواخر السبعينيات إلى حوالي 200 مقاتل (3) .

(1) انظر : جريدة الشعب، ع / 1070، 10 شباط 1976، ، السنة الرابعة، ص أ .
(2) انظر : مجلة فلسطين الثورة، ع 247، الاثنان 14 / 8 / 1978، ظروف استشهاد المناضل غنام، ص 23 .
(3) انظر : الصايغ، يزيد : 'منظمة طلائع حرب التحرير الشعبية – قوات الصاعقة'، الموسوعة الفلسطينية، مج5، ص 412 .

ب - أداء وممارسة جبهة التحرير العربية

اعتمدت جبهة التحرير العربية في بداية انطلاقتها على قاعدة حزب البعث العربي الاشتراكي في الأقطار العربية المحيطة بفلسطين - شأنها في ذلك شأن الصاعقة - وخاصة في القطر العراقي، ثم لبنان الأردن، ونشطت بين أقلية من الفلسطينيين، وقد ضمت في صفوفها منذ بداية نشأتها أغلبية من الأقطار العربية.(1) وانطلاقاً من مبدأ وحدة المصير التي تربطهما انضمت إليها مجموعة من مقاتلي جبهة التحرير الإريترية(2).

قامت الجبهة بتخريج ثلاث دورات في فترة وجيزة في عامي 1968 و1969 شملت حوالي 300 عسكري، بهذا استطاعت أن تحقق نمواً نسبياً مطرداً ولموسماً في خلال هذه الفترة حتى أيلول/سبتمبر 1970، وقد بلغ عدد أعضاء وحداتها المقاتلة 500 مقاتل(3).

بعد انطلاقها بفترة وجيزة انتقل للعمل في صفوفها أشخاصاً من منظمة الصاعقة رغبوا العمل مع التنظيم المؤيد لحكومة البعث في العراق، وفي إطار الخلاف بين جناحي الحزب انتقل المؤيدون للعراق للعمل في صفوف الجبهة العربية بدلاً من تنظيم الصاعقة(4).

بعد أن تعرضت الثورة الفلسطينية إلى مذابح أيلول 1970 في الأردن تناقصت أعداد مقاتلي جبهة التحرير العربية، وبلغ عدد هم 150 مقاتلاً؛ بسبب مآزق الخروج من الأردن إلى لبنان حيث أعاقت الحكومة السورية انتقال عناصرها إلى لبنان ومنعتهم من عبور سوريا، ومارست الحجر على الجبهة في أراضيها خلاف الفصائل الأخرى وكثيراً ما تعرضت عناصرها للطرد من قبل الحكومة السورية، وصودرت الأسلحة الخاصة بها، واعتقلت ناقلاتها، كما أن العلاقات العراقية - الفلسطينية ساءت بسبب موقف القوات العراقية في أحداث أيلول 1970، حيث وصف موقفها بالحياد برغم نداءات المقاومة لها بالتدخل كما نسب لأحد قادة الجبهة الدكتور منيف الرزاز أنه هادن الملك حسين، وهو موقف جعلها تعاني منه فترة من الزمن حتى عاد دورها الفاعل يظهر في الجبهة العربية المشاركة للثورة الفلسطينية عام 1972،

(1) انظر: الرئيس، رياض نجيب: منظمة التحرير الفلسطينية المسار الصعب، ص 81 .

(2) انظر: مجلة الأحرار " مع ثوار إريتريا في فلسطين"، ع 655، 14 تشرين ثاني 1969، ص 16 .

(3) انظر: الصايغ، يزيد: جبهة التحرير العربية: الموسوعة الفلسطينية، مج5، ص 410 .

(4) انظر: الشاعر، جمال: سياسي يتذكر، ص 203 .

ثم استفادت من موقف العراق الداعم للثورة الفلسطينية الذي وقف ضد القوات اللبنانية في الاشتباكات التي حدثت بينهما عام 1973(1).

رد مجلس قيادة الثورة العراقي على الذين اتهموه بالتقصير في أحداث أيلول بأنه أجرى اتصالات مع رئيس (م. ت. ف) السيد ياسر عرفات، وتم بحث الأوضاع، وأنه اكتفى بطلب المساعدة المالية والتسليحية والإعلامية، وأن العراق التزم بذلك قبل بدء الصدام وخلال الحوادث أيضاً(2).

عادت الجبهة تبني قوتها بصورة تدريجية، وقد تحملت الخسائر في جنوب لبنان ووسطه حتى انتهت بقوة تبلغ حوالي 250 مقاتلاً عشية الاجتياح الإسرائيلي للبنان عام 1982 عدا الميليشيات والمناصرين لها(3).

اهتمت الجبهة العربية بتنسيق عملياتها مع المنظمات الفدائية، ونسقت جهودها أحيانا مع قوات من الجيش الأردني في صد دوريات إسرائيلية حاولت العبور من نهر الأردن في الغور الشمالي، وكانت غالبية عملياتها الخاصة تحتل منطقة ممتدة بين مستعمرة أتمار جنوب البحر الميت إلى منطقة جنوبي لبنان، وقد اشتركت دوريات جبهة التحرير العربية، والدوريات المشتركة للفصائل الأخرى في مهاجمة مواقع عديدة، ومنها منطقة : أم سدر، والتركمانية وتل أبو السفاح ومخاضة الخطيب والمشارع(4).

عملت الجبهة العربية على تعزيز الوحدة الوطنية، كما شنت أكثر من 600 عملية بعد مرور عام على انطلاقها، وانطلقت غالبية عملياتها العسكرية من الضفة الشرقية لنهر الأردن،

(1) الريس، رياض : منظمة التحرير الفلسطينية المسار الصعب، ص 82 - 83، و 139 .

(2) انظر : سلسلة الوثائق الفلسطينية العربية عام 1970، بيروت : مؤسسة الدراسات الفلسطينية، أبو ظبي : مركز الوثائق والدراسات، 1972، ص 154 - 155 .

* يذكر أمين عام (ج. ت. ع) للباحث أن عدد المقاتلين في هذا التاريخ بلغ 1000 مقاتل وعدد المسلحين من الميليشيات الداعمة لها 5000 مقاتل، وأن عدد معتقليها في سجن أنصار بلغ 600 شخص .، وأن الذين خرجوا من لبنان إلى العراق بلغوا 250 عنصراً، ناهيك عن الذين خرجوا إلى الأقطار العربية الأخرى .

(3) انظر : الصايغ، يزيد: "جبهة التحرير العربية"، الموسوعة الفلسطينية، دراسات القضية الفلسطينية، مج 5، ص 410 .

(4) انظر : "نوات جماهيرية لجبهة التحرير العربية في كافة مخيمات لبنان"، مجلة الناشر العربي ع 18، 15 كانون ثاني 1970، ص 42.

وشاركت في الدفاع عن الثورة الفلسطينية، وتقديم الشهداء العرب ورسخت وجودها في لبنان، وبنيت قواعد لها في المخيمات الفلسطينية(1).

يلاحظ عبر قراءة سلسلة البلاغات التي نشرت في مجلة الثائر العربي الناطقة بلسان الجبهة العربية، أو التي أذاعها الكفاح الفلسطيني المسلح، أنها اهتمت بالقيام بعمليات مشتركة مع الفصائل الأخرى والتي بلغت 381 عملية وقنص، قام بها ثوار الجبهة خلال عامهم الأول وتشمل 42 عملية مشتركة قامت بها الجبهة مع المنظمات الفلسطينية الأخرى، مثل: قوات العاصفة، والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين(2).

وهذه قائمة بعمليات الجبهة وفق التسلسل الزمني خلال عام 1969، كما تظهر في الجدول

الآتي:-

6	نيسان
1	أيار
2	حزيران
6	تموز
28	آب
41	أيلول
80	تشرين أول
153	تشرين ثاني
64	كانون أول

نلاحظ من خلال الجدول أن عمليات الجبهة أخذت تتزايد في شهر آب، وربما يرتبط بزيادة الخبرات ومعرفة المنطقة بصورة أفضل، وتحديد أهداف العدو والتعرف على مراكزه العسكرية كذلك أسهمت الظروف المناخية في توفير ظروف أفضل للعمليات، وقد تكون هناك أسباب أخرى يتعذر معرفتها .

(1) انظر : هيئة الموسوعة الفلسطينية: " جبهة التحرير العربية "، الموسوعة الفلسطينية، القسم العام، مج 1، ط 1984، ص 517.

(2) انظر : " 381 عملية قتالية وقنص قام بها ثوارنا خلال عامهم الأول مجلة الثائر العربي ع 18، 15 كانون الثاني، 1970، ص 65 - 66 .

وشملت عمليات الجبهة العربية مناطق : هضبة الجولان رغم تعرضها للحوادث التي فرضت من قبل الحكومة السورية، و غور الأردن الأوسط وشملت مستعمرات أم سدره والتركمانية وكفار روبين المحصنة، وغور الأردن الجنوبي وشملت مصنع البوتاس، وهيكار، و هوجمت مراكز عديدة في الجليل الأعلى، ومنها: قرية المطلة، ومغفر العباسية، وقد تراوحت أعمال (ج.ت.ع) بين عمليات قنص واشتباكات مسلحة، وهجمات مباغته على المستعمرات الحدودية(1).

لم تمارس الجبهة العربية العمليات الخارجية كخطف الطائرات، الذي سارت عليه الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، مع أنها تؤمن بضرب المصالح الصهيونية والإمبريالية أينما وجدت إلا أنها تخشى من أن تضر هذه العمليات بمصلحة الشعب الفلسطيني، نظرا لما تمثله من آثار على الرأي العام المؤيد للشعب الفلسطيني، كما أن الإعلام الصهيوني يسيطر على الرأي العام العالمي ولذا تخشى من أن تقع في أحابله مما يدفع إلى استنكار واستهجان هذه العمليات(2).

نجحت (ج.ت.ع) في الدخول إلى ساحة لبنان منذ انطلاقتها في عام 1969 مستفيدة من الدعم الذي تلقته من حزب البعث العربي الاشتراكي اللبناني والمؤيد للعراق برئاسة الأمين القطري الدكتور عبد المجيد الرافعي، فقد رفدها بعدد كبير من المقاتلين والمؤيدين والأنصار، وأدى إلى نجاحها، و تثبيت قدم المقاومة الفلسطينية في لبنان، بعد أن رفعت مبدءاً أساسيا في الثورة الفلسطينية وركزته الأساس هو : " أن المهم أين تصل قدم المقاتل لا أين تصل قذيفته . وأنه لمن المؤكد لدى جماهير الشعب العربي أنه ما لم تنفجر الثورة داخل الأراضي المحتلة وتستمر وتتصاعد، فإن قدرتها في بلوغ هدفها تبقى محدودة في إطار حرب الاستنزاف التي تدعو إليها الأنظمة العربية (3).

لم تهتم (ج.ت.ع) في بداية انطلاقتها بنشر بيانات عن عملياتها العسكرية إلا أنها بعد مرور بضعة شهور من إعلان انطلاقتها في ليلة السابع من نيسان / أبريل 1969، وبعد أن وجهت لها تهمة التقصير، وحرصا منها على الثورة وتفويت الفرصة على الاحتلال الصهيوني

(1) انظر : " 381 عملية قتالية وقنص قام بها ثوارنا خلال عامهم الأول "مجلة الثائر العربي ع 18، 15 كانون الثاني، 1970، ص 67 – 69 .

(2) انظر : "الرفيق الأمين العام زيد حيدر : القيادة الموحدة هي الممثلة للشرعية الثورية"، مجلة الثائر العربي، ع 21، 23 نيسان، 1970، ص 14 .

(3) منشورات جبهة التحرير العربية: جبهة التحرير العربية الطريق القومي لتحرير فلسطين، ص 154

عمدت إلى نشر بياناتها باقتضاب، بحيث يشمل كل بيان مجموعة من العمليات، واهتمت بالعمل الصامت دون إعلان ونشر، واعتبرت عملياتها التي قامت في الشهور الأولى من انطلاقها بأنها عمليات استطلاع للتعرف على الأرض المحتلة، وتطورت العمليات إلى ذلك المستعمرات الصهيونية، وفي الشهور الأولى التي تبعت تأسيسها كانت تنشر بياناتها كل شهر إلى أن انتهت بنشرها أسبوعيا لإيمانها أن العمل يجب أن يسبق الإعلام دائما(1).

اتسمت بيانات الفصائل الفلسطينية بالتضخيم وقتئذ كما أن عدة فصائل كانت تعلن مسؤولياتها عن العمليات التي تجري في الداخل، و عن زرع عبوة ناسفة، ولا زالت هذه الإشكالية واردة وتكرر إلى يومنا هذا .

وفي نطاق الإعلام وأهميته في تبيان الحقيقة . طالبت الجبهة العربية بثورة في الإعلام تتجنب نشر البلاغات المضخمة، وحرصت على تجنب الإعلان عن عمليات الداخل كما أنها تفهم الإعلام كوسيلة تثقيف وتوعية ولهذا عملت على توزيع ملصقات تفيد هذا الغرض(2).

اهتمت الجبهة العربية بتوحيد أداة الثورة الفلسطينية، وأصررت على أهمية الوحدة من منطلق حرصها، وإيمانها بأهمية العمليات الثورية كطريق يقرب القلوب ويوحد الأفكار ويدمج العقول ولأن اللقاءات المشتركة والمختلطة في القواعد وأرض المعركة تخلق جو الوحدة(3) .

عملت الجبهة العربية على تطوير تركيبها الداخلية وتطوير فعاليتها النضالية بعد خروجها من الأردن، ففي عام 1972 عقدت مؤتمرا تأسيسا تمثلت فيه جميع القطاعات النضالية وناقشت تقارير مختلفة من قياداتها، وأخذت تلعب دورا ملموسا في تعميق وحدة النضال بين فصائل

(1) انظر : " 381 عملية قتالية وقنص قام بها ثوارنا خلال عامهم الأول "، مجلة الناصر العربي، ع8 ابتساربخ 15 كانون الثاني 1970، ص65.

(2) انظر : " حول السياسة الإعلامية لجبهة التحرير العربية المطلوب ثورة في الإعلام لا ثورة الإعلام " مجلة الأحرار، ع 683، 29 أيار 1970، ص 6 .

وايضا: "الرفيق الأمين العام زيد حيدر : القيادة الموحدة هي الممثلة للشرعية الثورية "، مجلة الناصر العربي، ع21، 23 نيسان 1970، ص6

(3) انظر : "الرفيق الأمين العام زيد حيدر : القيادة الموحدة هي الممثلة للشرعية الثورية "، مجلة الناصر العربي، ع21، 23 نيسان 1970، ص6.

(م.ت.ف) وفصائل الحركة الوطنية اللبنانية وأصبحت همزة وصل بين الطرفين، وفي الكفاح ضد المتآمرين على حركة المقاومة الفلسطينية(1) .

تظهر قراءة في نشاطات الجبهة على الصعيد العسكري وفعاليتها العسكرية الدور المتميز الذي أسهمت به الجبهة العربية في لبنان، ونظرا للدور الذي قامت به في الدفاع عن الأرض اللبنانية إلى جانب الفصائل الأخرى فقد باتت الجبهة مستهدفة من قبل الاحتلال الصهيوني في مناسبات عديدة، ففي كانون الثاني/ يناير 1971 تعرضت قواعدها للهجوم والقصف الصهيوني بعد قيامها بالعديد من العمليات العسكرية، وكانت قرية كفر كلا في الجنوب اللبناني من القرى التي تعرضت لاعتداء صهيوني تمثل في هجوم 300 جندي من المشاة يساندتهم طيران العدو الذي كان يأمل في مفاجأة الفدائيين المرابطين في منزل عبد الأمير حلاوة أحد قادة الجبهة في الجنوب اللبناني، وقام الإسرائيليون بوضع الألغام في بيته، وبيت محمد جمعة، ونسف منزلهما لكن الرشاشات والقنابل اليدوية انهالت عليهم وحدث الالتحام بين الفدائيين والإسرائيليين، وأخذ وفريق من شباب القرية في المعركة(2) .

ومن المعارك التي تصدت فيها الجبهة العربية للعدو الصهيوني (معركة حلتا) في جنوب لبنان والتي تمت في وقت كان يستضيف فيه اللبناني حسين علي شبل ثلاثة فدائيين من عناصرها، وقد استيقظ على صوت القنابل المضيفة في سماء القرية، ووقنتذ تصدى صاحب البيت، وفدائيو الجبهة العربية للعدو الصهيوني والذي قام بعملية إنزال مظليين وقد أفقدت العدو توازنه، وكانت بمثابة معركة كرامة جديدة(3). وقد سقط عدد من فدائيي الجبهة العربية في هذه الغارة، و أوقعوا خسائر كبيرة في فريق الإنزال الصهيوني(4).

ومن نشاطاتها قيام أحد مجموعاتها بعملية عسكرية، ليلة الأربعاء الموافق 3 كانون الأول / ديسمبر 1969، التي تم فيها نصب كمين لسيارات العدو التي تتوجه إلى مصنع التعليب جنوب بحيرة طبريا في منطقة الجليل الأعلى، وقد ورد في تقرير قيادة الجبهة العربية في القطاع

(1) هيئة الموسوعة الفلسطينية: جبهة التحرير العربية، الموسوعة الفلسطينية، القسم العام، مج 1، 1984، ص 517 .

(2) انظر : " كفر كلا قرية لبنانية صامدة "، مجلة الأحرار، ع 718، 5 شباط 1971، ص 4 - 5 .

(3) انظر : " تحقيق المصور القاهرية عن الكرامة الصغيرة في حلتا " مجلة الأحرار اللبنانية، ع 652، 24 تشرين أول 1969، ص 1 .

* استشهاد المناضل أحمد محمد مصلح في هذه الغارة، كما سقط المناضلان حسين علي قاسم (اللبناني) ومحمد لطفى أبو شامة (الفلسطيني) .

(4) انظر : مجلة النائر العربي، ع 18، 15 كانون الثاني، 1970، ص 66

اللبناني أن ثوارها هاجموا بالأسلحة حافلة إسرائيلية، في وقت كانت تتقدم فيه سيارة جيب عسكرية للحراسة، وقدرت الجبهة العربية خسائر العدو بـ 55 قتيلًا وجريحًا وتدمير سيارة الجيب العسكرية وقتل جنودها وعاد الثوار سالمين ومخترقين الطوق الذي ضرب حولهم، واعترف العدو الصهيوني بخسارته لـ 15 جنديًا، ورد عليها باعتدائه على منطقة العرقوب(1).

هاجم سلاح الجو الإسرائيلي قواعد الفدائيين في العرقوب، التي قابلها الفدائيون بالوحدة القتالية ونجحوا في إسقاط طائرة نهار الخميس في 8 كانون الثاني/يناير 1970 وقد استشهد مقاتل من جبهة التحرير العربية(2).

رد الفدائيون الفلسطينيون بشن هجوم جديد على المستعمرات الصهيونية، والذي ضم مجموعات من الجبهة العربية وفتح والصاعقة، وشملت الزراعة وبيسان وكفار رويين وسدوت يعقوب وشعارهغولان، وقد استخدم العدو طيرانه لكسر حدة الهجوم وحلق طيرانه أربع ساعات وأغار على الشونة الجنوبية وتل السكر(3).

ظلت الجبهة العربية تخوض مع الفصائل الأخرى معركة الدفاع عن الوجود الفدائي في لبنان، وهي تتصدى لعمليات الاجتياح المتكررة على هذا البلد ففي الثاني عشر من أيار/مايو 1970 هاجمت إسرائيل مواقع المنظمات الفدائية في مواقع الخريبة والهبارية وكفرشوبا وكفر حمام في جنوب لبنان، وقاتل فدائيو (ج.ت.ع) جنبا إلى جنب مع رفاقهم من المنظمات الأخرى كمنظمة فتح، والصاعقة، والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين. تم هجوم العدو الصهيوني عند الفجر وبدأ بقصف صواريخ أرض أرض لمدة ساعة، وتحركت مجنزراته التي قوبلت بأسلحة خفيفة ومتوسطة وفي معركة الخريبة أعطب الفدائيون اثنتين بوساطة الألغام، وسقط

(1) انظر: "المدون على العرقوب جاء ردا على عملية باهرة لجبهة التحرير العربية" مجلة الأحرار، ع 659، 12 كانون الأول 1969، ص 11.

(2) فتح وجبهة التحرير العربية تسقطان طائرة إسرائيلية في العرقوب، مجلة الأحرار، ع 664، 17 نيسان . ص 12.

(3) انظر: "ثوار جبهة التحرير العربية، وفتح والصاعقة يشنون أوسع هجوم على مستعمرات إسرائيلية"، مجلة الأحرار، ع 677، 17 نيسان 1970، ص 7.

للجبهة العربية* شهيدان، وقد شيعتهما جماهير طرابلس في موكب جنازي شاركت فيه جماهير
غفيرة من المواطنين اللبنانيين وكانت مظاهرة تأييد للجماهير في الدفاع عن أرض الوطن(1).

وتتحدث مصادر الجبهة العربية في هذه الفترة عن نماذج كفاحية بارزة، فقد سقط لها
شهيدان** في ساحة العرقوب بعد أن فجر مجزرتين للصهاينة اللتين تقدمتا إلى الخريبة(2).
واصلت الجبهة العربية عملياتها الفدائية الخاصة من الأرض اللبنانية، وقامت بعمليات
بارزة مثل كفار جلعادي التي استمرت من الساعة الحادية عشر والنصف ليلة 9 تشرين الأول /
أكتوبر / 1975 حتى الساعة التاسعة والنصف من صباح اليوم التالي، واستشهد فيها
الفدائيون(3).

كذلك جاءت عملية كفار يوفال (إيل القمح) بناء على أوامر من قيادة فرع الداخل في
جبهة التحرير العربية، بقيادة الشهيد محمد جابر نبهان، وهاجمت المجموعة المستعمرة الواقعة
شمالي كريات شمونة، واشتبكت مع العدو الصهيوني، وسيطرت على أحد بيوت الشباب من
المنظمة الصهيونية الناحل، ووزعت بيانا طالبت فيه بإطلاق اثني عشر فدائيا في سجون
الاحتلال الصهيوني وعلى الأثر هاجمت قواته المبني في محاولة لتحرير الرهائن، وخاض
الفدائيون اشتباكا معهم وقد اعترف راديو العدو باللغة الإنكليزية بسقوط 21 قتيلًا و 73 جريحًا،
وقتل أحد كبار الضباط المهاجمين، واستشهد الفدائيون بعد قتال استمر 6 ساعات(4).

وقامت الجبهة العربية بعملية طبريا، التي قادها الشهيد الرائد خالد محمود الذيب في
4أب/أغسطس 1977، التي تمت بعد عودة دورية تابعة لها، وقد اشتبكت مع كمائن العدو
الصهيوني بالقرب من مستوطنة سدوت يعقوب التي تبعد أربع كيلومترات جنوب بحيرة طبرية،
وقد نجح بعض مقاتلي الجبهة في الانسحاب رغم الطوق الصهيوني الذي ضرب على المنطقة،

* الشهيدان هما: أحمد هو شر وسمير حمود، من مدينة طرابلس بلبنان 1970 .

1 (انظر : ' وحدة الدم العربي على صخور جنوب لبنان '، مجلة الأحرار، ع 681، 15 أيار 1970، ص 3 و 5

** هما : بكر سليمان الملقب (بصقر البعث) من العراق و محمد ذيب الترك (طرابلس - لبنان)

2) أنظر : 'صقر البعث'.. بطل معركة الخريبة في العرقوب '، مجلة الأحرار ع 682، 22 أيار 1970، ص 5

* سقط من الشهداء : الشهيد حسن شطي الصوفي (غزة - فلسطين) قائد العملية، والشهيد قاسم رشيد الطائي (بغداد -
العراق)، والشهيد عبد الرحمن أمز غار (المغرب)، والشهيد فكريت أوز باطماز (بورصة - استنبول).

3) أوراق محفوظة لدى الجبهة العربية عملية كفار جلعادي، 225 - 227 .

سقط فيها من الشهداء : الشهيد نعيم توفيق الحاج قائد العملية (فلسطيني من مواليد معسكر اليرموك)، والشهيد كاظم
موات عراقي الجنسية، والشهيد أحمد خالد الجلاب سوري الجنسية، والشهيد أحمد محمد شلال التميمي عراقي الجنسية .

4) انظر : أوراق محفوظة لدى (ج . ت . ع)، عملية كفار يوفال، 220 - 224 .

وقدرت خسائر العدو بحوالي 30 قتيلًا وتدمير ثلاث مجنزرات وتدمير ناقلة جنود بمن فيها، وكانت خسائر الجبهة العربية شهيدان وثلاثة أسرى، وقد أصيبوا أثناء المعركة بجروح بليغة(1). ومن عمليات الجبهة العربية عملية مسكاف هعام في 8 نيسان/ أبريل 1980، وعمليات داخل فلسطين منها محاولة اغتيال شارون، وخطف جندي إسرائيلي في العام نفسه . وتصدت للعدوان الإسرائيلي المتكرر على جنوب لبنان في سنوات السبعينيات وفي اجتياح القوات الإسرائيلية للبنان عام 1982(2) .

تمثلت عملية مسكاف هعام باقتحام مستعمرة إسرائيلية في الجليل الأعلى وفيها استشهد بعض أعضاء المجموعة الفدائية، وقتل 13 مستوطنًا وجرح 11 مستوطنًا وقد طالب الفدائيون بتحرير خمسين من زملائهم في سجون الاحتلال، وقد زار عيزر وايزمن وزير الدفاع هذا الموقع وهدد باتخاذ عقوبات رادعة ضد الفدائيين(3) .

بعد عام 1982 لم يقرأ الباحث أو يسمع عن عمليات خاصة قامت بها الصاعقة أو الجبهة العربية وصولاً إلى فلسطين مما يرتبط بالمأزق الذي وصلت إليه جبهة جنوب لبنان والأوضاع التي مرت بهما المنظمتين بعد قيام الحرب العراقية – الإيرانية والاجتياح الإسرائيلي للبنان، وخروج منظمات المقاومة الفلسطينية منه. رغم ذلك يصح القول أن الجبهة العربية وبموازرة البعث اللبناني أسهمت بمجهود نضالي كبير قياساً بعدد عناصرها وقد بلغ شهداء الجبهة قرابة 500 شهيد حتى عام 2000(4) .

(1) انظر: أوراق محفوظة لدى الجبهة العربية، 230 – 233 .

من شهداء الجبهة الشهيد الرائد خالد محمود الذيب، والشهيد فهمي إبراهيم صالح أبو عيشة (بئر السبع) .

(2) هيئة الموسوعة الفلسطينية: "جبهة التحرير العربية"، الموسوعة الفلسطينية، القسم العام، مج 1، ص 518 .

(3) انظر: "رجال المنظمات الفلسطينية يقتحمون مستوطنة في الجليل الأعلى مقتل المسلحين و13 إسرائيليًا وإصابة 11

جنديًا بجروح"، صحيفة القدس، ع 3916 الثلاثاء 8 نيسان 1980، ص 1، و 7 .

(4) انظر: وثيقة أعدتها (ج. ت. ع) عن أسماء شهداء الجبهة العربية نيسان 2000، حصل الباحث على نسخة منها .

وأيضاً: مقابلة أجريت بتاريخ سابق مع الأمين العام لجبهة التحرير العربية.

ج - وضع حزب البعث في الضفة الغربية وقطاع غزة

واجه حزب البعث في الضفة الغربية وقطاع غزة عددا من المعضلات والمصاعب والمتغيرات السياسية التي أثرت على أسلوبه وطريقة عمله، ومن أبرزها الميل العربي الفلسطيني للعمل الفدائي، وهو النشاط الذي سلك طريقه البعث، وتمثل بنشاط الصاعقة وجبهة التحرير العربية، كما أن انقسام البعثيين بين مؤيدي للعراق وسوريا جعل التنظيم البعثي في فلسطين ينقسم باتجاهين مؤيد لكليهما .

ثم أن إسرائيل قبضت على ملفات المخابرات الأردنية التي شملت التحقيقات مع البعثيين والشيوعيين والقوميين العرب الذين زج بهم في عام 1966 في سجون الأردن وهو ما جعل هذه القيادة ضعيفة البنيان وعاجزة عن قيادة حركة المقاومة في الأراضي المحتلة في ظل القيود المشددة، وظلت هذه القيادات أمام العين الإسرائيلية الساهرة وأجهزتها التي تراقب بشدة مع التهديد والإنذار الدائم ضد أي تحرك للوطنيين (1) .

إلى جانب إبعاد الاحتلال الصهيوني لنشيطين في الحزب، ولا ننسى أن بريق التيار القومي العربي تراجع بسبب هزيمة حزيران/يونيو 1967. رغم ذلك جرت محاولات لإعادة النشاط الحزبي و العمل الجماهيري الشعبي في ظل الاحتلال . كما أن الاحتلال قام باعتقال عدد من البعثيين ونفي آخرين** (2) .

تولى أسعد عكة المسؤولية عن تنظيم رام الله والضفة الغربية، وقد سافر إلى الخارج وعندها تسلم القيادة إبراهيم البرغوثي عن قوات التنظيم العسكري الفلسطيني (الصاعقة) والتنظيمات البعثية السياسية الموجودة على ساحة فلسطين وقد حدث صراع جديد بين البرغوثي والمسؤول المالي عزمي مرار وعين من قبل السوريين دون انتخاب وارتبط هؤلاء بسوريا، ولم

(1) اللئثار العربي كلمة ، مجلة اللئثار العربي، ع 18، 15 كانون الثاني 1970، ص 5 .

* سجن بسام الشكعة، وعياد المالكي، ومحمد أمين وغيرهم بناء على تقارير المخابرات الأردنية التي وقعت في يد الاحتلال بعد هزيمة حزيران (مقابلات أجريت معهم في تاريخ سابق) .

** نفي كمال ناصر في 20 كانون أول 1967، وياسر عمر وفي 6 أيلول 1968 (انظر : ملف الإبعاد من 1967 – 1992، ج1، 1967 – 1970، مجلة الجليل، القدس، ع1، رام الله : المركز الفلسطيني للدراسات والنشر، 1994، 170ص – 171) .

(2) انظر : سليمان، سهيل : كمال ناصر، ص 91 .

وأيضا: مقابلة أجريت بتاريخ سابق مع ياسر عمرو .

وأيضا: مقابلة أجريت بتاريخ سابق مع تيسير لبادة في نابلس .

تل هذه الخطوة استحسان البعثيين الذين قرروا إجراء انتخابات لتثبيت الشرعية وإعادة الروح الديمقراطية وهي انتخابات أخذت طابع المناورة والتكتيك بحيث ضمنت نجاح بعضهم وهو ما قاد إلى العمل على إبعاده إلى الضفة الشرقية، وعين أحمد عقل بدلا منه، وبعد فترة سافر إلى الولايات المتحدة وترك وراءه علامات استفهام حول مالية التنظيم وعين يوسف البرجي قائدا لقوات الصاعقة(1).

وجرت عملية انتخاب جديدة للتنظيم الحزبي في بيت تيسير لباده بمدينة نابلس وانتخب عياد المالكي أمينا لفرع الضفة الغربية، وكان يرغب في رآب الصدع وتقريب وجهات النظر بين القطرين السوري والعراقي، وإعادة وحدة الحزب، وكانت الفكرة تقوم على الاطلاع على مجريات الأمور في كلا البلدين والتي كانت غير واضحة أسباب الخلاف فيها(2) .

في الأول من آب /أغسطس 1967 تشكلت سرا الجبهة الوطنية المتحدة في قطاع غزة والتي ضمت كلا من الحزب الشيوعي، وحزب البعث، وجبهة تحرير فلسطين (ج.ت.ف) فضلا عن بعض الشخصيات الوطنية الديمقراطية ذات الوزن العربي والدولي(3) . ومن أبرز هذه الشخصيات منير الريس رئيس بلدية غزة(4) .

وأصدرت هذه الجبهة ميثاقها في 30 أيلول / سبتمبر من السنة ذاتها، وتضمن برنامجها أنها ستناضل من أجل سحب قوات الاحتلال الإسرائيلي وعودة الإدارة المصرية إلى القطاع وإسقاط مشاريع التصفية، ومقاطعة قوات الاحتلال في كافة المجالات(5).

لقد خاضت " الجبهة الوطنية " سلسلة مظاهرات في مناسبات وطنية مختلفة ووضعت ألغام في مواقع مختلفة من القطاع سببت قتل جنود الاحتلال، وإلى جانب ذلك شكلت تنظيمات مسلحة في كانون الثاني / ديسمبر 1967 . تراجعت المقاومة الشعبية التي قادتها الجبهة الوطنية ضد الاحتلال، بعد نجاح الاحتلال الصهيوني في القضاء على عدد من قادتها العسكريين،

(1)المالكي، عياد : الفراغ السياسي، ص46.

(2)المالكي، عياد : المرجع السابق نفسه ، الصفحة نفسها .

وأيضاً: مقابلة أجريت بتاريخ سابق، مع ياسر عمرو

(3) ياسين، عبدالقادر : " القصة الكاملة لإنشاء الجبهة الوطنية المتحدة في قطاع غزة"، مجلة شؤون فلسطينية، ع101، نيسان 1980، ص 35 .

(4) مقابلة أجريت بتاريخ سابق، مع وفا الصايغ.

(5) ياسين، عبدالقادر :مرجع سابق، ص35.

وخاصة من الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين و قوات التحرير الشعبية وفي ظل الحرب التي شنت في أيلول ضد الوجود الفدائي في الأردن، وتوقف حرب الاستنزاف ومبادرة الاحتلال فتح باب العمل للتجار والعمال(1).

ظل حزب البعث قائما في الضفة الغربية وقطاع غزة، ولكن نشاطه كان محدودا كما تأثر بالخلاف بين قيادتي العراق وسوريا وتضاءل نضاله، وجرى تعيين قياداته من الخارج ورغم ذلك شارك في الأحداث المهمة في الضفة الغربية منها تشكيل (الجبهة الوطنية) عام 1974 واعتمد نشاطه على الشخصيات القيادية البارزة فيه ومما يجدر بالذكر أنه تم تعيين فرحان أنيس، وإبراهيم طريف وعزمي مرار، وأمين شحادة لقيادة فرع الضفة الغربية من قبل قيادة البعث في العراق بعد قيام ثورة 17 تموز / يوليو 1968(2).

تكونت الجبهة الوطنية الجديدة في آب / أغسطس 1974، وسميت الجبهة الوطنية الفلسطينية وكان يرأسها كريم خلف رئيس بلدية رام الله، وكان الحزب الشيوعي نواة الجبهة، وانضمت إليها تشكيلات من حزب البعث، والقوميين العرب، ومن (م. ت. ف) وانتهت بخلاف بين حركة فتح والحزب الشيوعي (3).

جرت انتخابات للمجالس البلدية في نيسان / أبريل 1976، والتي تم فيها تعديل القانون الانتخابي الأردني ، الذي صدر 1955، بحيث يسمح للذكور والإناث الانتخاب والترشيح من سن 21 عاما، وفي لقاء شمعون بيرس مع رئيس بلدية بيت جالا، وأعضاء المجلس البلدي أعلن أن هدفه إقامة حكم ذاتي وتوسيع صلاحيات المجالس البلدية، وقد وضع نصب عينيه أن فوز مؤيدي (م.ت.ف) سيكون قليلا ، ومارست إسرائيل ضغطا على الكتلة الوطنية حيث طردت حمزة النتشة وعبد العزيز الحاج أحمد، ولكنها أعطت دفعة جديدة للمرشحين وتسمت الكتل الوطنية بأسماء مختلفة منها الديمقراطية أو الشعبية وتألقت من شيوعيين وبعثيين* ويساريين،

(1) ياسين، عبدالقادر : مرجع سابق، ص 36-37 .

(2) مقابلة أجريت بتاريخ سابق، مع الطبيب خالد الدرزي في مدينة طولكرم.

وأبضا : مقابلة أجريت بتاريخ سابق مع فرحان أنيس .

(3) انظر : ماعوز، موسى : القيادات الفلسطينية في الضفة الغربية أسرار وتحركات ومواقف، (ب.ط) (د.م)، و(د . ت)، ص 7 .

* كان من بين أعضاء حزب البعث الفائزين في الانتخابات الآتية أسماؤهم : فاز مالك الحاج إبراهيم في عضوا في بلدية طولكرم، و فاز بسام الشكعة رئيسا في بلدية نابلس، وفاز تيسير الشخشير عضوا في بلدية نابلس، و فاز كريم خلف رئيسا في بلدية رام الله، وفاز جاد ميخائيل عضوا في بلدية رام الله، وفاز أمين شحادة رئيسا في بلدية بيرزيت، وفاز إبراهيم عوض الله عضوا في مجلسها، وفاز سعيد رشيد حجازي برئاسة بلدية دير ديوان، وفاز محمد طه النبالي عضوا في بلدية البيرة، و فاز عياد المالكي رئيسا لمجلس كفرمالك و غيرهم (مقابلات أجريت بتاريخ سابق مع الشكعة والمالكي والنبالي وجاد ميخائيل)

ومن النشيطين في المنظمة، وكان ثلث الفائزين من الشيوعيين والباقيين من رجال البعث والقوميين العرب، وقد نجح في الانتخابات بسام الشكعة الشخصية المركزية في قائمة الكتلة الوطنية " (1).

بعد زيارة أنور السادات للقدس اجتمعت رموز الحركة الوطنية وقيادة المنظمات وناقشت موضوع الزيارة، وقد خرج القرار بمقاطعتها، واستقبل المواطنون ورؤساء البلديات وتبادلوا التهاني بمظاهرة احتجاجية في جامع جمال عبد الناصر في البيرة بينما كان السادات يصلي بالأقصى، وقد أسمع الخطيب تأنيبا على الزيارة، وبعد توقيع اتفاقية كامب ديفيد عقدت مؤتمرات شعبية في الجامعات الفلسطينية تكلفت بمؤتمر عقد في مجمع النقابات المهنية، وانبثق عنه لجنة التوجيه الوطني وكانت حركة فتح العمود الفقري لهذا التنظيم (2).

أدى النهوض الشعبي الفلسطيني إلى تشكيل لجنة التوجيه الوطني، لتكون ذراع قوي لمنظمة التحرير الفلسطينية . ضمت اللجنة رؤساء بلديات نابلس، ورام الله، والبيرة وعنتبا وطولكرم وتكونت من قرابة 24 عضوا وممثلين من نقابات مهنية وجمعيات خيرية وصحفيين وممثلين عن قطاع غزة (3).

شاركت الرموز البعثية في لجنة التوجيه الوطني، وقد رفضوا مشروع الحكم الذاتي وقد رفض أعضاؤها دعوات للتفاوض والمشاركة في مباحثات السادات وبيغن وكان الشكعة واحدا منهم مجيبا أن عنوان الدعوة خطأ، وأن قيادة الشعب الفلسطيني هي العنوان (4).

على أثر المواقف الصلبة لأعضاء لجنة التوجيه الوطني قام الاحتلال بمحاولة تصفية ثلاثة من أعضاء اللجنة الوطنية .

ففي الثاني من حزيران / يونيو 1981 انفجرت شحنات تخريبية في سيارات بسام الشكعة وكريم خلف وإبراهيم الطويل، وأصيب الشكعة وخلف بجروح بليغة، أما الطويل فلم يصب

-
- (1) انظر : ماعوز، موسى : القيادات الفلسطينية في الضفة الغربية أسرار وتحركات ومواقف، ص 34 - 44 .
(2) الشكعة، بسام : حديث في ندوة جرت في عمان في مجمع النقابات المهنية ورابطة الكتاب الأردنيين صيف عام 1998 بعنوان : " برنامج النضال الوطني الفلسطيني منذ الثورة 1936 وحتى الآن (متغيرات وتنازلات)، وحصل الباحث على نسخة منها، ص 8 .
(3) ماعوز، موسى : ماعوز، موسى : القيادات الفلسطينية في الضفة الغربية أسرار وتحركات ومواقف، ص 86 .
(4) الشكعة، بسام : " برنامج النضال الوطني الفلسطيني منذ الثورة 1936 وحتى الآن (متغيرات وتنازلات)، ص 9.

بأذى، وبعد وقت حلت لجنة التوجيه الوطني، وأقصدت إسرائيل رؤساء بلديات نابلس ورام الله والبيرة من مناصبهم(1).

كان في فلسطين شكلين من التنظيم أحدهما تنظيم حزب البعث، الذي نشط جماهيرياً وبصورة محدودة، أما الثاني فهو نشاط جبهة التحرير العربية بأسلوب التنظيم السري الذي يهتم بالنشاطات العسكرية، وظل عمل التنظيمين منفصلين حتى تم دمجهما عام 1988 في تنظيم حزب البعث العربي الاشتراكي وجبهة التحرير العربية بأوامر من القيادة القومية في بغداد.(2)

عملت (ج.ت.ع) بأسلوبين من التنظيم هما : التنظيم الخيطي، ويكون الارتباط فردي وإذا قبض على "أ" مثلاً قد تصل سلسلة الاعتقالات إلى الشخص الأخير أي "ي" ما لم تتقطع السلسلة بصمود أحدهم أو سفره قبل أن يتمكن الاحتلال من اعتقاله وهناك أسلوب التنظيم الرأسي الذي يبدأ بمؤسس يطلق عليه الباني الذي يجند ثلاثة أشخاص يطلق عليهم الرواد، دون أن يعرفوا بعضهم البعض* ويتولى كل شخص من الرواد تنظيم ثلاثة أشخاص، ويمنع الاتصال الأفقي بينهم ويكون الاتصال فقط رأسياً وهكذا يتكرر الشيء نفسه.(3)

(1) ماعوز، موسى : القيادات الفلسطينية في الضفة الغربية أسرار وتحركات ومواقف، ص 83 .

(2) مقابلة أجريت بتاريخ سابق، مع فرحان أنيس.

و مقابلة أجريت بتاريخ سابق مع رقاد سالم .

* وفي مثل هذا النوع من النضال يصعب تحديد النشاطات الفدائية لطبيعتها السرية والتي تشمل زرع عبوات ناسفة أو التعرض لعملاء وغيرها من النشاطات .

(3) انظر : نشأة حزب البعث (القواعد الحزبية)، 14 / 10 / 1980 دفتر جبهة التحرير العربية رقم 47 المخطوط باليد، محفوظ في مكتبة بلدية نابلس، ص 168 .

3) علاقة تنظيمات البعث بـ(م.ت.ف) والفصائل المنضوية تحت لوائها

رغم أن منظمتي البعث كانت تتبعان مواقف أيديولوجية مغايرة للمنظمات الفلسطينية إلا أنها لم تقف من المنظمات الأخرى موقفا عدائيا ومناهضا، لكن هذه العلاقة تأثرت أحيانا بموقفهما من نظامي الحكم في البلدين، بحيث تعارضت مع الفصائل الأخرى وتتأثر علاقة الفصيلين ببعضهما ببعض بمستوى العلاقة بين حكومتي سوريا والعراق نظرا للارتباطات التي تربط كلا التنظيمين بالحكومتين، ونظرا لتمايز موقفهما فسقتصر على علاقتهما بالفصائل الأخرى .

1 - علاقة منظمة الصاعقة مع الفصائل الأخرى

نظرت الصاعقة في علاقتها مع حركة فتح منذ بداية تأسيسها كبديل لها، وحاولت منذ ذلك الوقت اخذ زمام القيادة السياسية والعسكرية من أكبر منظمة من منظمات المقاومة(1).

وعارضت الصاعقة طرح شعار " عدم التدخل في شؤون الدول العربية" الذي تبنته حركة فتح وحددت طبيعة العلاقة القائمة بين فصائل المقاومة والأنظمة العربية، وأبدت رأيها فيما يجب أن تكون عليه علاقة حركة المقاومة بحركة التحرر الوطني العربية(2) .

ولقد تأثرت المنظمات الشعبية المؤيدة للصاعقة بهذا الخلاف، الذي انتقل إلى كتل يساري مع كل من الجبهة الشعبية بقيادة جورج حبش، والجبهة الديمقراطية وقوات الأنصار، وتكتلوا في قائمة علنية في (اتحاد العمال) ضد حركة فتح وحينما زادت وتيرة الخلاف، وهاجم النظام الأردني قواعد الصاعقة أبدت عدم إيمانها بالفهم الخاطئ لعملية الدفاع عن النفس واللهاث وراء الأحاديث وشعارات عدم التدخل(3). ومعنى ذلك أن الصاعقة أظهرت مبادرة هجومية تجاه نظام الأردن، و أمنت بإسقاطه.

1) انظر :الريس، رياض نجيب : منظمة التحرير الفلسطينية المسار الصعب، ص74 _ 75 .

2) انظر : " أحاديث مع قادة المقاومة حول مشكلات العمل الفدائي، الحلقة الثالثة، سامي العطار، و عبدالوهاب، الكيالي " مجلة شؤون فلسطينية، ع7، ص28.

3) انظر :المرجع السابق، ص34.

وشاركت منظمة الصاعقة وحركة فتح في دورة المؤتمر الوطني الفلسطيني المنعقد في عام 1968، إلا أنها ظلت تقاوم إشراف فتح على (م.ت.ف.)، وحاولت كسب الجبهة الشعبية القيادة العامة إليها وقد نجحت في ذلك(1).

ورغم هذه الخلافات حول قضايا استراتيجية وتكتيكية إلا أن هذا لم يحول دون تعاونهما في صد الهجمة التي تعرضت لها الثورة الفلسطينية في الأردن .
أما علاقة الصاعقة بالجبهة الشعبية لتحرير فلسطين فهي علاقة تقوم على أسس تقدمية بين الفصائل الفدائية، وليس لها علاقة بالتناقضات التاريخية التي قامت بين البعث العربي الاشتراكي الذي تشكل الصاعقة امتدادا له، وبين حركة القوميين العرب الذي تشكل الجبهة الشعبية امتدادا لها و طالما أظهرت المنظمة أن رائدها تحرير فلسطين، و ابتعدت عن العلاقات السيئة التي تبعتها عن العمل الثوري(2) .

أما علاقة الصاعقة مع الجبهة الديمقراطية فتميزت بأنها متينة ؛ بسبب كونها تنظيما يساريا يتبنى النظرية الماركسية، و تقيم منظمة الصاعقة ممارسات الجبهة الديمقراطية على أنها ممارسات يسارية فعلا، وقياداتها قيادات واعية، وهي باستمرار تسعى إلى تحقيق صيغة متقدمة من اللقاء والتعاون النضالي بينهما . أما علاقة الصاعقة مع الجبهة العربية فهي تتعامل معها كفصيل ثوري ولم تعترض على دخولها مؤسسات (م.ت.ف) . أما موقفها من قوات الأنصار، والتي هي منظمة الحزب الشيوعي الأردني، فهي ترحب بمبادرة الحزب الشيوعي وتبنيه الكفاح المسلح، ولكنها تختلف معها في الخط الفكري و تتعارض معها في عدم تبنيها لشعار تحرير فلسطين كاملة(3) .

وحول علاقتها بجيش التحرير الفلسطيني وقواته الشعبية، فهي تعتبره كفصيل نضالي وهي لا تنكر مظاهر العجز فيه وتشبیهه بالجيوش الكلاسيكية، مما يجعله عرضة للتمزق وعاجزا عن مواكبة مراحل نضال الجماهير وعن نظرتها للفصائل الصغيرة التي لا يمتلك بعضها المبرر النظري لوجوده فإن الحل معها ليس تصفيتها بل الحوار والنقاش، وعندها تموت بعد سحب البساط من تحتها(4).

1) انظر: الرئيس، رياض نجيب: مرجع سابق، ص 75 .

2) انظر : خورشيد، غازي : دليل حركة المقاومة الفلسطينية، ص 100 – 101 .

3) انظر : خورشيد، غازي : المرجع السابق، ص 100 .

4) انظر: المرجع السابق نفسه، الصفحة نفسها .

2 - علاقة جبهة التحرير العربية بالفصائل الفلسطينية

أما موقف الجبهة العربية من منظمة التحرير الفلسطينية، فقد أبدت ج.ت.ع تحفظها تجاه ظروف تأسيسها وربطت نشوءها بمطالبة الجماهير باتخاذ موقف تجاه إسرائيل التي عملت على تحويل روافد نهر الأردن، واعتبرتها صنيع الأنظمة العربية، وأبدت خشيتها من تسليم قيادة (م.ت.ف) للمنظمات الفدائية انتشاراً لتيار كيان فلسطين، على حساب تيار تحرير فلسطين. ولهذا السبب امتنعت عن دخول م.ت.ف. واكتفت بوجود مراقب لها يتابع أعمال اللجنة التنفيذية والإطلاع على سير العمل الفدائي والوقوف على سلبياته وإيجابياته(1).

ويلا حظ أن الجبهة العربية اختلفت رؤيتها عن الصاعقة في تأكيدها على أهمية إبراز دور المشاركة العربية بعد أن ضمت أكثرية واضحة من البلدان العربية، وأقلية من الفلسطينيين، كما أنها اختلفت مع المنظمات الأخرى التي أظهرت خشيتها من أن يتحول هذا الموقف إلى تبعية للأنظمة العربية(2).

ظلت الجبهة العربية مهتمة بالوحدة الوطنية، وخاضت مع فصائل الثورة معارك الدفاع عنها في أيلول وتل الزعتر .
ولكن ما هي علاقتها بفصائل حركة المقاومة الأخرى ؟.

كانت علاقة الجبهة العربية بتنظيم الصاعقة علاقة فصائل مناضلة، وقد بادرت قيادة الجبهة العربية إلى زيارة قيادة الصاعقة تعبيراً عن العلاقات الودية بينهما، وحينما علموا بمحاصرة مكاتب الجبهة العربية كانوا مبادرين إلى التوسط لدى الحكومة السورية لإعادة فتح المكاتب(3).

وحول علاقتها مع الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، فقد بادرت إلى تجميد الخلافات التي برزت بين فريقَي الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، وتسوية المشاكل العالقة بينهما وقامت علاقة

1) انظر : سلسلة الوثائق العربية 1969، بيروت : الجامعة اللبنانية، ط 1971، ص 406 - 407 .

2) انظر : الرئيس، نجيب، والنحاس، دنيا: منظمة التحرير الفلسطينية المسار الصعب، ص 81 .

3) انظر : خورشيد، غازي : دليل حركة المقاومة الفلسطينية، ص 182 .

وطيدة بين الجبهتين، وقد وصفت الجبهة الشعبية الجبهة العربية بأنها " خير تعبير، وتجسيد عن وحدة المفهوم القومي المقاتل من أجل فلسطين(1) .

وعندما دخلت منظمة قوات الأنصار إلى ساحة العمل الفدائي أظهرت الجبهة العربية تأييدا وتحمسا للتطور الذي حصل في سياسة الحزب الشيوعي، والذي سينعكس على موقف اليسار العربي ككل، ثم موقف الأحزاب الشيوعية العالمية، وهو ما يعزز ويقوي الخط المناهض المقاوم لحل الاستسلام والتصفية، وتصدت هنا ل طرح الرجعية العربية القائل : أن هذا اللغم جديد يضاف إلى الألغام التي وضعت في طريق العمل الفدائي(2).

وحرصت الجبهة العربية على الوحدة الوطنية وحرصا منها على وحدة الثورة دعت إلى إيجاد تصور موحد لكثير من القضايا المطروحة أمام الثورة . دخلت (ج.ت.ع) إلى قيادة الكفاح المسلح الفلسطيني رغم ما فيه من ثغرات ونواقص، وقد زادت من نسبة عملياتها المشتركة مع فصائل أخرى بما نسبته حوالي 30% من عملياتها . ولم تقتصر على فصائل دون آخر، وان كانت غالبيتها تمت مع حركة فتح، وقامت بعمليات مع قوات التحرير الشعبية، والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، والجبهة الشعبية (القيادة العامة) وجبهة النضال الشعبي والمنظمة الشعبية لتحرير فلسطين، والصاعقة وهذا العمل يخلق أجواء صحية للعمل الفدائي الذي يختلط فيه الثوار في قواعد مشتركة ويتبادلون فيه الخبرات(3) .

وانتقد عبد الوهاب الكيالي أحد قادة الجبهة العربية شعار عدم التدخل في الأوضاع العربية الذي رفعتة حركة فتح كبرى فصائل الثورة الفلسطينية، ورأى فيه أحد الأسباب التي أدت بالحكم الأردني إلى ضرب الثورة الفلسطينية، وتدخل الحكومات في شؤونها، واعتبر أن المقاومة الفلسطينية غُلبت اعتبارات السهولة على اعتبارات العمل التاريخي(4).

بعد قبول قيادة(م.ت.ف) برنامج العشر نقاط – البرنامج المرحلي – أي إقامة السلطة الوطنية الفلسطينية على أي جزء ينسحب منه العدو أويتم تحريره بالوسائل العسكرية والسياسية

(1) انظر : خورشيد، غازي :المرجع السابق .ص 183

(2) انظر : المرجع السابق نفسه، الصفحة نفسها .

(3) انظر : جبهة التحرير العربية الطريق القومي لتحرير فلسطين، ص 157-158 .

(4) انظر : أحاديث مع قادة المقاومة حول مشكلات العمل الفدائي، الحلقة الثالثة، سامي العطاري، وعبد الوهاب الكيالي " مجلة شؤون فلسطينية، ع7، ص 43 .

ساعات العلاقة بين حكم البعث في العراق وقيادة فتح ؛ بسبب رعاية العراق لصبري البنا (أبو نضال)، ورفض العراق للتكتيك الذي تبنته حركة فتح واعتمادها سياسة المراحل، والذي أدى إلى إضعاف جبهة التحرير العربية (1) .

تأثرت الجبهة العربية بهذا الخلاف، وحدثت توترات مع فتح، وحاولت محاصرة مكاتبها في مخيمات البداوي والبارد إلا أن الجبهة العربية دافعت عن نفسها، وفشلت الأخيرة في اقتحام المخيمين (2).

على أثر هذه الاشتباكات عقد السيد طارق عزيز عضو القيادة القومية لحزب البعث ومسؤول مكتب فلسطين والكفاح المسلح في حزب البعث مؤتمرا صحفيا مع وفد إعلامي لبناني ضم مجموعة من محرري الصحف والمجلات اللبنانية، وتعرض لقضية اغتيال علي ياسين ممثل (م.ت.ف) في الكويت، ونفى طارق عزيز أي علاقة بهذه الاغتيالات، وكشف أنه أرسل رسالة للسيد عرفات دعاه فيها للحوار، ومحذرا من أي اعتداء على عناصر جبهة الرفض الفلسطينية، ومنها رفاقه في الجبهة العربية، وحزب البعث اللبناني، وعبر عن دعمه للمجلس الثوري لحركة فتح كتنظيم سياسي إلا أن العراق غير وصي على أعماله ومواقفه (3).

ظلت علاقة الجبهة العربية بفصائل جبهة الرفض* في تحالف وثيق حتى انتهاء الحرب الأهلية اللبنانية، وتراجعت إثر امتناع العراق، ومعارضته لصيغة جبهة الصمود والتصدي و طالب أن تكون الجبهة جبهة صمود وتحرير في مؤتمر طرابلس الغرب، ومؤتمر الجزائر، ولكن سوريا رفضت هذه الصيغة مما دفع العراق لمقاطعتها والانسحاب منها، وانسحب من مؤتمر جبهة الصمود والتصدي في الجزائر . وهذا يعاكس طموح الحزب الذي طرح ميثاق

(1) أنظر : الرئيس نجيب: منظمة التحرير الفلسطينية المسار الصعب، ص83

(2) مقابلة أجريت بتاريخ سابق، مع الأمين العام للجبهة العربية ركاند سالم .

(3) أنظر : " الرفيق طارق عزيز للوفد الإعلامي اللبناني الخلف بين الحزب والثورة مع قيادة منظمة التحرير هو الموقف من القضية الفلسطينية والحلول السياسية"، مجلة الناشر العربي: ع9، السنة التاسعة، 1978/8/15، ص18.

* جبهة الرفض الفلسطينية هي إطار فلسطيني ضم فصائل : الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بقيادة جورج حبش، وجبهة التحرير العربية بقيادة عبد الرحيم أحمد، والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بقيادة العامة بزعامة أحمد جبريل، وجبهة النضال الشعبي الفلسطيني بقيادة سمير غوشة، وهو خط يقوم على رفض أي حل مرحلي يقبل بالصلح مع إسرائيل مقابل الانسحاب من الأراضي الفلسطينية المحتلة، ويتناقض مع خط حركة فتح، والجبهة الديمقراطية، ومنظمة الصاعقة .

(رياض الرئيس : منظمة التحرير الفلسطينية المسار الصعب، ص 33)

جبهة رافضة للحلول السياسية، ولما رفضت عددا من القوى الخروج من نهج التسوية، وبسبب الموقف غير الواضح قاطعها حزب البعث في العراق(1).

بعد عقد اتفاقيات كامب ديفيد عام 1978 وجهت القيادة العراقية الدعوة لملوك ورؤساء الدول العربية وممثلو 21 قطرا عربيا بالحضور إلى بغداد؛ لمقاومة مشروع السادات في المفاوضات والتطبيع(2).

بعد لقاءات تمت بين القيادة الفلسطينية والملك حسين في مؤتمر بغداد 2- 5 تشرين الثاني 1978، الذي حضره الملوك والرؤساء العرب، و أخرى جرت في آذار/مارس 1977 في المفرق وتم تخصيص 3500 مليون دولار كدعم لدول المواجهة العربية وتقرر دعم (م. ت. ف). بمبلغ قيمته 100 مليون دولار، وتوصل الطرفان الأردني والفلسطيني إلى تشكيل لجنة مشتركة لدعم صمود الأهل في الأرض المحتلة(3).

وفي 25 / 28 تشرين الثاني / نوفمبر 1978 توجه وفد فلسطيني إلى عمان، وضم خالد الحسن ومحمود عباس وخالد فاهوم وزهير محسن وقابل عن الجانب الأردني عدنان أبو عودة وعبد السلام المجالي وسليمان عرار وحسن إبراهيم وصدر عنهما بيان مشترك أكد الاحترام المتبادل وسيادة الدولة الأردنية واستقلالية القرار الفلسطيني(4).

لم تستمر العلاقة بين (م. ت. ف) والحكم في الأردن، فقد ساءت بعد وقوف الملك حسين إلى جانب العراق في حربه مع إيران، ومعارضة سوريا، وقد سايرت منظمة التحرير الحكم السوري في حين امتنعت سوريا عن حضور مؤتمر القمة العربي المنعقد في عمان في 25 - 27 تشرين الثاني 1980، وامتنعت اليمن والجزائر و(م. ت. ف) عن حضور المؤتمر(5). أما منظمة الصاعقة فقد أيدت الموقف السوري، وأبدت انحيازا له وقد تناول هذه العلاقة السيد حسن عجاج في عام 1980 قائلا: "وفي تصورنا أن هذه العلاقة تؤثر سلبا وإيجابا في

(1) انظر : مجلة الثائر العربي، ع 5 السنة الثامنة، 1 / 3 / 1978، ص 8 .

(2) انظر : الثورة والتنمية في العراق، 1980 صدر بمناسبة الذكرى الثانية عشرة لثورة 17 - 30 تموز المجيدة، بغداد : وزارة الثقافة والإعلام، تموز (يوليو) 1980، ص 140 .

(3) انظر : الموسى، سليمان: تاريخ الأردن في القرن العشرين، ج2، ص460-461 .

(4) انظر : المرجع السابق، ص 465.

(5) انظر : المرجع السابق، الصفحة نفسها .

النضال الفلسطيني حيث باتت تشكل لغزا لا يفهمه إلا أولو الأمر، وأصحاب العلاقات المباشرة مع النظام الملكي في الأردن (1).

ومع اشتداد الخلاف بين الملك حسين والنظام السوري؛ بسبب تأيده للإخوان المسلمين والتي سببت حشد القوات السورية على الحدود الأردنية عام 1981، وقد تناول عصام القاضي هذه العلاقة في لقاء صحفي معه في مجلة الطلائع، وبين أن الملك الحسين يحاول النيل من استقلالية القرار الفلسطيني وأنه قبل الاعتراف في مؤتمر الرباط مرغما عنه، وهو يتحين الفرص المناسبة لتصفية (م.ت.ف). (2).

بعد قيام الكيان الصهيوني باجتياح لبنان ومحاصرة بيروت، وخسارة الثورة الفلسطينية لقاعدتها الرئيسية؛ وترتب على ذلك انتقالها إلى تونس، وقد دفعت الظروف الجديدة باتجاه البحث عن ملاذ جديد، وصارت الفرصة مواتية للتقارب مع الأردن، وفي تشرين الأول/ أكتوبر 1982 انسجمت تحركات الطرفين الأردني والفلسطيني مع لقاءات في مؤتمر فاس وهكذا توترت العلاقة مع سوريا من جديد وزاد التنسيق المشترك بين الطرفين الأردني والفلسطيني (3).

شاركت جبهة التحرير العربية في التنسيق مع الحكومة الأردنية، كما وأيدت القيادة الشرعية بعد انشقاق فتح، في حين تقاربت مواقف قيادة م.ت.ف مع الحكم العراقي، وأخذت تبدي تحولا في المواقف تجاه إيران في حربه مع العراق، ففي احتفالات (ج.ت.ع) في الذكرى السابعة عشر لانطلاقتها شدد عبد الرحيم أحمد على الحفاظ على وحدة (م.ت.ف) تحت قيادة ياسر عرفات، واعتبرها من مهمات المرحلة النضالية الحالية، وأن المؤامرة التي تستهدف قيادة المنظمة بالضرورة تؤثر سلبا على القضية الفلسطينية، بينما أكد ياسر عرفات أهمية التلاحم المصيري الذي يجمع الشعب العراقي الذي يخوض معركة الفاو مع شعب فلسطين الذي يواجه عملاء الصهاينة في مخيمات لبنان منوها إلى المبادرة العراقية التي لبت النداء الفلسطيني أثناء حصار بيروت، والاستعداد لسحب القوات من الجبهة العراقية - الإيرانية (4).

(1) حديث للسيد حسن عجاج الأمين القطري المساعد للتنظيم الفلسطيني الموحد ورئيس الدائرة السياسية في قيادة منظمة الصاعقة، سلسلة الوثائق الفلسطينية العربية سنة 1980، ص 226.

(2) انظر: حديث الدكتور عصام القاضي، أمين سر طلائع حرب التحرير الشعبية - قوات الصاعقة - عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية حول الوضع العربي الراهن، والحرب العراقية الإيرانية والوحدة الوطنية الفلسطينية * سلسلة الوثائق الفلسطينية العربية 1981، ص 57.

(3) أنظر: الموسى، سليمان: تاريخ الأردن في القرن العشرين، ج2، ص 469.

(4) في الاحتفال بالذكرى 17 لإنطلاقة جبهة التحرير العربية، أبو عمار: "مركتنا في فلسطين والفاو... واحدة مجلة الطنعة العربية، ع153، 14 باريس: دار الفارس، نيسان 1986، ص10، 11.

4) موقف منظمات البعث تجاه النظام الأردني، ومعارك أيلول 1970

تأثرت علاقة ومواقف منظمات البعث تجاه حكومة الأردن بالموقف الذي يتبناه حزب البعث والعلاقات التي اتسمت بالمعارضة والعداء طيلة الخمسينيات والستينيات، كما أنها تأثرت بالموقف والعلاقة التي وقنها حكم الملك حسين تجاه حركة المقاومة ورغم أن الحكم الأردني أبدى قبولا للنشاط الفدائي وعض الطرف عنه بعد حرب حزيران، إلا أن التناقضات بين الطرفين تفجرت في مجموعة من الأزمات والتوترات انتهت بأحداث أيلول/ سبتمبر 1970 .

بعد حرب 1967 زادت وتيرة العمليات المسلحة من الأراضي الأردنية والسورية وكلمت الأنظمة العربية بحاجة لامتناس النقرة الشعبية التي ولدتها الهزيمة، وقد تشكلت فصائل ثورية فلسطينية عديدة، مستفيدة من الأجواء التي أسقطت برامج الأنظمة والأحزاب السياسية المهزومة ومثلت ردة فعل إيجابية على هزيمة حركة التحرير العربي، وردا إيجابيا على الأوضاع اليااسة(1).

شهدت الثورة الفلسطينية اتساعا في رقعة الأرض التي تتطلق منها في ضرب العدو وتأييد الجماهير والتفافها، مستفيدة من تعميق التناقضات بين إسرائيل والأقطار العربية التي احتلت أراضيها، ومن وجود (قوات التحرير الشعبية) في قطاع غزة والجماهير المؤطرة في الضفة الغربية، وكان تخطيط إسرائيل لقصف ظهر الثورة الفلسطينية بتوجيه ضربة نهائية وتصفية قواعدها في الخارج، وأعلن رئيس الحكومة الإسرائيلية أمام الكنيست في تهديد واضح قائلا : "إن الأردن لا يفعل شيئا لوضع حد لأعمال الفدائيين التي تتطلق من أراضيه وسنضطر نحن لحماية أمننا (2).

وفي السياق نفسه استغلت إسرائيل هجوم الفدائيين الفلسطينيين على باص إسرائيلي وإيقاعهم أضرارا بالغة فيه، وشنّت هجوما في صباح 21 آذار / مارس 1968 مستخدمة صنوفا مختلفة من الأسلحة، وقد جابهته الثورة الفلسطينية بأعمال ثورية انتحارية، وكان في الموقع 422 مقاتلا من قوات العاصفة و33 مقاتلا من قوات التحرير الشعبية(3).

(1) انظر : الأيوبي، الهيثم، 'عشرة عوام من عمر الكفاح الفلسطيني'، مجلة شؤون فلسطينية، ع 42/41 كانون ثاني وشباط 1975، ص 242 .

(2) أبو بكر، توفيق : معركة الكرامة الخالدة شهادات وكتابات الإعلام المركزي، ط 1998، ص 17 - 18 .

(3) انظر : الأيوبي، الهيثم: المرجع السابق، ص 245 .

وقد دارت معارك في بلدة الكرامة الأردنية بالسلاح الأبيض، والأحزمة الناسفة ضد القوات الإسرائيلية المهاجمة، وقد تضامن الجيش الأردني مع الفدائيين، وأنزل خسائر واسعة في المهاجمين*، وأعاق تقدمهم وأفشل خططهم. مثلت المعركة نقطة تحول في تاريخ الثورة الفلسطينية، إذ أعطتها دفعة للأمام ومقدرة على النمو وتفجرت روح العطاء، وتسابق القادمون للتطوع في الثورة(1).

أسهمت المعركة في تحويل حركة المقاومة إلى حركة شعبية ثورية، وتوكيد شعارات المنظمات الراديكالية التي تحارب الرجعية العربية وحليفاتها الإمبريالية وإسرائيل، وقوى موقف حركة فتح ومحاولاتها السيطرة على(م.ت.ف)، وهو ما نجحت في تحقيقه في المؤتمر الوطني الفلسطيني الذي عقد في تموز / يوليو عام 1968، وتمثل التغيير في بنية(م.ت.ف) وهيكليتها، وتحويل نشاطها من منظمة تعتمد النضال الجماهيري إلى الكفاح المسلح، واعتباره الوسيلة الوحيدة لتحرير فلسطين، وكانت المتغيرات الجديدة تتوجها للالتفاف الجماهيري حول المنظمة، وقوبلت من طرف الحكومة الأردنية بمحاولة التفاف واحتواء؛ تمثلت في إجراءات تهدف ضبط الأمور، ومنع الفوضى"، وأبرزها الإجراءات التي تمنع الفدائيين من دخول عمان بالأسلحة وتسليم أسلحة ثقيلة بحوزة المنظمة وحدد 15 تشرين أول/ أكتوبر موعداً للإنذار، الذي قابلته منظمة فتح والمنظمات الفدائية الأخرى بالرفض(2).

وقد غذى الأزمات والخلافات بين الطرفين؛ وجود منظمات فلسطينية من مشارب فكرية مختلفة، وتيار إقليمي يعمل في الأردن، ويبيد امتعاضه من العمل الفدائي، كما أن مجموعة من الممارسات تمت باسم العمل الفدائي، وقد تساءل التيار الإقليمي الأردني لماذا الأردن هو الساحة الوحيدة المفتوحة للعمل الفدائي، وشاب العمل الفدائي حب التظاهر، ولم تكن العمليات موجعة للاحتلال، ثم أن المنظمات امتلأت بالتناقضات، وتعرضت المنظمات الفدائية، وبدون ضوابط لسيادة الدولة الأردنية(3).

* وخسر العدو الصهيوني 250 قتيلًا و450 جريحًا، وتم تدمير 18 آلية مختلفة للعدو، وبقيت مجموعة دبابات في أرض المعركة، وسقطت سبع طائرات واستشهد وجرح من أفراد الجيش الأردني ما يقارب المائتين، أما الفدائيون فقد خسروا 97 شهيدًا وبعض الأسرى، ودمر المخيم.

(1) انظر: أبو بكر، توفيق: مرجع سابق، ص19، وص20

(2) انظر: حبيب الله، غانم: علاقة منظمة التحرير الفلسطينية بالنظام الأردني 1964 – 1976 بين التنسيق والتصادم، عكا: مؤسسة الأسوار الثقافية الفلسطينية، ط 1987، ص 51 – 52.

(3) بطرس، عودة: الاستسلام في الواقع العربي، عمان: وكالة التوزيع الأردنية، ص 134 و138 و141

اعتبرت بعض المصادر أن منظمة (كتائب النصر) التي يقودها طاهر ذبلان* واحدة من أبرز الفصائل التي اتهمت بأن لها ضلعا في الإساءة للعمل الفلسطيني الثوري المسلح، وقد اتهمت بأن لها صلة بتحريض الجماهير على التظاهر في يوم 2 تشرين الثاني / نوفمبر 1968 ، وقيام أفرادها بحرق مبنى السفارة الأميركية في عمان وتمزيق العلم الأميركي، ووجهت لرئيس الفصيل تهمة العمالة للمخابرات الأردنية من قبل فصائل المقاومة، واعتقل معه اثني عشر شخصا من عناصر منظمته، وتبع اعتقاله حدوث اشتباكات أدت إلى سقوط عدد من القتلى والجرحى من رجال الأمن والجيش، وانتقلت المظاهرات إلى الزرقاء، وهوجم مغفر للشرطة فيها، واتصلت المنظمات الفلسطينية بعد ثلاثة أيام من اشتعال الحوادث مع الحكومة الأردنية لوقف الاشتباكات، وهدد الملك حسين بسحق الخارجين عن القانون والنظام بالقوة . قررت محكمة أمن الدولة الأردنية بالحكم على طاهر ذبلان ومعه رفاقه بالإعدام يوم 9 تشرين الثاني/ نوفمبر 1969 ووجهت له تهمة استغلال أعمال الفداء لمصالح خاصة والتسبب في ترويع المواطنين وسلب ممتلكاتهم(1).

علقت منظمة الصاعقة بأنها لا يوجد لها أي علاقة معه، واتهمته، بالعمل لحساب جهات مشبوهة، وان لا علاقة لجهة التحرير الشعبية الفلسطينية التي فصلت طاهر ذبلان وانضمت للصاعقة في شهر حزيران . وقالت في بيانها يوم 2 تشرين الثاني 1968 أن هناك جهودا تجري من جهات مشبوهة تقوم بأعمال تخريبية، وتتصيد في المياه العكرة، وإحياء النعرات الإقليمية بين فلسطيني وأردني أو بين ضفة شرقية وغربية للوصول إلى هدفها للإيقاع بين الجماهير العربية(2).

* طاهر ذبلان : ولد في بلدة عزون عام 1926 في محافظة القنيطرة، التحق عام 1948 بجيش الإنقاذ، ثم بالجيش السوري، تخرج حتى أصبح برتبة عقيد، وفي سنوات الوحدة السورية السورية أحيل إلى التقاعد، وبعد عام 1967 أسس منظمة كتائب النصر، ونجحت المخابرات الأردنية في القبض عليه بعد أن لاقت قبولا من حركة فتح والصاعقة التي اتهمته بالعمالة للمخابرات الأردنية، وقد توفي في سجن الجفر عام 1972 في ظروف غامضة، وليس من الثابت صحة هذا القول . (مقابلة أجريت بتاريخ 19 / 3 / 2001 مع الباحث في تاريخ عزون عبدالخالق سويدان من بلدة عزون) .

(1) انظر : الموسى، سليمان : تاريخ الأردن في القرن العشرين ج2، ص282- 284

(2) انظر : " بيان القيادة العامة للصاعقة بنفي وجود أية علاقة بطاهر ذبلان 1968 / 11/4 " وثائق الكتاب السنوي الفلسطيني لعام 1968، ص84.

ظلت التوترات والاتهامات المتبادلة بين الطرفين، إلى أن شهدت البلاد في 10 شباط / فبراير 1970 أزمة جديدة جاءت بعد أن ألقى رئيس الوزراء بهجت التلهوني بيانا وبنوداً تقيّد حركة العمل الفدائي، وتحركه من الأراضي الأردنية التي تهدف إلى الحد من تنامي الحركة الجماهيرية وأشكال الوعي السياسي الجماهيري وفرض قوانين صارمة . ردت الفصائل الفلسطينية بأن شكلت قيادة موحدة سياسية وعسكرية عرفت باسم " القيادة الموحدة"، وتطورت إلى اللجنة المركزية وأعلنت أنها لن تتخلى عن البندقية، واتهمت النظام بأنه يقود الأوضاع إلى حرب أهلية(1).

دلت سلسلة التطورات اللاحقة على محاولة نظام الحكم الأردني، وتحيينه الفرص للقضاء على الوجود الفدائي، مستغلاً الأخطاء التي وقعت بها منظمة كتائب الأنصار وغيرها، كما أن أزمة سيادة الدولة الأردنية، وقيام سلطة الفدائيين في عمان ظلت تدفع باتجاه تفجير الأحداث والاشتباكات المتكررة.

وكان رد حركة المقاومة الفلسطينية على هذه الإجراءات والمضايقات بالرفض والمعارضة الشديدة من قبل المنظمات الفدائية، وحدثت اشتباكات واسعة، وقتل ما لا يقل عن 30 شخصاً من القوات الأردنية(2).

ردت جبهة التحرير العربية بالدعوة لتحقيق ما يلي :

- 1 - توحيد المقاتلين بالوحدة الحقيقية لا وحدة شكلية، والإيمان بأن التحرير لا تحققه فئة دون أخرى و يتحقق بالعمل المشترك .
- 2 - ضرورة تدعيم العمل الشعبي، وتوثيق علاقة الثورة بالجماهير .
- 3 - توجيه الضربات للعدو لأنها تنعكس على القوى الرجعية في الداخل .
- 4 - توسيع إسهام الفكر القومي و فرز العدو من الصديق، وحيث الجبهة الشهيد يوسف الأسمر عضو التنظيم الشعبي المسلح الذي سقط في أحداث مخيم الوحدات(3).

* يتكون البيان من 12 نقطة و أبرزها : 1- منع قيام جميع المظاهرات والاجتماعات والندوات غير المشروعة 2- منع النشاط الحزبي باعتباره عملاً مخالفاً للأصول والأنظمة المرعية . 3- منع التجوال وحمل السلاح داخل حدود عمان، وغيرها .

(1) انظر : حبيب الله ، غانم : علاقة منظمة التحرير الفلسطينية بالنظام الأردني، ص56.

(2) الموسى، سليمان : تاريخ الأردن في القرن العشرين ج2، ص302-303.

(3) انظر : " بانتظار المؤامرة الجديدة"، مجلة الناشر العربي، ع 19، شباط 1970، ص 2 .

انتهت أحداث شباط بعد ثلاثة أيام، ودون حسم المشكلة بين الطرفين بين الطرفين إلا أن الحكم استمر في تعبئة جنوده البدو، والمعروفين بوفائهم الشديد للحكم الأردني، واستمر في نشر الشائعات عن فظائع ومجازر، و تذرعت السلطة أن صبرها قد نفذ، وان صراعها مع " منظمات ملحدة " هذا ناهيك عن ترويج الشائعات عن سرقات وهتك أعراض، وفي 25 حزيران/ يونيو 1970 وزعت السلطة منشورا قيل فيه "أخي الجندي أنت تقدم روحك ودمك من أجل الوطن والمواطنين جميعا... أنت تقدم حياتك لتحافظ على حياة كل رجل وامرأة وكل طفل من أبناء شعبك.."(1).

بعد هذه الأحداث عقدت مؤتمرات شعبية أردنية وفلسطينية عبرت عن محاولات استقطاب وتأييد للطرفين، وظهر اتجاهاً في شرق الأردن، أحدهما موال للملك وآخر مؤيد للفدائيين وعقد مؤتمر أم رمانة إلى الجنوب من عمان في أوائل شباط/ فبراير 1970 م في إطار التوجه القائل بعدم تدخل الفدائيين في الحياة العامة وليقاتل الفدائيون غربي النهر ورفض تدخلهم في الحيلة العامة(2).

عقد مؤتمر في قاعة نقابة المحامين في مدينة عمان في ربيع عام 1970، وضم حوالي 300 شخص، وحضره ممثلو الاتجاهات السياسية والمنظمات الفدائية في الأردن وترأس المؤتمر سليمان النابلسي، والدكتور منيف الرزاز، والدكتور جمال الشاعر، وتشكلت عن المؤتمر لجنة متابعة برئاسة سليمان النابلسي وضمت 15 شخصا، تم تكليفها بعقد مؤتمر شعبي في غضون 6 شهور، و يجمع عرفات والملك حسين، ونظرا لوجود ارتباطات مختلفة للجنة المتابعة، فقد فشلت بالقيام بعمل مثمر، كما أن مجلة الشراة الأسبوعية التي تصدرها الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين صدرت موشحه بعنوان بارز " لا مؤتمر مع العملاء " ولقد بدا أن الصدام المسلح قادم، وتوجهت اللجنة إلى سوريا وقابلوا حافظ الأسد في جلسة خاصة والذي نصح سليمان النابلسي بأن لا يشكل الحكومة إذا ما دعي لذلك، وإذا ما حدث صدام مسلح فسيكون إلى جانب الفدائيين، وتطورت الأحداث باتجاه الصدام المسلح(3).

أيد المؤتمر الوطني الأردني حركة المقاومة الفلسطينية، وربط بين المقررات الصادرة عن مجلس الوزراء الأردني، ونشاط الإمبريالية، وعلى رأسها أميركا، واتهمت الحكم الأردني

(1) انظر : حبيب الله، غانم : علاقة منظمة التحرير الفلسطينية بالنظام الأردني، ص 57

(2) الموسى، سليمان : تاريخ الأردن في القرن العشرين ج 2، ص 303.

(3) انظر : الشاعر، جمال: سياسي يتذكر، ص 207 - 213 (بتصرف)

بالتواطؤ مع الكيان الصهيوني لفرض الاستسلام على الأمة العربية و تصفية العمل الفدائي الفلسطيني والقضاء على الحركة الوطنية الأردنية . وفي السياق نفسه تلقى عرفات برقيات التأييد من سوريا والعراق والجزائر(1).

أيدت جبهة التحرير العربية قيام (القيادة الموحدة للعمل الثوري)، و اعتبر زيد حيدر * الأمين العام للجبهة أن تأسيس القيادة الموحدة ليس مجرد مؤسسة تضاف إلى باقي المنظمات، بل تعبير عن الشرعية الثورية وطالب بتفعيل دورها الذي يجب أن يتجاوز دور المؤسسة في إطار جغرافي بل ينبثق عنها مكاتب وهيئات ثورية تنفيذية منها :-

1 - قيادة أركان ثورية 2- مكتب مالي موحد 3- مكتب إعلامي 4- هيئة صحفية 5- مؤسسة اجتماعية 6-مكتب تمثيل وعلاقات خارجية، ووصف النظام الأردني بأنه نظام يعتمد سياسة النفس الطويل(2) .

تم تسوية الأزمة بعد سلسلة لقاءات مشتركة عقدت في عمان بين مسؤولين في الحكومة الأردنية، وممثلين عن القيادة الموحدة للمنظمات الفدائية، وصدر بيان مشترك يعلن تسوية الخلافات وتهدئة الأجواء عادت وتوترت الأجواء بين الطرفين في حزيران، وطرحت أزمة الوجود الفدائي وسلطة حركة المقاومة من جديد، وبات الصدام متوقعا بينهما، وأخذت القوات الخاصة الأردنية تتحرش بالفدائيين، في حوادث صدام جديدة، جرت في 6 حزيران/يونيو 1970، وقد أصدر الكفاح الفلسطيني المسلح بيانا في اليوم التالي أعلن فيه وقوع اشتباكات بالأمس بين قوات من الفدائيين وقوات من الجيش الأردني في مخيم الزرقاء قرب عمان في ضاحية يافا، أسفرت عن استشهاد وجرح 72 شخصا(3) .

(1) انظر : سلسلة الكتاب السنوي الفلسطيني سنة 1970، ص 7 .

* زيد حيدر : مناضل قومي عربي، ولد عام 1929 في بعلبك، نشأ وترعرع في دمشق، انتسب للبعث عام 1945، عين في القيادة القطرية الموسعة عام 1966، سجنه انقلابيو 23 شباط في سوريا، تولى منصب الأمين العام في الجبهة عام 1969 - 1970، وأصبح بعدها مسؤولا للعلاقات الخارجية في القيادة القومية (الكبالي، عبد الوهاب : موسوعة السياسة، بيروت : مؤسسة الدراسات والنشر، 1983، ص 54) .

(2) انظر : الأمين العام لجبهة التحرير العربية يعلن القيادة الموحدة للعمل الفدائي هي الممثلة الشرعية الثورية ، مجلة الأحرار، ع675، 3 نيسان 1970 ص6.

(3) انظر : سلسلة الكتاب السنوي الفلسطيني سنة 1970، ص7

وكرّرت الاتهامات للمنظمات الفدائية بأنها مسؤولة عن عدد من المتاريس والتي يتم فيها التدقيق في هوية المسافرين، ووجهت اتهام للمنظمات بأنها أقامت حواجز ونصبت كمائن منها نصب كمين يوم 9 حزيران/ يونيو قرب صويلح لموكب الملك حسين، وجاء في بيان رسمي أن الملك نجا من الرصاص، بينما صرحت المنظمات أن هدفها قطع التعزيزات حتى لا تصل إلى عمان(1).

أحدثت الأزمة الجديدة انفجاراً، وقام الحكم الأردني بمحاصرة المخيمات الفلسطينية في عمان وطوقت دباباته المخيمات وقصفتها . و فوضت المنظمات ياسر عرفات تحريك قوات المنظمات الفلسطينية، وقسمت الأردن لقطاعات عسكرية . أيد التجمع الوطني الأردني قرارات منظمة التحرير الفلسطينية، وعلى أثر استمرار القصف الأردني للمخيمات ردت الجبهة الشعبية باحتلال فندق فيلادلفيا في عمان في 10 حزيران / يونيو 1970 واحتجزت العديد من الأجانب، وأكدت أن الإفراج عنهم منوط بوقف قصف المخيمات ولما كانت الحركة الوطنية الأردنية، والمقاومة حريصة على منع حدوث حرب أهلية وترفض تمكين السلطة الأردنية من تنفيذ مخططاتها في سحب الجيش من الجبهة لضرب المواطنين، لهذا فقد بذلت أقصى جهودها لوقف القتال والذي كان بتاريخ 11 حزيران 1967 . استمرت الحوادث كعمليات الخطف والقتل والقنص، وأسهمت بعض الشخصيات الأردنية والمخابرات دوراً في إذكاء الخلاف، ومنهم الشريف ناصر، وزيد بن شاكر، وكان نايف حواتمه المتحدث باسم الجبهة الديمقراطية قد أكد في 17 حزيران / يونيو 1970 بأنه يتوقع أزمة أخرى بين السلطة والمقاومة لأن الصراع الذي يفرضه النظام على المقاومة يهدف إلى فرض الحلول الاستسلامية وللمقاومة الحق المشروع في الدفاع عن نفسها (2).

وعلقت (ج.ت.ع) على بيان الاتفاق الصادر عن اللجنة الرباعية بتاريخ 10 تموز/ يوليو 1970 حول اتفاق المقاومة مع النظام الأردني ما يلي: "لم يتوفر فيه الحد الأدنى من الشروط التي تجعل منه اتفاقاً مقبولاً بنظر جبهة التحرير العربية، بل جاء في العديد من نصوصه ظفراً

(1) انظر : المرجع السابق، ص 8 .

وانظر أيضا : الموسى، سليمان : تاريخ الأردن في القرن العشرين ج2، ص 305- 306 .

(2) انظر : حبيب الله، غانم : علاقة منظمة التحرير الفلسطينية بالنظام الأردني 1964 - 1976، ص 59 .

للمناورات التي أحاط بها النظام الأردني المفاوضات مستفيدا من الروح السلبية تجاه حركة المقاومة (1).

بعد هدوء استمر أسبوعين، جاء ما هو جديد، والذي تمثل في مشروع روجرز في 25 حزيران/ يونيو 1970، وهي مبادرة سياسية أميركية لحل قضية الشرق الأوسط، والذي أسهم في إنكفاء الصراع والتنافر من جديد، وقد ارتكزت على تطبيق قرار 242، وهو مشروع قابلته حركة فتح بالرفض، ومثلها سوريا، ووصفت صحيفة البعث أنه يهدف إلى تصفية القضية الفلسطينية، وتمائل الرد العراقي والجزائري مع الموقف السوري بينما عقدت (م . ت . ف) دورة استثنائية للمجلس الوطني في عمان في 27 آب / أغسطس 1970، وفي جو من التوتر نظرا للاشتباكات المسلحة على خلفية تأييد الموقف الأردني والمصري له (2).

لقد عكس مشروع روجرز الخلاف بين المقاومة وعبد الناصر، وساءت علاقة المنظمات الفلسطينية مع عبدنا ناصر، ووضعت العلاقات بين الجانبين في صدارة البحث وتحديد العلاقات المستقبلية .

ذكر صلاح خلف أن المجلس المركزي الفلسطيني كان منقسما بشأن الموقف تجاه عبد الناصر وعما يجب اتخاذه وهل يتصادم معه ؟

لم تكن منظمتي فتح و الصاعقة، وبعض المستقلين يرغبون بقطع جسور العلاقة مع مصر وقد أرسلت وقدا إلى مصر، وضم الوفد ياسر عرفات، وفاروق القذومي، وهائل عبد الحميد، وصلاح خلف عن فتح، وضافي جمعاني عن (الصاعقة)، وإبراهيم بكر (مستقل)، و قابلهم ناصر بفتور وكان غاضبا من مناشير فتح وبين أن على رجال المقاومة أن يعرفوا سبب قبوله الموافقة على مشروع روجرز، وبين أنه موقف تكتيكي يهدف إلى كسب الوقت ليستعد الجيش المصري للحرب، بعد أن حصل على صواريخ سام 7 من السوفييت ولتتمكن من نصبها على طول قناة السويس . أوضح عبد الناصر انه لن يقبل بضرب الفدائيين، وأنه حذر الحسين خلال زيارته للقاهرة من اتخاذه إجراءات من هذا القبيل(3).

(1) الأمين العام لجبهة التحرير العربية بشرح أسباب تحفظ الجبهة على بيان الاتفاقية الذي أذاعته إذاعة اللجنة الرباعية، مجلة الأحرار، ع690، 1970/7/17، ص34.

(2) انظر: حبيب الله، غانم: علاقة منظمة التحرير الفلسطينية بالنظام الأردني، ص 59 - 60 .

(3) انظر: رولو، أريك: فلسطيني بلا هوية، ص 134 - 135.

أيدت (ج.ت.ع) في بيان لها سياسة عبد الناصر، و رفضت زرع الشقاق والخلاف بين المنظمات الفدائية، ومؤيديها من جهة، ومؤيدي عبد الناصر من جهة أخرى وذكرت أن عبد الناصر لم يصرح أنه ضد العمل الفدائي، وأن البعض يتهمه بما لم يقله، وهو تصرف إجرامي يقصد به تفتيت الجبهة العربية واستخدام رصيده في سبيل هذه الغاية(1).

وفي مناخ وأجواء متوترة ومربية، كان لابد من انقسام الرأي العام بين مؤيد للفدائيين وآخر مؤيد للملك حسين، وكانت الأوضاع المتأزمة مهيأة للانفجار القادم .

قامت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بخطف ثلاث طائرات ركاب مدنية وحولت الثالثة إلى مطار القاهرة، وهناك أنزل ركابها، وتم تفجيرها. وأوضح الفدائيون الخاطفون أنهم يهدفون إلى الإفراج عن معتقلين فلسطينيين في سجون سويسرا وآخرين في ألمانيا الغربية، وفي بريطانيا(2).

تفاعلت قضية خطف الطائرات على المستوى الدولي، وقد طالب الفدائيون بإطلاق سراح ليلي خالد، ورفاقها المسجونين في بريطانيا وثلاثة فدائيين في ألمانيا وهددت بنسف الطائرات إذا اقترب الجنود منهم، وفي تلك الأثناء كانت تجري ضجة عالمية للقضية تلك واتخذ "مجلس الأمن" قرارا يطلب فيه إطلاق سراح جميع الركاب والملاحين والخاطفين فوراً، ودون استثناء، بعد أن قادت طائرتان إلى مطار " قيعان خنه" إلى الشمال الشرقي من الأردن، و أعلن الرئيس الأمريكي

أنه "يجب مواجهة خطر القرصنة الجوية في الحال، وبصورة فعالة"، ووجهت حكومة العراق في العاشر من أيلول نداء إلى الجبهة الشعبية واللجنة المركزية تدعوها للعمل على إطلاق سراح الرهائن " لأسباب إنسانية، ويحتى لا يكون هناك تدخل أجنبي"(3).

قرر الملك حسين في 15 أيلول / سبتمبر 1970 القضاء على م.ت.ف، وفي الصباح شكلت حكومة عسكرية برئاسة محمد داود، وباتت الأوضاع بانتظار الانفجار، ومن طرفها

(1) بيان جبهة التحرير العربية تؤيد فيه سياسة الرئيس جمال عبد الناصر بيروت 1970/7/31، وثيقة رقم 300، سلسلة الوثائق الفلسطينية العربية، 1970، ص7

(2) الموسى، سليمان : تاريخ الأردن في القرن العشرين ج2، ص 322 – 323 .

(3) الموسى، سليمان : تاريخ الأردن في القرن العشرين ج 2، ص 323

أخذت حركة المقاومة الفلسطينية تصدر البيانات المعبرة عن رفضها إقامة علاقات مع الحكومة العسكرية وأصدرت قرارها في اليوم اللاحق بإلغاء تجميد عضوية الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين الذي صدر قبل أربعة أيام، ثم أصدرت أوامرها بتوحيد فوري لقواتها النظامية والفدائية والميليشيا وتولى العميد الركن عبد الرزاق اليحيى قائد جيش التحرير الفلسطيني قيادة هيئة الأركان للجنة العسكرية العليا، وأعلن الإضراب العام(1).

أرسل عرفات رسائل إلى ملوك ورؤساء الدول العربية يحذر من الكارثة، ولم يحول قوار مجلس الجامعة العربية في جلسته الاستثنائية في القاهرة مساء يوم الخميس 17 أيلول/ سبتمبر 1970 من وقف الصدام وحقق الدماء العربية، ولا استتكرات الدول العربية(2).

اختير عرفات قائدا عاما لجميع قوات الفدائيين، وقسمت عمان إلى ثماني مناطق عسكرية وعهد إلى فصائل: فتح، الشعبية، الصاعقة، جبهة التحرير العربية، الجبهة الديمقراطية، جبهة النضال الشعبي الفلسطيني، منظمة فلسطين العربية الجبهة الشعبية" القيادة العامة " قوات جيش التحرير الفلسطيني، وقوات التحرير الشعبية بالدفاع عنها(3).

كان الملك حسين يواصل حربه بضراوة مستفيدا من التأييد والدعم الإسرائيلي والأمريكي وقد تحركت القوات الإسرائيلية على طول الحدود الإسرائيلية الأردنية السورية مهددة بالتدخل إذا كان هناك خطر على النظام الأردني، وكان اللقاء المشترك بين الأردن وإسرائيل يهدف إلى القضاء على (م.ت . ف) والتقاسم الوظيفي بينهما(4).

ثم أن الولايات المتحدة أخذت تلوح باستخدام القوة والتدخل في الأحداث، وتساءل العالم عن سر جر الولايات المتحدة الأميركية لأسطولها في البحر المتوسط، وإذا كان الهدف التهديد، وبث الرعب في قلوب السوريين أو العراقيين أو الروس، وربما التدخل لإنقاذ الرهائن. كان في سوريا وقتئذ تياران متخاصمان في الحكم أحدهما يبدي ميلا نحو المنظمات الفلسطينية وحرب التحرير الشعبية، والآخر يخشى التدخل الأمريكي في الأحداث ويضم التيار الأول صلاح جديد،

(1) انظر :سلسلة الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام 1970، بيروت : مؤسسة الدراسات الفلسطينية 1974، ص13 .

(2) انظر : سلسلة الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام 1970، بيروت : مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ص 13.

(3) الموسى، سليمان : تاريخ الأردن في القرن العشرين ج2، ص 327 .

(4)حبيب الله، غانم : علاقة منظمة التحرير الفلسطينية بالنظام الأردني، ص 76 .

ونور الدين الأتاسي، بينما يعارضه حافظ الأسد، وزيد الرفاعي وقد أصدر صلاح جديد أوامره سلاح المدرعات بالتدخل رغم معارضة حافظ الأسد تقديم غطاء جوي للمنظمات الفلسطينية(1).

حدثت المجابهة الأولى في الرمثا بين القوات السورية والأردنية في 20 أيلول/ سبتمبر وكانت مواجهة مكشوفة بين الطرفين، وكان السوريون قد قادوا الهجوم في بداية المعركة وبدورهم نقل الأردنيون مجموعات من دباباتهم من جنوب البلاد إلى الرمثا، وقد نجح الأردنيون في تدمير عدد من الدبابات السورية بما يفوق مقابل خسائر الأردن منها(2).

كان حافظ الأسد يدير العمليات من موقع في درعا على الحدود بين سوريا والأردن ولم يكن راغبا في إسقاط الحكم الأردني، وكان تدخله محدودا. أمر الملك حسين اللواء المدرع الأربعين المعزز بالسلاح الجوي بالهجوم على القوات السورية وحصل اشتباك بينهما وبعد ظهر يوم 22 أيلول عادت القوات السورية أدراجها(3).

تحركت الجهود الرسمية العربية نحو الوساطة بين الطرفين المتصارعين ففي الرابع والعشرين من أيلول 1970 جاءت بعثة عربية مكونة من رؤساء وزارات أربع دول وهي : تونس السودان، مصر، الكويت في محاولة لإقناع الطرفين في التوصل إلى تسوية، وبحث مع الملك حسين والرئيس ياسر عرفات في وقف إطلاق النار. وتوجه كلاهما إلى القاهرة في 27 أيلول / سبتمبر 1970 لحضور اجتماع لرؤساء وملوك العرب لبحث الأوضاع المتدهورة في عمان . واتفق في المؤتمر على إنهاء الأعمال العسكرية، ونقل القوات الفدائية خارج عمان في أماكن ملائمة للعمل الفدائي، وتقرر إطلاق سراح المعتقلين، وأن يكون حفظ الأمن من مسؤولية القوات الأردنية، ولكن إجراءات الملك للقضاء على وجود المقاومة تواصلت ؛ فقد عين وصفي النلل رئيسا للوزراء واستمرت الاشتباكات، وجاء موت جمال عبد الناصر ليغيب قوة مؤثرة على الملك حسين (4) .

لم يتوقف الحكم الأردني عن توجيه ضربات متلاحقة وسريعة لحركة المقاومة؛ برغم توقيع

(1) انظر : بلا مؤلف : ليلي خالد وحرب أيلول، القدس : مؤسسة صيام للدعاية والنشر، ص 121 .

(2) انظر : بلا مؤلف : ليلي خالد وحرب أيلول، ص 168 .

(3) سيل، باتريك : الصراع على الشرق الأوسط، بيروت : المؤسسة العامة للدراسات والتوزيع، 1986، ص 259 - 260.

(4) انظر : حبيب الله، غانم : علاقة منظمة التحرير الفلسطينية بالنظام الأردني، ص 77 - 78

الاتفاقات المتكررة معها، ولجأ لممارسة الاستنزاف التدريجي للمنظمات الفدائية كما أن الجناح الجذري في م.ت.ف، والمتمثل بالجبهتين الشعبية والديمقراطية عارض هذه التسويات ووصفها بأنها لصالح النظام، وهكذا تجددت الاشتباكات في تشرين الثاني / نوفمبر 1970 وكانون الثاني / يناير 1971(1).

وقفت منظمة الصاعقة ضد تصفية الوجود الفدائي في الأردن، وقد سقط 93 شهيدا في عمان لوحدها، وكان هؤلاء من العاملين فيها، ومن مليشيا الحزب(2).

كان موقف الأمين العام لحزب البعث ميشيل عفلق تجاه أحداث أيلول مؤيدا للمقاومة الفلسطينية، فقد وجه نداء إلى البعثيين للالتحاق بالثورة الفلسطينية، ووجه تعميما سريعا، طلب فيه التحاقهم بالمقاومة للقتال في صفوفها والدفاع عن الثورة الفلسطينية معتبرا ذلك دفاعا عن الوجود العربي في وجه الهجمة الاستعمارية والصهيونية(3).

قوبلت هذه الدعوة بتلبية 1500 بعثي التحقوا بالثورة من أقطار عربية، مثل: العراق، وسوريا ولبنان، والمغرب العربي، وأقطار الخليج العربي حتى وقف إطلاق النار كما، وشملت الاستجابة منظمات الحزب في يوغسلافيا، وفرنسا التي وجهت بدورها تعميمات لأعضائها للالتحاق بالثورة(4).

تعرضت قواعد الجبهة العربية للتكيل والبطش في شمال الأردن، وقد هاجمتها قوات الجيش الأردني بالدبابات والسيارات المجنزرة، ومنها: قاعدتي حاتم أبو شقرة، وعبد الكريم الشخلي وقصفتها بقنابل الدبابات والمدافع الرشاشة، وقد استشهد خمسة أفراد، وجرح ستة أشخاص وقد آخرون(5).

(1) انظر: حبيب الله، غانم: المرجع السابق ص 77- 78.

(2) انظر: أحاديث مع قادة المقاومة حول مشكلات العمل الفدائي الفلسطيني، الحلقة الثالثة، سامي العطاري، عبد الوهاب الكيالي "مجلة شؤون فلسطينية"، ع7، ص 35.

(3) انظر: عفلق، ميشيل: نقطة البداية أحاديث بعد الخامس من حزيران، ص 173.

(4) انظر: "تلبية لنداء الأمين العام 1500 مناضل بعثي التحقوا بالثورة"، مجلة الأحرار، تاريخ 9/ 11/ 1970، ص 10.
* من الشهداء: براق طالب الرفاعي(العمارة بغداد)، طارق محمد عبد الستار الشخلي (بغداد)، الشهيد ابراهيم محمد عويدات (بئر السبع - فلسطين)، سعد محمد سعيد بونس، ونجم محمد عبد الله الجبوري (حيفا - فلسطين).

(5) انظر: "قوات النظام العميل تشوه جنث شهداء جبهة التحرير العربية"، مجلة الأحرار، عدد 699، الجمعة 18 أيلول، 1970، ص 9.

مع تواصل الأيام أصبحت منظمة التحرير معزولة عن الجماهير، ونجح النظام الأردني في تشويه صورة المقاومة الفلسطينية، و فقدت التأييد من قبل الأقطار العربية المجاورة، أو على الأقل لم تقدم لها غير الاستنكار وهبت صيحات الإغاثة دون مجيب .

ويذكر صلاح خلف "أبو إياد" في السياق نفسه، كيف قوبل في القاهرة حينما تكلم في قصر القبة بحضور رؤساء الدول العربية عن مجازر أيلول "وقد صدمت وأنا أتكلم، من قلة التحسس لدى غالبية المستمعين إلي . كانت وجوههم ساكنة باردة ونظراتهم غائبة أو لا مبالية (1) .

تم توقيع اتفاق مصالحة بين الفدائيين والحكم الأردني قبل وفاة عبد الناصر، لكن طارئا جديدا دفع في اتجاه التأزم، وتمثل في تعيين وصفي التل رئيسا للوزراء وحاكما عسكريا في 13 تشرين الأول / أكتوبر 1970. عرفت هذه الشخصية بالدهاء والمكر السياسي ويؤخذ عليه أنه كان يحتك بالجهات القومية ويخدعها أحيانا واطهر انه يريد مساعدة منظمة التحرير إلا انه وضع في شهري تشرين الثاني /نوفمبر وكانون الأول /ديسمبر 1970 مراكز درك قرب مواقع الفدائيين، وفي كانون الثاني/يناير 1971 اندلعت الحوادث والمصادمات بين الطرفين، وأخيرا أعلن أنه لا يسمح بهذا الوضع الفوضوي الذي يسببه وجود حركة عاجزة عن فرض الانضباط في صفوفها وطالب بمغادرة الفدائيين مدن المملكة كافة، ونزع سلاح الفدائيين، وأصر على تجميعهم في جرش وعجلون حيث يستطيعون مقاتلة العدو بصورة أفضل(2).

عقدت المنظمات الفلسطينية في 28 شباط/ فبراير 1971 دورة للمجلس الوطني الفلسطيني وقد حضرها ممثل الجبهة العربية إلى جانب المنظمات الأخرى، وطرح أهمية ربط الضال العسكري، بالنضال السياسي، ونضال الثورة القطري بالنضال القومي، والتأكيد على استراتيجية رفض الحل السلمي ووحدة أداة الثورة، وليس فقط وحدة التصور، وتحديد أعداء وأصدقاء الثورة وطالبت بإشراك الجماهير العربية في معركة التحرير ووجوب تطبيق هذا التصور في الأردن، وطرحت بأن تقوم هذه الصيغة من خلال "جبهة تحرير فلسطين" لتعبر عن وحدة الثورة الفلسطينية ووحدة الثورة مع الجماهير الأردنية من جهة أخرى، وهي جبهة مفتوحة لجميع المنظمات الفدائية والسياسية والنقابية العربية و تلتزم أسلوب الكفاح الشعبي كخيار استراتيجي وحيد لتحرير الأرض العربية، ومستعدة للتصدي والوقوف في وجه أعداء التحرير والثورة

(1) رو لو، أريك : صلاح خلف - فلسطين بلا هوية، ص146 .

(2) انظر : رو لو، أريك : المرجع السابق، ص151 - 152

المسلحة، ومستعدة للتصدي في وجه الأنظمة والأوضاع والمؤسسات التي تقف في وجه التحرير (1).

وعلقت الجبهة العربية مع اقتراب 5 شباط / فبراير 1971، وهو موعد انتهاء وقف إطلاق النار من المحاولات الجارية لتكريس الحل السلمي، والتي يقوم بها من وصفتهم بعملاء الصهيونية والاستعمار بعد فشلهم في القضاء على العمل الفدائي في أيلول الماضي، والذين يعاودون الكرة لتصفية العمل الفدائي، وبينت (ج.ت.ع) أنه كان واضحا منذ البداية أن نظام الحكم الأردني يبغى حصر الوجود الفدائي في مناطق معزولة حتى يتمكن من الحصول على فرصة زمنية كافية؛ حتى يتسنى له القضاء على الوجود الفدائي، كما أن الاتفاقات التي عقدتها الحركة الفدائية والنظام الأردني بحضور اللجنة العربية سمحت بتأجيل الصراعات القطرية، وأظهرت المتطوعين العرب كغرباء، مما يحصر أفق الثورة الفلسطينية في إطار قطري (2).

تمت في ظل مساعي اللجنة العربية التي يرأسها الباهي الأدغم حملة جديدة من الإبادة والتصفية، وقد حقق الحكم الأردني مكاسب من اتفاق القاهرة تمثلت بنجاحه بشن حملة كثيفة على المرتفعات التي تقع بين عمان واربد ولاسيما ثغرة عصفورة . تعرضت قواعد الجبهة العربية قرب السلط لهجمات قوات الجيش الأردني، وقد دخل الجنود إلى قاعدة (سعيد البياتي) في أم جوزة بجوار السلط بحجة أنهم فلاحون قدموا لحرث الأرض، لكنه تبين لاحقا أنهم كانوا جنودا، و أطلقوا نيرانهم على الفدائيين، وقد أنجدهم الجنود من مكان قريب، وتمكن مناضلون في الجبهة العربية من تكييدهم خسائر دون أن يسقط أحدهم، وقد حضر للمكان هيئة الرقابة العسكرية التي أمرت بإخلاء القاعدة وتجنب الاشتباكات (3).

قامت القوات الأردنية بحرق الأشجار الموجودة هناك بقنابل الفسفور، وتمكن الفدائيون من الإفلات إلى مخيم البقعة، وحاصرتهم القوات الأردنية، وهددت بقصف أكواخ المخيم، وقامت بالسيطرة على الطريق المؤدي إلى جرش، وقصفت قواعد الفدائيين في الرميمين وأم جوزة، وأم العمد، ووادي الحرامية، وعملت السلطة على تسليط قذائف مدفعتها على المساكن المصنوعة من صفائح "الزنيكو"، وبعد وساطة اللجنة العربية ووجهاء المخيم، قرروا الخروج منه، وأخذتهم

(1) انظر : " مذكرة جبهة التحرير العربية إلى المجلس الوطني الفلسطيني " مجلة الأحرار، ع 721، 5 آذار 1971، ص

. 11

(2) انظر : " حملة إبادة جديدة في ظل اللجنة العربية "، مجلة الأحرار، ع 721، ص 4 - 5.

(3) انظر : مجلة الأحرار، ع 721، ص 4 .

سيارات إلى سوريا، ثم جرى تسفير عدد من الفصائل الفلسطينية مثل: الجبهة العربية، ومنظمة فلسطين العربية، والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، وقوات الأنصار (1).

واصلت القوات الأردنية تضيق الخناق على الفدائيين في آخر معاقلهم في أحراج جرش وعجلون، وفي 13 تموز/يوليو 1971 عقد المؤتمر الوطني الفلسطيني جلساته، وقد اهتم المؤتمر بعدم التنسيق مع النظام الأردني، وانتهت مجازر الأردن بطردهم نهائياً، وقدر عدد الذين راحوا ضحية المجازر 18 ألف شهيد، والبعض منهم سلم نفسه للقوات الإسرائيلية وفي مؤتمر صحفي علني صرح الحسين: " بأن السكوت الكامل يخيم على الأردن، والآن لا توجد مشكلة (2).

كان من نتائج الأحداث اغتيال وصفي التل رئيس وزراء الأردن، يوم الثامن والعشرين من شهر تشرين الثاني / نوفمبر 1971 توجه إلى القاهرة، وبعد أن ارتقى بخطوات مع أصحابه إلى الفندق، تقدم منه شابان، ثم دوت رصاصتان وتهاوى وصفي التل، وأعلنت المسؤولية منظمة أطلقت على نفسها اسم منظمة أيلول الأسود (3).

كان رد الصاعقة أن أدانت أسلوب الاغتيال لأنها ترى أن على المنظمات أن تتسق جهودها عند اغتيال أي مسؤول، وربما كان ذلك خوفاً من عدم اختلاط الأوراق (4).

(1) انظر: " حملة إبادة جديدة في ظل اللجنة العربية "، مجلة الأحرار، ع 721، ص 5.

(2) حبيب الله، غانم: علاقة منظمة التحرير الفلسطينية بالأردن، ص 80.

(3) انظر: رولو، أريك: صلاح خلف - فلسطيني بلا هوية، ص 156.

(4) انظر: أحاديث مع قادة المقاومة حول مشكلات العمل الفدائي الفلسطيني، مجلة شؤون فلسطينية، ع 7، ص 225.

5) موقف منظمات البعث من النظام اللبناني والحرب الأهلية عام 1976

بعد دخول المنظمات الفدائية إلى لبنان تشابكت الأحداث في ساحة هذا البلد، ونظرا لتعدد التيارات المختلفة فيه من سياسية ودينية فإن أوضاعه لم تكن أفضل للمنظمات الفدائية من الأردن ولذا كانت الأوضاع مرشحة للخلافات و الاشتباكات والدعايات ضد منظمات المقاومة.

في إطار من التحولات الاجتماعية اللبنانية تداخل العامل القومي بالإقليمي تداخلا من الصعب الفصل بينهما لتبيين حدود هذا الموقع وذلك، وتمثل القومي بدخول حركة الثورة الفلسطينية، إلى لبنان وتحوله إلى مركز وحيد بعد ضرب الثورة الفلسطينية وإخراج الفدائيين من الأردن وتلاقى العاملان: - عامل الثورة التي تفتش عن قاعدة آمنة، وعامل القوى الاجتماعية التي تريد التغيير لصالحها في لبنان(1). وقد عزز وجود الفلسطينيين التيار القومي العربي داخل لبنان(2).

التقى وتعاطف مع الثورة الفلسطينية أبناء المخيمات الفلسطينية الذين يعانون من الاضطهاد والتعسف، و الطائفة السنية، و المسلمين بصفة عامة، والذين مثلوا فئات مضطهدة في لبنان من قبل السلطة اللبنانية، والمخابرات اللبنانية، وقد أضعفت الطائفية السياسية سيطرة الدولة اللبنانية، ولم تنجح التنظيمات الأيديولوجية العقائدية في تجاوز نسيج العلاقات الطائفية، التي صبغت المجتمع اللبناني قياداته وعناصره، بلون طائفي واحد أثر في تركيبتها، ومجال امتدادها فالحزب القومي السوري الاجتماعي اتسم بطابع مسيحي أرثوذكسي بشكل عام، والتنظيمات الناصرية استقطبت القطاع المسلم، وانتشر الحزب التقدمي الاشتراكي بين الدروز، وحركة أمل يغلب عليها المذهب الشيعي وينطبق هذا الحال على مختلف التنظيمات والنوادي اللبنانية من مختلف أشكال الطيف السياسي والثقافي(3).

في هذا الخضم والمعتك السياسي المتشابك المعقد، الذي يشبه سيفساء سياسية كانت السلطة اللبنانية تقوم بممارسات شرسة ضد الفدائيين الفلسطينيين، ففي عام 1966 توفي أحد

(1) العابد، حمزة : حديث جديد عن لبنان، بيروت : دار الأصاله، ص46.

(2) كوبان، هيلينا : المنظمة تحت المجهر، ص110.

(3) العابد، حمزة : مرجع سابق، ص22، و 33

أعضاء حركة فتح، وهو جلال كعوش تحت التعذيب، والقي بجثته من بناية عالية من مكتب المخابرات حتى يبدو كأنه حادث انتحار(1).

بدأ في شباط / فبراير 1968 دخول الفدائيين إلى جنوب لبنان وإقامة قواعد عسكرية فيه قرب الحدود السورية – اللبنانية، ومن جنوب لبنان هوجمت المستعمرات الإسرائيلية، وقد شكل هذا الموقع، وإهمال أوضاع الشيعة فيه، تربة خصبة، ومناسبة لنمو العمل الفدائي(2).

كذلك أصبح لبنان محط آمال القوى الثورية العربية بين عامي 1968 و1974، واعتقد الثوريون العرب أن ثورة عربية ستفجر من لبنان، وفي هذا العام دب الحماس والتوق الشديد للحرية في لدى القوى القومية العربية، ومنها : البعث والناصرية والقوميين العرب، وكانت حرب الاستنزاف على الجبهة المصرية 1968-1969 وحرب 1973، والتي اعتبرها الرأي العام العربي انتصارا على الهزيمة العربية حافظا هي الأخرى(3).

شهد الفدائيون الفلسطينيون عام 1969 تحرشات من قبل السلطة اللبنانية، حيث تعرضت لهم بعد أن قاموا بعمليات ضد الاحتلال الصهيوني، وحاولت وضع العراقيل في طريقهم، وهو ما دفع لحدوث توترات بين اللاجئيين الفلسطينيين والسلطة اللبنانية .

بادرت الحكومة اللبنانية في نيسان / أبريل 1969 بأن ضربت حصارا على بلدة بنت جبيل لإلقاء القبض على مجموعة فدائيين بعيد عودتهم من إحدى المهمات ورفض أبناء البلدة تسليم الفدائيين للجيش، وبعد مرور ثلاثة أيام من الحصار والتهديد بالقصف سلم الفدائيون أنفسهم تجنبلا لسفك الدماء، وتسربت أنباء احتجاجهم في ثكنات صور وانتشرت المظاهرات الفلسطينية في مخيم عين الحلوة، وقتل أربعة طلاب، وجرح عشرين، ووجه تجمع القوى الوطنية والتقدمية في لبنان بالتحالف مع المنظمات الفلسطينية نداء في بيروت، للقيام بمسيرة شعبية ظهر يوم 23 نيسان / أبريل وواجهتها السلطة بإطلاق نار كثيف ورشق بالمياه الساخنة، واستمرت عدة أيام

1) الصايغ، روز ماري : الفلاحون الفلسطينيون من الاقتلاع إلى الثورة (مترجم)، القدس : منشورات صلاح الدين، ط2، 1983، ص183.

2) انظر : سويد، محمود: الجنوب اللبناني في مواجهة إسرائيل 50 عاما من الصمود المقاومة، بيروت : مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ص 6 – 7 .

3) انظر : الصايغ، روز ماري : الفلاحون الفلسطينيون من الاقتلاع إلى الثورة، ص 192 .

وتبع هذه الخطوة إعلان المخيمات مناطق محررة، وكان أولها في مخيم نهر البارد في 21 آب /أغسطس من ذلك العام(1).

حدثت توترات و اشتباكات في السياسة والشارع، عندها أذعن النظام اللبناني للضغوط المختلفة، وعقدت اتفاقية القاهرة في 3 تشرين الثاني / نوفمبر 1969 لتنظيم وجود المقاومة الفلسطينية، ونشاطها في الجنوب اللبناني، ونص الاتفاق على السماح للفلسطينيين المقيمين في لبنان للمشاركة في الثورة الفلسطينية من خلال الكفاح المسلح، وتأمين طريق المرور للعرب، وتنظيم العلاقة بين السلطات اللبنانية، والفدائيين الفلسطينيين، والسماح لهم بالمشاركة بالثورة الفلسطينية(2).

تمتعت الصاعقة في جنوب لبنان بشعبية؛ بسبب اعتمادها على ولاء حزب البعث في الجنوب ناهيك عن تأييد سوريا لها في حين يمكن للنظام السوري أن يمارس قيودا اقتصادية على لبنان، ولذا كان الدور السوري واضحا في أزمتي 23 و 24 نيسان/ أبريل 1968 وتشرين الثاني/ نوفمبر 1969، فقد احتل رجال الصاعقة عددا من المخافر اللبنانية قرب الحدود، وأرسلت سوريا وحدات من جيش التحرير لمحاربة السلطة اللبنانية، وهو ما دفع إلى الضغط على لبنان لعقد اتفاقية القاهرة بين السلطات اللبنانية والفدائيين(3).

علقت (ج.ت.ع) على اتفاقية القاهرة وبينت أن من واجبها أن تحمي ما فيه من مكاسب وأن تقضي على ما فيه من خسائر، وطالما أن النظام اللبناني المرتبط بالشركات الاستعمارية والإقطاعيين وعملاء الشركات الأجنبية لن يسمح للثورة بالمحافظة على إنجازاتها، ثم أن الثورة الحقيقية لا تقبل بتحديد حركتها وتقليص حريتها، وإذا فان هؤلاء سيجمعون قواهم في انتظار اللحظة الآتية(4).

عادت (ج.ت.ع) لتؤكد عددا من الحقائق المهمة بمناسبة وجود المقاومة في لبنان و حول العمل الفدائي كالتوكيد على ما يلي :

- (1) انظر :الصايغ، روز ماري : المرجع السابق، ص 197 .
- (2) انظر : المرجع السابق نفسه، الصفحة نفسها .
- (3) انظر :الرئيس، رياض نجيب : منظمة التحرير الفلسطينية المسار الصعب، ص74.
- (4) انظر : جبهة التحرير العربية الطريق القومي لتحرير فلسطين، ص71،72.

إن معركة التحرير في فلسطين، ومعركة حركة التحرر العربية ضد تحالف الرجعية العربية المرتبطة بالاستعمار هما وجهان لمعركة واحدة، كما أن قومية العمل الفدائي هي الضمانة الوحيدة لاستمراره وبقائه، ولا غنى للثورة الفلسطينية من الالتحام الكامل بالقوى الشعبية التحريرية في الوطن العربي(1).

اهتمت (ج.ت.ع) بإقامة قواعد لها في لبنان، مدفوعة بالتركيز على أهمية فتح الحدود أمام العمل الفدائي، والتحمت بحزب البعث المؤيد للعراق في القطر اللبناني، والذي يرأسه عبد المجيد الرافعي، وامتدت في المخيمات الفلسطينية، وأسهم البعثيون اللبنانيون في دعم العمل الفدائي والجبهة العربية، فقد أصدروا مجلة الأحرار اللبنانية، ودافعوا عن العمل الفدائي في وجه الدعوات المعادية له، ومن هؤلاء: الأمين العام لحزب البعث اللبناني وقادته الآخرون أمثال: رغيد الصلح وبشارة مرهج، ونيقولا الفرزلي(2).

شارك رغيد الصلح* في مهرجان شعبي تم في مخيم عين الحلوة الفلسطيني في صيدا، في يوم 2 كانون الثاني/يناير 1970، وحضره قرابة عشرة آلاف شخص الذي تم فيه تخريج دورة من الملتحقين بجبهة التحرير العربية، وألقى الصلح كلمة نيابة عن الشباب الوطني اللبناني، وفيه بين أن العدو كان مطمئنا " لسلام الحدود الشمالية " لأنه كان يعرف أن حكام لبنان يريدون له الخير، ولا يرغبون في إيذائه ويوفرون له أسباب الراحة بشتى الطرق والوسائل، وألقى رغيد الصلح باللائمة على السلطة اللبنانية التي لا تعد لحرب مع العدو، وهي تتظاهر بتأييد العمل الفدائي، وهي مستمرة في مؤامراتها، و تتظاهر إعلاميا بتأييدها للفدائيين ومن على صفحات الجرائد، لكنها تبحث عن وسيلة تتخلص بها من تبعات الحرب، وهي تهمل تسليح، وتدريب الشعب اللبناني، وتحصين حدوده، وتعزيز القدرات الدفاعية والعسكرية، وهي تسعى لإقناع الشعب بقبول الهزيمة والاستسلام للأمر الواقع(3).

(1) انظر : * للناشر كلمة اتفاقات القاهرة...مخططة في طريق طويل، ما الذي انتهت إليه أحداث لبنان الدامية *، مجلة الناشر العربي، ع19، 5 شباط 1970، ص3-4.

(2) مقابلة أجريت بتاريخ سابق مع رقاد سالم.

* ذكر أمين عام الجبهة العربية رقاد سالم للباحث أن رغيد الصلح تعرض لأكثر من مرة لمحاولة اغتيال من المكتب الثاني وراح فيها أحد حراسه، وهو ما اضطره الخروج إلى لندن (مقابلة جرت في تاريخ سابق بمدينة رام الله .)

(3) انظر : لقاء جديد بين جبهة التحرير والجماهير في مخيم عين الحلوة *، مجلة الناشر العربي : ع 18، 15 كانون الثاني، 1970، ص 47 .

وتطرق إلى دور السفير الأمريكي في بيروت الذي يأمر فيلبى طلبه، أو يسجن السلطة اللبنانية وتعتقل من يتظاهر أو يضرب، ولكن الرواد الأوائل الذين ساروا في طريق البطولة والفاء كانوا يغيرون عليه من الشمال : جلال كعوش، وأحمد عطا الدحايرة، وغيرهم كثيرون معظمهم خرج من مخيم عين الحلوة(1).

وتعرضت جبهة التحرير العربية بالتحليل الشمولي لوجود الفدائيين في لبنان، وتساءلت عن سر التبدل المفاجئ في موقف السلطة اللبنانية، وتناولت شروط انتصار الحركة الجماهيرية، وقد جاء ذلك بعد أن شهد النظام اللبناني تخفيف القيود حول العمل الفدائي، وكتبت مجلة الثائر العربي في استهجان " هل أصبح جزارو 23 نيسان و 21 تشرين أكثر فلسطينية اليوم وأقل لبنانية ... طبعاً كلا ... الذي تغير هو الأسلوب فقط، رغم أن الجوهر قد استمر :معاداة العمل الفدائي ... واستمرار في التمييز بين الفلسطيني واللبناني ..."(2).

يقوم رأي الجبهة العربية على أن السلطة اللبنانية تريد من العمل والوجود الفدائي وجوداً معزولاً عن الإمدادات الجماهيرية حتى يسهل التخلص منه في أقرب فرصة ممكنة، ووقفت أطم المزاعم الحكومية اللبنانية القائلة : أن سبب تردي اقتصاد الجنوب اللبناني يعود للوجود الفدائي، وردت عليه " وكان جنوب لبنان لم يكن قبل عام تماماً كالبقاع والشمال من جملة الميليشيات في بلد الإشعاع والنور(3).

اهتمت جبهة التحرير العربية بردم الثغرات في العمل الفدائي، وتعميق الصلة بين الحركة الوطنية وحركة المقاومة الفلسطينية .

ورأت أن من الأهمية بمكان ترجمة الطابع القومي للمعركة في تنظيم قومي عربي والذي لا يحشد الطاقات فحسب بل يزيل محاولات التمييز الإقليمي والقطري، وهو يؤكد عروبة فلسطين والتحامها بالجماهير العربية، ثم تقوية التفاعل واللمحة بين الحركة الفدائية والحركة الوطنية اللبنانية، والاهتمام بالقرى الحدودية، التي أهملتها الحكومة اللبنانية، واعتبار كل لبناني مؤيد وملتزم بالعمل الفدائي بمثابة فلسطيني والوقوف في وجه الدولة اللبنانية التي تحاول القصاص من اللبنانيين المؤيدين للعمل الفدائي ، ومن الإجراءات العملية تدريبهم وتسليحهم ليكونوا خطاً

(1) انظر : لقاء جديد بين جبهة التحرير والجماهير في مخيم عين الحلوة "، مجلة الثائر العربي، ع 18، 15 كانون الثاني، ص 46 .

(2) جبهة التحرير العربية الطريق القومي لتحرير فلسطين، ص 81 .

(3) المرجع السابق، ص 83 .

داعما للثورة، والعمل على تحمل الأعباء الاقتصادية، وتعزيز المقاومة بالاحتذاء حذو النموذج الفيتامي الذي يبني ويقاوم ويزرع ويحارب، والإشراف على تعاونيات تلغي دور الوسطاء(1).

حاولت إسرائيل خلق هوة بين المنظمات الفدائية وحلفائها اللبنانيين من جهة، والسلطة اللبنانية والقوى اليمينية من جهة أخرى. وقد قامت بإثارة الاضطرابات بينها، وعزل العمل الفدائي عن جماهيره. كما أن السلطة اللبنانية عملت هي الأخرى في تضيق الخناق حول العمل الفدائي، فقد فرضت على المخيمات الفلسطينية عدة قيود. بدأت إسرائيل من عملية العرقوب الأولى في أيار 1970، وقد رافقتها عمليات نسف بيوت واختطاف قرويين وحملة تفتيش. لقد تضايقت إسرائيل من تدفق الفدائيين إلى الجنوب اللبناني واشتعال الثورة والأعمال الفدائية المتلاحقة من الجنوب، ولهذا قامت بعمليات اجتياح متكررة للجنوب اللبناني، وكانت الفاتحة، اجتياح القوات الإسرائيلية لمنطقة العرقوب بتاريخ 12 أيار/مايو 1970 وفيه اشتبكت مع الفدائيين مدة 35 ساعة قتل خلالها 6 جنود لبنانيين وجرح 15 وقتل مدنيان، وفي هجوم آخر جرى يوم 10 نيسان / أبريل 1973 على مخيمات بيروت قتل 40 فلسطينيا ولبنانيا وجرح 29 ونجحت مجموعة مظليين إسرائيلية في دخول بيروت وراح فيها 3 شهداء من قياديي م.ت.ف. ** . كانت عملية اغتيال القادة الثلاثة واحدة من الأحداث التي أثارت التساؤل وشككت في دور السلطة اللبنانية، وأدى إلى نشوب خلاف بين السلطة اللبنانية والفدائيين الفلسطينيين، الذي أدى إلى قيام السلطة اللبنانية بتدخل طيرانها للمرة الأولى في الثالث من أيار/ مايو 1973، بقصف مخيم برج البراجنة عرضت تجمعات فلسطينية أخرى لقصف المدفعية اللبنانية(2).

على أثر هذا الخلاف قامت مصر في عقد اتفاقية ملكارت بين الطرفين اللبناني والفلسطيني في 17 أيار/ مايو 1973، وتعايش الطرفان حتى عام 1975(3).

في 26 شباط / فبراير 1975 أطلق الجيش اللبناني النار على مظاهرة احتجاجية، قامت بها الجماهير المؤيدة لمعروف سعد، رئيس التنظيم الناطري ضد منح ترخيص لشركة بروتين التي يديرها كميل شمعون، رئيس حزب الأحرار الوطني اللبناني على حساب صيادي السمك، وأصيب سعد بإصابة قاتلة وتوترت الأوضاع بين الجيش اللبناني والمسلمين، وقد أصدرت

(1) انظر : المرجع السابق، ص 86 – 90

** وهم: محمد يوسف النجار، وكمال عدوان، والشاعر كمال ناصر .

(2) انظر : سويد، محمود : اجتياح لبنان، ص 8 – 9 .

(3) انظر : رو لو، أريك : صلاح خلف - فلسطيني بلا هوية، ص 252 – 253 .

القوى الوطنية اللبنانية بيانا دعت فيه إلى القيام بإضراب عام في بيروت والمناطق اللبنانية ومحكمة القتل؛ بينما ردت السلطة أن المظاهرة لم تكن مرخصة(1).

توالى الأزمات، والتوترات المتبادلة بين تحالف القوى اليمينية، وتحالف القوى اليسارية اللبنانية، وقد جاء اعتداء عناصر مسلحة من الكتائب، ليصب الزيت على النار، لقد تعرض باص يحمل ركابا، من جبهة الرفض الفلسطينية أثناء مروره من حي عين الرمانة في الجزء المسيحي الشرقي من بيروت إلى إطلاق صاروخ، وكانت الحافلة تقل 26 فلسطينيا غير مسلحين حضروا احتفالا بذكرى جريمة دير ياسين، وقد استفز الحادث المنظمات الفلسطينية، وأعلن القائد العام للثورة الفلسطينية ياسر عرفات أن المنظمات الكتائبية هي المسؤولة عن الحادث، واستنكره كمال جنبلاط وأعتبره جزءا من مؤامرة استعمارية صهيونية نفذتها عصابات الكتائب(2).

ويذكر أمين سر اللجنة المركزية للجبهة العربية أنه سقط للجبهة 22 شخصا* وكان الاحتفال بمناسبة ذكرى انطلاقة حزب البعث العربي الاشتراكي، وجبهة التحرير العربية التي تصادف تلك المناسبة(3).

منذ ذلك التاريخ وقعت المنظمات الفدائية في "الشرك اللبناني"، وهو شرك أعد له كميل شمعون، والصقه بحزب الكتائب اللبناني، وتم بالتعاون مع المكتب الثاني برئاسة العقيد جول البستاني(4).

1) انظر: عيتاني، بديع: حرب لبنان، بيروت: دار المسيرة، ط 1982، ص 361.

2) انظر: عيتاني، بديع: المرجع السابق، ص 163.

* هذه قائمة بالشهداء الذين سقطوا للجبهة في هذه المذبحة: من فلسطين فوزي منصور، ومحمد أبو خليل حمادة ومحمد حسن، ومحمد حسين قدورة، و الشيخ محمد علي محسن، وعبد الفتاح الداودي، ومحمود عبدالكريم شحادة، و أحمد أبو خليل، وموسى أحمد دعبس، ومحمد أحمد سالم، ومحمد محمود شحير، ومن لبنان كل من: الشيخ محمد علي محسن، وخالد محمد محسن، و مصطفى علو، واستناد دندش، وحسن سعيد، ورمضان أحمد قوصان، وصلاح مصطفى علو، وحيدر محمد محسن، ومن العراق: مزهر جلوب سايد.

شاركت جبهة التحرير العربية في معارك بيروت، ومخيم تل الزعتر، ومخيم الضبية، وحي الشياح ومدينة صور،

ومعارك الفنادق، وغيرها، وبلغ شهداء الجبهة في معارك مخيم تل الزعتر لوحدها قرابة 40 شهيدا، هذا ناهيك عن الذين

سقطوا في ساحات أخرى. (عن أسماء شهداء الجبهة العربية حتى عام 2000)

3) مقابلة أجريت بتاريخ سابق مع الأمين العام للجبهة العربية ركاد سالم.

4) انظر: رولو أريك: صلاح خلف - فلسطيني بلا هوية، ص 255.

امتدت الاشتباكات في مدينة بيروت، ومنها إلى جهات مختلفة في لبنان وضمت المنظمات الفدائية وحلفاؤها اليساريون اللبنانيون من جهة، والتحالف اليميني المسيحي من جهة أخرى، واتسع الشرخ اللبناني ليشمل الجيش، والخلاف حول رئاسة لبنان ولم تفلح جهود أبي عمار في رتق الفتق فقد واجه هذه المرة قوى متعصبة وارتفعت الأصوات التي تطالب بطرد الفلسطينيين من لبنان(1).

وكما حدث في الأردن ضاعف من حدة الأزمة تحركات وزير الخارجية الأميركي هنري كيسنجر، وتم تغيير السفير الأميركي في لبنان بسفير جديد يدعى غودلي، والذي عرف كمهندس للعديد من الانقلابات في العالم مثل فيتنام، وتشيلي، وهو ما أثار توقعات أبناء بيروت عن الكارثة التي تحيط بهم(2).

شاركت منظمة الصاعقة إلى جانب المنظمات الفلسطينية، وكانت لها مساهمة في حصار السعديات مقر كميل شمعون في كانون الثاني / فبراير 1976، ودخلوا إلى قصره(3).

أخذ النظام السوري يندفع باتجاه التدخل في الحرب اللبنانية، بينما توجهت الأنظار إليه من مختلف القوى . و جاء وفد يرأسه عبد الحليم خدام ويضم ناجي جميل، و حكمت الشهابي في الحادي والعشرين من كانون الثاني /يناير 1976، والذي اتصل بمختلف الأطراف وتم وقف إطلاق النار بصورة ظرفية وعابرة ومحدودة، وتقوم على إعادة العمل باتفاقية القاهرة، وتشكلت بفضل هذه الجهود لجنة عسكرية مشتركة ضمت الأطراف الثلاثة السوريين واللبنانيين والفلسطينيين . أعلن كمال جنبلاط تأييده لما انبثق عن اللجنة من تقسيم المقاعد اللبنانية مناصفة، وانتخاب رئيس الجمهورية من قبل أعضاء مجلس النواب(4).

استمر النظام السوري في توجيه الجهود السلمية نحو الحل السلمي بين الفرقاء، ولكن كمال جنبلاط كان يميل إلى عدم التدخل الدبلوماسي السوري، رغم أن لقاء جرى بينهما في 27

(1) انظر : رو لو، أريك : المرجع السابق، ص 267 – 268 .

(2) انظر : عيتاني، بديع : حرب لبنان، ص 175 .

(3) مقابلة أجريت مع أمين عام الجبهة العربية في تاريخ سابق .

(4) انظر : عيتاني، بديع : حرب لبنان، ص 175

آذار/ مارس إلا أن القطيعة جرت بينهما، وعاد كمال جنبلاط رئيس الحزب الوطني الاشتراكي يتهم حافظ الأسد بالعمالة والخيانة لحساب الولايات المتحدة الأميركية (1).

راح الأسد والقوى المؤيدة له يتهمون جنبلاط بأنه " تاجر ثورة وتقدمية "، ودافع الأسد عن مسعاه بأنه مهتم بسلامة لبنان، وفي 16 نيسان انفقت المقاومة الفلسطينية والنظام السوري على وقف القتال، ومقاومة التقسيم، ورفض تعريب الصراع(2).

خرجت سوريا من دور الوسيط السياسي إلى التدخل المباشر في الشؤون اللبنانية، ففي يوم 1 حزيران/ يونيو 1976 تحركت وحدات سورية مدرعة، ودخلت منطقة زحلة وعكار، وأعلنت الحكومة السورية أن هدفها وقف الاقتتال، وإحباط المؤامرة على لبنان ومقاومة التقسيم ومساعدة اللبنانيين على تطوير نظامهم حتى لا تتدخل إسرائيل(3).

أيد زهير محسن دخول القوات السورية وصرح أن بقاءها " رهن بتفاهم اللبنانيين وعودة الشرعية "، وبدأت الصاعقة قبيل ظهر يوم 6 حزيران/ يونيو هجومها على مقرات جبهة الرفض في بيروت الغربية مما دفع مغاوير فتح إلى الدفاع عنها(4).

قابلت الجبهة العربية محاولة الصاعقة احتلال مكاتبها بالرد الفوري ونجحت في احتلال مكاتب الصاعقة، وتم استمالة حنا بطحيش ليقوم بتمرد على منظمة الصاعقة وتشكيل منظمة منشقة إلا أنها لم تستمر طويلا(5).

بعد أسبوع من دخول القوات السورية لبنان قامت منظمة صاعقة جديدة، وفر زهير محسن ملتجئا للقوات السورية المرابطة في مطار بيروت، بينما أعلن حنا بطحيش قيام منظمة جديدة، وانتقد زهير محسن وأخيه ماجد اللذين احتكرا كل الصلاحيات، وأعلن الخروج عن الوصاية السورية، وأوضح أن الصاعقة حاربت حتى يوم 22 حزيران/ يونيو، وبعد هذا التاريخ

(1) انظر: عيتاني، بديع: المرجع السابق، ص 181 .

(2) عيتاني، بديع: المرجع السابق، ص 187 .

(3) انظر : المرجع السابق نفسه ، الصفحة نفسها .

(4) رو لو ،أريك : صلاح خلف - فلسطيني بلا هوية، ص 284 .

(5) مقابلة: أجريت بتاريخ سابق مع أمين عام الجبهة العربية.

جاءت التعليمات بمنع إطلاق النار على القوات الانعزالية، وهددت بإعدام المخالفين لذلك، وأعلن أن منظمته ستكون بجانب حركة المقاومة وحلفائها من الحركة الوطنية اللبنانية(1).

لقد كانت بعض العناصر في حركة فتح تشعر بالامتنان لقدم مئات من المتطوعين* العراقيين الذين قاتلوا في صفوف الجبهة العربية(2).

أسهم دخول القوات السورية في ميل ميزان القوى لصالح المنظمات المسيحية اليمينية في لبنان مما أثار حماس القوات المارونية للهجوم على عدد من المخيمات التي بقيت في شرق بيروت في القطاع المسيحي ومنها: مخيمات جسر الباشا ومخيم تل الزعتر، وحي النبعة الشيعي، وقد سقط مخيم جسر الباشا في 22 حزيران / يونيو 1976(3).

تأخر سقوط تل الزعتر، وذلك بسبب استبسال المقاتلون وأبناء المخيم في الدفاع عنه لفترة طويلة . منذ بدأ الضغط عليه في شهر كانون الثاني / يناير، وكانت القذائف والصواريخ لا تنقطع من الصباح إلى المغرب وعلى مدى اثنين وخمسين يوماً متتالية(4).

بعد طول معارك ضارية اقتحم مخيم تل الزعتر، وقد استغلت القوات الكتائبية خروج الفلسطينيين بالاتفاق مع الصليب الأحمر واعتدت على المدنيين، وقتل 3000 شخص نتيجة غدرهم بحيث لم يسقط من الفدائيين أثناء القتال سوى عشرات، في حين سقط هذا العدد الكبير في صفوف المدنيين(5). وذكر أنه سقط للجبهة العربية ما يزيد عن 40 مناضلاً، وأسهمت (ج.ت.ع) في الحرب و خاضوا معارك حافلة في منطقة الأسواق التجارية في بيروت(6).

كانت هذه الحرب قد أضعفت منظمة الصاعقة إلى حد كبير فقد جرى ارتداد جماعي في تلك المنظمة وتذكر هلينا كوبان أنه " حينما أعيد تركيبها من جديد على يد قائدها المعتدل

(1) انظر: "صاعقة جديدة تتشق عن منظمة زهير محسن" جريدة الفجر المقدسية، ع 2475، الثلاثاء 3 آب 1976، ص 1، وص 5 .

* يذكر رقاد سالم في مقابلة أجريت معه بتاريخ سابق أن عددهم بلغ 800 متطوع .

(2) انظر: كوبان، هلينا: المنظمة تحت المجهر، ص 130 .

(3) انظر: كوبان، هلينا: المرجع السابق، ص 123 – 124 .

(4) كوبان، هلينا: المرجع السابق، ص 187 .

(5) انظر: رولو، أريك: صلاح خلف – فلسطيني بلا هوية، ص 285 – 286 .

(6) مقابلة أجريت بتاريخ سابق مع رقاد سالم.

والمتناقض زهير محسن، وفي أعقاب الحرب، فإنها ولدت هذه المرة مصبوبة بقالب سوري خالص، وقد حرص السوريون على حرمان المنظمة المعاد بناؤها من أية قدرة ولو محدودة من الحرية التنظيمية الحقيقية التي أدت إلى إخراجهم في عام 1976 " (1).

استطاع زهير محسن أن يهرب إلى سورية، بينما أعلن حنا بطحيش تمرد في صفوف منظمة الصاعقة وانضم للمنظمات الفدائية، وقام مؤيدو الصاعقة قابلت الجبهة العربية تمرد حنا بطحيش بالتأييد مثلما أيدته فتح، وساعدته في السيطرة على مكاتب الصاعقة في بيروت، لكن تصالح منظمة التحرير مع النظام السوري بعد فترة أعاد مكاتب الصاعقة وممتلكاتها إلى النظام السوري وتحت زعامة أمينها العام زهير محسن، وسافر بطحيش إلى خارج البلاد خوفاً من ملاحقة المخابرات السورية (2).

عارضت غالبية التنظيمات الفلسطينية نشاط منظمة الصاعقة في المناطق التي تسيطر عليها، لكن النظام السوري أجبر قادة فتح و م. ت. ف على ذلك، وتوجه محسن بعد المصالحة إلى المجلس الوطني الفلسطيني في آذار/مارس 1977، وبعد زيارة السادات للقدس نسقت فتح سياستها مع سوريا، وكانت فرصة مريحة للصاعقة، واطمان زهير محسن وتوجه عام 1979 لنادي قمار في مدينة كان الفرنسية، وقتل على يد مجهول، وبعد مقتله قسمت مهماته بين ثلاثة هم : عصام القاضي الذي عين أمين عام الصاعقة، و محمد خليفة الذي عين مندوباً للصاعقة في اللجنة التنفيذية، وتولى ماجد محسن شقيق زهير محسن عمليات الصاعقة في لبنان (3).

-
- 1) كوبان، هلينا: المنظمة تحت المجهر، ص 132 .
 - 2) انظر : كوبان، هلينا : المرجع السابق، ص 244 .
و مقابلة أجريت بتاريخ سابق، مع رقاد سالم.
 - 3) انظر :كوبان، هلينا: المرجع السابق، ص 245 .

6) أثر أبرز الأحداث على الساحة العربية في منظمات البعث

أ) الحرب العراقية – الإيرانية عام 1980

شهد العالم في شباط / فبراير عام 1979 انتصار الثورة الإيرانية بقيادة آية الله الخميني على حكم الشاة رضا بهلوي، وهي ثورة شعبية أسهمت فيها أحزاب وتيارات دينية و سياسية مختلفة، ومنها حزب تودة الشيوعي، وحركة مجاهدي خلق ومنظمة فدائيي خلق وفي الوقت الذي حدثت فيه الثورة الإيرانية، شهد العراق تسليم نائب رئيس الجمهورية العراقية صدام حسين مقاليد الحكم فيها بعد تنحي حسن البكر .

لقد أثار سقوط شاة إيران، وانبثاق الجمهورية الإيرانية مخاوف عربية في الخليج العربي بسبب تمسكه بمواقفه السابقة، ومطالبته بالبحرين، وتمسكه بمقولة " لا حدود في الإسلام " ومن المرجح أن إيران حرّضت أطرافا كثيرة لتسعيير الخلافات، وكان جيمي كارتر يحرص على إشعال العراق في صراع مذهبي وقومي، بهدف إشعال بغداد عاصمة مؤتمر القمة العربي الراض لكامب ديفيد، والإستراتيجي المهم للجبهة الشرقية(1).

شهدت إيران تصريحات عديدة صدرت عن المسؤولين الإيرانيين، فالخميني يعرب عن استعداد القوات الإيرانية للسيطرة على بغداد، وان قواته ستطالب بفرض سيادتها على بغداد إذا ما طالبت العراق بالجزر العربية، وسلك حذوه أبو الحسن بني صدر، ومثله قائد القوات البرية الإيرانية، وكان واضحا أن الهدف عند الخميني إقامة حكم طائفي في العراق وأخذت إيران تتناقض مع مكونات التسوية التي تمت في اتفاق 6 آذار/مارس 1975 بتدخلها المستمر في الشؤون العراقية(2).

وفي الوقت الذي كان فيه قادة الجمهورية الإسلامية ينزعون للسيطرة على دول الخليج ومد ثورتهم إليها كانت تشهد إيران ثورات وانتفاضات في مناطق أذربيجان، وكردستان،

(1) الكيالي، عبد الوهاب : العرب والقضايا الاستراتيجية، بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1982، ص 66 و ص 119 .

(2) مقبل، زياد، وأمين، عبدالعزيز : حرب الكرامة العربية، نابلس : مطبعة جمعية العمال التعاونية 1983، ص106 – 107 .

وبلوخستان، وخوزستان (عرب الأهواز)، وقدمت حكومة البعث في العراق يد المساعدة لعرب الأهواز (1).

جاءت سلسلة من الانفجارات في العراق وما رافقها من تصريحات لمستولي البلدين وفي ظل التناقض بينهما زادت حدة التوترات والعداء القديم الضاربة جذوره في التاريخ القديم والحديث للبلدين الجارين في سيرهما نحو الحرب، ففي نيسان/ أبريل 1980 عقدت ندوة اقتصادية حضرها نائب رئيس الوزراء العراقي التي نظمها الاتحاد الوطني لطلبة العراق . فوجئ طارق عزيز بقبلة يدوية وضعت قرب رجليه، و بين حشد من الطلاب، وقد حذر رئيس الاتحاد طارق عزيز من وجود القنبلة، والتي سببت جرحه وآخرين، ونقل طارق عزيز للمشفى، وفي اليوم التالي زار صدام حسين الموقع، وخطب في جامعة المستنصرية "خطاب الثأر والحرب " . وقد تبين أنها من صنع طالب إيراني يدعى "سمير غلام"، وحذر صدام ممن يحاولون النيل من ثورة العراق، وفي خطابه أطلق قسمة " والله، والله، والله إن الدماء الطاهرة التي سالت في الجامعة المستنصرية لن تذهب سدى (2).

وقد غذت الحرب عوامل مختلفة سواء أكانت قومية أو دينية، أو تدخل أطراف دولية عملت بكل جهد على تغذية الصراع قبل وأثناء الحرب حتى استمرت ثماني سنوات إلا أن العامل القومي يعتبر محركا أساسيا فيها، يقول جون بولتا في كتابه صراع قوميتين الهبة التحرش الإيراني : " ذهب إلى إيران زمن الشاه، وزمن الخميني وبدا لي أن الحرب على العراق واقعة لا محالة، فهنا تلتهب مشاعر فارسية، وهناك تستعر مشاعر القومية العربية، وبغداد بعد اتفاقيات كامب ديفيد وتحيد الثقل المصري بدت صاحبة الريادة في تحفيز الوحدة العربية واستعجال استحقاقاتها، والرئيس العراقي وعى أهمية العراق في مرحلة ما بعد كامب ديفيد، وكاستراتيجي حاذق، ضاعف الإنجازات وجعل بلاده تتوي على قرارات ذاتية نابعة من هيكلية لطاقتها البشرية والتنموية(3).

1 مباشر، عبده: الحرب العراقية الإيرانية، القاهرة : دار الكتب والوثائق القومية، 1986، ص 13.

2 مقبل، زياد، وأمين، عبدالعزيز : حرب الكرامة العربية، ص 119 .

وانظر أيضا : أسامة غزالي، حرب "أبعاد النزاع العراقي الإيراني " مجلة السياسة الدولية ع 61 يوليو تموز 1980، ص 186 - 187 .

3 جون بولتا في كتابه صراع قوميتين الهبة التحرش الإيراني، مجلة الطليعة العربية، ع 176، 22 أيلول 1986، ص 6

وشخص الدكتور العراقي وفريق رؤوف السلوك الإيراني على مدار التاريخ، ومنذ القرن السادس عشر، وتناول الانتهاكات الإيرانية التي تمثل مساراً حلزونياً للصراع الضارب في عمق التاريخ، وأن استراتيجية إيران كانت تطمح دوماً في السيطرة على مياه الخليج العربي قبل وبعد ظهور النفط، كما أن إيران كانت دوماً غير مقتنعة أن يكون العراق ذا شأن، وفي الأعم الأغلب يتعارض ازدهار العراق معها، وقد توجهت إيران نحو ابتزاز العراق قبل وبعد العشرينيات. وقررت إيران التعامل مع الوكيل العثماني، ولم تتعامل مع العراق، الذي اعتبرته صغيراً، وهكذا اعتمدت إيران على مبدأ تحين الفرص، مستغلة حالة الارتباك السياسي في الوضع الداخلي للعراق، وهكذا نقضت اتفاقيات أرض روم، وعملت على تحقيق مكاسب في اتفاقيات 1973، وهددت باحتلال العراق في عام 1959، وعادت لاحتلال الجزائر العربية عام 1972(1).

قامت القوات العراقية - بعد ما وصفته بالتحرشات والاستفزازات - بشن هجوم جوي في الساعة الثانية عشر يوم 22 أيلول / سبتمبر 1980، وقصفت المطارات الإيرانية، ونجحت في زحفها بالوصول إلى عمق الأراضي الإيرانية، وحدثت ملاحم حربية في المحمرة، وسربيل الذهب وغيلان غرب وسومار . في هذا الوقت أعرب العراق عن استعداده للسلام، وبحث المشاكل العالقة، ووافق بذلك على دعوة مجلس الأمن لوقف القتال بين البلدين لكن إيران رفضت جهود الوساطة، وزجت بالإيرانيين إلى المحرقة، وأصررت على تحرير الأراضي الإيرانية كافة . والإطاحة بنظام البعث العراقي، وظلت تعتمد أسلوب الحشد البشري في الحرب . في هذا الوقت مدت إسرائيل يدها لإيران، وقد زودتها بقطع الغيار، واعترفت إيران بأنها اشترت السلاح مقابل سداد ديون من عهد الشاه، وقابل حافظ الأسد، والعقيد معمر القذافي تلك الحرب بالانحياز إلى الطرف الإيراني وعقد حافظ الأسد معاهدات علنية وسرية، بموجبها أغلق أنابيب النفط العراقي المارة في الأراضي السورية(2).

لقد اختلفت الآراء وتشعبت، في نظرتها للحرب، فبعضهم مع هدف الحرب، ولكن ضد التوقيت، والبعض يعتبرها استفزازاً لطاقة العراق العسكرية والبشرية التي تحولت عن القضية

(1) وفريق رؤوف في تحليله للسلوك الإيراني عبر التاريخ، مجلة الطليعة العربية، ع 116، 22 تموز 1985، ص 29 .
(2) انظر: مقبل، زياد، وأمين، عبدالعزيز: حرب الكرامة العربية، ص 129 - 144 . (بتصرف)

المركزية، قضية فلسطين، ويرون أنها تستهدف بلدا انتقل من موقع العدو إلى موقع الصديق، وآخرون يرون أنها خدمة للإمبريالية الأميركية (1).

أيد عبد الرحيم أحمد أمين عام الجبهة العربية وجهة النظر العراقية في الحرب، ويمكن القول أن موقف الجبهة العربية يتفق تماما مع الموقف العراقي، فقد اعتبرها: "الوحدة القومية ضد التفرقة الطائفية والمذهبية، وهي معركة التقدم والتحرر ضد التخلف والتحجر وهي معركة السيادة القومية أمام كل من يحاول أن ينال من شرف هذه الأمة وقدرتها على الانطلاق... (2).

أما موقف فصائل (م. ت. ف) فاتسم بمعارضة العراق وتأييد إيران، وقد توترت العلاقات خاصة مع الجبهة الشعبية التي اتخذ العراق قرارا بترحيل 32 من أفرادها في 25 نيسان / أبريل 1980 وأغلق مكتبها في بغداد(3).

واعتبرها عصام القاضي أمين عام الصاعقة أنها تفتح أبواب المنطقة أمام الولايات المتحدة وتقدم الحرب المسوغات للولايات المتحدة وحلفائها لبطش هيمنتهم الكاملة على المنطقة(4).

تميز الموقف الشعبي الفلسطيني بمعارضته للعراق، فقد قوبل الموقف العراقي بالاستهجان والنقد اللاذع في مناسبات عديدة، وقد تجلت صورة ذلك في المهرجانات السياسية في الجامعات، والمعاهد الوطنية، كما أن القوى السياسية عبرت عن استيائها، وقد لهجت الألسن بالقدح والذم ووصف موقفه ب "الرجعي وحليف السعودية" لتحالفه مع دول الخليج العربي ضد الحكم الديني في إيران الإسلامية(5).

(1) بمناسبة العيد الرابع والثلاثين لتأسيس حزب البعث العربي الاشتراكي والذكرى الثانية عشرة لانطلاقة جبهة التحرير العربية حول بعض القضايا الراهنة" سلسلة الوثائق الفلسطينية 1981، ص 115-116 .

(2) حديث صحفي خاص للسيد عبد الرحيم احمد، أمين سر جبهة التحرير العربية، ص 152 . .

(3) انظر: "بيان صحفي للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين حول إغلاق الحكومة العراقية لمكتب الجبهة في بغداد" سلسلة الوثائق الفلسطينية العربية 1980"

(4) "حديث الدكتور عصام القاضي، أمين سر منظمة طلائع حرب التحرير الشعبية قوات الصاعقة" حول الوضع العربي الراهن، والحرب العراقية والوحدة الوطنية الفلسطينية "سلسلة الوثائق الفلسطينية العربية، 1981، ص 56 .

(5) مشاهدات الباحث وسماعه لخطابات القوى الوطنية في مهرجانات عديدة جرت في جامعة بيرزيت، ومعد معلمي الوكالة في رام الله بمناسبة قرار الأردن إرسال قوات اليرموك لجبهة الحرب عام 1982 .

لقد ركزت عناصر الجبهة العربية وقيادتها في الدفاع عن هذا الموقف مثلما ركز "صوت فلسطين من بغداد" على أخبار جبهة الحرب، ومجلة الطليعة العربية الصادرة في باريس 1984-1988، التي حررها ناصيف عواد عضو اللجنة المركزية ل (ج.ت.ع)، وقد اعتبرت الجبهة العربية حرب العراق بأنها " القادسية الثانية" وهو الاسم الذي أطلقه العراق على هذه الحرب. كما أن الجبهة العربية أرسلت سرية من المتطوعين إلى جبهة المعارك وبصورة دائمة من قواتها في لبنان منذ عام 1980 التي ضمت أعضاء في لجنتها المركزية ومن عناصرها القاعدية، وكانت تسير سرية بين فترة وأخرى(1).

واجهت جبهة التحرير العربية صعوبة كبيرة في إقناع الشارع الفلسطيني بوجهة نظرها المؤيدة للعراق، حيث كان الحماس الفلسطيني منقطع النظير للثورة الإيرانية ولمرشد الثورة الإيرانية آية الله الخميني، ولم تتجح في استقطاب الجماهير باعتبارها منظمة تدافع عن مواقف العراق، ولم يكن الإعلام العراقي بقادر على توضيح صورة نظام الخميني أمام الحماس الفلسطيني الجارف له، هو ما أسهم في عزلة الجبهة العربية(2).

كانت صحيفة الأسبوع الجديد الصوت الإعلامي الوحيد المؤيد للعراق التي حررها زهير الريس أحد الناصريين، وقد بينت ردود الفعل المختلفة من الرئيس العراقي صدام حسين، ومما جاء في تعليق الريس: " في نظر الماركسيين التقليديين أنت يميني ورجعي ومتخلف وفي نظر اليمينيين الرجعيين أنت أحمر وشيوعي . . نظرتهم جميعا من زاوية واحدة ... أنت القومي التقدمي فان المستقبل هو ملكك وكل القوى المستتيرة في كل أنحاء العالم أصبحت تدرك أن الطريق إلى حل مشاكل العالم لا يتأتى إلا من خلال القوميات المتأخية... وتقدميتك المعبرة عن موقفك الإنساني الراض للعنصرية والشوفينية ... أنت الآن في الواد والسهام تنصب عليك من كل صوب، لكنك لن تتوقف ولن تتراجع لأنك أنت الأمل وفيك يكمن الخلاص، أنت ضمير هذه الأمة فليبق صوتك مدويا"(3).

(1) مقابلة أجريت بتاريخ سابق مع رقاد سالم .

وأيضاً: مقابلة أجريت بتاريخ 1/ 7 / 2000 مع راتب العملة عضو اللجنة المركزية لجبهة التحرير العربية في مدينة رام الله، الذي قاتل في الحرب العراقية - الإيرانية .

وأيضاً : متابعة الباحث لصوت فلسطين وأعداد مختلفة من الطليعة العربية .

(2) مقابلة أجريت بتاريخ سابق مع فرحان أنيس .

وحضور الباحث للندوات والمهرجانات الخطابية في جامعة بيرزيت آنذاك .

(3) انظر : مقل، زياد، وعبدالعزیز أمين: حرب الكرامة العربية، ص 156 - 157 .

وأيضاً : جريدة الأسبوع الجديد : غزة : مطابع دار العلوم، ع 20، 27 أيلول 1980 . ص 1 .

تأثرت الساحة اللبنانية بمجريات الحرب الإيرانية - العراقية، وانعكس الخلاف بين المؤيدين لإيران وسوريا من جهة، والموالين للعراق من جهة أخرى، وقد مزقت هذه الخلافات (م.ت.ف) والقوى اليسارية اللبنانية (1). وجرت إلى اقتتال داخلي بينها، ثم اغتيال عدد من القادة الفلسطينيين أمثال الدكتور عبد الوهاب الكيالي في 8 كانون الأول / ديسمبر 1981، واغتيال عشرات من القادة اللبنانيين من زعماء الحركة الوطنية اللبنانية أمثال موسى شعيب، واغتيال صلاح الدين البيطار أحد مؤسسي حزب البعث، الذي اغتيل في باريس على يد المخابرات السورية في 21 تموز/ يوليو 1980 (2).

لا يوجد لدى الباحث وثائق تستحق الذكر أو ما يفيد في تغطية موقف، ونشاط منظمات البعث في داخل فلسطين سوى الصورة التي كونها من خلال مشاهداته وتجربته التي عاشها كأحد أنصار الجبهة العربية .

يلاحظ عند تناول نشاطات (ج.ت.ع) والصاعقة أنها كانت لا تمارس أسلوب العمل النقابي، الذي مارسته الفصائل الأخرى بصورة عننية تحت الاحتلال في السبعينيات وأوائل الثمانينيات، فقد تأخرت الجبهة العربية في تأسيس اللجان الشعبية، بينما قامت باقي المنظمات الفلسطينية، والحزب الشيوعي الفلسطيني بتأسيس أطر شعبية بين القطاعات الشعبية المختلفة كالشباب والعمال والنساء والطلاب مثل " لجنة الشبيبة للعمل الاجتماعي " المناصرة لحركة فتح و"جبهة العمل " المؤيدة للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، و "كتلة الوحدة " المؤيدة للجبهة الديمقراطية و"كتلة الاتحاد " المؤيدة للحزب الشيوعي الفلسطيني و"الكتلة الإسلامية" المؤيدة لجماعة الإخوان المسلمين، بينما لم توجد أي كتلة طلابية أو عمالية بارزة ونسائية خاصة بحزب البعث حتى عام 1983 مما يعكس ضعف الاستقطاب الشعبي لمنظمات البعث، وربما تراجعها إلى أدنى مستوى منذ نشأة الحزب في فلسطين(3).

(1) كوبان، هلينا : مرجع سابق، ص 171

(2) مقبل، زياد : المرجع السابق، ص 146 .

وانظر : صحيفة القدس، الأربعاء، ع 4512، 9 كانون أول 1981، ص 1

وانظر : صحيفة النهار، القدس : مطابع النهار، الاثنين، ع 142 14 تموز 1987، ص 3 .

مشاهدات الباحث للتجارب الانتخابية الطلابية في جامعة بيرزيت وسواها من النشاطات في الجامعات والمعاهد، والأندية، وكان التنافس في جامعة بيرزيت على سبيل المثال يتم بين الكتل الطلابية المؤيدة لحركة فتح والشيوعي والجبهة الشعبية والديمقراطية والكتلة الإسلامية، بينما كان المؤيدون للجبهة العربية والنضال الشعبي والقيادة العامة بضعة أشخاص .

(3) مشاهدات الباحث ولقاءاته في حينه مع البعثيين في هذه المواقع .

كانت المبادرة الأولى للنشاط النقابي، الذي عملت به (ج.ت.ع)، قد تمثل في قيام (لجنة قومية للعمل الاجتماعي) في (بيت فوريك - نابلس) عام 1983، كما أن بعض النشاطات، والمشاركات جرت في نادي بيرزيت، ونادي بيتا، والنادي العربي الأرثوذكسي في بيت ساحور، وتأسيس الروضة العربية في قلقيلية من قبل مجموعة من المؤيدين لجبهة التحرير العربية(1).

كانت مجموعة من عناصر الجبهة العربية الذين سبق لهم أن سجنوا في 1976/10/8، وبلغ عددهم 46 شخصا قد التحقوا بالجامعات الفلسطينية بعد عام 1978، واخذوا ينشطون بين الطلاب في جامعتي بيرزيت والنجاح الوطنية، وقد اتخذ نشاطهم طابع الدفاع عن موقف العراق ضد إيران، وشارك بعضهم في انتخابات اللجان الطلابية في الكليات الجامعية، ولكن دون الدخول في انتخابات مجالس الطلبة، انطلاقاً من فلسفة الجبهة العربية التي تحرص على الابتعاد عن النشاطات المكشوفة، وحتى لا تكسب الاحتلال الصهيوني وجها ديموقراطياً(2).

بعد أن قرأ الباحث بضع مئات من بيانات الحركة الوطنية لم يلاحظ في هذه الفترة الاهتمام بتوزيع بيانات أو منشورات لفصائل البعث، كما هو الحال في نشاط الفصائل الأخرى، وكانت المرة الأولى التي يصدر فيها بيان باسم البعث المؤيد للعراق، البيان الذي صدر في الذكرى الثامنة والثلاثين لانطلاقة حزب البعث حيث صدر بيان وزع آنذاك في الضفة الغربية وقطاع غزة، ويحمل توقيعاً باسم "تنظيم شباب البعث الفلسطيني"، وجاء يشرح أفكار البعث وموقفه من قضية فلسطين منذ عام 1947. وقد صدر منشور طلابي آخر وزع في أروقة جامعة بيرزيت باسم "التجمع القومي الطلابي" والذي أبدى رفضه للمشاريع الاستسلامية، وأشد بدور حزب البعث، ودور جمال عبد الناصر، مما أعطى مؤشراً على أنه صدر باسم عدد من الطلاب المؤيدين للبعث وللناصرية وفي شهور لاحقة صدرت بيانات أخرى موقعة باسم "تجمع الطلبة العربية / الثامن من شباط"، وقد جاءت التسمية نسبة لثورة الثامن من شباط العراقية عام 1963، وقد صدر منها بيانين في مدينة رام الله، وقد دلت هذه البيانات وأفصحت عن غياب دور القيادة في الأرض المحتلة وأنها أشبه بالمبادرات الفردية، أما منظمة طلائع حرب التحرير الشعبية "قوات الصاعقة" فإن حالها لا يختلف عن حال الجبهة العربية في الثمانينيات، وقد صدر لها منشور باسم التنظيم القطري لحزب البعث والحزب الشيوعي الفلسطيني الكادر اللينيني، الذي طرح مسائل سياسية، وتناول الأوضاع بالتحليل، ولم يلمس الباحث وجود طلاب

(1) لقاءات الباحث في حينه مع البعثيين أثناء دراسته في جامعة بيرزيت .

(2) لقاء الباحث مع عدد من البعثيين، وتجربته الاعتقالية من 1978/8/2 - 1980/4/11 في سجن نابلس المركزي.

مؤيدين لها في جامعة بيرزيت، أما في جامعة النجاح، فكان هناك بضعة أشخاص متعاطفين معها دون وجود هيئات وأطر شعبية طيلة الفترة الممتدة بين عامي 1980 – 1987، كذلك ظهرت بعض النشاطات الاحتجاجية* ضد الاحتلال وروابط القرى العميلة التي نشطت في منطقة قلقيلية في عام 1982(1).

يميل الباحث للرأي القائل أن الصاعقة حركة صغيرة تستمد وجودها من وقوف النظام السوري وراءها، وهو ما أفقدها الشعبية والتأييد بين جماهير الشعب الفلسطيني في الأرض المحتلة(2).

وينطبق الحال على (ج.ت.ع) في فلسطين؛ فقد ظهر للباحث قصور التنظيم وغيابه عن الساحة في الفترة الممتدة بين عامي 1980 – 1987. وكانت الجبهة العربية عبارة عن قيادات في الخارج بلا قواعد شعبية في الداخل، وبدأت تظهر علامات الضمور في التنظيم وتعبئة الجماهير، ثم التذمر بين صفوف وأعضاء الجبهة في الضفة الغربية وقطاع غزة، وقد تسنى للباحث معرفة ذلك عبر مخالطة العديد من العناصر البعثية، ومنهم أشخاص عانوا من تجربة الاعتقال، وتمحورت بعض شكاوهم حول ما يلي :-

أولاً : عدم اتصال القيادة بهم وانقطاعها عنهم ولم تصلهم تعليمات بخصوص العديد من القضايا والمسائل المهمة .

ثانياً : إهمال شؤونهم في الاعتقال، وعدم صرف مستحقات مالية عن فترات اعتقالها فيها.

ثالثاً : لقد أثار عدم الاكتراث والإهمال أسئلة كثيرة حول طبيعة المسؤولين في الأرض المحتلة، ودفعت أسباب الخلل إلى اتصال بعض العناصر مع قيادة حزب البعث (ج.ت.ع) في الخارج عبر قنوات مختلفة. كانت منها الاجتماع بعضو اللجنة المركزية ل (ج.ت.ع) في باريس السيد ناصيف عواد(عين عريك – رام الله) محرر مجلة الطليعة العربية، والسيد ركاد سالم في قبرص

*شاهد الباحث في منطقة قلقيلية بين عامي 1980 و 1982 كتابة شعارات بتوقيع الجبهة العربية على جدران المدارس والشوارع في كفر ثلث، وعزون، وحبله، وسنيريا، ضد باعة الأراضي، وسماسة الاحتلال، و ضد مشروع الحكم الذاتي، وروابط القرى العميلة .

(1) تسنى للباحث الإطلاع على هذه المنشورات، وبسبب ظروف الاحتلال والاعتقال أتلفت .

(2) كريشان، محمد: منظمة التحرير الفلسطينية التاريخ والهيكل الفصائل والأيدولوجية، لبنان : دار البراق، 1986،

وتم شرح أوضاع البعث لينقلها إلى المسؤولين في (ج.ت.ع) في العراق ولبنان . وكذلك جرت اتصالات أخرى مع الأمين العام عبدالرحيم أحمد(1).

كانت علامات الضعف والتفوق ظاهرة على تنظيم البعث في الضفة الغربية، الذي تحول إلى رموز تؤمن بفكر البعث، ومن جيل الخمسينيات والستينيات أو أشخاص درسوا في الجامعات العراقية، وتخرجوا فيها، وتأثروا بفكر البعث، وحول عزلة التنظيم والقوة التي أصابته بالشلل في المنتصف الأخير من السبعينيات كتب المالكي :

" وفي بغداد تقابلنا مع عضو القيادة القومية الرفيق علي غنام وعضو قيادة فرع بغداد السيد صبار حسين وبعض ضباط الجيش، وشرحنا لهم ظروف الضفة الغربية وأخطاء التنظيم القائلة هناك بالعزلة الجماهيرية وليست هنالك قيادة تعمل على توحيد الحزب أو تضعه في المكان اللائق بين فصائل الثورة . وفي رحلة ثانية التقينا مع المرحوم أمين شحادة الأمين المالي لتنظيم الضفة الغربية وأكد لهم نفس ما قلناه ... ولكن لم يحصل أي تغيير على الساحة الفلسطينية ... أن من أساء لتنظيم البعث هنا هم تلك القيادة المعينة والتي تم نقدها ولم تتغير عن سياستها الانعزالية والنفعية. .. ولم يكن يهمهم سوى الكسب المالي " (2).

ألقت حرب الخليج بظلالها على (ج.ت.ع) في فلسطين منذ عام 1980، واكتسب النشاط يومها طابعا فرديا، كما ظل تنظيم حزب البعث، وتنظيم (ج.ت.ع) في غياب عن النشاط الشعبي في فلسطين إلى أن اشتعلت الانتفاضة الشعبية الأولى في عام 1987، وأذنت الحرب الإيرانية - العراقية بالانتهاء، وأخذت أنظار حكومة البعث في العراق تتجه صوب فلسطين . ففي عام 1988 قررت القيادة القومية لحزب البعث دمج التنظيمين في تنظيم واحد، وتلقت قيادات (ج.ت.ع) في فلسطين دعما من الحكومة العراقية قدر بـ 365 ألف دولار، وقد قامت الجبهة بأنشطة ثقافية مختلفة، وشاركت في فعاليات الانتفاضة الشعبية التي برزت في بعض المدن والقرى الفلسطينية* وانضمت للقيادة الوطنية الموحدة للانتفاضة الفلسطينية، وأصدرت نشرات فكرية تعبوية، و أبحاثا وكتبا، وتناولت مناسبات الانتفاضة، وأنشطتها ومارست التوعية حول الاعتقال، وأعدت طباعة مؤلفات مؤسس البعث ميشيل عفلق. كذلك تعرضت مجموعة من عناصر الجبهة العربية للاعتقال في سجن أنصار في النقب عام 1988 و 1989(3).

(1) مقابلة أجريت بتاريخ سابق مع محمد طه النبالي .

(2) المالكي، عياد : الفراغ السياسي، ص 55

* من أبرزها قرى ومدن شمال الضفة الغربية، وهي : بيت فوريك، وطمون، وقلقيلية، وبيتا، وقصرى، وفي قطاع غزة برزت بيت حانون، وغيرها من مدن وقرى فلسطينية .

(3) تجربة الباحث الإعتاقية في سجن أنصار في النقب عام 1989 وقد كان على صلة بهم.

ب) أثر الاجتياح الإسرائيلي للبنان عام 1982

كان من النتائج المباشرة لاتفاقية كامب ديفيد مع الكيان الصهيوني العمل على إشغال العراق في حربه مع إيران ؛ الذي أدى إلى إصابة الجدار الأمن القومي العربي بتقوس تسلل منها الكيان الصهيوني؛ فقام بضرب المفاعل النووي العراقي في عام 1981، ثم اجتياحه للقطر اللبناني ومحاصرته بيروت عام 1982 .

لم يكن اجتياح الرابع من حزيران/ يونيو 1982 أول اجتياح إسرائيلي يتعرض له لبنان فقد سبقت احتياجات أخرى كان أهمها اجتياح آذار 1978 م، وهو الذي جاء انتقاماً من عملية فدائية جرت عبر الحدود الإسرائيلية في تل أبيب، ولقد انتقمت إسرائيل بأن خلفت وراءها 1100 فلسطيني ولبناني قتل معظمهم من المدنيين، ووصفت إسرائيل هذا العمل بأنه انتقامي للعملية الفدائية التي سقط فيها 35 إسرائيلياً بين قتيل ومصاب(1).

ففي عام 1978 واجهت (ج.ت.ع) الاجتياح الإسرائيلي بالقتال والمقاومة مع فصائل (م . ت . ف)، وقد أعطى المرحوم عبد الرحيم أحمد الأمين العام السابق ل(ج.ت.ع) أمراً لأعضاء الجبهة بالقتال والمواجهة حتى الموت، حتى أن مقاتلاً رفض الاستسلام لحصار صهيوني قامت به قوة من العدو الصهيوني ؛ فألهب غضب الضابط الصهيوني فقاد دبابته بالمرور فوق الجندي، وقدمت (ج.ت.ع) خيرة المناضلين فيها في الدفاع أمام الهجوم الصهيوني(2).

وكررت إسرائيل هجماتها على لبنان بحجة إبعاد خطر الفلسطينيين عن الجنوب، ولإثبات هذا التوجه قامت بهجوم على محور قلعة النبطية وخاصة قلعة شقيف في لبنان، وتم الهجوم صباح يوم 19 آب / أغسطس 1980، وفي هذا المحور جرت معركة شبيهة بمعارك الشوارع(3).

واجهت إسرائيل في هجومها على قطاع النبطية مقاومة لم تتوقعها، وقد غاضت هذه المقاومة البطولية الصهاينة الذين أمطروا المنطقة بوجبات من طلقات المدفعية، التي وجهت نحو

(1) الاجتياح الإسرائيلي للبنان 1982م، دراسات سياسية وعسكرية (مجموعة مؤلفين)، ص 8.

(2) " الرفيق عبد الرحيم أحمد لمجلة الشباب العراقية القتال هو قرارنا وخيارنا سنقاتل كل من يحاول منعنا من ممارسة نضالنا المشروع ضد العدو الصهيوني " مجلة الثائر العربي ع3 السنة التاسعة، 15 أيار 1978، ص 7 .

(3) أبو فضة، عبدالعزيز : قلعة الشقيف قلعة الصمود، بيروت : منشورات فلسطين المحتلة، 1982، ص 71 و 73 .

عدد من قرى وبلدات جنوب لبنان مثل: النبطية ومخيم النبطية، وكفر تبنيث وشوكين والجرمق وقلعة الشقيف بلغت خسائر الفدائيين 28 شهيدا ومفقودا واحدا، وأسهمت في هذا القتال المنظمات الفلسطينية وعلى رأسها حركة فتح، وضمت الجبهة العربية ومنظمة الصاعقة، وسقط ثلاثة شهداء للجبهة العربية، ومنظمة الصاعقة(1).

و في السادس من حزيران / يونيو 1982 قامت إسرائيل بعملية سلام الجليل وتمثلت أهدافها بالعمل على تدمير البنية العسكرية ل (م.ت.ف) وتدمير م.ت.ف وبناءها التحتية من اجتماعية وثقافية واقتصادية، بالإضافة إلى تطلعاتها الوطنية . وإقامة نظام لبناني جديد والسيطرة على جبل الباروك الموقع الإستراتيجي المشرف على دول المنطقة والسيطرة على طريق بيروت - دمشق، أما هدف العملية المعلن فهو إبعاد (م.ت.ف) إلى مسافة أربعين كيلو مترا (2).

بدأت الحرب بالتقدم في ثلاثة محاور رئيسة برية، ورافقها هجوم بحري وجوي على لبنان، وقوبلت التقنية الإسرائيلية بضعف الدفاعات السورية وسهولة اختراقها ونجحوا في تعطيل اتصالاتها، واتسم الهجوم بأنه مذهل . نجحت إسرائيل في الدخول بسرعة إلى لبنان، وعطلت الاتصالات، وواجهت مقاومة محدودة من المدرعات الفلسطينية، وجرت معارك بالدبابات مع الجيش السوري، وكان أداء الجيش السوري ردينا في القتال وخسروا 70 دبابة وتراجعوا إلى تخوم الطريق الدولية التي تصل بيروت بدمشق(3).

تمثل نجاح إسرائيل في إبعاد المنظمات عن منطقة الجنوب، وحوصرت بيروت نحو ثلاثة اشهر وقطع الكهرباء، والماء عن أهلها ودخلت القوات الصهيونية الشطر الغربي من بيروت في 5 أيلول /سبتمبر 1982، واضطرت المنظمات للخروج من بيروت في شهر آب/ أغسطس 1982، وحدثت مجزرة صبرا وشاتيلا يوم 16 أيلول / سبتمبر 1982 على يد القوى الكتائبية وبدعم معنوي من إسرائيل واستمرت يومين، وراح ضحيتها 1500 رجل وامرأة(4).

(1) أبو فضة، عبدالعزيز : المرجع السابق، ص 93، و95.

(2) سويد، محمود : الجنوب اللبناني في مواجهة إسرائيل، ص16- 18، وص 91-92.

(3) انظر : كليفورد أ . رايت "آلة الحرب الإسرائيلية في لبنان" الاجتياح الإسرائيلي للبنان 1982، ص 57 - 61 .

وانظر: معنوق، مها : وقائع الحرب الإسرائيلية - الفلسطينية في لبنان، ص 16 - 19 .

(4) الصايغ، يزيد " الأداء العسكري الفلسطيني في حرب 1982 " الاجتياح الاسرائيلي للبنان، ص 91 وص 92 .

ظهر دور منظمة الصاعقة في تنسيق جهودها مع الجيش العربي السوري في خطته العسكرية الشاملة (1).

لقد شاركت (ج.ت.ع) في معركة الدفاع عن بيروت أمام الحصار الصهيوني وشاركت في الدفاع عن الثورة الفلسطينية حتى خروج المقاتلين الفلسطينيين من لبنان عام 1982 (2).

وفي خطوة مفاجئة أعلن العراق يوم 9 حزيران / يونيو 1982 عن استعداده لوقف إطلاق النار في جبهة الحرب الإيرانية - العراقية، وجاء ذلك عقب اجتماع القيادتين القطرية والقومية لحزب البعث العربي الاشتراكي في بغداد بشرط موافقة إيران على ذلك، وأعلن استعداده وقف العمليات العسكرية معها، والتخلي عن الأراضي الإيرانية التي يحتلها وسحب قواته إلى لبنان (3).

قوبل الاجتياح الإسرائيلي بتضامن الجماهير الشعبية في فلسطين، وعبرت عن انتفاضتها الشعبية في مظاهرات مختلفة جرت في الجامعات الفلسطينية في بيرزيت والنجاح وتضامن رؤساء البلديات مع (م. ت. ف) ورفضوا التعامل مع الإدارة المدنية الصهيونية وقبول عروضيات الحكم الذاتي، وأدانوا نشاط روابط القوى العميلة، وقد أقال إسرائيل للجان البلدية المنتخبة في مدينة نابلس وبلدة دورا وعزلت رشيد حجازي رئيس بلدية (ديرديوان - رام الله) كما أنها عزلت رئيس بلدية غزة في 9 تموز/ يوايو 1982، واعتقلت خمسين طالبا من جامعة بيرزيت بتهمة التظاهر، وأغلقت الجامعة واضطروا للتعويض خارجها (4).

تحرك فيليب حبيب وسيطا بين إسرائيل ولبنان وسوريا و(م.ت.ف)، ونجح بعد سلسلة جولات مكوكية إلى بيروت ودمشق في إقناع الأطراف المتصارعة على وقف القتال واشترطت إسرائيل خروج المنظمات الفلسطينية من بيروت، وهددت بتدميرها إذا استمر وجود الفدائيين

(1) الصايغ، يزيد: "منظمة طلائع حرب التحرير الشعبية" قوات الصاعقة، الموسوعة الفلسطينية، دراسات القضية الفلسطينية، مج5، ص 413 .

(2) مقابلة أجريت بتاريخ سابق مع الأمين العام للجبهة العربية.

(3) معتوق، مها : وقائع الحرب الإسرائيلية - الفلسطينية في لبنان، ص74.

(4) انظر : معتوق، مها : وقائع الحرب الإسرائيلية - الفلسطينية في لبنان، ص149 - 150 و327 و332.

فيها، وبعد معارك وصمود ضارين في بيروت اضطرت المقاومة للخروج، وقد ساعد على ذلك ضعف الدور العربي، وخاصة الدور السوري(1).

تقرر خروج الفدائيين الفلسطينيين على دفعات إلى عدد من الأقطار العربية التي أعلنت استعدادها لاستقبالهم . تواصل إبحار الفدائيين من مختلف المنظمات طيلة أيام 21- 28 آب/ أغسطس 1982، وقد غادروا إلى السودان واليمن وتونس وسوريا، وقد بلغ عدد الفدائيين الذين تم ترحيلهم 14749 وقد ضمت القافلة الأولى فدائيين من قوات بدر في جيش التحرير الفلسطيني وجبهة التحرير العربية، والذين غادروا بحرا إلى قبرص فالأردن(2).

بلغ عدد القافلة الأولى 397 شخصا ، وقوبلت بوداع شعبي كبير، ونثر عليهم الورد والأرز، وحيوا بإطلاق النار، وفي اليوم التالي 22 آب / أغسطس 1982 غادرت دفعة أخرى ضمت 982 مقاتلا من قوات عين جالوت، وفرقة أل 17 وجبهة النضال الشعبي الفلسطيني، والجبهة العربية، والجبهة الديمقراطية، والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، وفي اليوم الأول من أيلول / سبتمبر 1982 غادرت دفعة من كل المنظمات الفلسطينية وتضم 542 مقاتلا و 16 امرأة و 69 طفلا(3).

رابطت بعض وحدات الصاعقة في جنوب لبنان في مطلع عام 1978، وبقيت هناك منتشرة في جوار بنت جبيل ومنطقة النبطية، وانتقلت إلى سهل البقاع وسوريا بعد عام 1982(4).

في حين شاركت جبهة التحرير العربية جنبا لجنب مع فصائل المقاومة الفلسطينية وبلغ عدد الذين أسرتهم إسرائيل 600 شخص في معتقل أنصار، وبلغ عدد مقاتلي الجبهة الذين غادروا لبنان إلى العراق واليمن وتونس 500 عنصر(5).

1) انظر: معنوق، مها : المرجع السابق، ص 32- 33

2) انظر : معنوق، مها : المرجع السابق، ص 509 و 730 .

3) انظر : سري الدين، رجا : اجتياح لبنان، صور، وثائق، إعداد وكالة مختارات الأخبار العربية والعالمية، ص 110 و 112 .

4) الصايغ، يزيد : الموسوعة الفلسطينية، دراسات القضية الفلسطينية، مج 5، ص 412.

5) مقابلة أجريت بتاريخ سابق مع رقاد سالم أمين عام الجبهة العربية .

مثل إبعاد فصائل م. ت. ف عن ساحة لبنان نتائج سلبية على حركة المقاومة الفلسطينية حيث ضعف تأثيرها العسكري على ساحة فلسطين، كما أسهم في ميلها وقبولها السير نحو الحلول السلمية، وقد أصبح عمل فصائل م. ت. ف في المجال العسكري في فلسطين ضعيفاً؛ بسبب انتقال المنظمة إلى تونس وعندها أخذ يغلب الأسلوب السياسي والإعلامي على سواه من النشاطات الأخرى كالعمل بالكفاح المسلح، وتحرير الأرض المحتلة، وصاحب هذه الحالة اغتيال عدد من قادة العمل العسكري والتصفيات الداخلية، واستمر الحال حتى مجيء الانتفاضة عام 1987(1).

لم يلاحظ الباحث أي تصريح أو موقف للمسؤولين في منظمتي الصاعقة، والجيبة العربية حول الاجتياح الإسرائيلي، رغم مشاركة المنظمتين في مقاومة الاجتياح شأنها شأن الفصائل الأخرى بدليل خروج مقاتلي جبهة التحرير العربية مع باقي فصائل حركة المقاومة الفلسطينية .

(1) بيان القيادة القومية حول الاتفاق بين منظمة التحرير الفلسطينية والكيان الصهيوني، منشورات القيادة القومية حزب البعث العربي الاشتراكي، بغداد، أيلول 1993، ص 4 .

الفصل الخامس

موقف حزب البعث تجاه الحلول السلمية العربية – الإسرائيلية

أ) موقف حزب البعث تجاه الحلول السلمية مع إسرائيل 1948 – 1967

ب) موقف منظمات البعث الفلسطيني من مشاريع التسوية 1967 – 1982

أ) موقف حزب البعث تجاه الحلّ السلمي مع إسرائيل 1948 – 1967

انطلاقاً من نظرتيه لقيام إسرائيل والحركة الصهيونية كحركة استعمارية تشابه الغزو والاحتلال الإفرنجي الصليبي، لذا برزت لديه استراتيجية، ومواقف سياسية لا تعرف الحلّ الوسط والتصالح مع الكيان الصهيوني، ومن هنا فقد آمن البعث بضرورة تحرير فلسطين التاريخية كلها عن طريق الكفاح المسلح، مناهضاً وبشكل صارم لأطراف الصراع المهادنة للدولة الصهيونية والرجعية العربية والإمبريالية الأميركية(1).

فقد قابلت "جماعة البعث" في رام الله التحركات السياسية المختلفة والمشاريع المطروحة للتصالح مع الكيان الصهيوني بالرفض والمعارضة في أكثر من مناسبة وقد قوبل مشروع الوحدة الأردنية الفلسطينية بشيء من التحفظ والمعارضة لما يعنيه من انضمام الضفة الغربية للضفة الشرقية تحت زعامة أمير عرف بتأييده لبريطانيا، ومهادنته إلى إسرائيل.

لم يكن البعثيون متحمسين لمؤتمر أريحا، وقد عمل هؤلاء كمعارضة لإبطاله عند انعقاده في شهر كانون الأول / ديسمبر 1948 والذي أشرف عليه محمد علي الجعبري من مدينة الخليل، وكانت فلسفته تنطبق على مقولة إنقاذ ما يمكن إنقاذه ويذكر الجعبري عن هذه المعارضة "وقد بدا لي أن هناك هيئة للمعارضة بدأت تعمل لإبطال المؤتمر أذكر منهم: أنور الخطيب والدكتور موسى عبد الله الحسيني ويحيى حمودة، وكمال ناصر، وعبدالله نعواس، وعبدالله الريماوي، وكانوا يسخرون (فريد فخر الدين) وكانوا منظمين حالهم تنظيم فني(2).

ولكن "جماعة البعث" لم تذهب إلى حل بعيد في معارضتها لمشروع الوحدة، فقد شاركوا في الانتخابات النيابية في 20 نيسان/ أبريل 1950، وقد فاز فيها عبد الله الريماوي وعبد الله نعواس، الأول عن رام الله والأخير عن القدس، وفي عام 1950 طرح مشروع دعاه الملك الأردني "بالمصالحة أو الموادعة"، ويقوم مشروع المصالحة على فتح طريق يصل بين الضفة الغربية وحيفاً أو غزة عبر طريق بيت لحم والخليل، واستعادة جزء من أملاك ودفع تعويضات، وقد حضر سعيد المفتي رئيس الحكومة، ومحمد الشريقي وزير الخارجية، وسعد جمعة سكرتير رئاسة الوزراء، وعقد اجتماعاً في المدرسة العائشية في نابلس، وضم رؤساء بلديات: نابلس،

(1) انظر: فرزات، حرب: الحياة السياسية في سوريا، ص 240.

(2) عبد الهادي، مهدي: المسألة الفلسطينية ومشاريع الحلّ السياسية؟ 1943 – 1974. بيروت صيدا، ط 1، 1975، ص

وجنين، وطولكرم وقلقيلية، وعنبتا، وغيرهم من وجهاء نابلس، وحضره متصرف نابلس أحمد الخليل، وقبول المؤتمر بمعارضة هاشم الجيوسي، وكان مشروع المصالحة يدعو إلى فتح ممر أو منفذ إلى يافا أو حيفا للاجئين(1).

وذهب الوفد إلى القدس، ليعقد مؤتمرا فيها، وحضره عدد من رؤساء بلديات المنطقة، ومن الشخصيات بهجت أبو غربية، وكان محمد الشريقي رئيساً للحفل، وقد قال في اجتماع المدرسة الرشيدية: "لقد جئنا لبحث موضوع الصلح مع إسرائيل، وانتم يا أهل فلسطين الذين تطلبون ذلك، الملاك واللاجئون يراجعون عبد الله من أجل ذلك لقد جئنا كممثلين للحكومة لنستطلع الأمر رسمياً..."، وهنا وقف بهجت أبو غربية، وعارض، وهاجم بشدة، وبصراحة، فكرة الصلح مع اليهود، وانفض الاجتماع بلا نتيجة(2).

وفي مرحلة نمو حزب البعث، وتساعد شعبيته بعد حرب فلسطين عام 1948، وزيادة اهتمامه بالقضية الفلسطينية باعتبارها قضية قومية مركزية، واعتبارها خلاصة القضايا العربية، وربط الحزب بين أهداف الوحدة والتحرير للأقطار العربية، ثم القضاء على الإقطاع والاستغلال، قام الحزب ببلورة أفكاره ونظراته السياسية وبرنامجه حتى عام 1955 على النحو الآتي:

أولاً : ربط النضال الشعبي العربي الموحد مع مطالبته بالقضاء على الإقطاع ومحاربة الاستعمار والصهيونية، واعتبرهما شيئاً واحداً، وحمل الفئات الإقطاعية المسؤولية عن ضياع فلسطين لاعتمادها سياسة المهادنة، وهي التي باعتهم الأرض وسخرت موارد البلاد في خدمتهم، وعلى ضوء العلاقة بين تحالف الصهيونية والاستعمار والفئات الإقطاعية وجب النضال ضدتهما كشيء واحد ليضمن النصر(3).

ثانياً : دعا البعث إلى إيجاد أعمال ثابتة للاجئين، وإعدادهم ليكونوا طليعة جيش التحرير وطالب الدول العربية بمقاطعة الاستعمار الذي يدعم الصهيونية ويحميها .

(1) عبدالهادي، مهدي : المرجع السابق، ص 196 - 197.

(2) عبد الهادي، مهدي: المرجع السابق، ص 198.

(3) انظر : "استرداد فلسطين لا يتم إلا بقيام حكم شعبي الحكم الإقطاعي يقيد الشعب، ويساعد الصهيونية والاستعمار"، سلسلة نضال البعث ج3، ص 115.

ثالثا : رفض البعث أي شكل من أشكال الوجود الاستعماري والسيطرة على البلاد العربية وطالب بدعم نضال مصر ورفض مشاريع الدفاع المشترك، والمساعدات الأمريكية(1).

ومن الأمور التي رفضها البعث انضمام العرب للتحالفات الدولية القائمة*، ورفض مقولة "دول العالم الحر"، والتي تقاوم الخطر الشيوعي المزعوم .

كانت بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة، وتركيا تغذي مفاهيم التحالف والدفاع المشترك لدول المنطقة بما فيها إسرائيل. بين البعث أن الخطر الخارجي ينحصر في الاستعمار والصهيونية حيث قال : "أن قضية العرب الخارجية تنحصر اليوم في تحررهم من الاستعمار الغربي والصهيونية وأن دفاعهم ضد العدوان يعني نضالهم ضد هذين الخطرين"(2).

رابعا : ربط البعث بين النضال الشعبي ومقاومة الوجود الاستعماري، ومحاربة الإقطاع، والاستغلال وإقامة مجتمع تسوده العدالة الاجتماعية، وطالب بإلغاء المؤسسات الاستعمارية، وتأميم الشركات الاستعمارية، ومقاطعة البضائع الأجنبية وربطها بسياسة الحياد الإيجابي، والدعوة لنظم ديمقراطية نزيهة، وطالب بإسقاط حكومة أديب الشيشكلي في سوريا، ويسجل للحزب في هذه الفترة دوره القيادي في مقاومة الاستعمار وأحلافه ومشاريعه والدعوة للنضال الشعبي والوحدة العربية(3).

كانت هذه المبادئ تجمع فروع حزب البعث في أقطار الوطن العربي، ولقد لخص المؤتمر القطري الثالث في عام 1954م، الذي عقد في المملكة الأردنية الهاشمية تركيزه على المسائل الآتية :

1- مقاومة الحكم الدكتاتوري وفكرته في أرجاء الوطن العربي .

(1) انظر : "الشعب العربي يقف صفا واحدا مع مصر لتحقيق الجلاء والوحدة، ورفض الدفاع المشترك"، سلسلة نضال البعث ج3، ص116.

* ساد العالم في حينه وجود كتلتين من الأحلاف السياسية هما: حلف شمال الأطلسي بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية، وحلف وارسو بقيادة الاتحاد السوفيتي .

(2) المصدر السابق نفسه، الصفحة نفسها .

(3) انظر : "الشعب العربي يقف صفا واحدا مع مصر لتحقيق الجلاء والوحدة، ورفض الدفاع المشترك" سلسلة نضال البعث ج3، ص180.

وأيضا: علوش، ناجي: المسيرة إلى فلسطين، ص 103 - 104.

2 - النضال من أجل إبقاء قضية فلسطين حية بما ينطوي عليه هذا من مقاومة لخطط الاستعمار

وأساليبه التي تستهدف تحقيق هذه الغايات وهي : -

أ - تصفية قضية اللاجئين بإسكانهم واستقرارهم .

ب - تأمين قيام محادثات مع اليهود على مستويات عالية .

ج - العمل على وضع العرب والأردن بصفة خاصة في موقف العاجز أمام الاعتداءات الصهيونية .

3 - مقاومة ربط العرب بالأحلاف السياسية والعسكرية وتوسيع النشاط من أجل دعم موقف الحياذ .

4 - حل قضية تحرير الأردن حلا عربيا(1).

وأكد منهاج الحزب في مؤتمره المذكور أنفا على مهاجمة المعاهدة البريطانية - الأردنية والمطالبة بإلغائها، وإبراز أهمية الوحدة العربية كضرورة قومية، وكحل للخلاص وتحرير الأردن بالكامل، ورفض تصفية القضية الفلسطينية، وما يترتب عليه من " - رفض التفاوض مع اليهود بجميع المستويات . ب - مقاومة الصلح مع اليهود بأي شكل من الأشكال . ج - مقاومة الاستيطان، ومقاومة أي تحالفات ثنائية واستعمارية ومساعدات مصدرها الاستعمار "(2).

ولقد أكدت البرامج الانتخابية لمرشحي البعث في عام 1954، هذه الأفكار، وفي برنامج مرشحي البعث : عبدالله نعواس، وبهجت أبو غربية، جاءت عدد من البنود في دعايته الانتخابية. ومنها : - " تحقيق وحدة الجيوش العربية التي تطوق إسرائيل بجيش واحد وقيادة واحدة " وفي ظل مرحلة المد القومي العربي، وحماس شباب البعث المتوثب في تلك الفترة، جاء في البيان " أن (سبعون مليون) عربيا يؤمنون بقوميتهم ويريدون التحرر من الاستعمار والقضاء على إسرائيل وتحقيق الوحدة(3).

(1) انظر : تعميم حزب البعث العربي الاشتراكي أيار 1954 حول "المؤتمر القطري"، ص 1 و 2 .

(2) المرجع السابق، ص 4

(3) أرشيف الوثائق جمعية الدراسات العربية " مرشحا البعث العربي الاشتراكي"، دار الطباعة العربية القدس، بيان رقم 251.

وفي بيان آخر تظهر فيه خارطة فلسطين، وكتب عليها: إنما العودة فرض واجب لربي بافا وبيت المقدس، وتظهر صورة الجيوش العربية التي تتحرك لتحريرها من مصر وسوريا والأردن (أر شيف الوثائق جمعية الدراسات لعربية، بيان عبدالله نعواس وبهجت أبوغربية، رقم 251).

وفي بيان آخر لهذين المرشحين تتكرر عبارات حماسية ثورية ومنها "من أجل العمل على استرداد الجزء المغتصب من فلسطين، وتحطيم إسرائيل ومقاومة كل صلح معها من أجل الوحدة العربية (1).

ووصفت فلسطين بالوطن المغتصب والسليب، وفي دعاياته الانتخابية نقد الحزب المرشحين الذين اختارهم (أبو حنيك - كلوب باشا) أي الموالين للسلطة، ودعا إلى انتخاب مرشحيه لا مرشحي الأحزاب ، التي تدعو إلى الصلح مع إسرائيل، أو تعترف لها بحق الوجود، والحكام الرجعيون الذين يطلبون منه أن ينسى قوميته وعروبته، و ينتقد دعاة الأحلاف ومنها : حلف بغداد، لأنه يطعن القضية العربية عامة، والقضية الفلسطينية خاصة(2).

ويعود البعث ليؤكد شعاراته وبرامجه في انتخابات جرت عام 1956م، وقد عرف الصهيونية في صدر بيانه أن " الصهيونية حركة استعمارية غازية، وإسرائيل هي التجسيد السياسي لهذه الحركة، وهما يهددان الكيان القومي العربي، ولذلك فإن الحل الوحيد للمشكلة الفلسطينية، هو في القضاء على إسرائيل والصهيونية، واسترداد الوطن السليب(3).

ويؤكد على جملة الشعارات والمسائل التالية :

- 1- رفض الصلح والاعتراف بإسرائيل سواء أكان مباشرا أو غير مباشر ومقاومة كل اتجاه نحو ذلك .
- 2- رفض توطين اللاجئين بأي شكل من الأشكال . بما في ذلك المشاريع المطروحة للحل السلمي سواء أكانت فردية أو حكومية، ويدعو لمقاومتها، ويحذر من تصفية قضية فلسطين، واعتبارها قضية لاجئين مؤكدا على الطابع الذي يميز فكره ، وهو طابع وطني على صلة بالطابع القومي العربي .
- 3 - رفض مشروع جونسون وأمثاله لأنه يهدف للاعتراف بإسرائيل وتوطين اللاجئين .
- 4 - تحسين أحوال اللاجئين .
- 5 - الاستعداد لتحرير فلسطين، بالتعبئة القومية العربية، وتشمل الاستعداد العسكري والمادي والمعنوي، ومن ثم دفع حركة التحرر العربي إلى الأمام .

(1) أر شيف الوثائق جمعية الدراسات العربية: بيان عبدالله نعواس وبهجت أبوغربية، " أيها المواطنين الكرام "، رقم (251).

(2) انظر : أر شيف الوثائق جمعية الدراسات العربية :منشور بعنوان " أيها الشعب الكريم "، عبدالله نعواس وبهجت أبوغربية رقم 250 .

(3) البرنامج الانتخابي لمرشحي الحزب عام 1956، ص3.

6 - استمرار الحصار الاقتصادي على إسرائيل وأحكام المقاطعة، وسد أي ثغرة في الطوق المضروب حولها(1).

لقد انتهت فروع حزب البعث في مختلف أقطار تواجده إلى أن قضية فلسطين ليست مشكلة لاجئين، ورصدت التحركات التي جرت لتوطينهم فقاومتها بأساليب مختلفة ففي قطاع غزة جرت مظاهرات شعبية عام 1954 و 1955 بشأن توطين اللاجئين في سيناء وقد شارك البعث في هذه المظاهرات الوطنية رغم حداثة وجوده في القطاع(2).

تم طرح مشاريع توطين اللاجئين بصورة سرية من قبل وزارة الخارجية البريطانية التي دونت تقريرا سريرا في كانون الثاني / يناير 1955، وجرت مناقشته مع الحكومة الأمريكية(3).

وجرت اجتماعات في آذار من العام نفسه، وبحث مسألة التقديرات المالية التي يمكن أن تتحملها الولايات المتحدة الأمريكية، وتحدثت عن "خطة توطين اللاجئين". واقترحت توزيع * العائلات الفلسطينية في مناطق مختلفة من الوطن العربي، وقد طرح عرض أمريكي حول هذه المسألة على لسان وزير الخارجية الأمريكية أوائل الستينيات دين راسك وأبدى استعداد بلاده لتحمل تكاليف مشروع "التوطين" كاملة، ونظرا لسيادة التيار القومي ومعارضة عبد الناصر فشل المشروع(4).

ظلت الولايات المتحدة وبريطانيا تحرصان على تسويق وترويج مشاريع تهدف إلى إثبات وجود إسرائيل ككيان مشروع ضمن كيانات المنطقة، والحفاظ عليها، وجاء مشروع جديد عرضه جون فوستر دالاس، وزير خارجية أمريكا، مستغلا رغبة مصر في بناء السد العالي،

(1) انظر : المصدر السابق نفسه، الصفحة نفسها .

(2) انظر : أبو عمرو، زياد : أصول الحركات السياسية في قطاع غزة، ص 119 .

(3) انظر : صليبا، خميس، " وثائق الخارجية البريطانية للعام 1955 "، مجلة كنعان، الحلقة الثانية ع 6، تشرين الأول 1991، ص 21 .

* اقترح أن يتم توزيع اللاجئين وفق التوزيع التالي : 30 ألف عائلة في غور الأردن، 15 ألف عائلة في مشروعات صغيرة، وعن طريق تعويضات، 15 ألف عائلة في إسرائيل، 10 آلاف عائلة في لبنان، 25 ألف عائلة في غزة، و 35 ألف عائلة في الأردن .

(4) انظر : المرعي، فايز : "خطة واشنطن السرية لتوطين الفلسطينيين"، مجلة الطليعة العربية، ع 144، 10 شباط 1986، ص 5 - 6 .

وقارن مقالة صليبا، خميس: مرجع سابق، ص 20 - 28 .

وقد عرض إنهاء الصراع العربي - الإسرائيلي، وتصفية القضية الفلسطينية واعتبرها " مشكلة لاجئين"، وجاءت دعوته في 26 آب 1955 وقد عبر في حديثه عن حل المشكلة بين الدول العربية وإسرائيل، وطرح تصورات ومقترحات سياسية لتسوية المشكلة وهي :

وضع حد لحالة البؤس والشقاء التي يعانيها اللاجئ الفلسطينيون، وذلك بتأمين حياة كريمة لهم وعودتهم إلى وطنهم ضمن الحدود الممكنة، وتوطينهم في البلاد العربية المتواجدين فيها وإجراء استصلاح المزيد من الأراضي، وتحقيق مشاريع الري لهذا الغرض، وإيجاد أعمال ثابتة ومستقرة للاجئين، ودفع تعويضات إسرائيلية، وتسهم الولايات المتحدة لتغطية هذا الغرض والعمل على تحديد الحدود، ويتم التوصل إلى حل ثابت تحت إشراف الأمم المتحدة، وتوقيع معاهدات رسمية، وعدم اعتداء من شأنه تغيير الحدود(1).

قوبل هذا المشروع بمعارضة سورية، ومصرية، فقد صرح رئيس وزراء سوريا سعيد العربي في البرلمان السوري يوم 26 أيلول 1955، رافضا المحاولات المشبوهة والرامية لعقد صلح أو سلام مع إسرائيل، كما أن مصر رفضته على لسان أحمد سعيد، مدير إذاعة صوت العرب "واعتبره محاولة لوضع مصر تحت رحمة الصهيوني!"(2).

أما إسرائيل فقد أعربت عن استعدادها لإدخال تعديلات في الحدود مع جيرانها العرب ولكنها غير مستعدة لتقديم تنازلات عن منطقة النقب، وأن عقد معاهدة حول تعيين الحدود أهم من المعاهدات الدفاعية، وأن منطقة النقب لا مجال لبحثها، لأهميتها كطريق نحو ميناء إيلات الحيوي الذي يشكل منفذا لإسرائيل على البحر الأحمر (4).

وتمثل رد القيادة القومية لحزب البعث العربي الاشتراكي، أن هذا المشروع يختلف عن المشاريع الأخرى، إذ صرح العرب ولأول مرة بالصلح مع إسرائيل، بينما كان يقدم مشاريعه في المرات السابقة باسم " مشاريع اقتصادية كمشروع جونسون " وأخيرا بإسم التعاون المشترك في حلف العراق - تركيا، ووصفه علق بأوصاف ونعوت مختلفة" أن هذا المشروع يطرح بشكل وقح أما م العرب مباشرة قضية الصلح مع إسرائيل على أساس إرغامهم بالتسليم المطلق بواقع إسرائيل الحالي وبجميع مطالبها(3).

(1) عبد الهادي، مهدي : المسألة الفلسطينية ومشاريع الحلول السياسية ؟ 1943-1974، ص203- 204 .

(3)عبدالهادي، مهدي : المسألة الفلسطينية، ص205 .

(4)انظر : المرجع السابق، ص206

(3)استراتيجية مشروع دالاس، سلسلة نضال البعث ج3، ط 1976، ص 115 .

وقال البعث أن مشروع دالاس هو الحلقة الأخيرة من سلسلة مشاريع الاستعمار الغربي الصهيوني، والغاية منه تسوية قضية فلسطين على أساس التسليم الكامل بجميع مطامع إسرائيل وتهينة أسباب الحياة الطبيعية لها في قلب الوطن العربي وتحقيق مطامع الاستعمار الأمريكي الرامي إلى بسط نفوذه على البلاد العربية عن طريق المعاهدات الثنائية مثل مشروع دالاس الذي يدعو الدول المشتركة بحوض مياه نهر الأردن صراحة إلى عقدها معه بحجة حمايتها(1).

وفي عام 1959 طرح رئيس هيئة الأمم المتحدة همرشولد مشروعاً يهدف إلى حل المشكلة الفلسطينية، وتحدث عن إسكان اللاجئين الفلسطينيين في الأقطار العربية المجاورة بعد تهينة الأوضاع الاقتصادية المناسبة، وقد رد حزب البعث بأنه يهدف إلى اغتصاب أرض فلسطين وتشريد شعبها، وإقامة إسرائيل كراس جسر ونقطة سيطرة للصهيونية في الوطن العربي ودعا البعث إلى إعداد شباب فلسطين في نطاق جيش التحرير الشعبي، والسير نحو الثورة الجزائرية(2).

لم تقف المشاريع المطروحة سياسياً عند مشاريع التوطين بل تم طرح مشاريع الأحلاف والتي كانت تروج لها بريطانيا، ودول عربية وإسلامية، ومن أبرز المشاريع التي طرحت مشروع حلف بغداد، في شباط/فبراير 1955 جرت جهود سياسية تركية عراقية وبريطانية لإقامة حلف سياسي دعي باسم حلف بغداد، وقد برر نوري السعيد رئيس وزراء العراق انضمامه للحلف بدعوى أن العالم يشهد صراعاً بين المعسكرين الغربي والشرقي، وأن العراق يقع عند حافة الحلفين المتصارعين ولذا عليه أن يقرر انحيازه لأحدهما، لأن الحلف الغربي الأطلسي تكفل بتسليح العراق ليدافع عن نفسه، ولذا قرر الانضمام إليه(3).

تصدى حزب البعث لهذه الفكرة، وعارض زيارة الجنرال البريطاني جيرالد تمبلر الذي جاء إلى الأردن في نفس العام لغرض جر الأردن إلى الحلف، وقد عارضه البعث لعدة أسباب منها : أن القومية العربية ليس لها مصلحة في الانضمام إلى الأحلاف، ولأن عقد اتفاقيات دفاع

(1) المصدر السابق نفسه، الصفحة نفسها .

(2) انظر: حزيران 1959 قضية فلسطين قضية قومية لا مجرد مشكلة اقتصادية في الشرق الأوسط، سلسلة نضال البعث ج8، القطر اللبناني 1951-1961، ص 176.

(3) من ملفات المخابرات الأردنية في (أرشيف دولة إسرائيل) 493/10 النشرة الدورية شباط 1955، ص 3.

مشتركة يعيد سيطرة الاستعمار إلى بلادنا ولأنه إعادة لتغيير الوجوه والأسماء من حلف تركي - باكستاني إلى حلف تركي عراقي رفضه البعث(1).

وقد أسهمت النشرة الدورية في شرح مخاطر الحلف والذي يشكل حزام يشمل لبنان والأردن والعراق وتركيا وإسرائيل، وهو تطويق يخدم مصلحة الغرب ويعرض سوريا لمزيد من المؤامرات الغربية والعربية، ويوهن استقلالها ويؤخر انطلاقها وقد جاء فيها " بصفتها المعقل الأساس للثورة الاشتراكية العربية وطلیعة حركة التحرير والوحدة العربية ويؤدي إلى ضرب حزبنا في معقله... (2).

ويرفض البعث ادعاء الغرب بأنه سيسلحنا بما نحتاج، بل سيسلحنا بما يحفظ التوازن الاستراتيجي مع إسرائيل فقط، خاصة أن شعار المعسكر الغربي (إن إسرائيل وجدت لتبقى) ولن يحمي العراق إلا نضال عربي مخلص يستهدف تحقيق وحدة وطننا وتحريره وتسليحه كجزء من سياسة دفاعية عربية قائمة على الحياد ... (3).

وقد حذر البعث من الانضمام إلى هذا الحلف لما له من آثار على تصفية قضية فلسطين وربط إسرائيل بحزام دفاعي للشرق الأوسط ترتبط به العراق وتركيا ويدفع إلى الاعتراف بإسرائيل، والذي يدفع عنها المصاعب الاقتصادية ويكشف الأسرار العسكرية للعرب عند العدو، وقد كذب البعث ادعاء ناطق عسكري عراقي أن الاتفاق العراقي - التركي موجه ضد إسرائيل بسبب العون الذي تلقاه إسرائيل من تركيا، وهي التي تهرب بضاعتها للوطن العربي(4).

حرص البعث على تعبئة عناصره والشعب الأردني ضد الأحلاف من خلال المظاهرات والبيانات والمنشورات، ولما كان رئيس وزراء الأردن هزاع المجالي ممن دافع عن سياسة الأحلاف في كتابه " هذا بيان للناس "، وقد رد عليه حزب البعث في كتاب آخر بعنوان " بيان للشعب من حزب البعث العربي الاشتراكي في الأردن ردا على دعاة الأحلاف الاستعمارية "، وقد أوضح فيه أن الشعب قام بهبة شعبية جماهيرية أسقطت الأحلاف والوزارات المؤيدة لها

(1) انظر : بيان للشعب من حزب البعث العربي الاشتراكي في الأردن ردا على دعاة الأحلاف الاستعمارية (د.م) شباط 1955، ص 1 - 2 .

(2) النشرة الدورية لحزب البعث شباط 1955، ص 3.

(3) انظر : بيان للشعب من حزب البعث العربي الاشتراكي في الأردن ردا على دعاة الأحلاف الاستعمارية، ص 4

(4) المصدر السابق، ص 5 .

ومنها وزارة هزاع المجالي حتى أن الوزارة الجديدة برئاسة الرفاعي تعهدت بعدم الدخول في الأحلاف(1).

وقد طالب حزب البعث أعضاءه قراءة هذا البيان الذي جاء بصورة كتاب تم شرحه وتوزيعه، وطالبهم فيه بقراءته بإمعان وإعطاءه أكبر قدر من التعميم والانتشار(2).

وقد بين حزب البعث جملة حقائق حول الحزب وأهمها:

- 1- أن حلف بغداد يضم انكلترا، و تركيا، والباكستان، وإيران .
- 2- لم يكن الحلف من مبادرة هزاع المجالي أو نوري السعيد، بل بادرت إلى تأسيسه بريطانيا .
- 3- أن حلف بغداد حلقة من حلقات التآمر على العرب على الصعيد الدولي والعالمي(3).

وبعد أن قدم البعث في كتابه شرحا وافيا حول عدد من الأحلاف، التي سبقته على النطاق العالمي، وسبق لها أن اقترحت ضم العرب إليها . انتقل إلى تمجيد نضال نواب حزب البعث في عدد من البرلمانات العربية، وبين أن دفاعهم عن الحياد الإيجابي يتفق مع منطق الرسالة العربية، وافتخر البعث أنه الأول من بين الحركات والأحزاب العربية، الذي نادى بهذا الشعار المؤهل للتعامل السياسي في التعاطي مع السياسات والتكتلات الدولية(4).

بقي البعث يدعو للحذر الدائم من الالتحاق والانضمام للأحلاف، لأن المخطط الاستعماري يسير في خطين متلازمين لغرض تحقيق هدفين هامين هما :

- 1- إيجاد إسرائيل لتبقى .
- 2- جر العرب للأحلاف بهدف عقد صلح مع إسرائيل والعرب، وقبولها أمرا واقعا ولجو العرب للعالم الحر ؛ أي الدفاع عن مصالح الاستعمار، وقد بين حزب البعث أن محاولة الاستعمار لجر العرب إلى هذا الحلف فشلت بسبب وعي الشعب وخوف الخونة والاستعمار من نتائج هذه المحاولة (5).

(1) المصدر السابق نفسه، الصفحة نفسها .

(2) انظر : المصدر السابق، ص 6 .

(3) انظر : المصدر السابق، ص 11- 12 .

(4) انظر : بيان للشعب من حزب البعث العربي الاشتراكي في الأردن ردا على دعاة الأحلاف الاستعمارية، ص 28 .

(5) المصدر السابق، ص 18 .

وتوقف البعث عند حجج هزاع المجالي القائلة :- " إن في الحلف تقوية للعراق والعرب من ناحية التسليح، وأن فيه تقوية للعراق والعرب من أجل القضاء على إسرائيل، والقول أنه يدرأ الخطر الشيوعي " (1).

ورد البعث أن العراق لم يحصل على السلاح من الغرب، وأقرب دليل على ذلك صفقة الأسلحة المصرية من الدول الشرقية، واستشهد البعث بقول صالح جبر لنوري السعيد " انك ضللتنا بإدخالنا الحلف ولم نستفد أي شيء من السلاح وعزلتنا من العرب وعن مكاننا منهم " وكذلك استشهد بقول رئيس الوزراء البريطاني : " أن هذا الحلف هو خير سبيل لضمان الأمن والاستقرار لإسرائيل في الشرق الأوسط " (2).

ومثلما طرح دالاس مشروعه الأميركي سارع أيدين رئيس الوزراء البريطاني إلى طرح مشروع آخر في التاسع من تشرين الثاني 1955، وقدم اقتراحا بريطانيا لحل النزاع العربي - الصهيوني " يستهدف تحديد وتثبيت حدود جديدة" لإسرائيل تقع بين حدودها الحالية خطوط الهدنة 1949 وحدود قرار التقسيم 1947 (3).

وعند متابعة وثائق نضال البعث في أجزائه المختلفة نرى أن الحزب يصدر بيانات ومنشورات في ذكرى وعد بلفور وقرار التقسيم وقيام إسرائيل عام 1948، ويشدد على عدم الاعتراف والقبول بالصلح مع إسرائيل أو الاعتراف بها كواقع، داعياً إلى تصفيتها، لكن يتبادر إلى الذهن السؤال التالي : أين موقع الإنسان اليهودي من مطالبة حزب البعث تصفية إسرائيل، خاصة أن البعث حزب اشتراكي إنساني؟

أجاب ميشيل علق حول هذه القضية عام 1957 " إن ما يشكل خطراً على الأمة العربية هو كيان إسرائيل كدولة لا وجود لأقلية يهودية في الوطن العربي والتعجيل في النضال الاشتراكي العربي يضعف مخاوف الأقلية اليهودية، من تعذر تعايشها السلمي العادل مع العرب كما يزيل أو يضعف سلاح الدعاية الصهيونية العالمية في استدراج عطف الشعوب الحرة

(1) المصدر السابق نفسه، ص 25.

(2) المصدر السابق ، ص 25.

(3) ذكرى 15 أيار طريق استرجاع فلسطين في محاربة الاستعمار والرجعية والشيوعية حزب البعث العربي الاشتراكي في لبنان، سلسلة نضال البعث، ج 8، ص 174

والطبقات الشعبية على إسرائيل كدولة يراد لها أن تكون ملجأ لشعب مضطهد وشعب راق متقدم. (1) .

وفي عام 1957 كثر الحديث عن غزة وانسحاب الاحتلال الصهيوني منها، وحول الوضع في غزة جاء رد صلاح الدين البيطار بعد رجوعه من مؤتمر ملوك ورؤساء الدول العربية كان مما جاء فيه السؤال والإجابة التالية ما هو موقف الدول العربية المتحررة فيما لو انسحبت إسرائيل وأقيم في غزة حكم على نمط الحكم الذي كان قائما في ألمانيا بعد الحرب ؟

أجاب البيطار " إن قطاع غزة ليس قطعة جغرافية على الخارطة حتى لا يابه العرب لها ويتخلوا عنها : إنها جزء عزيز من فلسطين المغتصبة، ولا يمكن بأي شكل من الأشكال أن نقبل بأن تقطع من وطننا . إن ما يقال عن مشاريع لفصل قطاع غزة من مصر يشكل خطرا كبيرا على السلم في هذه المنطقة، ولا يمكن للعرب أن يساوموا على هذا الموضوع . (2) .

وفي عام 1959 أثبتت الدلائل أن إسرائيل مقبلة على تحويل مجرى نهر الأردن وأثيرت القضية شعبيا ورسما، وبدأت الأوساط الشعبية تتساءل عن الرد المناسب على المشروع الإسرائيلي عن طريق تحويل مجاري بانياس، والحاصباني، واليرموك قاوم الحزب هذا الاتجاه وطالب منع التحويل بالقوة، وأكد ناطق بلسان القيادة القومية لحزب البعث بتصريح لجريدة الصحافة اللبنانية في 16 شباط 1960 حول المشروع وقرار التحويل " ... إن الرد العربي السليم والواضح على تحويل مجرى نهر الأردن هو منع إسرائيل من التحويل، وكل . حل آخر لن يكون إلا خداعا وتضليلا للرأي العام العربي (3) .

بعد صدور ميثاق السابع عشر من نيسان 1963 م حول الوحدة الثلاثية بين مصر وسوريا والعراق وقد عملت جرائد الحزب على إظهار الوحدة كطريق لتحرير فلسطين. وعالقت جريدة البعث في مقالها الافتتاحي بتاريخ 26 / 4 / 1963 م " أن قيام الدولة الاتحادية يعني في

(1) العيسمي، شبلي : حزب البعث العربي الاشتراكي مرحلة النمو والتوسع ج2، ص 85 .

(2) " هكذا قال وزير الخارجية سوريا لا يمكن للعرب المساومة على غزة السياسة العربية المستقلة تفرض السلم وتبعد الحرب "، سلسلة نضال البعث، ج3، ص 228 .

(3) علوش، ناجي : المسيرة إلى فلسطين، ص 114 .

نظر شعبنا العربي الخطوة الأساسية لتحرير فلسطين واسترداد الأجزاء السليبية من وطننا العربي (1) .

وفي هذا العام، وقد كثر الحديث عن ردود فعل عربية تجاه تحويل إسرائيل روافد نهر الأردن، لري النقب، عاد حزب البعث ليؤكد على شعار منع تحويل نهر الأردن بالقوة طالبا في المؤتمر القومي السادس من السلطتين العراقية والسورية بشكل خاص والجمهورية العربية المتحدة العمل والتضامن لمواجهة الخطر سواء بمنع الضخ أو التحويل لمياه نهر الأردن (2).

ظل حزب البعث يبدي تحفظا تجاه تأسيس م. ت. ف خشية منها أن تكون في المستقبل منظمة لتمثيل الشعب الفلسطيني والتفاوض باسمه بدلا من أن تكون تعبيراً عن تمثيل على طريق التحرير، ففي خطاب منيف الرزاز الأمين العام لحزب البعث العربي الاشتراكي في مهرجان أسبوع نصره فلسطين عام 1965 ، يقول في معرض انتقاده لنظام عبد الناصر وقد كثرت الحملة الإعلامية وزادت حدتها بين البلدين، وتبادلوا الاتهامات بعد سوء العلاقات نتيجة لفشل الوحدة الثلاثية عام 1963 يقول الرزاز:—

"ولقد شكك الحزب وله الحق في ثورية م. ت. ف وجدوى قيادتها ولكن الحزب، سورية الحزب وسورية الثورة، هي الوحيدة التي فتحت للمنظمة أبوابها لتجسيد وتعبئة، ودعما، وتنظيما وعسكريا وماليا... نحن لا نطلب أن تنتهي منظمة التحرير، ولكننا نطلب من عبد الناصر بالذات أن يسمح لها بأن تكون منظمة ثورية منظمة تحرير لا منظمة تمثيل" (3).

وفي مقال "صوت الجماهير" المنشرة الدورية لحزب البعث في الأردن بعنوان "المد الرجعي وقضية فلسطين"، وفيه بين تأييده لموقف قيادة البعث في سوريا من الكيان الفلسطيني ككيان "لتعبئة عرب فلسطين وتدريبهم ومدهم بالسلاح وتقوية الجيوش العربية المحيطة بإسرائيل باستعمال الموارد النفطية في الوطن العربي" (4).

(1) علوش، ناجي: المرجع السابق، ص 125 .

(2) انظر: "بيان مقررات المؤتمر القومي السادس، دمشق 27 / 10 / 1963، القيادة القومية"، ص 12

(3) خطاب الدكتور منيف الرزاز الأمين العام لحزب البعث العربي الاشتراكي في أسبوع نصره فلسطين، وزارة الإعلام السورية، 1965، ص 15 - 16 .

(4) نشرة دورية يصدرها البعث العربي الاشتراكي في الأردن صوت الجماهير، ع 22، تشرين الثاني السنة الثانية، 1965، ص 2 .

وجرت حملة اعتقالات قام بها النظام الأردني واعتبرت أنها جاءت في محاولة لإبعاد (م.ت.ف) والقوى الثورية عن خوض حرب التحرير الشعبية في فلسطين .

ونبهت النشرة إلى قيام الأردن بتسليم أراض جديدة من اللطرون إلى الكيان الصهيوني قبل بضعة أشهر، وهي لا تستبعد أن تقوم هذه الحكومة بتسليم أجزاء أخرى من الأرض العربية الفلسطينية إلى الصهاينة . وطالبت أن لا تكون م.ت.ف العوبة في يد حفنة من الأشخاص يتقاذفونها حسب أهوائهم، وهي تطالب بأن تكون منظمة ثورية ذات أسس سليمة لإنجاز مهمة تحرير فلسطين(1).

وفي هذا العام قام الرئيس التونسي الحبيب بورقيبة بزيارة إلى بلدان المشرق العربي خلال شهري آذار ونيسان عام 1965، وقد زار مدينة أريحا(2). ألقى خطابا حيا فيه مقاومة شعب فلسطين، بين المشاركة الكفاحية بين الشعبين، وقامت فكرته على التعايش مع اليهود، وتبني سياسة الخطوة خطوة في الحل، وضرب أمثلة مختلفة عن الحركة الوطنية التونسية وقبولها بالحكم الذاتي من فرنسا عام 1954 والذي كان طريقا للاستقلال(3).

أثار خطاب الرئيس التونسي الحبيب بورقيبة ضجة هائلة في الأوساط الشعبية والحزبية العربية في المشرق العربي، و لم يلق الاقتراح الذي تقدم به تأييدا من قبل حزب البعث العربي الاشتراكي، شأنه في ذلك شأن المشاريع الأخرى المطروحة للتعايش والحوار بين العرب وإسرائيل وشرحت القيادة القومية لحزب البعث العربي الاشتراكي المخاطر والأضرار، التي نتجت عن دعوته للحل السلمي مع إسرائيل، موضحة مخاطره، التي تعني القبول بالكيان الصهيوني، والاعتراف بوجوده، وعندها تصبح القضية مجرد خلاف حول الحدود، وان قبول الأنظمة الرسمية به يعني التخلي عن مبدأ حق تقرير المصير للشعوب وأوضح البيان أن شعب فلسطين هو المؤهل الوحيد ليقرر مستقبل بلده، وشدد البيان أن الحل الوحيد لتحرير فلسطين من الصهيونية يتحقق باتخاذ حرب التحرير الشعبية منهجا، ووصف حزب البعث موقف الحبيب

(1) انظر: المصدر السابق نفسه. الصفحة نفسها .

(2) ألون، يغثال : ثلاث حروب وسلام واحد، (ترجمة محمود عباس)، ط 1، 1970م، ص 25 .

(3) انظر : خطاب الرئيس التونسي الحبيب بورقيبة في أبناء فلسطين بمنطقة أريحا، سلسلة الوثائق العربية الفلسطينية

1965، ص 78 – ص 82 .

بورقيبة بالخيانة والتواطؤ، والذي يحكي بلسان الحكام الذين سبق لهم القبول بقرار التقسيم، وقرارات هيئة الأمم المتحدة، ودعا البعث إلى وحدة صفوف الثوريين، و إلى بتر الحبيب بورقيبة من جسم الأمة باعتباره خائنا للأهداف القومية(1).

أيدت إسرائيل اقتراحات بورقيبة، وقد علق يغثال ألون عليها بقوله: "لقد رأيت في تصريحات الرئيس التونسي بورقيبة خيطا من نور، وبشرى خيرة تبعث على التفاؤل والأمل خاصة وأنها أول مرة نسمع بها زعيما عربيا مرموقا، ينادي بشعارات سلمية بصورة علنية وعلى رؤوس الأشهاد"(2).

(1) انظر : سلسلة الوثائق العربية الفلسطينية 1965، ص 78 .
وانظر : بيان القيادة القومية لحزب البعث العربي الاشتراكي حول القضية الفلسطينية، سلسلة الوثائق العربية الفلسطينية عام 1965، ص 180 - 183 .
(2) ألون، يغثال : ثلاث حروب وسلام واحد، ص 25 .

ب) موقف منظمات البعث الفلسطيني لمشاريع التسوية 1967-1982

كانت حرب عام 1967 مثالا صارخا على حرب لم تدار بطريقة ناجحة من قبل مصر وسوريا والأردن، وانتهت نهاية بعيدة عن أي توقعات لحرب ذات أسس ناجحة(1).

ولم تقتصر آثار الهزيمة بطبيعة الحال على الآثار العسكرية بل كانت هناك آثار سياسية ولعل أهمها :

أ) انكفاء مصر داخل حدودها، وتراجع زعامتها القومية للوطن العربي سواء الأنظمة أو تأثيرها على الجماهير والحركات العربية إذ لم يعد عبدالناصر مرجعية لهذه الحركات(2).

ب) تغير الخطاب السياسي المصري، وتحوله من شعار تحرير فلسطين إلى شعار "رد آثار العدوان"، وهو تعبير عن تراجع لغة الخطاب القومي الناصري، وبدأ الحديث عن الضفة الغربية . وقطاع غزة والجولان وسيناء بدلا من التحدث عن الجزء المحتل عام 1948.

وقد جاء مؤتمر القمة الرابع في الخرطوم الذي عقد خلال أيام 29 اب/ أغسطس - 3 ايلول / سبتمبر 1967، الذي اشترك فيه عدد من رؤساء الجامعة العربية، والذي تغيبت عنه سوريا على أساس مسؤولية مشتركة بين جميع الدول العربية، وقرر المؤتمر أن إسرائيل هي المعتدي، وأن على العرب البحث عن الوسائل لإزالة آثار هذا العدوان، وفي هذا المؤتمر رفع المؤتمر المبادئ التالية : لا صلح مع إسرائيل، ولا اعتراف بها، ولا إجراء مفاوضات معها، وقد انسحب رئيس (م .ت. ف) بسبب عدم إدراج اقتراحات المنظمة بأن لا تنفرد أي دولة عربية بالحل المنفرد مع إسرائيل مالم يلاقي إجماع عربي كامل وفي مؤتمر تشارك به المنظمة(3).

(1) لنت، جيمس : الحسين سيرة حياة، ص 167 .

كما أن الجيش السوري لم يخض معركة تذكر إذ كانت خسائره لا تتعدى 127 شخصا، إلى الحد الذي علق فيه ديفول رئيس وزراء فرنسا أن هناك تواطئا مع إسرائيل (العيسمي، شبلي : الطليعة العربية " المواقف السياسية تقاس بالنتائج وكل ما يقوم به حافظ أسد يخدم الأعداء " ع 121، 2 أيلول 1985، ص 28 .)

بينما كان الجيش الأردني قد فضل الانسحاب منذ اليوم الأول دون قتال وقد بدت مظاهر الانهيار النفسي والمعنوي ظاهرة على جنوده الهاربين (مشاهدات الباحث لضباط وجنود هاربين من المعركة والذين عرضوا سلاحهم على الآخرين، أو لبسوا ملابس النساء لاختفاء أنفسهم عن أعين المحتلين الصهاينة .

(2)الحافظ، ياسين : الهزيمة والأيدولوجية المهزومة، ص124-125.

(3)انظر : الموسى، سليمان : تاريخ الأردن ج2، ص233-235.

في الثاني والعشرين من تشرين الثاني من عام 1967 صدر قرار مجلس الأمن رقم 242 والذي ينص في بنوده على انسحاب إسرائيل من الأراضي التي احتلتها عام 1976 وان تنهي كل دولة حالة الحرب، وتحافظ على السيادة الإقليمية والاستقلال السياسي لكل دولة في المنطقة، وحققها أن تعيش في سلام في نطاق "حدود آمنة" ومعترف بها ويؤكد المجلس على ضمان حرية الملاحة في الممرات الدولية والحفاظ على حدود كل دولة من دول المنطقة(1).

وتبع صدور قرار الأمم المتحدة 242 الذي نص على وقف القتال بين الأطراف المختلفة وقد تحرك غونار يارنغ مبعوثاً من هيئة الأمم المتحدة في رحلات مكوكية بين بيروت وعمان والقاهرة وتل أبيب مرات عديدة، والدول العربية تطالب إسرائيل بالانسحاب وترد عليها إسرائيل برفض الشروط المسبقة قبل المفاوضات المباشرة، وهي تدعو إلى عقد مفاوضات مباشرة كطريق لإحلال السلام العادل والدائم، وصارت تحرف في نصوص 242 بين القول بالانسحاب من أراض احتلت عام 1967 أو الانسحاب من الأراضي المحتلة عام 1967(2).

انفجرت حرب الاستنزاف عام 1969 بين مصر وإسرائيل، وعملت على تحريك العملية السلمية التي تجمدت عروقها، ووجه عبدالناصر في عيد العمال عام 1970م خطاباً خالياً من العنف، وفيه وجه تساؤلاً للرئيس الأمريكي نيكسون، هل أنت عاجز على حل المشكلة أم غير راغب في هذا؟.

مضت فترة محدودة على هذا الخطاب، وجاء روجرز وزير الخارجية الأمريكي في حزيران / يونيو سنة 1970، وأطلق مبادرته التي تنص على قبول إسرائيل مبدأ الانسحاب من الأراضي التي اغتصبها بالقوة في حزيران / يونيو 1967. مضى غونار يارنغ قرابة عام ونصف في ذهابه وإيابه، وساد المنطقة حالة سكون ونجحت مساعيه في: - وقف إطلاق النار مدة 90 يوماً جرى فيها وساطة الأمم المتحدة و الأطراف المعنية من أجل تسوية مشكلة الشوق الأوسط، وقبول إسرائيل للتفاوض غير المباشر مع مصر والأردن تحت إشراف السفير يارنغ مندوب الأمم المتحدة. و رفض العرب الحل المنفرد مع إسرائيل(3).

(1) انظر: مالك، عادل: من رودس إلى جنيف، بيروت، 1974، ص220.

(2) انظر: مالك، عادل: من رودس إلى جنيف، ص236.

(3) انظر: السادات، أنور: البحث عن الذات، ط2، القاهرة، (دم) 1978، ص289.

وانظر أيضاً: عودة، بطرس عودة: الاستسلام في الواقع العربي، الأردن: وكالة التوزيع والنشر 1998، ص143.

قابلت المنظمات الفلسطينية موافقة عبدالناصر على مشروع روجرز بموجة شديدة من ردات الفعل داخل حركة المقاومة الفلسطينية، التي اشتملت رفض مقترحات روجرز من ناحية والتتديد بقبول مصر من ناحية أخرى(1).

كان رد حركة فتح في 26 يوليو/ تموز 1970، وبعناوين بارزة (أبو عمار : البندقية هي الطريق الوحيد) * . عبرت المنظمات الفدائية في تصريحات مختلفة عن رفضها لقرار 242 وكل صيغته وأشكال تنفيذه، ومنها مشروع روجرز " أما الأردن فقد أيد مصر في هذه القضية بينما أوقفت مصر برامج بعض المنظمات الفدائية فيها "(2).

عارضت منظمة الصاعقة التي عبرت عن موقف البعث السوري مشروع روجرز محذرة من "وقوع حركات التحرر العربية والأنظمة التقدمية في أحابيل ومخططات القوى الاستعمارية والرجعية"، وأعلنت رفضها الحازم للمشروع(3).

أما الجبهة العربية فقد ألقّت اللوم على الدول العربية التي قبلت " العجز والاستسلام " وما تحاوله القوى الاستعمارية وحلفاؤها من زرع الاستسلام ليتوازي مع شعور الأنظمة بالعجز، ودعت إلى تعميق العلاقة بالأنظمة التقدمية والتي بدونها يستحيل حماية الثورة وبقائها كما عاهدت جماهيرها بالوقوف في وجه ما سمته " الاستسلام والتصفية " معتمدة على الجماهير المنظمة الواعية، ومطالبة بتحديد القوى الثورية والتقدمية والتحالف معها(4).

وتعرضت (ج.ت.ع) لشعار الدولة الفلسطينية الديمقراطية العلمانية منذ بداية انطلاقها، وحذرت من تضخيم قوة الثورة الفلسطينية منذ أن صدر بيانها السياسي في 31 آب/ أغسطس 1969، وفيه حذرت من تزيين الشخصية الفلسطينية وصولاً بها إلى التخلي عن القتال والصمود والكفاح والتحرير الكامل لتصل في النهاية إلى غايتها دعوة الفلسطينيين إلى التخلي عن القتال

(1) سلسلة الكتاب السنوي الفلسطيني، 1970، ص 16 .

* ومن أقوالها أيضاً : (أنا حركة تحرير لا نقاتل من أجل تسويات سلمية . أن ثورتنا هي لتحرير الأرض كلها. (لا نعرف للتسويات إلا معنى واحداً استسلام لإرادة النصر).

(2) المصدر السابق، ص 17 .

(3) سلسلة الكتاب السنوي الفلسطيني 1970، ص 47 .

(4) انظر: "جبهة التحرير العربية حول المشروع الأميركي لحل أزمة الشرق الأوسط"، سلسلة الوثائق العربية 1970 وثيقة رقم 294، ص 546 .

والصمود والتحرير الكامل بحجة عدم قدرتهم وحدهم على ذلك، وهكذا تكون هذه القوى قد نقلت أبناء فلسطين من "الأمل الكاذب إلى اليأس غير المبرر" (1) .

وقد نبه عبد الوهاب الكيالي أحد قادة الجبهة العربية وعضو القيادة القومية في حزب البعث العربي الاشتراكي في مذكرة أرسلها إلى المجلس الوطني الفلسطيني في دورته التي عقدت في شباط / فبراير 1969، وتناول أهم الأخطار المحدقة بالثورة الفلسطينية، ومما جاء فيها : " أول ما يتبادر إلى الذهن هو وقوع العمل الفلسطيني ورقة في يد القوى العربية والعالمية الراغبة في الدخول في مساومات الحل السلمي وليس بخاف على أحد أن قوى عربية ودولية مهمة سياسية ترغب في إنهاء حالة الصراع بين الدول العربية وإسرائيل على أساس قبول الدولة الصهيونية في أسرة دول المنطقة العربية كدول ظافرة ذات حدود آمنة ومعترف بها، وان يكون للعمل الفدائي وتصفيته ثمنا لانسحاب إسرائيل من الأراضي التي احتلتها في حزيران 1967، وأن الموقف السليم من الحل السلمي والتصفية النهائية للقضية الفلسطينية لا يقتصر على رفضها وحسب بل بالتحسب والعمل على وضع مخططات مضادة لا فشال جميع المؤامرات (2).

ويحذر عبد الوهاب الكيالي من غياب الأسس الفكرية والأطر النظرية، وان غيابها يؤدي إلى طغيان العوامل التكتيكية على الأهداف الاستراتيجية فتصبح الضرورات مبادئ وتكرس الاعتبارات المرحلية الاضطرارية على أساس أنها واقع دائم ومقبول (3).

ظل قادة الجبهة العربية يبدون حذرهم من بعض المظاهر التي أخذت تؤثر على حركة المقاومة، ويعاود الكيالي مذكرا بأسباب نشوء م.ت.ف، والتي تعود إلى مشيئة الأنظمة العربية، التي قدمتها تحت ضغط الجماهير العربية ومطالبتها بالوقوف في وجه الكيان الصهيوني في تحويله لمياه نهر الأردن بصورة خاصة، وتجاه القضية الفلسطينية بصورة عامة، وكذلك لمنع التفاف الجماهير حول العمل الفدائي الذي ظهر في عام 1964 وخوفا من تحوله إلى ثورة شاملة (4) .

(1) انظر : "البيان السياسي للجبهة العربية الجمهورية العراقية - بغداد، 31 / 8 / 1969 " سلسلة الوثائق العربية 1969، وثيقة 364، ص 622 .

(2) مذكرة السيد عبد الوهاب الكيالي إلى المجلس الوطني الفلسطيني، سلسلة الوثائق العربية 1969، ص 166.

(3) انظر : المرجع السابق، ص 165

(4) المرجع السابق نفسه، الصفحة نفسها .

وحذرت (ج.ت.ع) من أن يكون تسليم المنظمة للحركات الثورية الفلسطينية إلى حقنها بمصل الحياة بعد أن حلت بالأنظمة الأنظمة العربية هزيمة الخامس من حزيران/ يونيو 1967، وبعد أن ثبت انهيار تركيبها ، وفساد عقليتها(1) .

يمكن القول أن الأنظمة العربية تحمست لظهور (م . ت . ف)، وكذلك طرح شعار الدولة الديمقراطية العلمانية، ثم استلام حركة فتح لزعامة المنظمة، وتضخيم دور العمل الفدائي رغبة منها في التخلي عن دورها في حل القضية الفلسطينية، وتمرير الحلول السياسية التي تراها مقبولة، وقد تراقق ذلك بتأييد النظام المصري لاستقالة أحمد الشقيري وتم فتح خطوط جديدة من علاقات الأنظمة العربية مع حركة فتح .

وقد قام محمد حسنين هيكل بتعريف ياسر عرفات بجمال عبد الناصر، ومن ثم قيامه بزيارة الاتحاد السوفييتي برفقة جمال عبدالناصر في عام 1969، في حين اشتدت الحملة على أحمد الشقيري لتقديم استقالته، وتبع ذلك تغيير الميثاق القومي الفلسطيني، وهذا التغيير أصاب المادة رقم 2 من الميثاق، وكان انعكاسه لاحقا في إعلان الدولة الديمقراطية العلمانية التي دعت لها فتح، والتي يتعايش فيها أصحاب الديانات الثلاث(2).

كانت حركة فتح والجهة الديمقراطية اكثر المتحمسين لها، وظلت مثار نقاش بين الفصائل الفلسطينية، وفي ندوة عقدها(ج.ت.ع)، والجهة الديمقراطية لتحرير فلسطين استعرض ممثل (ج . ت . ع) الأسباب التي دفعت ل طرح هذا الشعار، ومنها: الدافع لبراز الشخصية الفلسطينية، وإثبات مطالب الشعب الفلسطيني العادلة كحق الشعب الفلسطيني في العودة وتقرير المصير والتغلب على الصورة الشوفينية لأهداف النضال الفلسطيني التي رسمتها تصريحات الزعامة الفلسطينية، والتي حاولت إخفاء عجزها عن طريق التطرف الكلامي الغوغائي وقذف اليهود في البحر(3).

وقام تحليلها على أن هناك عدة تيارات أساسية من أهمها :

الأول: تيار يتكون من زعامات الضفة الغربية والبرجوازية التقليدية المساومة التي تؤمن بالكيان الهزيل للحفاظ على مواقعها الطبقية، وزعامتها المنهارة، تلك المواقع التي لا يمكن أن تتعزز إلا في ظل التجزئة .

(1) تقرير جبهة التحرير العربية عن أعمال الدورة السادسة للمجلس الوطني الفلسطيني "، مجلة الأحرار، ع 648، بيروت 69/9/26 ص 14 .

(2) انظر : لنت، جيمس : الحسين، ص 206 .

(3) انظر : المرجع السابق نفسه، الصفحة نفسها .

الثاني : التيار الأممي المتمثل بالجبهة الديمقراطية، وهو تيار قوي وتدعمه الرجعية العربية والقوى الانهزامية في المنطقة كافة" والذي يجسده تصريح نايف حواتمة في حديثه لصحيفة لوموند الباريسية في مطلع كانون الثاني 1970 ونشرته صحيفة الحرية اللبنانية في 12/1/1970 الذي جاء فيه أن الجبهة الديمقراطية تناضل من أجل بناء دولة ديمقراطية و شعبية على ارض فلسطين يتمتع فيها العرب واليهود بحقوق وواجبات متساوية من حق كل منهما في تطوير ثقافته الوطنية بروح ديمقراطية تقدمية وليس المهم الشكل الدستوري لهذه الدولة "دولة واحدة أو اتحادية على غرار يوغسلافيا وتشيكوسلوفاكيا الخ" (1).

وانتقدت الجبهة العربية حديث الجبهة الديمقراطية على وجود قوميتين متساويتين في فلسطين على نسق القوميات اليوغسلافية، دون النظر إلى الفارق المهم كون إسرائيل غزو استعماري كما أن لينين لم يقر أن اليهود أمة كاملة، وهي لا تؤمن بالوحدة العربية لأنها ترى في شعار دولة فلسطين شعاراً استراتيجياً.

وعن أسباب الحديث عن قيام دولة فلسطين خارج الأوساط الفلسطينية عزت (ج.ت.ع) ذلك إلى رغبة الاستعمار والصهيونية تطويق النضال الفلسطيني وتفريغه من محتواه وخنقه حتى نقيم " كيان فلسطيني هزيل تابع لسيطرة أمريكا وإسرائيل في الضفة الغربية وغزة تحت شعار الدولة الفلسطينية"، وهي خطوة للتصفية والتسوية النهائية، إلى جانب آخر يتصل بأهداف الاستراتيجية الصهيونية بعد حرب 1967 (2).

ورأت أن الحل البديل يكمن في رفض اعتبار الدين رابطة قومية، وبالتالي رفض اعتبار اليهود أمة، و حل الصراع العربي - الصهيوني على أساس بناء مجتمع اشتراكي ديمقراطي ضمن وحدة عربية شاملة، وأن الديمقراطية لا يمكن تحقيقها دون تحقيق العوامل الموضوعية لعلاقات إنتاجية ديمقراطية، كما أن موقفها ينبع من الموقف القومي اليساري الذي يعمل في تيار معاكس للتسوية والتجزئة العربية (3).

وتعتبر الجبهة العربية أن المستفيدين من الحل السياسي هم الإمبريالية وإسرائيل والأنظمة الرجعية العربية، أما المتضررون فهم أبناء الوطن العربي الذي سيصبح ساحة لاستغلالها

(1) حديث ممثل جبهة التحرير العربية في ندوة الجامعة الأردنية، مجلة الأحرار، لبنان، ع680، 15 أيار 1970 ص14.

(2) المرجع السابق نفسه، الصفحة نفسها.

(3) انظر: المرجع السابق، ص 14 - 15.

ومعنى ذلك أن فلسطين هي " خلاصة القضية العربية "، وأن الحرب فيها هي حرب على أعداء الأمة العربية جميعاً . وفي هذا السياق رفعت شعار " الحلول السلمية وليدة التجزئة وحماية لها في الوقت ذاته " " قل لي ما هو موقفك من الوحدة العربية أقول لك ما هو موقفك من تصفية قضية فلسطين "، قل لي ما هو موقفك من الحل السلمي أقول لك أين هي مواقفك من الوحدة" (1).

وقبيل انعقاد المجلس الوطني الفلسطيني في آذار/ مارس 1971. أرسلت (ج.ت.ع) مذكرة إلى المجلس الوطني الفلسطيني كان مما جاء فيها " أن استراتيجية رفض الحل السلمي لا يمكن من أن تتعايش مع استراتيجية فرض الحل السلمي "، وفيه ذكرت أن هذا المجلس مرشح رغم الرفض اللفظي الذي يخرج عنه إلى الوصول إلى نتائج مؤتمر الخرطوم إذا لم يحدد منذ الآن الطريق الثوري الذي يجب أن تسلكه حركة المقاومة بكل وضوح(2).

ومن الاستدلالات على هذا النهج أن الثورة الفلسطينية أخذت تتساهل في التمسك بخصائصها الثورية وبدلاً من أن تخرج من إطارها الوطني إلى البعد القومي الأرحب راحت الأنظمة العربية تعمل على استدراجها نحو الحل السياسي بعد أن تعاملت معها ككيان رسمي لفلسطين، وبدلاً من التعامل معها كثورة، وفي هذا الصدد علقت ج.ت.ع " ... وبدأت في معاملة قادة حركة المقاومة كحكام في دولة فلسطين المنتظرة بدلاً من القضاء على أعدائهم " (3).

وتهتم الجبهة العربية بالتشديد على مفهومها القومي للمعركة، وترسيخه بين فصائل الثورة الفلسطينية، وتبدي نقدها إلى مفهوم الفصائل الأخرى له، التي أخذت تقيم شبكة من العلاقات السياسية والعسكرية والبروتوكولية مع الأنظمة بدلاً من العلاقة مع الجماهير العربية(4).

وهي تطالب أن يكون رفض الحل السلمي استراتيجية ثابتة للثورة على ضوءها يتحدد أصدقاء الثورة وأعدائها: " إن استراتيجية رفض الحل السلمي لا تتعايش مع استراتيجية فرض

(1) انظر : المرجع السابق، ص15.

(2) انظر :مذكرة جبهة التحرير العربية إلى المجلس الوطني الفلسطيني أن استراتيجية رفض الحل السلمي لا يمكن أن تتعايش مع استراتيجية فرض الحل السلمي " مجلة الأحرار، ع721، 5 آذار 1971، ص10.

(3) المرجع السابق نفسه، الصفحة نفسها.

(4) المرجع السابق، ص11.

الحل السلمي ... وأصحاب الاستراتيجية الأولى لن يكونوا حلفاء أصحاب الاستراتيجية الثانية (1).

ومن ثم تحويل الرفض اللفظي إلى " برنامج تنظيمي وسياسي وعسكري كامل يهدف إلى القضاء على الأفكار والمخططات والأفراد الذين يمهّدون لهذا المشروع التصفوي الخائن ويأتي على رأس هذا البرنامج إشراك الجماهير العربية في معركة التحرير سواء من خلال أفواج المقاتلين العرب أو من خلال التنظيمات الشعبية التي يجب أن تقام في كافة الأقطار العربية مهما كان موقف الأنظمة العربية منها " (2).

ويجدر الذكر أنها رفضت دخول المجلس الوطني الفلسطيني واللجنة التنفيذية لأنها تمثل حسب قولها مؤسسات قطرية، ويتعلق بطبيعة م.ت.ف التي جاءت وليدة مؤتمر القمة العربي الذي عقد في تحويل مجرى نهر الأردن، وهي خطوة "تسكينية" وضربة "استقطابية استباقية" للتلمل الثوري الذي يسود أوساط الشعب الفلسطيني، لقد كانت نظاما عربيا آخر .. ونحن نعلم أن الإجماع لا يكون إلا حسب قاعدة "سيروا سير أضعفكم" (3).

أدى طابع الجبهة القومي إلى منع بعض قادتها من العرب من دخول اللجنة التنفيذية و المجلس الوطني الفلسطيني لأنهما يركزان على الكيان الفلسطيني، بينما سمح للفلسطيني الذي يمارس دورا في الثورة بدخوله، ودخلت الجبهة العربية بعد حرب أيلول في الدورة التاسعة للمجلس الوطني الفلسطيني تحت مبدأ " أن تتواجد حيث تتواجد المنظمات الأخرى " ومن أجل تئوير المنظمة الذي يعني تحويل مؤسسة مثل المجلس الوطني الفلسطيني إلى مؤسسة ثورية وليس مؤسسة كيانية كما أن المنظمة باتت مقتنعة أكثر بقومية المعركة وأهميتها (4).

كثّر الحديث عام 1971 و1972 عن الدولة الفلسطينية، وتشكيل حكومة فلسطينية في المنفى، وحول هذا الموضوع علق رئيس منظمة الصاعقة زهير محسن بقوله : " ... أن مجرد البحث في مثل هذه المشاريع يتضمن في حد ذاته أخطارا، ومن شأنه أن يجر إ إلى منزلقات

(1) " مذكرة جبهة التحرير العربية إلى المجلس الوطني الفلسطيني 1971/2/26 (الثورة) (بغداد - 1971/3/5، * سلسلة الوثائق العربية 1971، ص 211.

(2) المرجع السابق نفسه، الصفحة نفسها.

(3) العطاري، سامي، والكيالي، عبد الوهاب (أحاديث) : مجلة شؤون فلسطينية، ع7، ص 48 و49.

(4) المرجع السابق، ص 49 .

توصل إلى مواقع غير وطنية وغير ثورية"، ويعود سبب ذلك أن قضية فلسطين يتم إنزالها بهذه الطريقة من قضية عادلة وذات قدسية إلى قضية هامشية مجزأة ويجعل الهزيمة أمراً مقبولاً ويكرس فلسفة الأمر الواقع الذي أنتجته الهزائم المتلاحقة(1).

وعن التيارات الفلسطينية صاحبة هذه البرامج يذكر أنها تياران أحدهما: يساري والآخر يميني، وعن المبررات التي يسوقها التيار اليساري، ومنها أنه لم تعد هناك إمكانية لرمي اليهود في البحر أو التفكير بإخراجهم من فلسطين، فإن التوصل لإقامة سلطة على أي جزء تتسحب منه إسرائيل سيكون موقفاً إيجابياً ومن خلاله يحقق الفلسطينيون إنجازاً عقلائياً بعيد عن الميثاقيزيقيا، وفي رأي هؤلاء أن الكفاءات والمهارات الفلسطينية المنتشرة في العالم ستلعب دوراً في خلق مجتمع صناعي ويشدد كلا التيارين " أن المقاومة إذا لم تبادر إلى القبول بالمشروع فإن الملكية الهاشمية ستمتلك فرصة جديدة لإعادة هيمنتها وهيمنة الشرق أردنيين (2).

ويتصدى زهير محسن لهذا المنطق القائل أن " طبقة التكنوقراسيا * " ستجتمع في فلسطين والمبعثرة في العالم، وسبب ذلك " لأنها خلقت لنفسها مصالح في المهاجر التي انتقلت إليها، وأن الدولة المرتقبة لا تتوفر فيها المشاريع والبرامج القادرة على استيعاب تلك الطبقة " (3).

وعن مستقبل هذه الدولة والقوى المسيطرة ومستوى سيادتها، ذهب زهير محسن إلى أن الطبقة الرأسمالية مؤهلة لأن تحتل دور الوسيط و السمسار التجاري بين "الإنتاج الإسرائيلي الكبير والمتطور وبين الأسواق العرب الاستهلاكية " (4).

وفي رأيه أن الدولة الفلسطينية المقترحة لن تنشأ فيها بروليتاريا متميزة قادرة على انتزاع السلطة وفرض هيمنتها، ويعود سبب ذلك إلى قوة الاستثمارات الصهيونية وتبعية الطبقة العاملة العربية، كما أن إسرائيل ستقيم علاقة منفردة مع كل بلد عربي وستحاول الحلول بدل الدول

(1) محسن، زهير : الثورة الفلسطينية بين الفكر والممارسة، دمشق : منشورات الطلائع، 1972، ص 29

(2) المرجع السابق، ص 32 .

* شريحة المتقنين المهنيين، وأصحاب الكفايات العلمية .

(3) المرجع السابق، ص 35 .

(4) المرجع السابق، ص 36

الكبرى كما أن السلطة فيها لن تكون بقادرة على الحفاظ على الشخصية الفلسطينية طويلاً لأن إسرائيل تبقى هي المنفذ الوحيد لها على العالم (1).

تعرض زهير محسن إلى الدور الذي قامت به إسرائيل في محاولاتها في إشغال أبناء الضفة الغربية في شؤون خدمية ومطلبية ثانوية كالانتخابات أو الإنعاش الاقتصادي والتعاش السلمي والتي بدأت بإقالة رئيس بلدية غزة الراض للتعاون مع الاحتلال، وقد استبدلت بمنير الريس رشاد الشوا، الذي وجهت له الأنظار كمنقذ للأوضاع الخائفة ومنع أبناء غزة من تصدير البرتقال واليه توجه أصحاب المصالح الاقتصادية بالتأييد والتي قوبلت بتأييد الحكم العسكري الصهيوني كتب زهير محسن عن نظرة أصحاب المصالح "الرأي أن غزة هي أحوج الآن ومن أي وقت مضى إلى مجلس بلدي قوي ورئيس بلدية قوي ليكون لدينا هيئة شبه تمثيلية، تتولى حل مشاكل المواطنين، ومواجهة أي ظروف قد تطرأ (2).

وعاد زهير محسن، وفي مقال نشره بعنوان: "منظمة التحرير وأفاق المستقبل" المنشورة بتاريخ 28 شباط/فبراير 1972، ليربط بين ما يجري من حديث صهيوني لأجراء انتخابات بلدية لغرض إقامة حكم ذاتي، وقد استشرَف في الأفق السياسي أن هناك تيارين: أحدهما قابل بالتسوية وآخر رافض لها، وقد أكد أن الجانب الوحيد القادر على تغيير المعادلة هم الفلسطينيون من خلال التفاهم حول الثورة ورأى أن طريق الوحدة الوطنية هو فقط القادر على إبعاد خطر التصفية و"السلام الإسرائيلي" كما وصفه، وعاد زهير ليؤكد على منطلقات هامة وهي:

- 1- الالتزام باستراتيجية الكفاح المسلح والنضال لتحرير كامل التراب الفلسطيني ورفض المشاركة في أي تسوية قادمة، لإزالة آثار العدوان .
- 2- رفض الحكم الذاتي أو أي تشكيل سياسي يرتبط بالاحتلال و الحرص على وحدة الصف الوطني و احترام الاجتهادات المختلفة رغم تباينها(3).
- وفي 15 آذار/ مارس 1972 طرح الملك حسين " مشروع المملكة المتحدة " والذي قوبل برفض اتحاد الجمهوريات العربية (مصر وسوريا وليبيا و العراق) (4).

(1) محسن، زهير : المرجع السابق، ص 38 — 39 .

(2) المرجع السابق، ص 50 — 51 .

(3) انظر : المرجع السابق، ص 57 — 58 .

(4) انظر: الموسى، سليمان : تاريخ الأردن في القرن العشرين ج2، ص 58 .

طرح المشروع أمام 400 من الوجهاء والأعيان الذين حضروا إلى القصر الملكي الأردني واشتمل على اثني عشر بنداً وأهمها أن تصبح المملكة الأردنية الهاشمية مملكة متحدة بنظام كونفدرالي، وتشمل قطرين هما الضفة الشرقية والضفة الغربية وقطاع غزة، وتكون عملن عاصمة قطر الأردن والقدس عاصمة قطر فلسطين ورئيس الدولة هو الملك حسين، وقد قوبل المشروع برفض المنظمات الفلسطينية وأطلق عرفات يوم 17 آذار تصريحات ملتهبة ضد المشروع وأعلن أن فتح ستسقط النظام الأردني(1).

وفي الجلسة العاشرة للمجلس الوطني الفلسطيني الذي عقد في القاهرة في شهر نيسان / أبريل 1972 صدر قرار برفض مشروع ألون - حسين ووصف بأنه مؤامرة أردنية على الثورة، وحضر المؤتمر مائة شخصية فلسطينية(2).

كان رد محسن بعنوان :- " لا شرعية لغير القتال والمقاومة "، وفيه بين التوقيت الذي جاء فيه مشروع المملكة المتحدة الذي جاء قبل أسبوعين فقط من الموعد المحدد لبدء الانتخابات البلدية في الضفة الغربية، وقبل شهرين من زيارة الرئيس الأميركي نيكسون للاتحاد السوفيتي، وكذلك في أعقاب رسالته الأخيرة للكونغرس في شباط/ فبراير 1972، والذي أشار فيه إلى أن الشعب الفلسطيني جاء يكافح للحصول على وطنه، وكذلك شهدت قواعد الثورة في جنوب لبنان، عدواناً واسعاً لتصفية قواتها وسبق إعلان المشروع اجتماع حسين وإيغال ألون في العقبة (3).

ويستطرد محسن في حديثه حول طبيعة المشروع الصهيوني، وأسباب نشوء الثورة الفلسطينية فيقول " لم تكن القضية التي وجدت من أجلها الثورة الفلسطينية، هي قضية تصحيح العلاقة بين الضفة الغربية والعرش الهاشمي بالرغم من أهمية ذلك .. بل من أجل منع تحول " الوجود الصهيوني في فلسطين المحتلة إلى أمر واقع " (4).

(1) انظر: الموسى ، سليمان: المرجع السابق، ص 388

(2) انظر: ماعوز، موسى : القيادات الفلسطينية في الضفة الغربية أسرار وتحركات ومواقف. ص 6

(3) محسن، زهير : الثورة الفلسطينية بين الفكر والممارسة، ص66

(4) المرجع السابق، ص68

ويشكك زهير محسن في انسحاب إسرائيل من القدس وتحويلها إلى عاصمة لفلسطين المنتظرة ويتساءل قائلاً : " هل أن إشارة الملك للقدس كانت لمجرد التخدير أم سيعتبر ارتفاع العلم الأردني فوق المقدسات الإسلامية هناك كافياً لإقناعنا بأن القدس عادت إلى عروبتها " (1).

عاد سامي العطارى أحد المسؤولين في منظمة الصاعقة ليؤكد أن على المنظمة أن لا تترشح عن هدفها وهو تحرير كامل فلسطين، وعن الجهود المبذولة لإيجاد طرف فلسطيني يقبل بالتسوية أكد أن المهمة العاجلة للمقاومة تكمن في الحيلولة دون إيجاد أي طرف فلسطيني يقبل بها (2).

بعد حرب رمضان 1973 بين إسرائيل ومصر نشطت جهود التسوية السياسية بينهم ، التي قام بها وزير الخارجية الأمريكي هنري كيسنجر والتي تتضمن إجراء ترتيبات لوقف النار بعد أن انتهكت إسرائيل وقف إطلاق النار الصادر عن مجلس الأمن رقم 338، ولم تتوقف عملياتها العسكرية في جبهة القناة وكان الجيش الثالث المصري محاصراً، وقد هددت مصر بالعودة إلى القتال ولكن عادت الإتصالات بين الأطراف المختلفة وهي: مجلس الأمن، ومصر، وإسرائيل والولايات المتحدة (3).

انتقلت هذه المباحثات إلى الكيلو 101 على طريق القاهرة السويس الصحراوي، وتم رعايتها بإشراف الأمم المتحدة وممثلها الجنرال أنزيو سيلاسفيو قائد قوات الطوارئ الدولية واستغرقت فترة، وجاء هنري كيسنجر ليظهر على مسرح الشرق الأوسط يوم 6 تشرين الثاني / نوفمبر 1973، وأجرى مفاوضات كان نتيجتها أن نجح هنري كيسنجر في أن يقنع الرئيس محمد أنور السادات بقبول استراتيجية التسوية " خطوة .. خطوة " بدلا من تحقيق تسوية مباشرة وشاملة إلى جانب محاولاته إقناع مصر بعدم جدوى علاقاتها مع الاتحاد السوفيتي، ودعوته لتطبيع علاقات إسرائيل مع مصر ، وانسحاب قواتها تدريجياً وراء الحدود الدولية عبر عدة سنوات (4).

(1) محسن، زهير: المرجع السابق، ص 69 .

(2) انظر : العطارى، سامي، والكيالي، عبدالوهاب(أحدث) : مجلة شؤون، ع 7 آذار 1972، ص 7.

(3) انظر: الجمصي، محمد عبد الغني : مذكرات حرب أكتوبر 1973، ط 1، باريس : المنشورات الشرقية، 1989، ص 457 .

(4) انظر : المرجع السابق، ص 466.

بدأ الحديث في عام 1973 عن مؤتمر جنيف وعن إمكانية حضور وفد فلسطيني وسوري، ومصري، وقد أوحى السادات إلى زعماء (م. ت. ف)، وفهم ياسر عرفات وصالح خلف " أبو إياد " عن إمكانية اشتراكهم، وعليهم الاستعداد لحضور مؤتمر جنيف، وفي عام 1974 عقد مؤتمر في مدينة الرباط، حضره زعماء وملوك ورؤساء الدول العربية، ورئيس (م.ت.ف) والذي اعترف بها ممثلاً شرعياً ووحيداً للشعب الفلسطيني.

كما أن عرفات ألقى خطاباً في الجمعية العامة للأمم المتحدة . عقد مؤتمر جنيف في يوم السبت 23 كانون الأول/ ديسمبر 1973 م، بحضور ممثلي دول مصر إسرائيل، والأردن، ولم تحضر سوريا، ولم توجه دعوة إلى فلسطين وقد أشار الدكتور كورت فالدهايم، إن على الدول المذكورة أن تبدأ بتطبيق قرار 242 وقال أن المؤتمر سيحقق تقدماً في فك الاشتباك بين مصر وإسرائيل، على جبهة قناة السويس، ثم ينتقل لبحث إقامة سلام عادل ودائم في الشرق الأوسط(1).

وكان الموقف الأمريكي يتلخص في:

الانسحاب من الأراضي المحتلة، وإقرار حدود منزوعة السلاح، وحدود معترف بها مع ضمانات دولية للحدود، والاعتراف بالحقوق الشرعية للفلسطينيين، وبقدسية الأماكن المقدسة لدى أصحاب الديانات الثلاث، ثم التعجيل بالفصل بين القوات العسكرية، وقد لاقت م. ت. ف قبولا واعترافاً دولياً في عام 1974 م، بعد أن وجهت دعوة لياسر عرفات الذي ألقى يوم تشرين الثاني في الجمعية العامة للأمم المتحدة، وفي هذا المؤتمر قدم عرفات عرضه وقبوله للسلام بقوله " لقد أتيت حاملاً غصن الزيتون في يدي، بينما تمسك يدي الأخرى ببندقية مناضل، فلا تدعوا غصن الزيتون يسقط من يدي " (2).

وصدر عن الجمعية العامة قرار 3236 والذي يؤكد حق تقرير المصير للشعب الفلسطيني وحق السيادة والاستقلال الوطني، وحق الفلسطينيين في العودة إلى ديارهم التي اقتلعوا وشردوا منها، وتعترف أن الشعب الفلسطيني هو طرف أساسي في تحقيق السلام العادل في الشرق الأوسط(3).

وخرج المؤتمرين فيه ببيان الاعتراف (ب. م. ت. ف) ممثلاً شرعياً ووحيداً للشعب العربي الفلسطيني، وفي 29 من هذا الشهر جاء في البند الثاني منه ما يلي : -

(1) انظر: الجمصي، محمد عبد الغني : المرجع السابق ، ص 473 - 474.

(2) عبد الهادي، مهدي : المسألة الفلسطينية ومشاريع الحلول السياسية، ص 557 - 558 .

(3) المرجع السابق، ص 576 - 577.

" تأكيد حق الشعب الفلسطيني في إقامة السلطة الوطنية المستقلة . بقيادة م . ت. ف بوصفها الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني، على أية أرض فلسطينية يتم تحريرها، وتقوم الدول العربية بمساعدة هذه السلطة عند قيامها في جميع المجالات وعلى جميع المستويات وقد قوبل هذا القرار بتحفظ من قبل رئيس الوفد العراقي صدام حسين في حين أيد الأردن الإجماع العربي (1).

وفي الإطار نفسه عقد مؤتمر الرباط في 26 - 29 تشرين الأول/ أكتوبر 1974 وفي سياق هذه التحركات طرحت قيادة م. ت. ف، والتيار المسيطر عليها، والمتمثل في حركة فتح، ومعها الجبهة الديمقراطية، ومنظمة الصاعقة برنامجاً مرحلياً للنظام الفلسطيني في دورته الثانية عشر دعوي باسم البرنامج المرحلي - برنامج العشر نقاط، والتي عقدت في القاهرة في حزيران / يونيو 1974 والذي جاء بعشر نقاط، ومنها المادة الثانية والقائلة بتنازل منظمة التحرير الفلسطينية بكافة الوسائل وعلى رأسها الكفاح المسلح، لتحرير الأرض الفلسطينية وإقامة سلطة الشعب الوطنية المستقلة المقاتلة على كل جزء من الأرض الفلسطينية التي يتم تحريرها، وهذا يستدعي أحداث المزيد من التغيير في ميزان القوى لصالح شعبنا ونضاله (2).

لقد قوبلت هذه الخطوة بالرفض الشديد من قبل مجموعة فصائل فلسطينية ومنها : الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، بقيادة جورج حبش، وجبهة التحرير العربية برئاسة عبد الرحيم احمد، والجبهة الشعبية القيادة العامة بزعامة أحمد جبريل، وجبهة النضال الشعبي الفلسطيني، بقيادة الدكتور سمير غوشه، ومن شخصيات وطنية والتي أعلنت في تموز/ يوليو 1974 عن تشكيلها " جبهة القوى الراقضة للحلول الاستسلامية ". وأعلنت أن هذا البرنامج يهدف إلى جر العرب للاعتراف بالكيان الصهيوني، وشددت على أهمية الوحدة الوطنية لإنجاز التحرير الكامل (3).

وقد لاقت جبهة الرفض الفلسطينية الدعم والتأييد من العراق، وعارضت (ج . ت . ف) هذا البرنامج وفي عام 1974 صرح عبد الرحيم احمد أمين عام الجبهة أن التسوية هدف إمبريالي مقدمات ونتائج، ولذلك يجب مقاومته وأول المعنيين في ذلك الشعب الفلسطيني قيادة و جماهير (4).

(1) الموسى، سليمان : تاريخ الأردن في القرن العشرين ج 2، ص 389 .

(2) سلسلة الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية عام 1974، بيروت : مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ط 1977. ص 23.

(3) انظر : سلسلة الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية 1974، ص 23.

(4) انظر : المرجع السابق، ص 29.

وأكدت (ج. ت. ع) موقفها الراض بالقيام بعدد من العمليات العسكرية الخاصة في علمي 1974 و1975 ومنها كفار يوفال وكفار جلعادي، وقالت الجبهة: " أن حربها مع العدو حرب وجود لا حرب حدود"، ونددت باتفاقية سيناء وأكدت بعد تنفيذها لعملية كفار جلعادي في الجليل الأعلى" أن من أساليب تصفية الثورة الفلسطينية محاولات العدو إجراء انتخابات بلدية وتأليف حكومة مدنية في الضفة الغربية وذلك للضغط على الثورة وجماهيرها كجزء من الضغوط الرامية لدفعها سريعا على طريق التسويات ومراميتها التصفية... (1).

قابلت منظمة الصاعقة هذا البرنامج بالتأييد، وتغيرت لهجة الأمين العام لمنظمة الصاعقة، من موقف متشدد رافض لأي تنازل إلى صوت خافت ومعتدل، ففي معرض لقائه ورده على أجوبة ومحربي مجلة شؤون فلسطينية في شباط/ فبراير 1974، تحدث زهير محسن عن الرومنطيقية التي حكمت التفكير الثوري قبل حرب تشرين 1973، وهي تعود لأسباب الشعور بالعجز أما بعد الحرب " نحن مطالبون أن نتصرف بمسؤولية، مطالبون بان نحدد برامجنا وأهدافنا بشكل مسؤول يجمع بين الالتزام المبدئي وبين الواقعية" (2).

وأخذ يتحدث عن سياسة المراحل والتدرج فيها حتى في خوض معارك مع العدو الصهيوني، وربط هذا التطور بتطورات حرب 1973، التي على ضوءها لا بد أن تتطور الوسائل والبرامج العملية المرحلية بما ينسجم مع النتائج والاعتبارات التي خلفتها الحرب (3).

ورغم قبوله بالتدرج والميل نحو الحل، إلا انه طالب بأن لا تنفرد مصر في حضور مؤتمر جنيف أو تدخل في اتفاقيات ثنائية، وطالب بان يتفق الاتحاد السوفييتي ومصر وسوريا، و(م.ت.ف) على الحد الأدنى، ويحددوا سقف التنازلات التي يمكن للأمة العربية تقديمها لتحقيق السلام، وشدد محسن على أي سلام يعقده العرب مع إسرائيل ويجب أن لا ينهي حالة الحرب في مقابل ثمن بخس لا يسمح للشعب الفلسطيني بتحقيق حد أدنى من المكاسب التي تمكنه من مواصلة نضاله أو المحافظة على قضيته الوطنية (4).

(1) سلسلة الكتاب السنوي سنة 1975، ص13، و 65 .

(2) انظر : حديث مع زهير محسن، مجلة شؤون فلسطينية 3 شباط 1974، ص11.

(3) انظر : المرجع السابق، ص12.

(4) انظر: حديث مع زهير محسن، مجلة شؤون فلسطينية 3 شباط 1974، ص 11 .

تناول عبد الوهاب الكيالي أحد قادة (ج.ت.ع) التطورات التي قادت إلى فرض "سلام استراتيجي"، وهي معادلة تهدف إلى تعريب الصراع العربي إلى ثلاثة أبعاد، وهي الصراع العربي العربي، والصراع العربي الفلسطيني والصراع الفلسطيني - الفلسطيني، وقد استطاع أن ينجح في الخطين الأولين، وفشل في الثالث. وبين أن أجواء الإشاعات جرت لخلق اقتتال بين الراضين والقابلين بالتسوية، ولكنها فشلت وبدوره بين أنها منظمات غير منضبطة إلا أنها شددت لحمتها المعارك في لبنان باستثناء الصاعقة(1).

كان من نتائج دخول القوات السورية إلى لبنان أن شهدت المنظمات الفلسطينية انحيازاً بعضها للنظام السوري، أو توقفها عن القتال، كما حصل في منظمة الصاعقة السورية ومنظمة الجبهة الشعبية "القيادة العامة" بزعامة أحمد جبريل، وقد دفع ذلك إلى انشقاق جديد قاده محمد عباس "أبو العباس" وطلعت يعقوب، وتكون منظمة جديدة باسم جبهة التحرير الفلسطينية وهو اسم قديم للجبهة الشعبية "القيادة العامة"، وقد أسهم في التأثير على قوة جبهة الرفض الفلسطينية(2).

بعد انتهاء الحرب اللبنانية الفلسطينية انعقدت دورة الشهيد كمال جنبلاط بتاريخ 12 - 22 آذار / مارس 1977، والتي عقدت في مقر جامعة الدول العربية في القاهرة، في وقت لا زالت فيه توجد جبهتان فلسطينيتان: الأولى جبهة القابلين بالتسوية أو المعتدلين والأخرى جبهة الراضين للتسوية، وفي هذا المؤتمر دار الحديث عن الكفاح المسلح ومواصلته ضد العدو الصهيوني والوحدة الوطنية وارتفعت فيه نسبة التمثيل في المجلس الوطني من 170 إلى 300 عضواً(3).

تقدمت جبهة الرفض الفلسطينية في المؤتمر الوطني بورقة عمل في حين قدمت حركة فتح ومنظمة الصاعقة والجبهة الديمقراطية ورقة أخرى. أكدت جبهة الرفض اتفلسطينية على رفض "البرنامج المرحلي" الصادر عن المجلس الوطني الفلسطيني الثاني عشر الذي عقد عام 1974 وحينما عقدت الجلسة قدمت (ج.ت.ع) تحفظات مكتوبة إزاء العديد من النقاط المدرجة في الإعلان السياسي للمجلس، بينما فاجأ أبو ماهر ممثل الجبهة الشعبية بقوله: "أن الجبهة الشعبية لا تتحفظ على البيان وإنما ترفضه بمجمله" وقد أخرج هذا الموقف الجبهة العربية التي

(1) انظر: الكيالي، عبد الوهاب: دراسات ومطالعات فلسطينية (1974-1977)، ص 164-167.

(2) انظر: دراغمة، عزت: مرجع سابق، ص 162، و 166.

(3) انظر: الكيالي، عبد الوهاب: دراسات ومطالعات فلسطينية (1974-1977)، ص 162 و 166.

قراراً بتجميد عضويتها؛ لتتسجم خطواتها مع شريكها الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، حيث تشتركان في جبهة الرفض الفلسطينية (1).

كانت أهم الأسس والمبادئ التي حرصت على تثبيتها (ج. ت. ع) هي : -
التأكيد على رفض قرار 242، والتصميم على مواصلة الكفاح المسلح و تصعيد النضال في الأرض المحتلة، ورفض مشاريع التصفية كافة، إضافة إلى رفض الحلول السياسية الأميركية كافة والتصميم على إفشال أية تسوية تتم على حساب حقوق شعبنا .والالتزام بدعم الثورة لاسترداد الحقوق الوطنية والثابتة للشعب العربي الفلسطيني ورفض الصلح والاعتراف ومبدأ رفض التعامل مع العدو الصهيوني ورموزه وأدواته، ووصف الكيالي قرار 3236 القرار الذي أصدرته الجمعية العامة للأمم المتحدة بأنه من أفضل القرارات التي تصدر بحق القضية الفلسطينية وخاصة البند الخامس منه(2).

بعد حرب 1973 ظهرت ثلاثة اتجاهات سياسية رئيسية في الساحة العربية تهتم بمقتضيات التسوية السياسية للصراع العربي الإسرائيلي وتتمثل بالاتجاهات التالية :-

أولاً :اتجاه الحركة الوطنية الفلسطينية الذي يدعو إلى رفض الدخول في مساومات سياسية تنتهي بقبول الاعتراف المباشر والصريح بإسرائيل أو التفريط بحقوق الشعب الفلسطيني وهو تيار يقر بالصعوبات التي تقف حائلاً دون التحرير الشامل، ويتحفظ على قبول مقتضيات التسوية.

ثانياً : اتجاه سوريا وبعض المنظمات الفلسطينية والقوى العربية القائل بأن التسوية بحاجة إلى تعادل في ميزان القوى الاستراتيجي، وحتى يضمن العرب نجاحهم في تحقيق سلام عادل وشامل، وقد زاد الحديث عن هذه النظرية بعد خروج مصر من دائرة المواجهة مع إسرائيل(3).

(1) انظر :الكيالي، عبدالوهاب: المرجع السابق، ص 167 – 169 .

(2) انظر: المرجع السابق ، ص 170 – 171 .

(3) انظر : حسين، جعفر اغا، والخالدي، أحمد سامح " المساومة التاريخية "، النشرة الاستراتيجية، مج 9، ع 22، 24 تشرين الثاني /نوفمبر ، 1988، ص1.

وقد عبر عن هذا الموقف زهير محسن في معرض إجابته عن سؤال " ما حجم التنازلات التي انتم على استعداد لتقديمها فيما لو قدمت إليكم عروض ؟ .

وقد جاء في إجابته أنه لا إمكانية للتنازل عن الحقوق التاريخية لشعبنا باعتبارها أمورا مصيرية لا تهاون فيها، ولكن مقابل تحرير بعض الأرض قد يقبل بهدنة تطول أو تقصر، وقد تلغى مقاطعة إسرائيل، ولا توجد ثورات حققت أهدافها مرة واحدة إذ تتعرض للتراجع أو الهدنة، والزعيم الروسي فلاديمير ايليتش لينين قدم نصف أراضي روسيا لألمانيا في الحرب العالمية الأولى(1).

ثالثا :- اتجاه الرئيس المصري أنور السادات القائل بأن إسرائيل متفوقة، وتلقى الدعم الأمريكي، وأن العرب لا يلقون نفس الرعاية من السوفييت، و على العرب السعي لتحديد الولايات المتحدة وإنقاذ ما يمكن إنقاذه(2).

إلا أن النهج الثالث أصبح هو الأقوى في الفترة التالية بعد أن مضى السادات في خطه القائم على اعتبار السلام خياره الاستراتيجي، ومؤكدًا على سياسة الخطوة خطوة، وتكلفت هذه الخطى بإعلانه عن زيارته المفاجئة للكيان الصهيوني في التاسع عشر من تشرين الثاني / نوفمبر 1977.

كانت زيارة السادات في هذا الوقت منهجا جديدا لبلوغ حل النزاع بطريقة سلمية تهدف إلى نيل الشعب حقوقه، وفقا لقرارات وميثاق الأمم المتحدة . وقد تشكلت هذه الفكرة من حرب 1973 وشكلت تحولا في الخط الجغرافي السياسي المرسوم لحل الصراع، وهي محاولة لإثبات أن ما فشلت المواجهة العسكرية من تحقيقه يمكن له أن يتحقق بالجهود الدبلوماسية وبالحوار والمفاوضات المتصلة(3).

وفي العشرين من تشرين الثاني/ نوفمبر 1977 واجه السادات الإسرائيليين في خطابه الذي ألقاه أمام الكنيست بجملة أمور هامة حول القضية الفلسطينية ومنها أن السلام المنفرد بين

(1) " حديث صحافي خاص للسيد زهير محسن، أمين سر قيادة منظمة طلائع حرب التحرير الشعبية - قوات الصاعقة في لبنان ورئيس الدائرة العسكرية في منظمة التحرير الفلسطينية، حول بعض المسائل الراهنة "، سلسلة الوثائق الفلسطينية 1978، ص 150 .

(2) انظر : حسين، جعفر، والخالدي، أحمد سامح : " المساومة التاريخية "، النشرة الاستراتيجية، ص 2 و 1 .

(3) انظر :غالي، بطرس: "سياسة مصر الخارجية في وحدة ما بعد السادات" مجلة السياسة الدولية ع 69، 1982، ص 79-80

مصر وإسرائيل لا يحقق حلاً شاملاً للسلام، وأن الحل العادل للمشكلة الفلسطينية هو الذي يحقق العدل والسلام كله في العالم.

وأن من ينكر حقوق الشعب الفلسطيني من الإسرائيليين يتناقض مع العالم الذي أقر بقضية الشعب الفلسطيني ومنها الولايات المتحدة الأمريكية، وعلى ضوء ذلك أعلن السادات خطة السلام المصرية أمام الكنيست على النحو الآتي:-

- تحقيق الحقوق الثابتة لشعب فلسطين في حق تقرير المصير وإقامة دولة له.
- حق جميع الدول في المنطقة في إقامة حدود آمنة ومعترف بها من قبل الجميع.
- أن تمارس دول المنطقة العلاقات بينها حسب قرارات الأمم المتحدة.
- إنهاء حالة الحرب في المنطقة(1).

قوبلت زيارة السادات لإسرائيل برفض واسع من الوطن العربي، وفي الأرض المحتلة رد خطيب الأقصى بتأييب السادات على زيارته، كما أن رؤساء البلديات عقدوا الاجتماعات رداً على عقد معاهدة كامب ديفيد، وقد خرج قرار مقاطعتها ومعارضتها، وعقدت المؤتمرات في الجامعات الفلسطينية التي فضحت أغراضها الاستعمارية والصهيونية، وقد بدت إيماءات من القيادة الفلسطينية في الخارج تدعو إلى التريث؛ لأن موقفها لا يتفق مع ما يحدث في الداخل، واستمرت المجالس البلدية والهيئات والمؤسسات في المقاومة(2).

قابلت العراق وسوريا مبادرة السادات بالرفض والتقارب بينهما، وتوقيع ميثاق العمل القومي، الذي يعبر عن توحيد جهودهما أمام الكيان الصهيوني، ومن ثم عقدت قمة بغداد التي استقطبت الموقف العربي باتجاه مقاوم لخط السادات المتصالح مع الكيان الصهيوني، وقد خرجت قمة بغداد بتلبية الحد الأدنى من طموحات الجماهير العربية، ووقفت أمام محاولات جر أطراف أخرى لخط السادات القابل بالتسوية، وقد فتحت المنظمة حواراً وعلاقات جديدة مع الأردن، وهو الحوار الأول بعد حرب أيلول/سبتمبر 1970، وقد انتقلت المنظمـتان (ج.ت.ع) والصاعقة من العداء المزمّن إلى علاقات الصداقة والتحالف بينهما، وقد ظهر الرفض الإجماعي للمشروع من قبل منظمة التحرير الفلسطينية ولم يروج للمشروع سوى بضعة أشخاص في

(1) المرجع السابق نفسه، الصفحة نفسها .

(2) انظر : الشكعة، بسام : عن محاضراته في ندوة مجمع النقابات المهنية ورابطة الكتاب الأردنيين عام 1998، ص8.

الضفة الغربية، وقد تواروا بعد قمة بغداد، وكذلك رفض الرأي العام الاتفاقية في قطاع غزة(1).

وبعد زيارة السادات للكيان الصهيوني اعتبر زهير محسن بأن الصراع العربي الصهيوني دخل طورا جديدا، ولم يكن مجرد زوال الحاجز النفسي الذي تحدث عنه السادات بل أن الأمة العربية ستجد نفسها مضطرة لمواجهة التحالف السري بين العدو والأنظمة الرجعية وبصورة علنية وسيأخذ مبادرة الهجوم لتصفية الحركة التحريرية العربية ، ثم أن السادات يقبل المفهوم الصهيوني القائم على تطبيع العلاقات في المجالات كافة إلى جانب إقامة علاقات دبلوماسية(2).

عارضت (م. ت. ف) مبادرة محمد أنور السادات في زيارته لإسرائيل بالكفاح المسلح وجرت عملية عسكرية في عام 1978 والتي توجت باجتياح إسرائيل في آذار/ مارس 1978 وتمخض عن احتلال جنوب لبنان صدور قرار مجلس الأمن رقم 425 بتكليف قوة هيئة الأمم المتحدة إقفال المنفذ الرئيس أمام الثورة بمنعها من العبور وممارسة دورها النضالي، والذي قبلته قيادة م.ت.ف، ونتج عنه مازق عسكري وسياسي تمثل في وصول الثورة الفلسطينية إلى عنق الزجاجة واصبح لزاما فتح الثغرة للخروج من الحصار، وقام رأي الجبهة العربية أن على الثورة الاهتمام بصورة افضل في نقل الثورة والانتفاضة الشعبية إلى داخل الأرض العربية المحتلة(3).

قابلت منظمة الصاعقة التقارب السوري العراقي الذي أعلن عنه في الميثاق القومي بالترحيب وعبرت عن أملها في أن تنتهي إلى إعلان وحدة كاملة بين القطرين، وتطلعت إلى دور إيراني يخلق عمقا استراتيجيا ، وتأملت أن تكون ثورتها على الطغيان وسيلة لدعم الشعب الفلسطيني، ومساندة ثورته ضد الصهيونية، وقد عقدت حكومتي العراق وسوريا اجتماعات في دمشق، ما بين 28 - 30 كانون ثاني / يناير 1979، وتقرر من خلالها تكريس العمل بموجب

(1) انظر : " حديث للسيد زهير محسن أمين سر القيادة العامة طلائع حرب التحرير الشعبية - قوات الصاعقة حول ميثاق

العمل القومي والحوار الأردني الفلسطيني " ، سلسلة الوثائق الفلسطينية العربية 1978 ، ص 784-785

(2) انظر :حديث صحافي للسيد زهير محسن حول المواقف المترتبة على زيادة الرئيس أنور السادات، رئيس جمهورية مصر العربية، لإسرائيل " سلسلة الوثائق الفلسطينية 1979 ، ص 594.

(3) انظر : "حديث صحافي للسيد عبدالرحيم احمد، أمين سر اللجنة المركزية لجبهة التحرير العربية، حول تمركز قوات الأمم المتحدة في جنوبي لبنان " ، سلسلة الوثائق الفلسطينية 1978 ، ص 233 - 234.

مؤتمر القمة العربي التاسع الذي عقده في بغداد، وتقرر اتخاذ القيادتين التدابير اللازمة لمواجهة أي شكل من أشكال تهديد الأمن الداخلي والخارجي للبلدين (1).

تناولت (ج.ت.ع) في دورة المجلس الوطني الفلسطيني الرابعة عشر التي عقدت في كانون ثاني/يناير 1979 الرد المطلوب تجاه مبادرة السادات وسيره في نهجه المنفرد، و أيدت الجبهة مبادرة العراق في الميثاق القومي، واللقاء بين البلدين العراق وسوريا والذي طرح في أوائل شهر تشرين الأول / أكتوبر عام 1978 واعتبرتها المحور الأساس وقاعدة للنضال التحريري العربي ضد تحالف السادات والصهيونية والإمبريالية ثم توفير مستلزمات النضال الداعم لمنظمة التحرير الفلسطينية وتفويت الفرصة للانتقضا على الأمة العربية بوساطة "مخطط التصفية والاستسلام"، وهي تكرر أن التصدي يتم بالخروج نهائيا من دائرة التسوية و ضرورة إنجاز وحدة وطنية فلسطينية، وترتكز على رفض القبول بالتصالح مع الكيان الصهيوني ثم التعامل بإيجابية مع الميثاق القومي بين العراق وسوريا، والتأكيد على أهمية ممارسة العمل الجماعي ثم تعزيز الكفاح المسلح، ورفض الحكم الذاتي والتوطين . واشترطت لعودة العلاقة مع النظام الأردني أن تفتح الجبهة الأردنية أمام العمل الفدائي(2).

رغم رفض قيادة (م. ت. ف) لمشروع كامب ديفيد ونهج السادات الفردي المتصالح مع الكيان الصهيوني، ومشاركتها في اجتماع جبهة الصمود والتصدي في كانون الأول/ديسمبر 1977 في طرابلس الغرب، وقيام فتح بعملية دلال المغربي ونزولها في ساحل تل أبيب في 11 آذار / مارس 1978، وما تبعه من اجتياح إسرائيلي واسع النطاق في جنوب لبنان، ومحاولة إحراج نظام السادات ودفعه للتخلي عن سيره في النهج السلمي مع إسرائيل، لكن الأمور سارت باتجاه تعاون عرفات مع قيادة القوات الدولية، وتبني القرار 425 ضمنا، والذي شكل أول قبول بوقف إطلاق النار مع إسرائيل، واعتبره عرفات إنجازا حيث يشكل اعترافا من جانب هيئة الأمم في عملية فك الاشتباك في جنوب لبنان و قبول قراره برفض بعض أبناء فتح، مثل : محمد عودة(أبو داود)، والذي حاول نسف الاتفاق، ورفض القرار صبري البنا (أبو نضال) المتحالف مع حزب البعث في العراق وقد اغتال أبو نضال سعيد حمامي بسبب اتصالاته

(1) انظر : حديث الأمين العام لمنظمة الصاعقة حول التقارب السوري العراقي، سلسلة الوثائق الفلسطينية 1979، ص50-51.

(2) انظر : * كلمة السيد أبو إسماعيل عضو اللجنة المركزية للجبهة العربية في الدورة الرابعة عشر للمجلس الوطني الفلسطيني* سلسلة الوثائق الفلسطينية 1979، ص 52 - 55 .

بالحركات والشخصيات اليهودية، ورغم ذلك نجحت فتح في إفشال محاولات البنا تفجير جبهة جنوب لبنان والسيطرة على الأمن(1).

وكانت (ج.ت.ع) قد سارت هي الأخرى في الاتجاه الذي يرفض وجود قوات دولية تعيق العمل الفدائي وانطلاقه من جبهة جنوب لبنان، واصطدمت بهذه القوات في مناسبات مختلفة(2).

حاول السادات جاهدا ربط المشكلة المصرية بالقضية الفلسطينية، منطلقا من أنه يطبق منهجية شاملة في الحل، لكن إسرائيل رفضت إقامة صلة زمنية بين المسألتين ووقعت مع مصر في 26 آذار/ مارس 1978 معاهدتين تنص الأولى : على انسحاب إسرائيلي على مراحل من سيناء، وتنص الأخرى : على انسحاب جزئي من الضفة الغربية وقطاع غزة، وإقامة سلطة الحكم الذاتي الفلسطيني، وطالب الجانب المصري إجراءات ثقة لحفز الفلسطينيين على المشاركة في المفاوضات والتي عقدها مصر مع إسرائيل ومنها :

تجميد إقامة مستوطنات لفترة انتقالية مدتها خمس سنوات وتأكيدا على الاستعداد لقبول التفاوض مع أي مجموعة فلسطينية تعلن قبولها بقرار 242، والاعتراف أن عرب القدس الشرقية جزء لا يتجزأ من الشعب الفلسطيني(3).

أخذ على هذه الاتفاقية تكررنا للحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني، وهي تتعامل مع أبناء الأرض فقط كساكنين ليس لهم الحق في استغلال الأرض، واستبعدت منظمة التحرير من التسوية وتبحث عن مجموعات أخرى بديلة من الفلسطينيين، كما أن إسرائيل غير مستعدة للرجوع إلى حدود حزيران/ يونيو 1967 وتتخطى قرارات الأمم المتحدة، ولا تنص صراحة على إلغاء الاستيطان واستجابات لشروط إسرائيل في الصلح المنفرد، وقبل أن يتحقق الانسحاب الكامل من الأراضي العربية المحتلة(4).

(1) انظر: هيلينا، كوبان: المنظمة تحت المجهر، 154-159.

(2) مقابلة: أجريت بتاريخ سابق، مع ركاند سالم.

(3) انظر: بطرس، غالي : 'سياسة مصر الخارجية في وحدة ما بعد السادات' مجلة السياسة الدولية ع69، ص 81.

(4) انظر: هيئة الموسوعة الفلسطينية : اتفاقية كامب ديفيد، الموسوعة الفلسطينية، القسم العام، 1984، ج 3، ص 631 - 632.

قابلت الأقطار العربية مبادرة السادات بالمعارضة، وعقد مؤتمر بغداد واتفق على حد أدنى من القرارات، وصدرت قرارات تقاطع مصر، وتقرر نقل مقر الجامعة العربية من مصر إلى تونس، وتعليق عضوية مصر في المنظمات العربية ومقاطعة مصر وتبادل الطرفان المصري والصهيوني السفراء بينهما يوم 26 شباط / فبراير 1980 ورفرف العلم الصهيوني لأول مرة فوق أكبر عاصمة عربية(1).

تمثل موقف عدد من الأقطار العربية بالرفض وعقد ممثلو خمسة أقطار عربية مؤتمرا في طرابلس الغرب وشملت سوريا وليبيا والعراق وفلسطين واليمن الجنوبي وأعقبت مؤتمرها بقطع العلاقات الدبلوماسية مع مصر، وتابعت الأردن ودول أخرى قطع علاقاتها باستثناء دول ثلاث هي الصومال والسودان وعمان، في حين احتفظت منظمة التحرير ببعثتها الدبلوماسية في القاهرة(2).

وبعد فترة من الزمن وفي عام 1981 طرحت السعودية مشروع فهد للسلام، وهي مجموعة قرارات مشتقة من قرار مجلس الأمن 242، وقرارات أخرى للأمم المتحدة وهي مقترحات كانت تبحث عن كامب ديفيد جديد(3).

تواصلت سلسلة اللقاءات و المفاوضات والعلاقات بين النظام المصري وإسرائيل يراها الدور الأميركي الذي اعتبر الشريك الكامل في المفاوضات، وكان رأي محمد أنور السادات أن على الولايات المتحدة أن تمضي قدما باتجاه إقناع الفلسطينيين بأنه يمكنهم الحصول على حقوقهم بالتفاوض وأن على الطرفين الأميركي و(م. ت. ف) إقامة قنوات اتصال بينهما والتي حملها في رسالته الأخيرة للولايات المتحدة في آب/ أغسطس 1981(4).

سجلت (م.ت.ف) نموًا في تحركها نحو الخطوات الدبلوماسية بين عامي 1974-1977 خاصة عن طريق فتح حوار مع دول أوروبا الغربية، وإقامة علاقات مع العديد من دول العالم الثالث، وقد نذرت قيادة فتح نفسها لهذه المهمة، وبعد تسلم الرئيس الأميركي جيمي كارتر الرئاسة الأمريكية حدث شيء من الاهتمام في أوساط الدبلوماسية الفلسطينية، وأيقن قادة فتح

(1) انظر: المرجع السابق، ص 45 - 46 .

(2) انظر: غالي، بطرس: مجلة السياسة الدولية ع 69، ص 84 .

(3) بطرس، غالي: المرجع السابق، ص 82 .

(4) بطرس، غالي: المرجع السابق، ص 83 .

والمنظمة وانتعشت آمالهم بعد رحيل هنري كسينجر وزير الخارجية الأسبق، ورغم نجاح بيغن في انتخابات ربيع 1977، الذي أعاق خطط الإدارة الأمريكية الجديدة إلا أن قنوات الاتصال استمرت مع مصر وسوريا للوصول إلى بيان مقبول تعلنه م.ت.ف، ويمكن اعتباره شرطاً مقبولاً لمباشرة الحوار الأمريكي الفلسطيني(1).

أطلق كارتر في 16 آذار/ مارس 1977 تصريحاً، يشكل منطلقاً جديداً في التفكير الأمريكي تجاه القضية الفلسطينية، والذي قال فيه أنه لا بد من إيجاد وطن للاجئين الفلسطينيين الذين عانوا من قسوة اللجوء لسنوات عديدة(2).

وقد تمت اتصالات من خلال الأمير فهد ولي العهد السعودي، وحمل معه مذكرة تحدد موقف (م.ت.ف) من مفاوضات السلام، والتي كتبها خالد الحسن، وفاروق القدومي، وقد قام الموقف الأمريكي على مطالبة صريحة للمنظمة بالاعتراف بقرار 242(3).

وبعد إقدام السادات على خطوته، ونهجه السلمي المنفرد مع إسرائيل، توقفت الاتصالات مع (م . ت . ف) وقوبل بمقاومة العرب في مؤتمر بغداد، إلا أن تطورات جديدة في المنطقة العربية أدت إلى انفراط عقد المقاومين لنهجه، وعودة مواقف الليونة من قبل قيادة (م.ت.ف) ومحاولتها الدخول في حلول سياسية مع إسرائيل.

في سياق التحولات واطرجمات المستمرة لدى قادة (م.ت.ف) عن الحقوق الثابتة للشعب الفلسطيني، وسيرهم في نهج القبول بالتسوية والبحث عن موطاً قدم للفلسطينيين فيها، طرح خالد الحسن من خلال الحوار العربي الأوروبي، ومشاركة منظمة التحرير الفلسطينية فيه الدعوة إلى مايلي :

- 1 - عدم جواز ضم الأراضي بالقوة .
- 2 - الدعوة لانسحاب إسرائيل من الأراضي العربية المحتلة بعد عام 1967 بما فيها القدس .
- 3 - وضع الأراضي التي تقرر إسرائيل الانسحاب منها في عهدة الأمم المتحدة لمدة تتراوح بين 12 شهراً وتشرف الأمم المتحدة على تقرير المصير .
- 4 - عقد مؤتمر دولي تشارك فيه الدولتان الكبريان وأطراف أوروبية، ومنظمة التحرير

(1)كوبان، هلينا: المنظمة تحت المجهر، ص146.

(2) المرجع السابق، ص147.

(3) المرجع السابق، ص148.

الفلسطينية، وتؤكد المنظمة على تجنب تفسير القرار 242 على نحو يسيء تفسيره(1).

ردت منظمة الصاعقة على الطرح القائل بوضع الضفة الغربية تحت وصاية الأمم المتحدة، وبينت أنه رفض في قرارات المجلس الوطني الفلسطيني، وقد طرح أول مرة عام 1968، ولم يقبل به الفلسطينيون، وان إسرائيل تطرح مشاريع الإدارة المدنية في محاولة لكسب الجانب الفلسطيني على طريقة إسرائيلية، واعتبر هذا الطرح تنازلا وخطيرا لأنه لا توجد قوة تحميه(2).

وفي عام 1980 صرح أمين عام الصاعقة عصام القاضي في حديثه لمحضر مجلة لطلانع برفضه لضم القدس، و أنتقد موقف الولايات المتحدة الداعم لإسرائيل وموقف الزعامات العربية الذي لم يخرج عن بيانات الاستنكار وغسل الوجدان، وأعرب عن رفض الصاعقة لأي مساومة أو صفقة لأنها تصب في طاحونة كامب ديفيد التي تهدف إلى تصفية القضية الفلسطينية وأنه من الخطأ المراهنة على الموقف الأميركي ونتائج الانتخابات الأميركية(3).

قوبلت مقررات مؤتمر فاس العربي برفض عراقي لها، وتمسكها بقرارات مؤتمر بغداد وامتنع صدام حسين المشاركة، وتحفظت سوريا الموافقة على قرار 338 المتضمن قرار 242 وكذلك الجزائر وليبيا، وتحفظ عليه رئيس (م. ت. ف) ورفضت إسرائيل مقررات المؤتمر . جاء المؤتمر معبرا عن الضعف العربي(4).

وردت الصاعقة على مشروع فاس بأنه إجماع كاذب ويؤدي إلى ارتباطات استسلامية وطالبت بتعزيز العلاقات مع جبهة الصمود والتصدي(5).

1) انظر : " حديث صحافي للسيد خالد الحسن عضو اللجنة المركزية لحركة التحرير الوطني الفلسطيني " فتح " حول الموقف الفلسطيني بشأن تحقيق تسوية سلمية " ، سلسلة الوثائق الفلسطينية العربية 1980 ، ص 150 .

2) حديث صحافي خاص للسيد عصام القاضي، أمين سر قيادة منظمة طلائع حرب التحرير الشعبية - قوات الصاعقة، حول بعض القضايا الراهنة، مقتطفات ، سلسلة الوثائق الفلسطينية العربية 1980 ص 176 .

3) انظر : "الرفيق عصام القاضي للطلانع " مجلة الطلائع، ع 508، 7 / 10 / 1980 ، ص 2 او 2

4) انظر : الكيالي، عبد الوهاب : العرب والقضايا الاستراتيجية، ص 129 - 131 .

5) كريشان، محمد : منظمة التحرير الفلسطينية التاريخ والهيكل الفصائل والأيدولوجية، ص 89 .

الخاتمة

أكد البحث أن نشوء الوعي القومي العربي بدأ ظهوره في أوائل القرن التاسع عشر، وقد نما وتطور إلى تأسيس ونشوء جمعيات وأحزاب قومية عربية في الربع الأخير من القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، التي بدأت بزعامة عائلية وفردية.

وتطورت الجمعيات والأحزاب القومية العربية في أهدافها، وغاياتها مع بداية الثلاثينيات من القرن العشرين، وتجاوزت مفهوم القومية المجردة إلى مفهوم القومية الشاملة ذات المبنى التنظيمي والفكر الشمولي، الذي يحلل أوضاع المجتمع العربي من المحيط إلى الخليج ويتجاوز مفهوم الوحدة الذي ساد الحرب العالمية الأولى وحصرها بأقطار آسيا فقط، ويعمل لتغيير الأوضاع في مناحي الحياة كافة.

لقد مثلت عصابة العمل القومي، ثم حزب البعث أولى الحركات العربية التي تجاوزت القومية المجردة إلى القومية العربية الشاملة في حدود الجغرافيا والفكر، حيث أدرجت في برنامجها تحرير فلسطين وعربستان، والإسكندرونة، وأريتريا، وسائر الأراضي العربية المغتصبة، ثم ربطت شعار الوحدة السياسية بأهداف وحركة ذات تنظيم وتعبئة فكرية ونظرية قومية عربية، كما أن الحركات الجديدة قامت على أسس جماهيرية وقادها فئات متقفة، وشملت فئات المجتمع الأخرى.

شكلت نتائج حرب فلسطين عام 1948، وقصور الأنظمة العربية، وهزيمتها في الحرب دافعا قويا لظهور البعث وسرعة امتداده في فلسطين، ويصح القول أن امتداده وتوسعه في فلسطين في فترة قصيرة من الخمسينيات يرتبط بطموح الجماهير العربية الفلسطينية، وتعلق آمالها على هذا الحزب في تحقيق الوحدة العربية كطريق لتحقيق الانتصار على الصهيونية والتخلص من الأنظمة التي كانت جيوشها سببا في الهزيمة.

رغم امتداد حزب البعث وتوسعه السريع في بلاد الشام والعراق، لكنه عانى من سيطرة وتأثير جمال عبدالناصر على عدد من قياداته في فلسطين، وأسهم هذا الاختراق في حدوث أول هزة للحزب تمثلت في خروج عبدالله الريماوي الذي أضعف خروجه الحزب في هذه الأقطار، ثم أن الأوضاع العربية الأخرى كانت تسهم في تراجع جماهيرية البعث، مثل: فشل الوحدة

السورية المصرية، مما أدى إلى انفصال الوحدة عام 1961، كما أن نجاح انقلابي البعث في العراق وسوريا، وصعودهما للسلطة انعكس سلباً على البعث في فلسطين؛ بسبب ممارسات وأخطاء العسكريين واستعجالهم تسلم السلطة في انقلابات عسكرية على حساب النضال الشعبي، وكان انقلاب 23 شباط/ فبراير 1966 وسيطرة العسكريين على السلطة، هو الحد الفاصل بين حزب موحد تقوده فئة مثقفة يعتمد العمل الشعبي، إلى سيطرة عدد من العسكريين على القيادة القومية وتصدع البعث وانقسامه بين جناحين متخاصمين في سوريا والعراق، ومن يدور في فلكهما.

ويتضح من البحث أن حزب البعث ظل يعارض النظام الأردني كحزب يطالب بانتخابات حرة نزيهة ويعتمد أسلوب العمل الشعبي، ويطالب السلطة بانتهاج سلوك سياسي يقربها من مبادئ البعث مثل: الدخول في الوحدة العربية، وتبني سياسة الحياد الإيجابي والتخلص من السيطرة والمعاهدات الأجنبية.

ويتضح أن البعث أخذ يخطط لإحداث انقلابات عسكرية في المملكة الأردنية بعد أن أطاح النظام بحكومة سليمان النابلسي، وقيام الجمهورية العربية المتحدة، ويلاحظ أن البعث كان صلباً وقوياً في مجابهة وإفشال سياسة الأحلاف، ومحاولتها جر الأردن لها. وتعتبر الفترة الممتدة بين عامي 1950 – 1958 من سنوات التوسع في مسيرة الحزب، بينما مثلت سنوات الستينيات تراجعاً في استقطابه للجماهير وانتشاره، وكانت الحملات الاعتقالية عام 1966 أعنف الضربات التي وجهتها السلطة الأردنية للبعث، والحركات القومية العربية والوطنية، وقد تركتها مهيمية الجناح وعاجزة عن مجابهة الاحتلال.

رغم أن حزب البعث حاول بعد حرب الخامس من حزيران / يونيو 1967 أن يجدد نشاطاته بصورة عمل فدائي، كما جسده في قيام منظمتي الصاعقة، وجبهة التحرير العربية، لكنه سجل نجاحاً بصورة محدودة، حيث تمثل في نشاط عسكري فدائي، ومشاركة في الدفاع عن الثورة الفلسطينية في الأردن، إلا أن وجود الصاعقة سرعان ما تراجع بسبب الولاء للنظام السوري على حساب الثورة الفلسطينية في لبنان، وكلا الفصيلين كانا يرتبطان في ذهنية الجماهير بنظامي البعث ويتأثران بمواقفهما وصورتهما عند الفلسطينيين، وكانت ساحة فلسطين أكثر ميلاً وقبولاً للتيار القطري المتمثل بحركة فتح.

يمكن القول أن البعث في فلسطين شكل مدرسة أولى لعدد من قادة حركة المقاومة الفلسطينية، الذين احتلوا مراكز مهمة في حركة فتح وفصائل منظمة التحرير الفلسطينية، وشغلوا مواقع في اللجنة التنفيذية باسم المستقلين .

اتسم موقف حزب البعث ومنظماته بالرفض والمعارضة للصلح مع الكيان الصهيوني وينسجم مع رأي البعث في الصهيونية منذ صدور قرار التقسيم عام 1948، والذي يعتبرها كيانا سرطانيا يجب اجتثاثه، ورفض التصالح معه باعتباره كيانا غاصبا، ولكن حدة هذا الموقف تراجعت بعد قدوم ثورة حافظ الأسد التصحيحية، التي تأثرت بها الصاعقة وتقوم على معارضة بعض جوانب المشاريع المطروحة للحل السياسي، بينما يقوم موقف البعث العراقي والجمهورية العربية على رفض للحل والتصالح مع الكيان الصهيوني، ويلاحظ أن قادة التنظيمين قد قرءوا جيدا الآثار التي تنتج عن القبول بالتصالح مع إسرائيل، والآثار التي ستتركها على القضية الفلسطينية لاحقا .

لم ينجح قادة حزب البعث في العراق وسوريا، ومنظماته في طبع النضال الفلسطيني بالطابع القومي، وظل تأثير منظمتي البعث ليس بمستوى التيار القطري الفلسطيني، عدا عن قصورهما في توحيد جهودهما باتجاه فلسطين، وتغلب تناقضاتهما على الصراع الأساسي مع إسرائيل، وهو يبرز الحاجة اليوم للتعلم من التجربة السابقة، وأن تتحالف سوريا مع العراق، وأن تشكل إيران ظهيرا لهذا التحالف، الذي بإمكانه إذا تحقق أن يعدل في ميزان الصراع العربي الإسرائيلي .

لقد تأثرت القاعدة الشعبية لتنظيمات البعث بما يجري من تطورات سياسية في العراق وسوريا، وقد شكل انحياز الصاعقة للتدخل السوري في لبنان تراجعا حادا في شعبيتها في صفوف الفلسطينيين؛ حيث انعكس على تواجدتها إلى يومنا هذا، مما أضعف فعاليتها على الساحة الفلسطينية، بينما ظلت تحافظ (ج.ت.ع) على وجودها ونشاطها، الذي تذبذب بين نشاط فاعل في لبنان، وآخر محدود في فلسطين، وقد تأثرت شعبيتها سلبا؛ بسبب تأييدها للعراق في حرب الخليج الأولى؛ وتعلق عرب فلسطين بنظام آية الله الخميني، كما أسهم ضعف قياداتها وتسلل أمراض حزب البعث في صفوفها إلى تراجعها في الثمانينيات، لكنها بعد قدوم السلطة الوطنية الفلسطينية عام 1994 أخذت تنشط مستفيدة من المناخ السياسي، ثم ظهر تغير آخر تمثل بوقوف قيادة جديدة على رأسها. ويبدو نشاطها جليا في مشاركتها في فعاليات الانتفاضة الشعبية الفلسطينية، وتلاقي الترحيب من قبل فصائل (م.ت.ف)، والحركات الإسلامية، ويغذيها الدور

العراقي الملموس في دعمه لإنتفاضات الشعب الفلسطيني عام 1987 و عام 2000، ومقاومة العدوان الثلاثيني في عام 1991.

في ضوء هذه الدراسة تبدو أهمية تعميق لحمة العلاقة والتحالف بين الأطراف المختلفة ذات التأثير الفاعل في أحداث القضية الفلسطينية، وهي فصائل (م.ت.ف) من جهة والحركات الإسلامية من جهة أخرى، والأثر المهم لتعميق العلاقة بين نظامي البعث في العراق وسوريا من جهة أخرى، والوقوف في وجه الأخطار التي تتهدد البلدين مع تعميق الصلة بين التيار الوطني الفلسطيني والقومي العربي، وتشديد لحمة العلاقة بين التيار العربي والإسلامي للوقوف أمام الاحتلال الصهيوني للأرض العربية، وللوقوف في وجه الهجمة الشرسة التي تقودها إسرائيل بدعم من الولايات المتحدة الأمريكية.

تحرير الجيش

طالب الشعب العربي في الاردن منذ بعيد بتحرير الجيش العربي الاردني من قيادته الانكليزية ومن تمويهه الانكليزي والاستماعة
عنا مساعدات عربية. ولقد كان حزبنا اول من دعا الى هذا المطلب منذ عدة سنوات وخصوصا بعد مذبحه قبية المعروفة ولم يترك مناسبة
الا واغتمها للتاكيد على هذا المطلب، وفي البرلمان السابق طالب النواب حزب البعث بكل جرأة وتكرار بضرورة تحرير الجيش وطرد
كلوب وضباطه الانكليز، وفي المذكرات التي كان يرفقها الحزب الى كل حكومة تنال في الاردن، كان مطلب تحرير الجيش في
تقدمة المطلب الشعبية كما ان نشرات الحزب المختلفة عاجلت هذا الموضوع باستمرار وبرزت اهميته.

ولقد اكد الحزب على هذا المطلب الحق لانه يرى فيه نقطة البداية العملية لتصفية الاستعمار من بلادنا. وفي وثبة الشعب العربي
الاخيرة ضد الاحلاف الاجنبية كان مطلب تحرير الجيش على رأس المطلب الشعبية. وقد بلغت غضبة الشعب ووثبته هذه من القوة والجدية
لقد كان بيد الأثر في حياة العرب ومستقبلهم. فضلا عن ان حاتف بغداد قد طمن طمنات قتالة وفضلا عن ان النفوذ الاستعماري قد
لمزلت اركانها، فقد جاءت النتيجة الحتمية وطرد كلوب وبعض ضباطه من الجيش واخرجوا من البلاد فتوج نضال الشعب بهذا النصر الباهر.
ان حزبنا الشعبي بهذه المناسبة ليحيي شعبنا العربي المناضل ويهنؤه على هذه النتائج الباهرة التي لم تكن لتتحقق لولا نضالنا
وتنظيمنا وصبرنا وتفجياتنا جميعا وبذل دمائنا رخيصة في سبيل امتنا.

لا شك ان عوامل كثيرة تصافرت فانتجت هذه النتائج الباهرة. ولكن معظمها ناتج عن نضال الشعب وتفجياته المتلاحقة وخصوصا في
وثبته الاخيرة ضد حلف بغداد. ان فشل كلوب وضباطه في فرض الحلف على الاردن بسبب نضال الشعب قد دق المسار الاخير في نشهه
واجبر بريطانيا على ان تعترف بان سياستها يجب ان تتغير في هذا البلد وانه يجب عليها بالتالي ان تمنحني امام اصرار الشعب وتصميمه.
ومن المهم ان نذكر بهذه المناسبة ان ما يثار من مخاوف يمكن ان تقع نتيجة اطر دكاوب وضباطه هي او هام ناتجة عن رواسب الماضي.
فالبعض يشعر ان بريطانيا لن تدع هذه العملية تمر بسلام، والبعض يشكك في الاسباب التي ادت الى هذه النتيجة الباهرة بسبب عدم ثقته
بنفسه واعوان الاستعمار الذين الهتم ان يهد هذا الركن الاستعماري يعملون على تخويف الشعب من النتائج محاولين محاولة اليأس ان يحافظوا
على البقية الباقية من امالم الانانية ومكاهم الاتهازية.

عائنا ان نواجه الاحداث بكل شجاعة ورباطة جأش وان نعرف وان نلمس في هذه الاحداث، ان الاستعمار اخذ في الانهيار وان
الامر بطوره العجوز قد اقتربت نهايتها كل ذلك نتيجة لوعي الشعب ونضاله وتكاتف الشعب العربي في كافة اقطاره. وعائنا ايضا ببدان
محقق هذا المطلب الشعبي ان نكون على استعداد وثقة لكل ما يمكن ان يحد من الاحداث.
والايم من كل ذلك ان نمضي في نضالنا الى الامام فطرد الضباط الانكليز على اهميته لن يحقق الغاية المرجوة الا اذا رفضنا المساعدات
الاستعمارية واستمضنا عنها مساعدات عربية.

عائنا ان نطالب في هذه المرحلة من حياة امتنا وكقدمة لاستكمال تحررنا ووحدتنا وتقدمنا :

- (١) بطرد بقية الضباط الانكليز من الجيش (٢) فصل الشرطة عن الجيش (٣) قبول المساعدات العربية (٤) التعاون والارتباط
- الوثيق بالدول العربية التي تنادي بسياسة الحياد الايجابي والتخلص من الاستعمار وعدم الارتباط بالاحلاف الاجنبية.
- فالى الامام ايها الشعب المناضل. الى الامام ايها العمال والفلاحون والطلاب والموظفون وصغار التجار والمهنيون، الى الامام يا
ضباط الجيش المحاصرين وافراده البواسل. الى الامام فقد لاح الفجر، فجر الحرية والكرامة ولا تبخلوا على وطنكم وامتمكم بمجهودكم
وتفجياتكم لكي نستكمل مطالبنا ولكي نحقق

حريتنا ووحدتنا واشتراكيتهنا

حزب البعث العربي الاشتراكي ايها المواطنين الكرام

تحتفل مصر والعالم العربي اليوم بجلاء الجيش البريطاني عن جزء من وطننا العربي الكبير وهو مصر بعد احتلال دام اكثر من سبعين عاماً ذاقته خلاله مصر من الاستعمار البريطاني الذي انتهى انواع الاضطهاد والاستغلال وليس من شك في ان طرد الاستعمار من مصر يعتبر نقطة ارتكاز اساسية لطرد الاستعمار من بقية اجزاء الوطن العربي والاتجاه نحو تحقيق الوحدة العربية الشاملة والتضامن على اسرائيل .

وان الشعب العربي في الأردن اذ يشارك اخوانه عرب مصر فرحتهم الكبرى بالجلاء ليتمت بما وصلت اليه مصر الثورة في سياستها التحررية الجريئة ويتطلع بأمل وثقة الى الخطوات العملية التي ستخطوها مصر لتحقيق الاتحاد مع سوريا المتحررة على اعتبار ان هذا الاتحاد يشكل خطوة اساسية نحو الوحدة العربية المنشودة .

واننا لتتطلع ايضاً الى تعاون وثيق بين الاردن ومصر بحيث يتمكن الاردن في اقرب وقت من الاستغناء عن المعونة البريطانية وابدالها بمعونة عربية كخطوة في سبيل الغاء المعاهدة البريطانية وتحرير الاردن تحريراً كاملاً وضمه لاتحاد سوريا - مصر .

وان فرع حزب البعث العربي الاشتراكي في لواء نابلس اذ يجي نضال شعب مصر العربي وقادة ثورته في يوم جلاء اخر جندي بريطاني عن ارض الكنانة ليعتبر هذا اليوم عيداً من اعياد العرب القومية الكبرى ، ويأمل ان يشارك المواطنون في هذا اللواء اخواننا عرب مصر في الاحتفال بهذا اليوم العظيم الذي يشير الى وحدة آمال العرب ووحدة اهدافهم .

عاشت مصر الثورة
عاشت وحدة النضال العربي

عاش اتحاد سوريا ومصر

فرع حزب البعث العربي الاشتراكي
لواء نابلس

حزيران سنة ١٩٥٦

ان الاستعمار الغربي — الامريكى الانكليزي الفرنسي — يحاول اجباط قرار الرئيس جمال عبد الناصر التازيخي لتعريب قبال السويس ، ولكن الحقيقة ، الحقيقة التاريخية الكبرى هي ان الاستعمار يعلم ان اجراء مصر هو اجراء ضمن حقوق سيادتها وضمن منطلق القانون الدولي ، ولكن الاستعمار الذي هاله الوعي القومي العربي والذي هاله تنبه العرب وتيقظهم والذي هاله طرده ومنع كبريائه في الوطن العربي . هذا الاستعمار البشع ، يحاول ان يجعل من قضية تعريب القناة ، مناسبة لضرب الحركة العربية المتجهة نحو التحرر والوحدة ، لضرب الحركة العربية المتجهة نحو القضاء على اسرائيل واسترداد الوطن السليب ، لضرب جميع آمال العرب وامانيهم واهدافهم .

ايها الشعب الشانل...

ان الاستعمار الغربي ، يتاوراته وتامراته ، وتهديداته .. انما يوجه تهديده هذا لكل عربي ، لكل مواطن منا ، لكل فرد منا .

انما يوجه تهديده هذا ، بلامة التعرية ، وللقومية العربية ، وللرسالة العربية .

فليعلم الاستعمار ، بوضوح وجلاء

اننا نحن الشعب

نحن الشعب العربي في كل جزء من اجزاء وطنه ، قد قررنا ، وعقدنا العزم ، مقدرين جميع النتائج ، ومقدرين جميع الاحتمالات والقوى .

على ان نرد اعتداء الاستعمار بالاعتداء ، وان نرد عدوان الاستعمار بالعدوان .

وعلى ان تصنف ونحطم ونحرق شرابين حياة الاستعمار القائمة في اوطاننا ، ومنايع ثروة الاستعمار التي تبسج وتجري في ارضنا .

وعلى ان نلحق به من الحاسر لكثير مما هو قادر على ان يلحق بنا ..

واننا قادرون وعازمون على ان نجعل رائحة مصالحهم المحترقة تزكم انوف قرامنة البحار الذين يهددون بالحرب والقوة في لندن وباريس ، وهذه الجزائر مثال على نوع مما يمكن ان نواجه به الاستعمار المجرم .

وليتذكر الاستعمار انه من السهل بدء العدوان والحرب .. ولكن من الصعب تقدير النتائج التي تؤدي اليها

ايها العربي .. في جميع اجزاء الوطن الكبير

يجب ان تعلم ان وطنك ومصيرك وحررتك وامتك .. تدعوك لان تعتبر نفسك مجنداً معباً .

ايها الحكومات العربية .. جميع الحكومات العربية

يجب ان تعلمي حقيقة القضية وخطورة اي تردد او تخاذل امام تهديد الاستعمار ، ويجب ان تعلمي حقيقة وعي الشعب العربي وحقيقة عزمه وتصميمه ، وعدم استعدادة لقبول اي تردد او تخاذل ..

ان تاريخنا ليرقب والويل للاستعمار والخلود لرسالتنا

مكتب البعث العربي الاشتراكي

في المملكة الاردنية الهاشمية

١٩٥٦ / ٨ / ٤

دار الطباعة العربية - القدس

﴿ بيان ﴾

حزب البعث العربي الاشتراكي

بمناسبة تأميم القنال

ايها الشعب المناضل

نحيك تحية العروبة النائرة المتحررة العازمة على تحطيم الاستعمار وقيوده في كل جزء من اجزاء الوطن العربي، نحيك تحية "عروبة" النائرة المتحررة، المنصمة على ان تحقق وحدة العرب امة ووطننا، رغم انك الاستعمار وتآمره. نحيك تحية العروبة النائرة المتحررة التي تناضل في سبيل التحرر والوحدة ...

فضالها في المغرب العربي ... بطولة واستشهاد ... يجرفان قواعد الاستعمار الفرنسي المجرم، ويستمران على قوات الاستعمار الغربي ... قوات الاطلسي التي تقترف ابشع الجرائم وتلاقي اشنع الهزائم .

فضالها في مصر العربية طرد للانكليز قراصنة البحار من ارض الكنانة، وتعرّب للقنال .. قالنا، قال العرب لا تقال امريكا او انكلترا او فرنسا، وفوق هذا وذاك فضالها في مصر العربية . حل لبواء القومية العربية المتحررة المناضلة . فضالها في الاردن، صنع للاستعمار باجباط حلف بغداد وصنع للانكليز بطرد ابو حنيك وتحفز لحطوات اخرى جبارة في طريق التحرر والوحدة . فضالها في سوريا متحد للاستعمار وتآمره ودرغياته وخططه . وسير حيث في طريق اداء رسالة الامة العربية الخالدة، رسالة الوحدة والحرية والاشتراكية. فضالها في العراق، استعداد من الشعب العربي في العراق وتحفز من قواه القومية الواعية لتحطيم حلف بغداد وتحطيم نفوذ الانكليز البشع . فضالها في البحرين، مظاهرات دامية تتمع على وزير خارجية بريطانيا ان يصل الى مقر دار الاعتماد والاستعمار الا على رؤوس الحراب وعلى جثث الشهداء .

فضالها في عدن وفي شواطئ الجزيرة العربية، وعي يعمو، وامة تستيقظ، وشعب يتحفز . نحيك تحية القومية العربية المتحررة النائرة، هدفها الوحدة والحرية والاشتراكية، وكلمة السر، لكل عربي مؤمن بعرويته وبأتمته . كلمة السر ... والحرب على الاستعمار وتحطيم نفوذ الاستعمار .

نحيك تحية القومية العربية المتحررة النائرة، من الاطلسي الى الخليج العربي، التي ستبلغ اهدافها، وتحقق غاياتها، وتؤدي رسالتها رغم انك الاستعمار .. فالناريخ الى جانبنا، والنصر لنا، والمزينة للاستعمار . ايها الشعب المناضل ..

ان الانكليز المستعمرين، قراصنة البحار، ومصاصي دماء الشعوب .. وان الفرنسيين المستعمرين، جلادي الشعوب، واعداء حرية الانسان، يبددون بالنجوى الى القوة .. ويلوحون بالحرب . ضد مصر، بل ضد العرب، فلا مصر او سوريا او الاردن، او الجزائر بعد اليوم، بل امة عربية واحدة .

ان محور لندن - باريس، محور الاستعمار المرم، محور امتصاص دماء شعوب الارض، محور سلب الامم اوطانها وحرّياتها . هذا المحور الذي يتحدى بوجوده ومسالكة، جميع القيم الانسانية، وجميع حقوق الانسان، وجميع الاتجاهات الحضارية . ليتوعد العرب بالحرب او يهدد العرب بالاعتداء على ارض القنال، الارض العربية الخالصة .

مرشحا البعث العربي الاشتراكي

عبد الله
حنا نعواس

يناديان

بهجت
ابو غريبه

الجيش والحرس الوطني درع الوطن وامضاليوم المنشود

ARAB STUDIES SOCIETY
DOCUMENTS
رقم 252
ويعملان على

١) تحرير الجيش والحرس الوطني من الحاجة للمال البريطاني ومن قيود المعاهدة البريطانية وقبول الدعوة العربية
٢) تسليح الجيش والحرس الوطني تسليحاً كاملاً من الكتلة الشرقية .
٣) تحقيق وحدة الجيوش العربية التي تطوق اسرائيل بجيش واحد وقيادة واحدة .

دار الطباعة العربية - القدس

سبعون مليون عربي

يؤمنون بقوميتهم ويريدون

التحرر من الاستعمار والقضاء على اسرائيل وتحقيق الوحدة

ومرشحا البعث العربي الاشتراكي

المهامي عبد الله نعواس
وبهجت ابو غريبه

باضلان من اجل هذه الاهداف

دار الطباعة العربية - القدس

6-153

ايها الشعب العربي المناضـل :

ان حسين واطغفته الناسدة ، اجراء الاستعمار ، هم العقبة الوحيدة في سبيل تحقيق كل افانينا القومية ، فلنناضل جميعا دون هوادة او تردد لتوحيد صفوف الشعب وتنظيمها ، وتوجيه الضربة البارة للاستعمار واعوانه ، والخلاص من تهديد الصهيونية المدانعة المجرمة . وان سبب الازمة في اوضاعنا الديمقراطية الرئاسية المتحدة ستكون لها نتائج قوية ودولية بعيدة الاثر على مستقبل العرب جميعا ، وبالعكس فان بقاء الاردن على اوضاعه الناسدة الحالية ، يسيء الى الحركة القومية ويحزق سببها .

فالى العمل والنضال ايها الشعب الحر المناضـل .

عاشت وحدة النضال العربي .

عاشت الجمهورية العربية المتحدة .

عاشت القومية العربية المتحدة .

عاش الرئيس جمال عبد الناصر .

عاش النضال في سبيل تحرير الاردن وتوحيده مع

الجمهورية العربية المتحدة .

((الكتلة القومية الاشتراكية))

((في الاردن))

شباط ١٩٥٩ .

4

مكتبة

قيادة منظمة نابلس / الباحث

الرقم - م ١٢٠ / ١١ / ١٦٢٦
فاد القناطعات
ضابط المباحث

التاريخ - م ١٦٢ / ١١ / ١٦٢٦

٧

الموضوع - حزب البعث المنحصر

طلب الينا مندوب الامن العام / الباحث بكتابه رقم ق م ١٢٠ / ١١ / ١٦٢٦
تاريخ ١٦٢ / ٥ / ١٦٢٦ اضافة اسماء المذكورين تاليا الى قائمه حزب البعث المنحصر وتصنيفهم
بحرف (ج) ووضعهم تحت لرقابه السريه فاخذوا ذلك وتزويدها بالمعلومات المتوفرة لديهم -
عنهم واسمائهم الكامله واعمارهم ونوع عملهم ومكان اقامتهم الحاليه وتقارير شهرية عن
نتيجتهم انبثقت

الزعيم -
فاد منظمة نابلس
عبد الحليم الساكوت

نسخه / لفظ هذا امن المنطوقه للعالم

نسخه / لاضهاره كل منهم

العدد الاسمي - العدد العددي - الاسم - البلده

العدد الاسمي	العدد العددي	الاسم	البلده
١	٢	خليل رشيد غنايم	كفر بباد
٣	٤	عبد الوهاب احمد جبار	سيلقا الحارثيه
٥	٦	اديب وليسوق	عنبتا
٧	٨	عزت محمد الله	-
٩	١٠	عبد الوهاب نافع يوسف	سيلقا الحارثيه
١١	١١	سليم مهدي حسن	اليامون
١٢	١٢	محمد علي جرار	عانور
١٥	١٦	مصطفى مسعود عورتاني	عنبتا
١٧	-	حميد جابوعموري	-
١٩	٢٠	عصام وليق حمد الله	طارق حافظ حمد الله
٢١	٢٢	وليد حلبي	عرايه
٢٣	٢٤	احمد محمد احمد	جنين
٢٥	٢٦	محمد سليم خورشيد	ذنايه
٢٧	٢٨	احمد حامد الحاج احمد	مريقبمنطوقه
٢٩	٢٩	الفد من	سامي الشنطي
٣٠	٣١	زياد عزت صادق	مجت ابراهيم حسن العزام سيلقا الحارثيه
٣٢	٣٣	عمام محمد يوسف اسماعيل	عبد الرحمن طيب عبد الله
٣٤	-	احمد واغب مصطفى ناصر	-

د رويشتر

١٨	ب	العباسيه / رام الله	١ / ب	أنير حسن ابو حاكمه
ج		العباسيه / السعوديه	٢ / ب	مفر حسن ابو حاكمه
		القدس	٣ / ب	لاظم حسين الكرد
٥٨	ب	بيت ريماء / رام الله	٧ / ب	ناسم محمد الريماوي
ج		عنايه / الكويت	٩ / ب	فلي حسين يدوان
٦٠	ب	بيت ريماء / عمان	١٠ / ب	عبد العزيز احمد الريماوي
٦١	ب	مجدل الصادق / رام الله	١٢ / ب	ابراهيم صادق عثمان
		كفر مالك / البرازيل	١٤ / ب	عبد المجيد محمد مره
		كفر مالك / كورنيل	١٥ / ب	محمد احمد ابوازوبتر
		البيهره / امريكا	١٦ / ب	اسماعيل محمد المرصور
		الطليبه	١٧ / ب	سلامه سليمان الحمصي
		كفر مالك / كورنيل	١٨ / ب	نسيم عبد الماجد محمد
		كفر مالك / البيهره	١٩ / ب	مياد محمد مباد
		جنينا / القاهره - فار	٢٠ / ب	موده بطرير موده
ب		رام الله / رام الله	٢١ / ب	شوي فريز الخوري
ج		رام الله	٢٢ / ب	بطرير زخريا متي
ج		ترمسحيا	٢٣ / ب	وليد سليمان ربيعي
ب		بيت ريماء / المزمره الشرقيه	٢٤ / ب	صلاح الدين حمد عبد الله الريماوي
ج		الطليبه / القدس	٢٥ / ب	جريس موده الخوري
٤	أ	المزمره / البيهره	٢٦ / ب	وليد فلي داود الرمح
ج		الطليبه /	٢٧ / ب	نسيم يوسف الخوري
ج		بيت ريماء / اريحا	٢٨ / ب	لطفي احمد الريماوي
ج		نابلس / نابلس	٢٩ / ب	مفيد كامل بلييه
ب		نابلس / رام الله	٣١ / ب	حسني مسعود ابوزينه
ب		خريسا السباح / الكويت	٣٢ / ب	عبد السلام احمد حبيبه
١٥	ب	بيت نبالا / الجلزون	٣٦ / ب	عثمان مراهي محمد
ب		جيبيا / أريحا	٣٧ / ب	عبد الكريم ابراهيم محمد مصطفى
ب		بيت لقيا	٤٠ / ب	جمعه امين مصفور
ب		دير فسانه / عمان	٤٩ / ب	سميح محمد الشحيبي
ب		بد رير / بد رير	٥١ / ب	احمد محمد العبد مرار
ب		رام الله / رام الله	٦٨ / ب	محين فريز الخوري
		النحييم / عمان	٧٨ / ب	ذوقان الهنداوي
ب		رتنيا / الجلزون	٩٠ / ب	صابر فلي القطامي
		بيت نبالا / الجلزون	٩١ / ب	عبد الحفيظ احمد فيسي
ب		كوبر / سوسنة	٩٥ / ب	راغب حمدان يعقوب
ب		كفر فانه / اريحا	٩٦ / ب	سعيد بوندر خطاب
ج		ريون / السعوديه	٩٧ / ب	محمد فلي رشيد مصطفى
ج		كفر فانه / الكويت	٩٩ / ب	فلي سعيد حككا حماد
ب		بيرزيت / امريكا	١٠٤ / ب	لقداده موسى ناصر
ج		البيهره / الكويت	١١٢ / ب	نوهيل حسين موده
ج		العباسيه / الجلزون	١١٣ / ب	محمود محمد خليل الغبيهر

امقر به واحده ذات رساله خالد

بمناسبة ثورة ٢٣ يوليو

احتفل الجمهوريه العربيه المتحدده بعد ايام بما لعيد العاشر لثورة يوليو المجيده التي قادها في وادي النيل المارد العربي عبدالناصر، فمدك بها عرض فاروق الداعر ومزق بها معااهد والرجعيه المتآمره، وذلك بها الاسم الباليه التي ثلث عليها والتي كانت تعتمد على الاستغناء واستبعاد الفئه العميله لكثرة الساحه من الشعب لتسود الاسم الجديده التي تتلخص في الكفاح والعدل ومبدأ تكافؤ الفرص امام الجميع هذا على الصعيد الداخلي اما على الصعيد العربي فقد كانت هذه الثورة نقطه البدايه في المشاركه الفعاله للشعب العربي في مصر مع شقائه في انحاء الوطن العربي فوفقت هذه الثورة بعزم تدعم كل حركه تحريره تحريره في انحاء الوطن ايماناً بهم بوحدة المصير العربي هذه الوحدة التي تفرض وحدة النضال العربي فوفقت تسند حركات النضال في الجزائر والاردن وعمان والعراق ووفقت لكل مؤامرات الاستعمار والصهيونييه واحاطت بالمرصاد سوا في داخل الوطن العربي او في خارجه اما على الصعيد العالمي فلقد اتخذت شعار الحياه وعدم الانحياز اساساً لعلاقتها الدوليه وناضلت من اجل توكيد هذه الشعارات حده اذيج معسكر الحياه وعدم الانحياز ز ثوره يحسب لها المستعمرون الفا حساب.

ايها الرفاق اننا ونحن ننف باجلال واكبار لنحي ذكرى هذه الثورة المجيده لن ننسى ان الملايين العربيه لا تزال تترنخ تحت اهبوس الاستعمار والتخلف الاقتصادي والتجزئه القائله وان صنائع المستعمر لتدك عروشهم والتبني المجتميع العربي الاشتراكي الجديد ولترفع العلم العربي خاتماً على الدوله العربيه الاشتراكيه من المحيط الى الخليج ولن تتحقق كل هذه الاهداف الا اذا وفي الشباب العربي دوراً الطليعي وارتفع الى مستوى المهمه المطلوبه منه.

ايها الرفاق اننا بهذا المناسبه نجدد العزم وتدعو لذك جميع الرفاق المؤمنين لاستئبل امتهم والعاملين لانتصارها ولتحقيق اهدافها في الوحدة والحريه الاشتراكيه ندعوهم لشاعفة نشاطهم واسترخاص التضحيات فهم الامل ومعند الرجاء لقيادة شعبنا الباسل ضد جميع الطليكات المهدترئسه وجميع قوى الرجعيه والانفصال والخيانه في وطننا العربي وليكن لنا من هذه الذكرى حافزاً يدفعنا لتقوية اجهزتنا الثوريه وتنظيمها وتوسيعها لتتمكن في النهايه من سحق العملاء وانظمتهم وقيادة شعبنا في طريق النوميكككك والوحده العربيه.

عاشت ذكرى ثورة ٢٣ يوليو المجيده

عاشت كككككك ذكرى ٢٣ يوليو المجيده وعاش قائدها الرئيس عهدها لناصر

عاشت الامم العربيه حرة وموحده اشتراكيه

الخزى والعار للاستعمار وعملائه الرجعيين ككككككك والانفصاليين والمجد والنصر لشعبنا العربي المناضل وحزبنا الطليعي الثوري

القياد النظرية الثوريه
في الاردن

1235

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٤٩٨

أمه فريبه واحده ذات رساله خالده
تداه السى الرفاق الطلبة

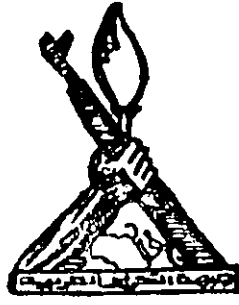
ص ١
الرقم ع ٦٤/١
حزب البعث الاشتراكي
المكتب الطلابي
(نشره داخله للاضاه
لها الرفاق

في هذه المرحله التي يشعز لها شعبنا الهزبي في الاردن وطلائعه الثوريه
من ضللت وارهاب مباحثي واحكم فردى مشلظ او وقوف الحكمة الجائز في طريق اعداف شعبنا
العربي الخالده في الموحده والحرية والاشتراكيه نجد نفوسنا ملزبه لان نضع امامكم النقاط المستور
التي تشغبا العرب وتضله الشعب الهزبي في الاردن والتي كانت نتيجته نكسه عام ١٥٧ وما بعدها
من تشبه وسجن للرفاق العقائدين منهم
ان دنا رتنا الموظبه للتنظيم الحزبي الطلابي في الاردن نجد اننا ملزمن لتوضيح النقاط التاليه
امام ارفاقنا الطالب في المرحله الثانيه بصوره خاصه وامام رفاقنا المعلمين ليساعدوا في عظيمه توجيه
عده

١ ان كثر من الرفاق الطلبة بعد ان يتم تنظيمهم وتدريبتهم الحزبيه الطوله يضطرون للسفر
خارج الاردن لاكمال دراساتهم الجامعيه مما اضعف من قوه الحزب الطلابيه في داخل القطر
وكذلك خساره الرفاق المتخرجين نتيجته كشفهم حزبيين في الخارج وتعرضهم للاعتقال والطارده
من قبل السلطات مند فودتهم دون موجود قضيته سياسيه في سبيل ذلك

٢ والان قد انتتحت الجامعه الاردنيه فاننا ندعو كافة الرفاق الذين ينتظمون في الكليات
ملاطه كما هو جدد في الجامعه الاردنيه ندعوهم ان عدم ترك القطر والبقاء فيه والدراسه في الجامعه
علا ان في ذلك تقهه للحزب وجهازه التنظيمي حيث ان الحزب يود من دائما بالاسل الرفاقسي وتحسين
احوال امتهم من قبل الرفاق الذين يعيشون في معركه شعبهم في كل يوم بل وكل ساعه

٣ ان التنظيم الحزبي في كل قطر عربي يرتكز على التنظيم الطلابي لتخريج القياديين
والثوريين وان التنظيم الحزبي الجامعي اعم مرتكزات التنظيم الثوري ليس في الوطن العربي فحسب بل
في كل اقطار العالم وان اية ثوره قامت بالسنوات الماضيه كان للطلبه الجامعيين فيها نصيب وانبر
ان حزبنا بالمرق يفرض على رفاقنا الطلبة عثمانك عدم الخروج من القطر والانتساب الى كليه دون
اخرى او تفرق كامل للاسئل الحزبي ودون تكمله الدراسه الجامعيه وان رفاقنا الطلبة يتقبلون
ذلك في روح حزبيه انطباعه عاليه مما ادى الى قوه هائله في التنظيم الحزبي في العراق وكان شرته
الرابع عشر من رمان وما سبقها من اضطرابات جماعيه في الجامعه والثانهات ان الرساله التي
اوليتم على تحقيقها في دماكم النضال اليومي تطالبكم بالتضحيه في سبيل الواجب لتحقيسك اعداف
امتنا العربيه الخالده في الموحده والحرية والاشتراكيه عاش الكفاح شعبنا العربي وطلائعه
الثوريه عاش تنظيمنا الطلابي الجماعسي



بيان عن عمليات جبهة التحرير العربية

تصريح ناطق عسكري باسم قيادة الكفاح المسلح الفلسطيني رقم ١٤٦٥
صرح الناطق العسكري باسم قيادة الكفاح المسلح عن عمليات ثوار جبهة
التحرير العربية رقم ١٨٥ - ٢٠٠ بما يلي :

قام ثوارنا في الفترة الواقعة ما بين ١٥ - ٢٢ كانون الأول ١٩٦٩ بـ ١١ عملية
قتالية ناجحة .

فقد قام ثوارنا بالاشتراك مع الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بضرب دورية
راجلة للعدو في منطقة العجر بالجليل الأعلى وتمكنوا من اصابة مجنزرة وقتل عدد
من جنود العدو .

كما قصف ثوارنا أيضاً بالاشتراك مع ثوار الجبهة معسكر وادي الجيب في
جنوب الاردن ودمروا بعض المنشآت العسكرية وأصابوا عدداً من جنود العدو
فيه كما هاجم ثوارنا أربعة كائن للعدو في منطقة الزراعة والقطاف والمخان ومنطقة
سميدة وقد أصيبت هذه الكائن اصابات مباشرة وقتل عدد من جنود العدو
اثناء هذه الهجمات . كما هاجم ثوارنا كميناً نهاريماً لستة جنود هندسة في منطقة
القطاف فقتلوا اثنين وأصابوا الأربعة الآخرين . كما تمكنوا من قتل ٥ جنود للعدو
في هجوم آخر على دورية راجلة للعدو في نفس المنطقة كما شن ثوارنا هجوماً على
مراقبة تل أبو السوس وأوقعوا بها خسائر في المعدات وقد تمكن ثوارنا من نفس
العبارة الواقعة على الطريق الترابي بين معسكر شويعر وتل أبو السوس .

هذا وقد تمكنت وحداتنا القناصة من اصابة ١١ جندياً صهيونياً خلال المدة
ذاتها في مناطق دير الأقرع وكفار روبين والتركابية وام سدره والرميلة ، ولم
يصب أحد من ثوارنا خلال هذه العمليات . وثورة حتى التحرير

القيادة العامة

٢٣ كانون الأول ١٩٦٩

المصادر والمراجع العربية والأجنبية

أ- مصادر غير منشورة :

1- أرشيف المخابرات الأردنية في (المكتبة الوطنية في إسرائيل)

أ - بيانات حزب البعث .

- 1) حزب البعث العربي الاشتراكي "المؤتمر القطري " أيار 1954 .
- 2) حزب البعث أمة عربية واحدة ذات رسالة خالدة النشرة الدورية شباط 1955 الاتفاق التركي العراقي، ملف 493/10 .
- 3) بيان حزب البعث العربي الاشتراكي آذار 1956 تحرير الجيش.
- 4) حزب البعث العربي الاشتراكي أيها المواطنين الكرام، حزيران 1956 فرع نابلس .
- 5) بيان حزب البعث العربي الاشتراكي بمناسبة تأميم القناة 1956، القدس : دار الطباعة العربية 4 / 8 / 1956 . ملف 3 - 443 .
- 6) بيان حزب البعث العربي الاشتراكي حول اتفاقية التضامن العربي، القدس : دار الطباعة العربية، 21 / 1 / 1957 . ملف 3 - 443 .
- 7) بيان حزب البعث العربي الاشتراكي بمناسبة إنهاء المعاهدة الأردنية البريطانية. القدس: دار الطباعة العربية، 14 / 3 / 1957 . ملف 3 - 443 .
- 8) بيان حزب البعث العربي الاشتراكي بشأن سياسة أيزنهاور في الشرق الأوسط عام 1957 . ملف 3 - 443 .
- 9) بيان الكتلة القومية الاشتراكية في الأردن، شباط 1959 ملفات المخابرات الأردنية ملف رقم 6 - 653 .
- 10) منشور باسم (القيادة القطرية الثورية)، يتناول الحركة وأهدافها، 1962.
- 11) حزب البعث المكتب الطلابي، نشرة داخلية للأعضاء، المكتب الطلابي في الأردن ملف.الرقم ع 1/ 64، ص 1 . ملف 1298 .
- 12) صوت الجماهير، نشرة دورية يصدرها البعث العربي الاشتراكي في الأردن، العدد الثاني والعشرون، تشرين الثاني 1965، السنة الثانية، (دم) . ملف 59 - 686 .

ب) تقارير رجال المباحث الأردنية

- 1- تقرير مكتوم 9 / 86، 22س / 2286، 1954 .
 - 2- تقرير المباحث المرسل لقيادة منطقة القدس رقم ق/24028/4/4/2، بتاريخ 5/9/56 .
 - 3- قيادة منطقة القدس، المباحث، الرقم 24552/4/4 بتاريخ 9/9/1956. ملف رقم 443
 - 4- ملف (. القدس، رقم ق/1/20/أ / 128/ 12616/ بتاريخ 26 /8/1958
الموضوع وداد الياس بربرة، من بيت لحم . ملف 7 — 425 .
 - 5- قيادة مقاطعة نابلس، المباحث، الرقم م .ن.ن — 0/1/2 ب، تاريخ 15/9/1959 .
ملف 6 — 613
 - 6- كشف بأسماء الموظفين المنتمين للأحزاب المنحلة البعث . 1960/1/8، ملف 22 —
1541 .
 - 7- كشف بأسماء المنتسبين لحزب البعث لمنطقة القدس وتصنيفهم 30 / 4 / 1960 .
 - 8- كشف بأسماء البعثيين بتاريخ 4 / 11 / 1962
 - 9- كشف بأسماء البعثيين مقاطعة رام الله بتاريخ 21 / 3 / 1963 .
 - 10- قيادة منطقة القدس، المباحث، مدير المباحث العام / القيادة، مكتوم، الرقم 2س/9/
12286 نيسان 1963. ملف 7 — 425 .
 - 11- عطوفة قائد منطقة القدس . الموضوع تقرير عن حزب البعث، ملف 6 — 413
بتاريخ 27 / 7 / 1963 .
- 2 - أرشيف وثائق جبهة التحرير العربية في رام الله .
- 1) بيان المؤتمر الوطني في مدينة نابلس 22 / 4 / 1957
 - 2) مقررات المؤتمر القومي السادس "القيادة القومية" دمشق 27 / 10 / 1963 .
 - 3) عمليات جبهة التحرير العربية 14 عملية ينفذها ثوار الجبهة خلال أسبوع ثوار الجبهة
يتأرون من العدوان الإسرائيلي على كفر كلا 1970 .
 - 4) أوراق محفوظة لدى الجبهة العربية حول عملية كفار جلعادي، وعملية كفار يوفال،
عام 1976.
 - 5) بيان القيادة القومية حول الاتفاق بين منظمة التحرير الفلسطينية والكيان الصهيوني،
منشورات القيادة القومية حزب البعث العربي الاشتراكي، بغداد، أيلول 1993 .
 - 6) أوراق محفوظة لدى الجبهة العربية حول شهداء الجبهة العربية وحزب البعث اللبناني،
عام 2000.

3- أرشيف وثائق جمعية الدراسات العربية .

- 1) أيها الشعب الكريم، عبد الله نعواس وبهجت أبو غربية، القدس : دار الطباعة العربية، 1956، وثيقة رقم 250 .
- 2) بيان أيها المواطنون الكرام، القدس : دار الطباعة العربية، 1956 . وثيقة رقم 251 .
- 3) بيان عبدالله نعواس وبهجت أبو غربية، 1956، رقم 251.
- 4) حزب البعث العربي الاشتراكي انتخبوا عبدالله حنا نعواس وبهجت أبو غربية، القدس: دار الطباعة العربية، 1956، وثيقة رقم 251 .
- 5) مرشحا البعث العربي الاشتراكي عبدالله حنا نعواس . بهجت أبو غربية، القدس : دار الطباعة العربية، 1956 . وثيقة رقم 252 .

4- مخطوطات السجناء الفلسطينيين في مكتبة بلدية نابلس .

— نشأة حزب البعث (القواعد الحزبية)، 14/10/1980 دفتر جبهة التحرير العربية رقم . 47

ب) المصادر والمراجع المنشورة

- 1) وثائق نشرتها الجامعة اللبنانية في بيروت .
 - 1) سلسلة الوثائق العربية لعام 1966، بيروت : الجامعة اللبنانية، 1969 .
 - 2) سلسلة الوثائق العربية لعام 1969، بيروت : الجامعة اللبنانية، 1971
- 2) وثائق نشرتها م. ت. ف : مؤسسة الدراسات الفلسطينية
 - 1) سلسلة الوثائق الفلسطينية العربية لعام 1965، بيروت : مؤسسة الدراسات الفلسطينية 1967 .
 - 2) سلسلة الوثائق الفلسطينية العربية لعام 1966، بيروت : مؤسسة الدراسات الفلسطينية، عام 1968.
 - 3) سلسلة الوثائق الفلسطينية العربية لعام 1968، سلسلة الكتاب السنوي الفلسطيني . بيروت : مؤسسة الدراسات الفلسطينية 1970.
 - 4) سلسلة الوثائق الفلسطينية العربية لعام 1969، بيروت : الجامعة اللبنانية، ط 1971 .

5) سلسلة الوثائق الفلسطينية العربية لعام 1970، سلسلة الوثائق الفلسطينية العربية السنوية 6، بيروت مؤسسة الدراسات الفلسطينية، أبو ظبي :مركز الوثائق والدراسات، ط 1972 .

6) سلسلة الوثائق الفلسطينية العربية لعام 1971، بيروت : مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ط1974.

7) سلسلة الوثائق العربية الفلسطينية العربية لعام 1977 سلسلة الوثائق العربية السنوية 13، بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، أبو ظبي : مركز الوثائق والدراسات، ط 1978 .

8) سلسلة الوثائق الفلسطينية العربية لعام 1980، سلسلة الوثائق العربية السنوية 16، بيروت : مؤسسة الدراسات الفلسطينية، وأبو ظبي : مركز الوثائق والدراسات، 1981 .

9) سلسلة الوثائق الفلسطينية العربية لعام 1981، بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية ط 1986.

3) المراجع العربية

1) أبراش، ابراهيم: البعد القومي للقضية الفلسطينية، ط1، بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية، 1987.

2) أبو بكر، توفيق : معركة الكرامة الخالدة شهادات وكتابات الإعلام المركزي، ط 1998

3) أبو عمرو، زياد:الحركات السياسية في قطاع غزة، عكا : دارالأسوار، 1987 .

4) أبو غربية، بهجت : مذكرات بهجت أبو غربية 1916 – 1949، بيروت : مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ط 1993 .

5) أبو فضة، عبدالعزيز : قلعة الشقيف قلعة الصمود، بيروت : منشورات فلسطين المحتلة ط1982.

6) أبو نوار، علي : حين تلاشت العرب – مذكرات في السياسة العربية لندن : دار الساقى، ط 1990 .

7) أبو نوار، معن : في سبيل القدس، عمان : مطبعة القوات المسلحة الأردنية (ب.ت).

8) احمد، ظافر : ست وثلاثون عاما على تأسيس حزب البعث العربي الاشتراكي، (ب.م) (د . م) 1983 .

9) اسكندر، أمير : صدام حسين مناضلا ومفكرا و إنسانا، منشورات البيادر، القدس، ط2، 1990 .

- 10) الأرسوزي، زكي: المؤلفات الكاملة، مج 1، ومج 2، ط1، دمشق 1973، ومج 3، ط1، دمشق 1974.
- 11) ألبرت، حوراني: الفكر العربي في عصر النهضة 1798-1939، ترجمة كريم عزقول، بيروت: نوفل، 1997.
- 12) ألون، يغثال: ثلاث حروب وسلام واحد، (ترجمة محمود عباس)، الناصرة: دار النهضة للنشر، ط أولى 1970.
- 13) الياس، جوزيف: علق و البعث نصف قرن من النضال، بيروت: دار النضال، ط أولى، 1991.
- 14) أنطونيوس، جورج: يقظة العرب تاريخ حركة العرب القومية، ترجمة ناصر الدين الأسد، وإحسان عباس، بيروت: دار العلم للملايين، 1966.
- 15) باشا، كلوب: جندي مع العرب، دار النشر للجامعيين، عمان، ط أولى، 1963.
- 16) الباقوري، عبد العال: رباعية فلسطينية، بوابة مصر الشرقية، البعث وفلسطين حتى عام 1958 كذبة صهيونية، سقوط القدس، بيروت: دار الفكر الحديث، ط 1996.
- 17) براند، أ. لوري: الفلسطينيون في العالم العربي بناء المؤسسات والبحث عن الدولة، بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية.
- 18) البيطار، صلاح الدين: ندوة القومية العربية في الفكر والممارسة، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط 3، 1984.
- 19) تابيرو، نوربير: (مترجم) الكواكبي المفكر الثائر إسهام في دراسة الإسلام الحديث، بيروت: دار الآداب، 1968.
- 20) التل، عبدالله: كارثة فلسطين، ط2، فلسطين: أم الفحم، دار الهدى، 1990.
- 21) التلهوني، بهجت: الحسين بن طلال (د. ن)، (دم)، 1957
- 22) جبهة التحرير العربية: الطريق القومي لتحرير فلسطين، رام الله: منشورات الجبهة العربية، ط2، سنة 2000.
- 23) الجمصي، محمد عبد الغني: مذكرات حرب أكتوبر 1973 با ريس: المنشورات الشرقية، ط 1989.
- 24) الجندي، سامي: البعث، الناصرة: مكتب فؤاد دانيال للطباعة، ط2، (د.ت).
- 25) الحافظ، ياسين: الهزيمة والأيدولوجية المهزومة، ط1، بيروت: دار الطليعة والنشر، 1979.
- 26) حبيب الله، غانم: علاقة منظمة التحرير الفلسطينية بالنظام الأردني 1964 - 1976 بين التنسيق والتصادم، عكا: مؤسسة الأسوار الثقافية الفلسطينية، ط 1987.

- 27) حزب البعث العربي الاشتراكي :
- بيان للشعب من حزب البعث العربي الاشتراكي في الأردن رداً على دعاة الأحلاف الاستعمارية، (د.م.)، شباط 1956 .
- بيان مقررات المؤتمر القومي السادس، دمشق 27 / 10 / 1963، القيادة القومية .
- حزب البعث العربي الاشتراكي البرنامج الانتخابي لمرشحي البعث 1956 .
- دستور حزب البعث العربي الاشتراكي، بغداد : المثني، 1993 .
- 28) حسين، موسى حربي، وقزانجي، يوسف فؤاد : مصادر تراث حزب البعث العربي الاشتراكي، بغداد : المكتبة الوطنية، 1977.
- 29) حسنين، محمد هيكمل : سنوات الغليان ج 11، القاهرة : مركز الأهرام للترجمة والنشر ، 1988 .
- 30) الحصري، ساطع:
- أبحاث مختارة في القومية العربية التي كتبها، ونشرها المؤلف في تواريخ مختلفة 1923 - 1963، القاهرة : دار المعارف، 1964 .
- آراء وأحاديث في القومية العربية، ط3، دار العلم للملايين، بيروت، 1959.
- الأعمال الكاملة "تظرتي إلى حزب البعث" القسم الثاني، بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية، 1985.
- البلاد العربية والدولة العثمانية، القاهرة : معهد الدراسات العليا، 1957 .
- 31) حمدان، حمدان : أكرم الحوراني رجل للتاريخ، ط1(د.م.)، نيسان 1996.
- 32) الحوراني، أكرم: أكرم الحوراني 1912 - 1996 : مذكرات، القاهرة : مكتبة مدبولي، 1994
- 33) الحوراني، هاني : حكومة سليمان النابلسي (1956 - 1957) عمان : دار سندباد للنشر، 1998 .
- 34) خدوري، مجيد : الاتجاهات السياسية في الوطن العربي . الولايات المتحدة الأمريكية: مطبعة جون هوبكنز، 1970 .
- 35) الخفش، حسني صالح : مذكرات حول تاريخ الحركة العمالية العربية الفلسطينية، بيروت : منظمة التحرير الفلسطينية مركز الأبحاث، 1973 .
- 36) دراغمة، عزت: الفلسطينيون والطريق إلى فلسطين، ج1، القدس، 1992 .
- 37) دروزة، الحكم : الشيوعية المحلية ومعركة العرب القومية، بيروت : دار الحكمة .

- 38) دروزة، محمد عزة : حول الحركة العربية الحديثة ج1 و ج3، لبنان - صيدا، المكتبة العصرية، 1951.
- 39) دندشلي، مصطفى : مساهمة في نقد الحركات السياسية في الوطن العربي، حزب البعث العربي الاشتراكي 1940-1963، ج1، بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر 1979 .
- 40) الدوري، عبدالعزيز : الجذور التاريخية للقومية العربية، الناصرة : مطبعة دانيال، ط2، 1986 .
- 41) دياب، محمد عبدالكريم : الثورة العربية المعاصرة، الأبعاد الفكرية والتنظيمية، دار المسيرة، بيروت، ط 1978.
- 42) الرزاز، منيف :
 — الأعمال الفكرية و السياسية ج2، التجربة المرة، (دم) مؤسسة منيف الرزاز للدراسات القومية، ط 1 1986.
 — خطاب الدكتور منيف الرزاز الأمين العام لحزب البعث العربي الاشتراكي في أسبوع نصره فلسطين، وزارة الإعلام السورية، ط1965 .
 — رسائل إلى أولادي أوراق غير منشورة، سلسلة إحياء الذاكرة التاريخية، عمان : دار سندباد 1995 .
- 43) الرئيس، رياض نجيب، و النحاس، دنيا : منظمة التحرير الفلسطينية المسار الصعب المقاومة الفلسطينية، منظماتها أشخاصها، بيروت : النهار للخدمات الصحافية، 1976 .
- 44) الريماوي، عبدالله :
 — البيان القومي الثوري مشروع ميثاق مقترح للحركة العربية الواحدة، ط القاهرة : النهضة المصرية، 1966 .
 — الحركة العربية الواحدة، بيروت : دار النشر للجامعيين، طبعة 1، 1964.
- 45) رولو، أريك : أبو إياد - صلاح خلف فلسطيني بلا هوية، القدس : مؤسسة صيام للدعاية والنشر، (د.ت) .
- 46) زعيتر، أكرم : بواكير النضال : من مذكرات أكرم زعيتر 1909 - 1935، بيروت: مؤسسة الدراسات والنشر، ط 1994 .
- 47) زين، نور الدين، زين : نشوء القومية العربية مع دراسة تاريخية في العلاقات العربية التركية، عكا : مكتبة السروجي، 1978 .
- 48) السادات، أنور : البحث عن الذات قصة حياتي، ط2، القاهرة، 1978.

- 49) سسر، أشر : الخط الأخضر بين الأردن وفلسطين، سيرة وصفية التل السياسية، ترجمة جودت السعيد، عمان : دار الشروق، ط1994.
- 50) سعد، احمد صادق، وياسين، عبد القادر : الحركة الوطنية الفلسطينية 1948-1970، القدس : منشورات صلاح الدين، 1978.
- 51) سعيد، أمين : الثورة العربية الكبرى، تاريخ مفصل جامع للقضية العربية في ربع قرن لنضال بين العرب والأتراك، القاهرة : مكتبة مدبولي، 1999 .
- 52) سليمان، سهيل :كمال ناصر الشاعر الأديب السياسي ، بيروت : دار الأصالة ، 1986.
- 53) سيل، باتريك : الصراع على الشرق الأوسط، بيروت :المؤسسة العامة للدراسات والنشر والتوزيع، 1988 .
- 54) سويد، محمود: الجنوب اللبناني في مواجهة إسرائيل 50 عاما من الصمود المقاومة، بيروت : مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1999 .
- 55) السيد، جلال : حزب البعث العربي، بيروت : دار النهار، 1973 .
- 56) الشاعر، جمال : سياسي يتذكر تجربة في العمل السياسي، لندن، رياض الريس للكتب والنشر، 1987 .
- 57) الصايغ، روزماري : الفلاحون الفلسطينيون من الاقتلاع إلى الثورة (مترجم)، القدس: منشورات صلاح الدين، ط2، 1983
- 58) صلاح، وليد : رحلتي في العمر مذكرات، عمان : الدار الوطنية، 1990.
- 59) الطهطاوي، رفاعه : الأعمال الكاملة لرفاعة الطهطاوي ، كتاب تلخيص الإبريز في تلخيص باريز أو الديوان النفيس بباوان باريس ، (دراسة وتحقيق محمد عمارة)، بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، 1973.
- 60) العابد، حمزة : حديث جديد عن لبنان، بيروت : دار الأصالة، (د. ت)
- 61) عازوري، نجيب: يقظة الأمة العربية ،(ب.ط)، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (د.ت).
- 62) العباسي، محمد : حزب البعث التاريخ، الفكر، التطبيق، الزهراء للإعلام العربي ط 1992.
- 63) عبد الهادي، مهدي: المسألة الفلسطينية ومشاريع الحلول السياسية ؟ 1943-1974. بيروت صيدا، ط أولى 1975.
- 64) العبيدي، عوني جدوع : حزب التحرير الإسلامي، عمان : دار اللواء للصحافة والنشر، 1993 .

- 65) العقاد، صلاح : من فصول المشرق العربي المعاصر، القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية 1983 .
- 66) عفلق، ميشيل:
- في سبيل البعث بيروت : دار الطليعة للطباعة والنشر، 1970 .
- نقطة البداية (أحاديث بعد الخامس من حزيران) ط2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر 1971.
- معركة المصير الواحد، بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر (د.ت) .
- 67) العلمي، موسى : عبرة فلسطين بيروت : دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع، 1949
- 68) علوش، ناجي :
- المسيرة إلى فلسطين، بيروت: دار الطليعة 1964 .
- فكر حركة المقاومة الفلسطينية (1948 — 1987)، فلسطين — بيرزيت : لجنة تراث بيرزيت، 1993.
- الثورة والجماهير . بيروت : دار الطليعة، 1962 .
- حوار حول الأمة والقومية والوحدة، عكا : دار الأسوار، ط 1980.
- 69) علوش، ناجي وآخرون : الحركة العربية القومية في مائة عام 1875 — 1982، عمان : دار الشروق، 1997.
- 70) عودة، بطرس عودة : الاستسلام في الواقع العربي، الأردن : المكتبة الوطنية وكالة التوزيع والنشر 1996.
- 71) عيتاني، بديع : حرب لبنان، بيروت : دار المسيرة، ط4، 1982 .
- 72) العيسمي، شبلي :
- حزب البعث العربي الاشتراكي مرحلة النمو والتوسع ج2، 1949 — 1958 بيروت: دار الطليعة أيار 1979 .
- حزب البعث العربي الاشتراكي ج3، ط1، دار الشؤون الثقافية العامة بغداد، 1987.
- 73) الفايز، أحمد عصام : النظام الهاشمي والحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني، (د.ب)، (د.م)، (د.ت) .
- 74) الفتاش، إبراهيم : أوراق خاصة في الحركة الوطنية، (د.ت)، (د.م) .
- 75) فرح، إلياس :
- مقدمة في دراسة المجتمع العربي والحضارة العربية، بغداد : دار الحكمة 1990 .

- من قضايا الثورة والإنسان العربي، بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط أولى 1978 .
- (76) فرزات، حرب : الحياة الحزبية في سوريا، دراسة تاريخية، الأحزاب السياسية وتطورها بين 1908 — 1955، دمشق : دار الرواد، 1955 .
- (77) فريدون، جم صاحب،: الحسين مهنتي كملك أحاديث ملكية، ترجمة غزيل غازي ، عمان : الدار العربية للطباعة والنشر، 1981
- (78) الفكيكي، هاني: أوكار الهزيمة تجربتي في حزب البعث العراقي، لندن — قبرص : رياض الريس للكتب والنشر ، 1993 .
- (79) قاسم، عبدالكريم : الجمهورية الفلسطينية "خطاب قاسم" 1960 ، بغداد : مطبعة الرابطة 1960 .
- (80) قاسمية، خيرى : الحكومة العربية في دمشق بين 1918 — 1920 القاهرة : دار المعارف بمصر، 1971 .
- (81) قرقوط، ذوقان : عفلق، ميشيل الكتابات الأولى مع دراسة جديدة لسيرة حياته، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط 1، 1993 .
- (82) قهوجي، حبيب : القصة الكاملة لحركة الأرض، القدس : منشورات العربي، ط أولى 1978 .
- (83) كريشان، محمد : منظمة التحرير الفلسطينية التاريخ والهيكل الفصائل والأيدولوجية، لبنان: دار البراق، 1986 .
- (84) الكواكبي، عبد الرحمن: كتاب أم القرى وهو كتاب ضبط مفاوضات مؤتمر النهضة الإسلامية المنعقد في مكة المكرمة سنة 1316، مصر المكتبة التجارية، 1931 .
- (85) كوثراني، وجيه: الاتجاهات الاجتماعية السياسية في جبل لبنان والمشرق العربي 1860—1920، التاريخ الاجتماعي للوطن العربي للوطن العربي، ط2 بيروت : معهد الإنماء العربي 1978 .
- (86) كوهين، أمنون : الأحزاب السياسية في الضفة الغربية في ظل النظام الأردني 1949 — 1967، القدس : مطبعة القادسية، ط 1988 .
- (87) الكيالي، عبدالوهاب :
- دراسات ومطالعات فلسطينية (1974 — 1977)، بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1977 .
- العرب والقضايا الإستراتيجية، بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط 1982 .

- 88) لنت ، جيمس : (مترجم) الحسين سيرة حياة عمان : الدار العربية للنشر والتوزيع، ط 1990.
- 89) — ليلي خالد وحرب أيلول، القدس : مؤسسة صيام للدعاية والنشر، (د.ت).
- 90) ماعوز، موسى : (مترجم) القيادات الفلسطينية في الضفة الغربية أسرار وتحركات ومواقف، (ب.د)، (د.م)، (د.ت)
- 91) مالك، عادل : من درس إلى جنيف، بيروت، (د.م)، 1974.
- 92) المالكي، عياد: الفراغ السياسي وأثره على الواقع العربي المعاصر، رام الله : المركز القومي للدراسات العربية، ط 1998 .
- 93) مباشر، عبده: الحرب العراقية الإيرانية، القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، 1986.
- 94) مجالي، هزاع: مذكراتي، ط أولى، (د م)، ط 1959 .
- 95) محادين، موفق : الأحزاب والقوى السياسية في الأردن 1927 — 1987، بيلوغرافيا، بيروت : دار الصداقة للطباعة والنشر، ط 1988 .
- 96) محافظة، علي:
- العلاقات الأردنية — البريطانية من تأسيس الإمارة حتى إلغاء المعاهدة 1921 — 1957، بيروت: دار النهار للنشر، 1973.
- موقف فرنسا وألمانيا وإيطاليا من الوحدة العربية 1919—1945، بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية، ط 1985 م .
- أبحاث وآراء في تاريخ الأردن الحديث، بيروت : مؤسسة الدراسات العربية، عام 1998 .
- 97) محسن، زهير : الثورة الفلسطينية بين الفكر والممارسة، دمشق : منشورات الطلائع 1972 .
- 98) محمد، عبدالعزيز : السياسة العربية والمسألة الفلسطينية، مطبعة الوحدة، 1985 .
- 99) مصطفى، شاكِر : محاضرات عن القصة في سورية حتى الحرب العالمية الثانية ألقاها على شاكِر مصطفى على طلبة قسم الدراسات الأدبية واللغوية 1957، القاهرة: جامعة الدول العربية : معهد الدراسات العربية العالية، 1958.
- 100) مطر، فؤاد: حكيم الثورة قصة حياة جورج حبش، ط1، لندن: منشورات هاي لايت 1984.
- 101) مقبل، زياد، وأمين، عبدالعزيز : حرب الكرامة العربية، نابلس : مطبعة جمعية العمال التعاونية 1983.

- (102) منظمة التحرير الفلسطينية : مؤسسة الدراسات الفلسطينية :
- الاجتياح الإسرائيلي للبنان 1982، دراسات سياسية وعسكرية، بيروت (د.م) .
- سلسلة الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية للقضية الفلسطينية لعام 1966، بيروت : مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1968 .
- سلسلة الكتاب السنوي للقضية لعام 1969، رقم 6، بيروت : مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1972 .
- سلسلة الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية 1970، رقم 7، بيروت : مؤسسة الدراسات الفلسطينية ط 1974 .
- سلسلة الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام 1974، رقم 11، بيروت : مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1977 .
- سلسلة الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام 1975، رقم 12، بيروت : مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1978 .
- سلسلة الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام 1976 رقم 13، بيروت : مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1978 .
- (103) — المؤتمر العربي الأول المنعقد في القاعة الكبرى للجمعية الجغرافية بشارع سن جرمن في باريس ، مصر : القاهرة ، مطبعة البوسفور ، 1913 .
- (104) موسى، سليمان، ومنيب الماضي :
- تاريخ الأردن في القرن العشرين، ج1 عمان : مكتبة المحتسب، ط2 1996 .
- (105) موسى، سليمان :
- تاريخ الأردن في القرن العشرين، ج2، عمان : مكتبة المحتسب، ط1 1996 .
- المراسلات التاريخية 1914 — 1918 . الثورة العربية الكبرى، عمان 1973 .
- (106) نسبية، حازم زكي : تاريخ الأردن السياسي المعاصر، عمان : منشورات لجنة تاريخ الأردن، 1990 .
- (107) — وزارة الثقافة والإعلام : الثورة والتنمية في العراق، 1980 صدر بمناسبة الذكرى الثانية عشر لثورة 17 — 30 تموز المجيدة، بغداد ، 1980 .
- (108) — نضال البعث، ج1، القطر السوري 1943—1949 من معركة الاستقلال إلى نكبة فلسطين والانقلاب العسكري الأول ط4 ، بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، سنة 1976 .
- نضال البعث ج2، القطر السوري 1949 — 1954، ج2، بيروت : دار الطليعة للطباعة والنشر، ط4، 1976 .

- نضال البعث القطر العراقي 1958 — 1963 من ثورة الرابع عشر من تموز إلى ثورة الرابع عشر من رمضان، بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، ط 3، 1976
- نضال البعث، القطر اللبناني 1951 — 1961 النضال من أجل عروبة لبنان ج8، بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، ط أولى 1972 .
- نضال البعث: القطر اللبناني 1961 — 1968 النضال من أجل وضع حزبي سليم ومن أجل لبنان وطني وديمقراطي، ج1، بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، ط2، 1976 .
- نضال البعث: كتاب المؤتمر القومي الثامن نيسان 1965 ج 9، بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، 1972 .
- نضال البعث ج4: المؤتمرات القومية السبعة الأولى 1947 — 1964، ط 3 بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، 1976 .
- نضال البعث: القيادة القومية 1955—1962، من تشكيل القيادة القومية حتى نهاية الانفصال، ج6، بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، 1976 .
- نضال البعث: (القيادة القومية 1963—1966) من ثورة رمضان وأذار 23 شباط 1966، ج 10، بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر ط2، 1976 .

(4) مراجع صادرة باللغة العبرية والإنجليزية

- (1) المنظمات التخريبية (باللغة العبرية): د.م، وزارة الدفاع الإسرائيلية: قسم الإرشاد والتعبئة 1973.
- (2) سيلع، أبرهام (باللغة العبرية): حزب البعث في الضفة الغربية تحت الحكم الأردني، القدس: الجامعة العبرية، 1984 .
- 3) KAMEL.S .ABU JABER: The Arab Ba,th Socialist Party and Organization Syracuse university press 1966.

(5) الموسوعات

- (1) الموسوعة التربوية الفلسطينية: عبدالقادر الصالح (1908 — 1992)، تحرير يحيى جبر، نابلس: منشورات الدار الوطنية للترجمة والطباعة والنشر والتوزيع 1996.
- (2) موسوعة السياسة، تحرير عبدالوهاب الكيالي، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط 1983 .

- (3) هيئة الموسوعة الفلسطينية: الموسوعة الفلسطينية، القسم العام، مج 1 ، بيروت : مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1984 .
- (4) هيئة الموسوعة الفلسطينية: الموسوعة الفلسطينية، دراسات القضية الفلسطينية، القسم الثاني، مج3، ومج5، بيروت : مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ط 1990 .

(6)الدوريات

(أ) مجلات

- (1) مجلة آفاق عربية، بغداد : دار الشؤون الثقافية العامة، السنة الثالثة، ع 5، كانون الثاني 1978 .
- (2) مجلة الأحد، بيروت، ع 802، السنة السادسة عشر 18 أيلول 1966 .
- (3) مجلة الأحرار اللبنانية، ع 652، 24 تشرين أول، وع 655، 14 تشرين ثاني، وع 659، 12 كانون الأول 1969 .
- ع 675 ، 3 نيسان، و ع680 ، 15 أيار، وع 683، 29 أيار، وع 690 17/7/1970 .
- ع 717، 29 كانون الثاني ، وع 718، 5 شباط 1971 .
- (4) مجلة الأسبوع العربي، بيروت ع 351 السنة السابعة، الاثني 28 شباط 1966 .
- (5) مجلة الثائر العربي، العراق، وبيروت، ع 18، كانون الثاني، وع23، نيسان 1970
- (6) مجلة السياسة الدولية، القاهرة : مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، ع69، حزيران 1982 .
- (7) مجلة الطليعة العربية، باريس : دار الفارس، ع 116، 22 تموز، وع121 2 أيلول 1985 .
- ع144، 10 شباط و ع176، 22 أيلول 1986 .
- ع 206، 20 نيسان 1987 .
- (8) مجلة الغد، ع 34 السنة الثانية، 3 كانون الثاني 1946، القدس : دار الأيتام الإسلامية .
- (9) مجلة فلسطين الثورة، بيروت: منظمة التحرير الفلسطينية ع 247، الاثني 14/8/1978 .
- (10) مجلة كنعان، الطيبة-المتلث : مركز احياء التراث، ع 6، تشرين الأول 1991 .

ب) الجرائد والصحف

1 – صحف سياسية :

- 1 – صحيفة الأيام، رام الله: مطابع الأيام 23 / 10 / 1999 ع 1380، السنة الرابعة .
- 2 – صحيفة البعث، دمشق : وزارة الإعلام السورية ع 20 كانون الثاني 1970 .
ع 2090 و أعداد : 2093 و 2095 و 2096 و 2103 و 2105 و 2117 و 2130 و 2137 و 2139 و 2141 و 2157 و 2906 وغيرها .
- 3 – صحيفة الجهاد (يومية سياسية)، القدس، الثلاثاء، 30 / 8 / 1960 السنة الأولى، ع 272.
- 4 – صحيفة الحياة اللبنانية، بيروت، الأربعاء في 16 تشرين الثاني و ع 7000، الجمعة 25 شباط 1966.
- 5 – صحيفة الشعب، فلسطين : القدس، عدد 1970 السنة الرابعة، 10 شباط 1976 .
و ع 19، بتاريخ 31 كانون الثاني، 1970، و ع 5 السنة الثامنة، 1 / 3 / 1977
و ع 9، السنة التاسعة، 15 آب 1978 .
- 6 – صحيفة القدس، مطابع القدس، الثلاثاء 8 نيسان 1980، ع 3916 .
- 7 – صحيفة النهار، القدس: مطابع النهار : ع 2707، 16 / 10 / و ع 2714، الأحد 10 / 23 / و ع 2723 الأول من تشرين الثاني 1994.

2 – الجريدة الرسمية الأردنية

- 1 – الجريدة الرسمية الأردنية (ملحق) سنة 1962، مطبعة القوات المسلحة، عمان – الأردن .
- 2 – ملحق الجريدة الرسمية المجلد 7 الأحد الموافق 21 نيسان 1963 .

ج) دراسات ومقالات منشورة في مجلة شؤون فلسطينية

- 1) أحاديث مع قادة المقاومة حول مشكلات العمل الفدائي الفلسطيني، الحلقة الثالثة،
1 – سامي العطارى 2 – الدكتور عبد الوهاب الكيالي "، بيروت : مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ع 7، آذار / مارس 1972 .
- 2) الأيوبي، الهيثم: عشرة أعوام من عمر الكفاح الفلسطيني، ع 41/42 كانون ثاني وشباط 1975 .

- (3) خالد، محمد الأزعر : محاولة تأريخ التجربة، ع 192 آذار 1989 .
- (4) سخيني، عصام : الكيان الفلسطيني 1964-1974"، ع 42/41 كانون ثاني وشباط 1975 .
- (5) شبيب، سميح : منظمة التحرير الفلسطينية التطور وصراع الإرادات، ع 153/152 تشرين ثاني/ كانون أول 1985 .
- (6) ياسين، عبد القادر :
- " الحركات القومية العربية والكفاح الفلسطيني المسلح "، ع98 / كانون الثاني / يناير 1980.
- القصة الكاملة لإنشاء الجبهة الوطنية المتحدة في قطاع غزة، ع101/100 نيسان / أبريل 1980 .

(7) رسائل وندوات

- 1 - أبو غربية، بهجت: رسائل مطبوعة أرسلت للباحث بتاريخ 27 تموز 1998.
- 2 - الشكعة، بسام : ندوة، بعنوان : برنامج النضال الوطني الفلسطيني منذ الثورة 1936 وحتى الآن (متغيرات وتنازلات)، عقدت في مجمع النقابات المهنية ورابطة الكتاب الأردنيين في عمان، جرت في صيف عام 1998.
- 3 - عمرو، ياسر: رسالة مطبوعة عن مخلص عمرو أعدها عام 1999.

(8) مقابلات

- تم إجراء عدد من المقابلات الميدانية مع بعثيين من الرعيل الأول يتوزعون في مناطق مختلفة من فلسطين، وسواهم من الباحثين وهم :
- 1- مقابلة أجريت بتاريخ 15 كانون الثاني/يناير/ 1998 مع التاجر محمد محمود صافي النبالي في رام الله .
- 2 - مقابلة أجريت مع صالح برانسي مسؤول مركز التراث في الطيبة - المثلث، وهو أحد قادة حركة الأرض بتاريخ آذار / مارس 1998.
- 3- مقابلة أجريت بتاريخ 29/ آذار / مارس / 1998 مع وفا الصايغ مسؤول سابق في حزب البعث في قطاع غزة بمدينة رام الله.

- 4- مقابلة أجريت بتاريخ 15 حزيران / يونيو 1998 مع موسى ناصر علوش صيدلي في بيرزيت .
- 5- مقابلة أجريت بتاريخ 21 حزيران / يونيو 1998 . مع التاجر تيسير لبادا في نابلس .
- 6- مقابلة أجريت بتاريخ 9 تموز / يوليو 1998 مع ياسر عمرو وزير التربية والتعليم في السلطة الوطنية الفلسطينية سابقا في رام الله .
- 7- مقابلة أجريت بتاريخ 10 تموز / يوليو 1998 مع محمد أمين مدير في سلطة المياه بمدينة رام الله .
- 8- مقابلة أجريت بتاريخ 14 تموز/ يوليو 1998 مع مالك الحاج ابراهيم عضو بلدية طولكرم المنتخب عام 1976، في منزله بمدينة طولكرم .
- 9- مقابلة أجريت بتاريخ 14 تموز/ يوليو 1998 مع الطبيب خالد الدرزي في طولكرم .
- 10- مقابلة أجريت بتاريخ 17 تموز/ يوليو 1998 مع بسام أحمد الشكعة رئيس بلدية نابلس المنتخب عام 1976 والمقال 1976 في منزله بمدينة نابلس .
- 11 - مقابلة أجريت مع عبد الجواد صالح وزير الزراعة في السلطة الوطنية سابقا في منزله بمدينة البيرة 1 نيسان / ابريل 1999.
- 12- مقابلة أجريت بتاريخ 15 آب/أغسطس 1999 مع جاد ميخائيل عضو بلدية رام الله المنتخب عام 1976
- 13- مقابلة: أجريت بتاريخ 20 آب/ أغسطس 1999 مع فرحان أنيس أحد قادة البعث في رام الله عام 1994 .
- 14- مقابلة أجريت بتاريخ 20/ أيلول / سبتمبر 1999 مع التاجر فاروق الناطور في مدينة طولكرم.
- 15- مقابلة أجريت بتاريخ 1 تشرين الأول /أكتوبر 1999 مع ابراهيم فرح مدير مدرسة الروم الكاثوليك في رام الله.
- 16- مقابلة أجريت بتاريخ 15 تشرين الأول / أكتوبر 1999 مع رئيس مجلس بلدي كفر مالك عياد المالكي من الرعيل الأول في حزب البعث .
- 17- مقابلة أجريت بتاريخ 17 كانون الثاني / يناير 2000 مع مصطفى المالكي محافظ قلقيلية، وممن انتسبوا للبعث، وانضم إلى حركة فتح في مقر المحافظة بمدينة قلقيلية.
- 18- مقابلة أجريت بتاريخ 21 شباط / فبراير 2000 مع ركاد سالم، أمين عام جبهة التحرير العربية بمدينة رام الله .
- 19- مقابلة أجريت مع الباحث عبدالعزيز أبو هدبا في منزله بمدينة البيرة بتاريخ 5 نيسان / أبريل 2000.

- 20- مقابلة أجريت بتاريخ 1 تموز / يوليو 2000 مع راتب العملة عضو اللجنة المركزية لجبهة التحرير العربية في مدينة رام الله .
- 21 - مقابلة أجريت بتاريخ 1 آب/ أغسطس/2000 مع المحامي منور الرймаوي في رام الله .
- 22- مقابلة أجريت بتاريخ 19 آذار /مارس 2001 مع عبدالخالق سويدان من بلدة عزون.

Abstract

The historic period extending from 1800-1982 is considered to be of great importance, in the East Arab World, since it was exposed to many dangerous events of which the most important was the western colonization attack of the area. Crumbling the Arab region and the emerge of Zionist Entity in Palestine causing thoughts of various attitudes to appear.

Nationalism was the most important current from Europe which swept the Arab World following the breaking out of the French Revolution in 1789.

It was based on achieving multi- entity unity, the emerge of national states and also achieving freedom and equality. The idea of nationalism was so spreading all over the Arab World, because of the need of achieving unity and the expulsion of Invaders.

In accordance's, all over the Arab world, Syria was a pioneer in this tendency due to its strategic location, which allowed the joining of various current thoughts.

Ba'th Socialist Party. Established by Michel Aflaq and Salah -Al-Bitar in 1940 represented an attractive cross point for mental and political thinking currents . AL-Ba'th Arab and socialist party illustrated a crucial change in the Arab nationalist thinking to a more comprehensive vision, depending on theoretical bases formed in its trinity of unity and freedom and socialism.

In Palestine, the public were obsessed by the idea of Ba'th, after the defeat in 1948,as they found in it what represented their ambition to achieve unity to liberate Palestine from Zionist invasion. The Arab National current was the dominant and the nearest to the hearts of the people among all political currents. And the Syrian-Egyptian unity crowned its extension and activities.

1961 was a great change in the history of Ba'th and a declination in the popularity of Arab national current in Palestine due to its failure to accomplish Syrian-Egyptian unity. The split in Ba'th in 1966 weakened the party in Arab States and the defeat in 1967 caused adecreas in the

popularity of the Arab National current which included both the Ba'th party and followers of Jamal Abed-Al- Naser.

Simultaneously, The Palestinian political Entity current and the P.L.O were going up in popularity and reputation among people.

Ba'th party gave great attention to Palestinian issue since 1959, thus, it illustrated the importance of the eminent role of the Palestinian people to liberate Palestine. Indeed, and after 1965, it adopted public liberation War to liberate Palestine.

Following the defeat 1967, it established two organizations, AL-Sai'qah (liberation War Vanguard) and the Arab liberation front.

With these organizations Ba'th maintained the same idea to reject reconciliation with Zionism. And with its communities, they fought Against Jordanian and Lebanon attempts to cease militant actions. They also fought to defend the Palestinian Revolution in 1970 and 1976.

Despite that, these two organizations were of less popularity compared with (FATH) and Popular front for the liberation of Palestine, since they were affected by political shocks and by the circumstances in both Iraq and Syria and the role of the tow played in towards the Palestinian cause The popularity of Sai'qa has declined, indeed it is eliminated in Palestine, whereas, the Arab Liberation Front is still active and taking part in the Palestinian uprising (Intifada), due to Iraqi, Ba'th support for the Palestinian issue. The Iraqi brave attitude to resist the Western American savage attack, has increased the popularity of (A. L. F) as a good means to encounter the western coalition.

**AN - NA JAH NATIONAL UNIVERSITY
FACULTY OF POSTGRADUATE STUDIES
DEPARTMENT OF HISTORY**

**The Arab Ba'th Socialist Party in Palestine
And it's Role in The Palestinian National Movement
Between 1948-1982**

**By
Abed Al Azecz Ameen Mosa Arar**

**Supervisor
DR. Nezam Izat Abbasi**

**Submitted in Partial Fulfillment of The Requirement
for the Degree of Master of Arts in History**

**An-Najah National University
Nablus –Palestine
Year : 2001**